

الثورة التحريرية في المنطقة الأولى
من الولاية الأولى 1954-1962

الثورة التحريرية في المنطقة الأولى

من الولاية الأولى 1954-1962

تحرير

الأستاذ الدكتور: جمال بلفردى

المركز الجامعي بريكة

سلسلة دراسات أكاديمية (24)

مخبر الأمن الإنساني: الواقع، الرهانات والآفاق

جامعة باتنة -1- الجزائر

كل الحقوق محفوظة

مخبر الأمن الإنساني: الواقع، الرهانات والآفاق
كلية الحقوق والعلوم السياسية - جامعة باتنة 1 - الجزائر

E- mail: lsh@univ-batna.dz

الرقم التسلسلي للناشر 9931-740

الثورة التحريرية في المنطقة الأولى من الولاية الأولى

1962 - 1954

تحرير

الدكتور: جمال بلفردى

الناشر: مخبر الأمن الإنساني: الواقع، الرهانات والآفاق



الطبعة الأولى

الإيداع القانوني: السادس الثاني 2020

ر. د. م. ك. 4-25-9931-740-978-ISBN



Copyright © LSH-AEP 2020

الثورة التحريرية في المنطقة الأولى من الولاية الأولى

1962.1954

تحرير

أ. د. جمال بلفردى

المشاركون

- د. نور الهدى مغشيش
أ. اسماعيل حنفوق
د. بالحاج ناصر
أ.د. أحمد مسعود سيد علي - أ. كريمة زيتون
د. صلاح الدين هدوش - أ. فاتح زياني.
د. سليمان قريري - أ. ميادة مزوزي
أ. فوزي فراحتية - أ. عبد الرزاق فراحتية
د. نور الدين بن قويدر
د. فتاح شباح
أ. د. ليلي تيتة - أ. يونس تامة
أ. سلامة دربال - أ. عبد الباسط مخناش
د. عيسى ليتيم - أ. هيبة كلاش
د. مختار هواري
أ. عمراوي قيروود
أ. صالح دراجي
أ. رحيمة بوخاتم
أ. د. جمال بلفردى
أ.د. جمعة بن زروال - أ. سماح بوقلولة
أ. الشريف مقران

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
7	مقدمة
11	د. نور الهدى مغشيش تضاريس ورجال المنطقة الأولى بالولاية الأولى التاريخية...
27	أ.اسماعيل حنفوق اندلاع الثورة في المنطقة الأولى من الولاية الأولى وتوسعها...
47	د. بالحاج ناصر الدعم اللوجستي للثورة التحريرية في المنطقة الأولى من الولاية الأولى...
57	أ.د/ أحمد مسعود سيد علي أ. كريمة زيتون المنطقة الأولى محور دعم ومصدر إمداد...
69	د/ صلاح الدين هدوش أ/ فاتح زياتي الثورة التحريرية بالناحية الثانية للمنطقة الأولى ...
87	د. سليمان قريري أ. ميادة مروزي التطور السياسي والعسكري في المنطقة الأولى من الولاية التاريخية الأوراس- النمامشة 1956-1959م ...
101	أ.عبد الرزاق فراحتية أ. فوزي فراحتية نشاط الثورة في القسم الرابعة...
115	د. نور الدين بن قويدر التناول التاريخي لكونولوجية الثورة الجزائرية...
125	د. فتاح شباح العمليات العسكرية في منطقة معافة ...
139	أ.د. ليلي تيتة أ. يونس تامة المنطقة الأولى من الولاية الأولى واليوم الوطني ضد التقسيم
155	أ. سلامة دربال أ. عبد الباسط مخناش معارك الناحية الثالثة من المنطقة الأولى في الولاية الأولى...
179	د. عيسى ليتيم أ. هبة كلاش مساهمة المرأة في الثورة التحريرية بالولاية الأولى التاريخية (1954-1962)
201	د. مختار هواري تحقيقات قيادة الولاية الأولى حول المشبوهين في عملية الزرق...
227	أ. عمراوي قيرود اسهامات المجاهد الحاج لخضر عبيد في الثورة بالمنطقة الأولى
249	أ. صالح دراجي شخصية الشهيد حيحي المكي...
275	أ. رحيمة بوخاتم نشاط الشهيد محمد عموري (المدعو لعموري) في الحركة الوطنية والثورة التحريرية 1929-1959
291	أ.د. جمال بلفردى الكفاح الثوري للعقيد محمد الصالح يحيياوي 1956-1962 من خلال الروايات الشفوية.
301	أ.د. جمعة بن زروال أ. سماح بوقلولة دور سكان مدينة باتنة في الثورة التحريرية 1954/ 1962 من خلال الشهادات الحية- العمليات الضدائية والمظاهرات- أنموذجا -
313	أ. الشريف مقران شهادة حية عن بعض صنوف التعذيب الاستدماري أثناء ثورة التحرير
323	الخاتمة

كتب شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله في شأن الشعب الجزائري وتعامله مع تاريخه: "إن الشعب الجزائري يجيد صناعة التاريخ، ولا يجيد كتابة التاريخ" فنحن أمة شفوية نستنكف في كثير من الأحيان عن تدوين مآثرنا وخبائاتنا، وإيماننا منا بضرورة تدوين تاريخ الجزائر الحافل بالبطولات بصفة عامة، وتاريخ الأوراس بصفة خاصة، رأينا أنه من المفيد أن نحاول تدوين ما يمكن تدوينه حول الثورة التحريرية في الأوراس كمنطقة تاريخية مترامية الأطراف والأركان.

حاولنا في محتويات هذا الكتاب تقديم إسهامات المنطقة الأولى من الولاية الأولى التاريخية أوراس- النمامشة على عهد فترة الثورة التحريرية، وهي محاولة مجموعة من الباحثين تدوين أحداث هذه المنطقة التي تتميز بسعة امتدادها الجغرافي وموقعها الاستراتيجي لمشاركتها الحدود الجغرافية مع الولاية الثالثة والثانية والسادسة، ونظرا لأهميتها فقد سعى الرعيل الأول للثورة بقيادة الشهيد مصطفى بن بولعيد، والقادة الحاج لخضر، وعباس لغرور، ومحمد لعموري وغيرهم تفعيل دور المنطقة الأولى، وأسدوا أوامر للقيام ليلة الفاتح من نوفمبر 1954 بهجمات على مراكز العدو في مدينتي باتنة، وبريكة كمراكز هامة تابعة للمنطقة الأولى، ويكفي هنا إشارة أن أول شهيد سقط في ميدان الشرف والواجب الوطني في الولاية الأولى التاريخية، هو "أعمر أغرور" الذي استشهد في الهجوم على سريانة ليلتي 12 و13 نوفمبر 1954.

ورغم الخناق الذي فرضته القوات الفرنسية حتى تبقى الثورة في حيز ضيق من الأوراس خاصة الشرقي منه إذ قامت بعمليات عسكرية كبرى على شاكلة عمليات "فيرونك" "ولافاييت" "اورونج اومار"، إلا أن قيادة الثورة بالأوراس راهنت على هذه المنطقة من الأوراس الغربي من خلال إرسالها لأفواج المجاهدين لتفعيل دورها الكفاحي، ففي 12 فيفري 1955 كلفت فوج "رعايلى مصطفى" بالتوجه ناحية سطيف وبرج بوعريريج، وفوج محمد الشريف بن عكشة بالتوجه إلى عين التوتة ومتليلي والقنطرة، وفوج عبد الحفيظ طورش بالتوجه إلى بريكة ومسيلة والحضنة، وفوج الحاج لخضر عبيدي باتجاه باتنة وبيضاء برج وعين مليلة والعلمة، وهكذا انتشرت الثورة، وأفشلت مخطط الاستعمار

الفرنسي الذي كان يعمل على إطفاء نار الكفاح المسلح بمنطقة الأوراس التاريخية، ومنه تحقيق هدفه، وهو القضاء على الثورة في مهدها.

أصبحت هذه الجهة بعد تنظيمات اجتماع الصومام أوت 1956 تحمل مسمى المنطقة الأولى من الولاية الأولى التاريخية، وقد لعبت دورا مهما في أحداث الثورة التحريرية، لاعتبارات كثيرة، نذكر منها موقعها الذي أهلها للتواصل مع الولايات الأخرى، وملتقى لعبور قوافل التسليح القادمة من الولاياتين الثالثة والرابعة من وإلى تونس، بالإضافة إلى وجود شخصيات تاريخية بارزة تواجدت في هذه المنطقة، وساهمت في تجسيد العمل الثوري على أرض الواقع، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: الحاج لخضر اعبيدي، لعموري محمد، بن النوي مصطفى، عبد الحفيظ طورش، ومصطفى رعابلي، حيحي المكي، عمار عشي، محمد الصالح بلعباس، يوسف لعلاوي، الطاهر أوشن، صالح نزار، أحمد الجدارمي وأحمومة، وغيرهم كثير، كما أن هذه المنطقة ساعدها عدم تصادم قاداتها مع مقررات اجتماع الصومام، مما جعل الخلافات بين الجبهة والجيش في هذه المنطقة تكاد تكون معدمة وأقل حدة من باقي مناطق الولاية الأولى، وساعدها ذلك في تجنب الكثير من المشاكل الداخلية.

حاول مجموعة من الباحثين الشباب تدوين أحداث هذه المنطقة وهم على يقين أنهم لن يغطوا كل بطولاتها ونشاطها الثوري وتعداد كل أبطالها لأن أحداثها لا يمكن أن يغطيها كتاب واحد بل كتب ومجلدات، وربما بما قدموه كان لهم السبق في وضع لبنة أساسية في إعادة تدوين تاريخ الكيان الأوراسي، وينتظرون من باقي الباحثين المساهمة في تدوين تاريخ هذه المنطقة الزاخر بالأحداث والبطولات.

يطرح هذا الكتاب إشكالية مساهمة المنطقة الأولى من الولاية التاريخية الأولى أوراس النمامشة في الثورة، وقد عمل هذا الفريق على تنويع محاور الكتاب بين الموقع الجغرافي، وتوضيحه، لما للموقع الجغرافي من أهمية وتأثير في صيرورة الأحداث التاريخية؛ ولا تاريخ بدون جغرافيا، لذلك قدمت الدكتورة مغشيش نور الهدى لمحفة جغرافية للمنطقة، واشتغل باحثون آخرون على التنظيمات، وكيف توسعت الثورة في المنطقة كشأن الأستاذ: حنفوق اسماعيل، والباحثة: ميادة مزوزي والأستاذ الدكتور سيد علي مسعود، وكريمة زيتون

والدكتورة بن زروال، التي تناولت التنظيمات في باتنة المدينة، وقدم لنا الباحثان: فراحتية فوزي وعبد الرزاق فراحتية النشاط الثوري بجهة المعاضيد والحضنة، واسترسل دربال سلامة وزميله في تبيان بطولات المجاهدين جهة أولاد تبان وصالح باي، بينما تناول الدكتور نورالدين بن قويدر كرنولوجيا أحداث الثورة التحريرية بمدينة بريكة وضواحيها، واشتغل آخرون على تقديم جوانب من بطولات رجال الجزائر، على غرار ما ساقه الأستاذ الدكتور جمال بلفردى من سيرة نضالية وكفاحية للمجاهد العقيد محمد الصالح يحيواوي.

عالج الباحث قيروود العمراوي شخصية العقيد وقائد الولاية التاريخية الحاج لخضر، وقدم لنا صالح دراجي سيرة وافية عن الشهيد يحيى المكي، وبدورها تناولت الباحثة بوخاتم رحيمة شخصية العقيد، وقائد الولاية التاريخية الأولى محمد لعموري، وعرض البعض الآخر من الباحثين المعارك التي شهدتها المنطقة الأولى، كما هو شأن في ما قدمه الباحثين زياني فاتح والدكتور هدوش صلاح الدين والأستاذ شباح فتاح، في الوقت الذي تناول فيه آخرون قضايا أخرى ذات صلة بكفاح المنطقة الأولى من الولاية الأولى التاريخية، كالإضرابات التي كانت رافدا من روافد دعم الكفاح المسلح شأن ما قدمته الأستاذة الدكتورة ليلي تيتة التي عالجت وبقراءة نقدية ما جادت وتحصلت عليه من وثائق من دور الأرشيف الفرنسية، وعرج بنا الدكتور هواري مختار حول قضية شائكة من قضايا الثورة التحريرية، والقصد هنا قضية الزرق كما يرويها المجاهد محمد الصالح بن طامة في مذكراته غير المنشورة، بينما وقف الدكتور عيسى لتييم، والباحثة هبة كلاش على دور المرأة الجزائرية في تدعيم شقيقها الرجل إبان الثورة التحريرية بالولاية التاريخية الأولى 1954-1962، وانتهى بمساهمة الأستاذ الشريف مقران، حول شهادة حية عن بعض صنوف التعذيب الاستعماري أثناء ثورة التحرير.

إن محتويات هذا الكتاب هي مبادرة قام بها الدكتور هواري مختار، وباقتراح من نجل مصطفى مرادة المدعو عبد الحميد، واحتضنها مدير مخبر الأمن الإنساني، وقدم كل الدعم والتشجيع والتصويب، وعمل فريق المراجعة خاصة الدكتور هواري مختار، وناصر بلحاج على متابعة العمل منذ حصولهم على مسودات المداخلات، ونشير هنا إلى المجهود المعتبر

مقدمة

الذي بذله الدكتور بلفردي جمال في تصنيف الكتاب دون أن ننسى فريق المخبر، ونتمنى أن نكون وفقنا في تقديم، ولو النزر القليل من تاريخ هذه المنطقة التي تبقى خبايا تاريخها مفتوحة أمام الباحثين لدراسة باقي الأحداث التي ميزتها، ولم يستطع الفريق تغطيتها، كما نطمح لاحقا في تدوين باقي مناطق الولاية التاريخية الأولى.

مدير المخبر

أ.د. حسين قادري

دور تضاريس ورجال المنطقة الأولى بالولاية الأولى التاريخية في دعم الثورة «الضابط الشهيد بورعية مبارك أنموذجا»

د. نور الهدى مغشيش

جامعة باتنة -1-

مقدمة

يتأثر الفرد كما تتأثر الجماعة والمجتمع ككل بالبيئة التي يعيش فيها كما يتأثر باحتكاكه مع مختلف البيئات التي يتاح له بشكل من الأشكال التقارب معها، وقد يطول التأثر فيتحول مع مرور الوقت الى تناغم وتوافق ومنه قد يتحول الى الانصهار الجزئي، وذلك ما حدث لمنطقة الأوراس، فبسبب الامكانيات الطبيعية الضرورية لبقاء الانسان من مياه وغابات وأراضي زراعية وكهوف التي تتوفر عليها المنطقة اصبحت محط انظار العديد من الحضارات الكبرى كالفيقيين والرومان وغيرهم، وتشير الدراسات أن تسمية الاوراس جاءت موافقة للمعنى المتداول حاليا، وهو الاسد⁽¹⁾ ويقصد بها جغرافيا مجموعة الجبال الممتدة من جبال بوطالب والحضنة الشرقية غربا حتى حدود تونس شرقا، ومن وراء بسكرة جنوبا حتى حدود قسنطينة شمالا.

مثلما لعبت الخصائص الجغرافية لمنطقة الأوراس دورا في استقطاب المستعمرين؛ لعبت دورا أكبر في دحرهم بفضل وعورة تضاريسها وشدة انحداراتها مما صعب على كل اجنبي اختراقها وبسط سيطرته والمكوث فيها طويلا لحصانتها الطبيعية، لذلك تعتبر الخصائص الجغرافية لمنطقة الاوراس سببا رئيسيا لتكوين شخصية السكان فيه وحملهم شعلة المقاومة على مر العصور.

انطلاقا من هذه الخصائص الجغرافية المميزة للمنطقة الاولى التاريخية، وبما أن اغلب الدراسات تناولت دور واهمية جبال الاوراس بصفة عامة، لا بد أن نؤكد ان جبال الاوراس فيها قسمين، جبال الاوراس الشرقية أهمها جبل شليا الذي يبلغ ارتفاع قمته 2328م، وهي أعلى قمة في منطقة الأوراس، يليه جبل المحمل 2321م، وجبل احمر خدو 2000م، ثم جبل ايش وجبل ملالو وجبل بوعريف 1741م ثم جبل تفرانت بالإضافة الى الجبل الأزرق، وتطل كل هذه الجبال على مدينة تيمقاد

الرومانية شمالا ومدينة بسكرة وخنقة سيدي ناجي جنوبا، أما الكتلة الغربية فتعرف بجبال بلزمة⁽²⁾ وهي محور دراستنا.

ترجع أهمية الموضوع الى طبيعة جبال بلزمة التي تحتل موقعا جغرافيا مميزا ضمن المنطقة الانتقالية بين الشمال والجنوب الجزائري، وهي بذلك تمثل وسطا طبيعيا يملك خصائص طبيعية مميزة، فهي منطقة معروفة بمقاومتها للمستعمرين منذ القدم، ورغم ذلك فهي لم تحظى بالدراسات الكافية.

فجبال الأوراس الشرقية معروفة لدى جل الباحثين والطلبة لارتباطها بأحداث مفصلية في تاريخ الثورة التحريرية فهي مسقط الشهيد القائد مصطفى بن بولعيد ومكان انطلاق الثورة، وبداية المعارك فيها والصراع على القيادة لاحقا، لكن جبال الأوراس الغربية (جبال بلزمة) لم يلق الضوء الكثير عليها.

فإشكالتنا تتمحور حول طبيعة خصائص جبال بلزمة، وهل انخراط المنطقة وسكانها في الثورة كان يمثل أهمية كبيرة للثورة أم أنه كان مساهمة ثانوية فحسب؟

للإجابة على هذا التساؤل تطرقنا الى الخصائص الجغرافية لجبال بلزمة ودور تنوع طبوغرافيتها في دعم الثورة، كما تعرضنا الى دور سكانها في دعم جهود الثورة، وكان اختيارنا لشخصية ذات رتبة قيادية تتميز بخبرتها العسكرية في الحروب وتكوينها العلمي في مدارس جمعية العلماء المسلمين وترعرعها في جبال المنطقة، مما جعلها تخوض حروب شرسة مع المستعمر وتساهم في تنظيم وتدريب وقيادة هذه المنطقة في الثورة، وفي الأخير كانت الخاتمة التي عرضنا فيها مختلف النتائج التي توصلنا اليها.

1- الخصائص الجغرافية لجبال بلزمة

إن اتساع جبال بلزمة وتعدد مظاهرها التضاريسية، وتنوعها البيولوجي يجعل من التعرف على موقعها الجغرافي وتنوعها الطبيعي، أمرا أساسيا يساهم في معرفة دورها في الثورة التحريرية:

1-1- الموقع الفلكي

تقع جبال بلزمة بين دائرتي عرض 53 " 55 ' 40° و 35 " 37 ' 46° شمالا، وخطي طول 10 " 55 ' 5° و 45 " 10 ' 6° شرقا، إذن هي تقع في الجزء الشرقي للشمال الجزائري.⁽³⁾

1-2- الموقع الجغرافي

الكتلة الجبلية لبلزمة توجد في الطرف الغربي من جبال الأوراس في الشرق الجزائري، وتعتبر بداية كتلة الأوراس من الشمال، وهي عبارة عن نطاق متطاوّل جنوب غرب شمال شرق بالقرب من مدينة باتنة حدودها كما يلي:

تبدأ من جبل محاسور حتى جبل سارييف بجبال تيسوراسوتاركارث وجبل معقال من الشرق بداية من جبل سارييف مرورا بجبال بلخاز، وينتهي بجبال تاخربيت.

غربا: من جبال محاسور إلى غاية ذراع تالمات، وفي الجنوب من ذراع تالمات إلى جبل تاخربيت مرورا بجبل بوكزاز.⁽⁴⁾

1-3- الموقع الإداري

تقع جبال بلزمة في الشمال الغربي لولاية باتنة، وتشمل في الوقت الحالي ثمانية بلديات والدوائر التالية بمساحات متفاوتة وتحدها كما يلي:

- دائرة باتنة: بلدية فسديس، باتنة، وادي الشعبة من الجنوب.
 - دائرة مروانة: بلدية مروانة، وادي الماء، حيدوسة من الشمال الغربي.
 - دائرة سريانة: بلدية سريانة من الشمال الشرقي.
- وأهم المدن المحيطة بها:
- مدينة قسنطينة من الشمال على بعد 119 كلم.
 - مدينة سطيف من الشمال الغربي على بعد 130 كلم.
 - مدينة بسكرة من الجنوب على بعد 123 كلم.

تعتبر هذه الجبال منطقة انتقالية بين الشمال والجنوب، وهذا سهل خطوط الامداد والتواصل بين الشمال والجنوب، وشكل حصنا منيعا للثوار فيها وكذا لنقل الاسلحة.

2- دراسة خصائص تضاريس جبال بلزمة

لفهم اسباب تكرر الثورات في هذه المنطقة أكثر من المناطق الاخرى من الجزائر، لابد من معرفة خصائص وصفات الوسط، لأن هذا الوسط له تأثير على السكان وعلى أي عمل عسكري في المنطقة، كما أن أي تدخل يتطلب معرفة الجوانب الطبوغرافية الهيدرولوجية، الجيولوجية، المناخية والتربة والغطاء النباتي.

2-1- تضاريس وعرة

نتجت مجموع جبال بلزمة عن بنية التوائية متوازنة، وهي عبارة عن ثنية محدبة، تأخذ نفس اتجاه سلسلة الأطلس الصحراوي، أي من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي، وتتميز هذه الجبال بوجود مجموعتين متباينتين من حيث الكتلة والحجم وهما:

بلزمة الغربية: وهي أكثر كتلية، وتظم الجبال الأكثر ارتفاع في المنطقة، وأعلى قمة هي جبل تيشاو (2141م) ثم تليه القمم الأخرى مثل جبل تقرت (2094م)، وجبل بورجم (2036م)، وجبل بومرزوق (1778م)، هذا الأخير يطل على سهل مروانة (1000م) في الشمال ومنخفض باتنة (1036م) من الجنوب (أنظر مجسم تضاريس جبال بلزمة في الملحق).

بلزمة الشرقية: تظم الجبال الأقل حجما وارتفاعا مقارنة بالجهة الغربية وأهمها جبل كاسرو (1641م)، جبل تافرننت (1260م)، وتمثل هذه المرتفعات الطيات الجنوبية، اضافة الى جبل ساريف (1200م) وجبل بوكرشوش (1510م)، وجبل حركات (1809م) وجبل الشلعلع (1785م) ومجموع هذه الجبال تكون الطيات الشمالية الشرقية.

اذن في جبال بلزمة الارتفاعات تتجاوز 1000م. 77.4% من مساحة الجبال ذات ارتفاع عالي يصل إلى 1800م، بينما 1.4% ارتفاعها ما بين 1000، و1200م، وتشغل عموما من خلال طبوغرافية الوادي، ولاسيما في النهاية الشرقية للحظيرة الوطنية (وادي الدشرة).

2-2- الانحدارات قوية

تتميز 87% من المساحة الإجمالية لجبال بلزمة بانحدارات قوية تفوق 25%، وقد تصل من 35% إلى 50% على سفوح جبال بورجم، تيقرت والشلعلع، وعلى منحدرات الأودية.

بينما المنحدرات من 12.5 إلى 25% تشغل قطع صغيرة جدا تقع على القمم وعلى منحدر الوادي، وتمثل 5.8% فقط من نطاق الكتلة الجبلية لبلزمة.

تتميز إذا المنطقة بطبوغرافية نشطة وبارتفاعات عظيمة تشكلت نتيجة الحفر والنحت الذي يظهر، ويتجلى في التلعة وسيلان الأودية، الذي يكون باتجاه الشمال وبتجاه مجريين مائين رئيسيين، وادي الحراكتة ووادي كتامي.⁽⁵⁾

2-3- بنية جيولوجية ملتوية

ان مجمل جبال بلزمة تمتد على أراضي الزمن الثاني (اللياس، الجوراسيالكريتاسي)⁽⁶⁾ فهذه الجبال ذات بنية التوائية معقدة، تأخذ اتجاه السلسلة الأطلسية: شمال شرق-جنوب غرب، وهي ناتجة عن ضغط تكتوني يعود الى العصر الأيوسيني، لتظهر لنا التضاريس جد متعرجة على شكل طيات متوازية، وتعرضها أيضا لضغط من الشمال الغربي أدى الى اصطدام الكتلة الشمالية بها لتظهر لنا المنطقة على شكل طية مائلة، وهذا ما يوضحه الجناح الشمالي الغربي الذي تغلب تكويناته على الجناح الجنوبي الشرقي.

2-4- دور التضاريس الجبلية في خدمة الثورة والثوار

شكلت جبال بلزمة عوائق طبيعية وموانع صعب اجتيازها من قبل قوات الاحتلال الفرنسي، والحقت بها خسائر بشرية ومادية كبيرة لان العمليات العسكرية في المناطق الجبلية تتطلب عددا وعدة- ذخائر أكبر لصعوبة إصابة الهدف لتموج السطح الجغرافي، ومؤونة أكثر للجهد المبذول- أكبر بكثير مما تحتاجه في المناطق السهلية المفتوحة لتمشيط التضاريس المتعرجة فيها، وطريقة تواجد القوات تتخلله صعوبات كبيرة لأن امكانيات انتشار قوات الاحتلال الفرنسي محدودة

وتجميع عدد كبير من القوات في منطقة جغرافية محددة عرضة لخسائر فادحة لأن وعورة تضاريس جبال بلزمة، وضيق ممراتها صعب من حركة هذه القوات وجعل تقدمها بطيء، وكان هذا لصالح المجاهدين سواء بسهولة انسحابهم من مواقعهم، أو عند إقامة هجوم مضاد عليهم، فأغلاق الممرات الجبلية الضيقة أمر سهل سواء بتعطيل الأليات وتدميرها، أو بواسطة الصخور والأتربة المتواجدة بالمنطقة، وقد أثرت المناطق الجبلية على استخدام الطائرات وهبوطها لأن احتمالات القراءة الخطأ تتضاعف وتؤثر فيها عناصر المناخ من رياح وضباب وضغط جوي، وكذا افتقار المناطق الجبلية لأماكن ملائمة لهبوطها.

أما بالنسبة للمجاهدين فمعرفة الكاملة لجبال بلزمة وفرت لهم فرصة استغلال عنصر المفاجأة والمباغطة ضد القوات الفرنسية، ومكنتهم من الصمود الطويل عند فرض الحصار عليهم في بدايات الثورة وبالتالي ضمان استمراريتها وتوسعها، وقد سهلت المناطق الجبلية عمليات التخفي والتمويه للثوار وصعوبة كشف مواقعهم لتوفر المغارات الطبيعية فيها.

2-5- موارد مائية هامة

تعتبر الموارد المائية من العوامل المهمة جدا لوجود الغطاء النباتي، فالماء يساهم في تغذية النبات ونموه، وقلته تؤدي الى موته واختفائه، ووجود الماء يساعد أيضا على التحصن في المنطقة، فعندما فرض حصار على المنطقة استطاع المجاهدون الصمود لفترات طويلة لوجود ثمار الأشجار ووجود الماء وخصوصا الينابيع التي تقدر بالعشرات في المنطقة، بالإضافة الى الأودية والمياه الجوفية، يمكن استخراج هذه المياه بوسائل مختلفة مثل الآبار والخنادق أو القنوات، والفجارات التي تخرج الى سطح الأرض ذاتيا، أو عن طريق العيون والينابيع، أو من خلال التسرب والرشح⁽⁷⁾

2-6- المناخ

يغلب على السفوح الشمالية لجبال بلزمة مناخ شبه رطب بارد لوجود المرتفعات فيها، ويسود النطاق الشبه الجاف البارد في السفوح الجنوبية وبالتالي البرودة هي السمة البارزة للمناخ القاري في المنطقة⁽⁸⁾ وشدة البرودة خصوصا ليلا تصعب من تمركز القوات المعتدية في المنطقة طويلا، لأن المجاهدين يتحصنون في الكهوف

والمغارات التي توفر لهم الدفاء، وأيضا المنطقة معروفة بتساقط الثلوج فهي مضيئة في المعارك لأنها تعيق حركة الجنود، وتمتص انفجار القنابل، وعليه فإن الشظايا المنتشرة من انفجار القنابل قد تكون أقل ضررا، كما أن تساقط الامطار والضباب الذي يسود المناطق الجبلية في فصلي الخريف والشتاء يساهم في حجب الرؤيا وتعطيل عمل أجهزة المراقبة والرصد الارضية والجوية، واعاقه حركة المشاة لتكون المستنقعات والايواح والانهيارات التربة، ولم يكن اختيار شهر نوفمبر كبدية للثورة اختيارا عشوائيا فإضافة لرمزياته المتعددة، فهو من أبرد الفصول في منطقة الأوراس والبرودة تعيق العدو في عملياته بالمنطقة، وتؤثر على عمل بطاريات الآلات والراديو والبوصلة وتعطل الاتصالات اللاسلكية، وتزداد احتمالات انغلاق الطرق بسبب الجليد لان درجات الحرارة تصل الى دون الصفر في هذا الوقت من السنة.

2-7- الثروة النباتية والحيوانية

نجد للتشكيلات الحيوانية والنباتية دور كبير في حصانة المنطقة طبيعيا وصعوبة اختراقها،⁽⁹⁾ فوجود غطاء نباتي كثيف يصعب من رصد تحركات المجاهدين، وبالمقابل يصعب من توغل قوات العدو فيها، وبالنسبة للحيوانات فوجود حيوانات مفترسة كالضبع المجعدة وابن أوى والذريعاء وابن عرس والذئب والثعلب،⁽¹⁰⁾ وأيضا الأسود فيما مضى يعتبر عامل مهم يمنع تنقل مشاة العدو خصوصا في الليل.

اذن فجمال بلزمة و كل الكتل الجبلية للأوراس كانت حاضنة قوية للثورة باعتراف العدو الفرنسي، فقد قال الجنرال بول شاربير في أحد تقاريره ان عمليات ليلة اول نوفمبر 1954 وقعت في المرتفعات الجبلية للأوراس، وذلك لأنها تمثل ملجأ ملائما للم شمل عصابات المتمردين (حسب تعبير صاحب التقرير)، والسياسة الفرنسية واجهت صعوبات لان المنطقة تعرف سهولة في عمل "العصابات" لأنها تعمل بأرض غير مستوية ومشجرة،⁽¹¹⁾ وكذا دعم سكان الدواوير لهم، فالدعم لم يكن بالتضاريس فقط بل كان أيضا بالرجال.

3- الدعم بالرجال

ان المنطقة الاولى للولاية الاولى التاريخية والتي تشمل باتنة ومروانة تعتبر من أهم مصادر الثورات في الجزائر منذ عصور، واذا ارجعنا عجلة التاريخ فقط الى الاحتلال الفرنسي للجزائر، فمنذ بداية احتلاله فالمنطقة بكل ما فيها من حجر وشجر وبشر تقاوم، ففي سنة 1871 قامت ثورة بن رحمون وبن دوري في مروانة ضد الاستعمار بمساعدة شعبية من أهل المنطقة، وأجبرا فرنسا على الاستعانة بالجنرال ماري الذي كان متواجدا بعين التوتة في باتنة، حيث دخل عن طريق الشلعل باعتباره نقطة عسكرية هامة، وهنا حاصر الثوار، وقتل العشرات منهم، كما تم حرق مصنع خاص بالخشب ليقضي على هذه الثورة، وذلك بعد فشل أحد الجنرالات في تحقيق ذلك.

لقد كان السكون الذي ميز جبال بلزمة بعد ذلك بمثابة الهدوء الذي يسبق العاصفة التاريخية الذي جاء بها القائد الثوري عمرو موسى سنة 1916، والتي جاءت كرد فعل على التجنيد الاجباري الذي قامت به السلطات الفرنسية، والذي رفض من قبل سكان المنطقة على الرغم من أنه فرض على كامل الجزائريين في كل ربوع الوطن، وقد اقلقت هذه الثورة الاستعمار الفرنسي كثيرا واستطاع ان يخمدها لقلة السلاح والتموين، لكن لم يستطيع أن يخمد روح الكفاح في رجال المنطقة.⁽¹²⁾

كانت ثورة نوفمبر فرصة لتجديد الجهاد، وقد قدمت المنطقة مئات الالاف من الشهداء، فمدينة مروانة لوحيدها بدون بلدياتها وأريافها قدمت أضي شهيد منهم قادة كالرائد علي النمر، والضابط بورعية مبارك الذي سنلقي الضوء على مسيرته الجهادية في هذه السطور من المداخلة.

3-1- مولده ونشأته

ولد الشهيد بورعية مبارك في 12 جانفي 1919 بمروانة، ابن عمار بن محمد، وأمه كورار رقية بنت مبارك والذي توفي في الحج، نشأ الشهيد في أسرة محافظة ومتدينة وتقديس العلم وتعتمد على الفلاحة لتحصيل معيشتها، وعند بلوغه سن الدراسة ادخله والده المدرستين الفرنسية والعربية بدءا بالكتاتيب لتعليم وتحفيظ القران الكريم في دشرته (زليمة) - التي تبعد حوالي 03 كلم عن مدينة مروانة- ثم انتقل

الى مدرسة تابعة لجمعية العلماء المسلمين بقسنطينة،⁽¹³⁾ وهذا التحصيل العلمي جعله يدرك، ويفهم ما يدور حوله من احداث وما يعانیه الشعب من قهر وحرمان، وقد كان الشهيد منذ صغره شجاع، ومغامر وله رأي سديد دائما يستشار في قضايا المنطقة.

أجبر في سنة 1939 على التجنيد الاجباري في الجيش الفرنسي شأنه شأن الاف الشباب الجزائري الذين اقموا في الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، كما شارك في الحرب بالهند الصينية (الفيتنام) من بدايتها الى نهايتها (1946-1954)، ولقد قضى في الجيش الفرنسي 17 سنة وخرج منه برتبة مساعد أول، واكتسب خبرة عسكرية هامة مكنته من تولي مناصب قيادية في الثورة (قائد كتيبة)، وكان مسؤولا عن تدريب المجاهدين الجدد على فنون القتال، وكذا خوض العمليات العسكرية امام العدو الفرنسي وجلب السلاح من الحدود.

وفي بداية سنة 1956 تم اختياره بصفة رسمية لتنصيبه كرئيس بلدية مروانة (اختارته فرنسا كرئيس بلدية لتعليمه ومشاركته الفعالة في الجيش الفرنسي ابان الحرب العالمية الثانية وحرب الفيتنام).

تزوج الشهيد مرتين وترك بنتان فقط، أما أخوة الشهيد فعددهم 12 بعضهم من أمه وأبيه والبعض الاخر من أبيه فقط.

3-2-كيفية التحاقه بالثورة التحريرية

اتصل الشهيد بورعية مبارك بابن خال أمه البطل الرائد الشهيد على النمر لاستشارته وطلب النصيحة في قضية اختياره من قبل السلطات الاستعمارية كرئيس بلدية مروانة سنة 1956، فرد عليه علي النمر من الافضل الالتحاق فورا بالثورة التحريرية لأن الثورة بحاجة الى أمثالك في كثير من الميادين، و خاصة التدريب العسكري للجنود.

فعلاً لبي الشهيد النداء والتحق بصفوف جيش التحرير الوطني، وحسب شهادة زوجته وابنته، فإنه عندما غادر منزله والتحق بالثورة التحريرية لبس اللباس العسكري، وحمل مسدسه معه (اللباس العسكري والمسدس أتى بهما من الفيتنام)، وقال لأسرته انني ذاهب على بركة الله للجهاد في سبيل الله، وتحرير وطننا وشعبنا من الاستعمار الفرنسي، ثم

قال لأخيه بورعية علي وألح عليه ان يخبر الاستعمار الفرنسي بما يلي: في الليلة البارحة من منتصف الليل داهمت مجموعة من العساكر مثلكم على منزلنا وأخذته معها الى جهة مجهولة، قام الشهيد بهذا من أجل تضليل الاستعمار عن الحقيقة، وحتى لا يلحق بأسرته الضرر، وفعلا ذهب أخو الشهيد الى مروانة وأخبر الاستعمار بما جرى .

لقد جنت الإدارة الاستعمارية، وأعلنت الاستنفار في جيشها، وخرج جيش جرار لتمشيط المنطقة بأكملها لكن بدون جدوى، فتحسرت عليه فرنسا الاستعمارية كثيرا.

اعتقدت الإدارة الاستعمارية أن الثوار اختطفوه لإعدامه وعندما رجع الجيش الفرنسي من التمشيط مروا بمنزل الشهيد وأخذوا صوره الباقية وبعض الوثائق لم يحرقها لأن الوقت داهمه، والتي تعد بحوالي 100 صورة (ولهذا لم يبق له صور تذكر).⁽¹⁴⁾

عندما التحق بالثورة التحريرية أول مرة كان برفقة الضدائي أسد محفوظ (وهو أحد اقارب الشهيد من حيدوسة واستشهد بتدمير قوات الاحتلال المغارة التي يتحصن بها أثر وشاية من أحد الحركى في منطقة ام الرخاء بجبال بلزمة سنة 1960) الذي أوصله الى علي النمر بمركز بن كرميش(ثافرنج بجبال بلزمة)، وقد تجند بصفة رسمية في جيش التحرير الوطني من طرف علي النمر برتبة مرشح.

3-3- أهم المعارك التي قادها الشهيد

هناك معارك عديدة جدا قادها الشهيد أو شارك فيها وأبلى فيها بلاءا حسنا، لا يسعنا هنا ذكرها كلها، سنتوقف عند بعضها فقط وهي كالتالي:

3-3-1- معركة جبل الشافات بحيدوسة

في 11 نوفمبر 1957 وقعت معركة جبل الشافات بحيدوسة الناحية الأولى المنطقة الأولى والولاية الأولى بقيادة الملازم بورعية مبارك قائد الكتيبة وبصحبة 80 مجاهدا، بدأت المعركة الساعة العاشرة صباحا واستمرت حتى الثانية بعد الزوال وكان الضباب مخيما على الجبل بشكل كثيف حيث كان في صالح المجاهدين، واسفرت المعركة على

قتل 22 جندي من صفوف العدو الفرنسي، وخرج المجاهدون منتصرين سالمين دون أية خسائر تذكر، أما المدنيون فقد استشهد المناضل بوحالة محمد بن موسى، ويوسف الصالح مواطن، كما القي القبض على صاحب المركز المجاهد بلقاسم علواش الذي فر من يد العدو في نفس اليوم والقي القبض على المواطن - بركان السعيد.⁽¹⁵⁾

3-3-2- قنبلة الثكنة العسكرية بمروانة

في سنة 1958 تم استهداف ثكنة الجيش الفرنسي في مروانة (مقر الدرك الوطني حاليا) بمدفع صغير من نوع المورتي، حيث أمر القائد بورعية مبارك أحد فدائييه أسد محفوظ بضرب الثكنة بالمدفع، وقد أخفى الاستعمار خسائره حيث لم تعرف نتائج هذا القصف بالمورتي.

3-3-3- معركة جبل أولاد سلطان ومعركة بني مخلوف

وقعت هذه المعركة في 12 مارس 1958 بجبل اولاد سلطان ببلدية بومقر (التابع لنقاوس) بالناحية الرابعة المنطقة الاولى من الولاية الأولى الثورية بقيادة بورعية مبارك بصحبة كتيبة من المجاهدين تضم في صفوفها 120 مجاهدا، أما العدو فشارك بنحو 2000 جندي مدعمن بالطائرات المقنبلة والحوامات (الطائرات العمودية)، ودامت المعركة عدة ساعات (المعركة بدأت على الساعة التاسعة صباحا الى المساء)، وأسفرت عن خسائر في صفوف العدو الفرنسي بلغت 30 قتيلًا و10 جرحى، وانسحب المجاهدون سالمين وغانمين عتاد حربي هام من المعركة.⁽¹⁶⁾

3-3-4- معركة الشعابنة بجبل متليلي

وقعت هذه المعركة في جبل متليلي الواقع ببلدية تيلاطو (التابع لسقانة)، وقد دامت يوما كاملا واستعملت فيها جميع الاسلحة الفتاكة كالنبالم والمدفعية الثقيلة، وكانت بقيادة البطل الشهيد بورعية مبارك وتكبد فيها الجيش الاستعماري خسائر جسيمة.

3-3-5- معركة جبل المعاضيد

خاض الشهيد بكتيبيته معركة كبيرة بجبل المعاضيد، والذي يقع بين ولايتي المسيلة وبرج بوعريريج وبمشاركة زميله الشهيد عبد المجيد دباش (من بلدية بيطام وهو قائد كتيبة خاض عدة معارك ضد الاستعمار في الناحية الأولى والثانية من المنطقة الأولى واستشهد بجبل كيمل في ظروف غامضة سنة 1959)، وكانت كتيبته تضم حوالي 130 جندي، وقعت المعركة بجبال المعاضيد ضد 4000 جندي فرنسي مدعمين بمختلف الأسلحة والعتاد، ودامت هذه المعركة 12 ساعة أسفرت عن استشهاد 10 مجاهدين، وجرح 12 آخرين بينما خسر العدو 300 عسكري فرنسي بين قتل وجريح وتحطيم عدة آليات عسكرية.⁽¹⁷⁾

3-3-6- معارك أخرى

كما شارك الشهيد في معارك عديدة في عدة نواحي من المنطقة الأولى للولاية الأولى التاريخية كمعارك جبل الشلعلع (بلدية وادي الماء)، وجبل متليلي وجبل اوستيلي (قرب تازولت) ومعركة الجبل الأزرق بتبسة وعدة معارك في شرف الحلفاء (بين عين التوتة وبريكة) ومعركة الجر ثمزوين (بنواحي عين التوتة) وفي هذه المعركة جرح من جلته، كما شارك في عدة معارك جرت بالحدود الشرقية الجزائرية (الحدود التونسية الجزائرية).

أغلب المعارك كانت شرسة من طرف الاستعمار الفرنسي، وقد بلا الشهيد بلاء حسانا مع كتيبته، وذاقوا المستعمر شر هزيمة، ونظرا لتعدد المعارك التي خاضها من (1956-1961) وقلة المعلومات عن بعضها اكتفينا بذكر بعضها فقط.

3-4-3- المسؤوليات والمهام التي قام بها الشهيد اثناء الثورة

تقلد الشهيد عدة مناصب أهمها:

1- قائد كتيبة (حوالي 130 جندي وضابط صف تحت اشرافه وقيادته)

2- قائد عسكري لناحية عين التوتة (الناحية الثانية من المنطقة الأولى)

3- ضابط مدرس للجنود وضباط الصف لجيش التحرير الوطني على فنون القتال لخبرته العسكرية.

4- عضو في فرقة كومندوس تابعة لجيش التحرير الوطني للقيام بعمليات خاصة ضد العدو الفرنسي.⁽¹⁸⁾

5- مسؤول عن جلب السلاح من الحدود الشرقية لإمداد الولاية الأولى بالسلاح.

3-5- الرتب العسكرية التي تقلدها الشهيد

- مرشح أثناء تجنيده سنة 1956

- ملازم من سنة 1957 الى غاية 1959

- ملازم أول في سنة 1960

أما آخر رتبة تقلدها الشهيد قبل استشهاده في 1961 غير معروفة، هل هي ملازم أول أو رتبة اعلى منها.

3-6- الاماكن التي كان يجاهد فيها

- الناحية الأولى المنطقة الأولى الولاية الأولى (مروانة وباتنة)

- الناحية الثانية المنطقة الأولى الولاية الأولى (عين التوتة)

- الناحية الثالثة المنطقة الأولى الولاية الأولى (سطيف)

- الناحية الرابعة المنطقة الأولى الولاية الأولى (بريكة)

- الحدود الجزائرية التونسية

3-7- ظروف استشهاده

رغم أن الشهيد كان يمتاز بالشجاعة والانضباط والتفوق والقدرة على التخطيط والتنفيذ مما جعله يخرج منتصرا في جل المعارك الطاحنة التي خاضها ضد العدو الفرنسي، إلا أنه استشهد في ظروف غامضة فقد تضاربت الروايات حول ظروف ومكان استشهاده فالبعض يقول انه استشهد في جبال الاوراس والبعض يقول في الحدود الجزائرية التونسية.

أما تاريخ استشهاده حسب شهادة نضاله في سنة 1961 في معركة بجبل الشلعل، أو في سنة 1960 في الحدود الجزائرية التونسية.⁽¹⁹⁾

الختامة:

المنطقة الأولى بالولاية الأولى التاريخية، ليست كغيرها من المناطق الأخرى، فهي تتميز بجبال بلزمة المرتفعة وغاباتها الكثيفة، ومسالكها شديدة الوعورة، هذا بالإضافة إلى طبيعة المناخ القاري أي شديد البرودة شتاءً، وقربها من الصحراء والشمال القسنطيني جعلها نقطة اتصال هامة بالداخل خاصة لجلب السلاح بالإضافة إلى صعوبة توغل العدو بها جعلها مركزاً للمجاهدين، ومركز تخزين الأسلحة والمؤن لتوفر المغارات فيها.

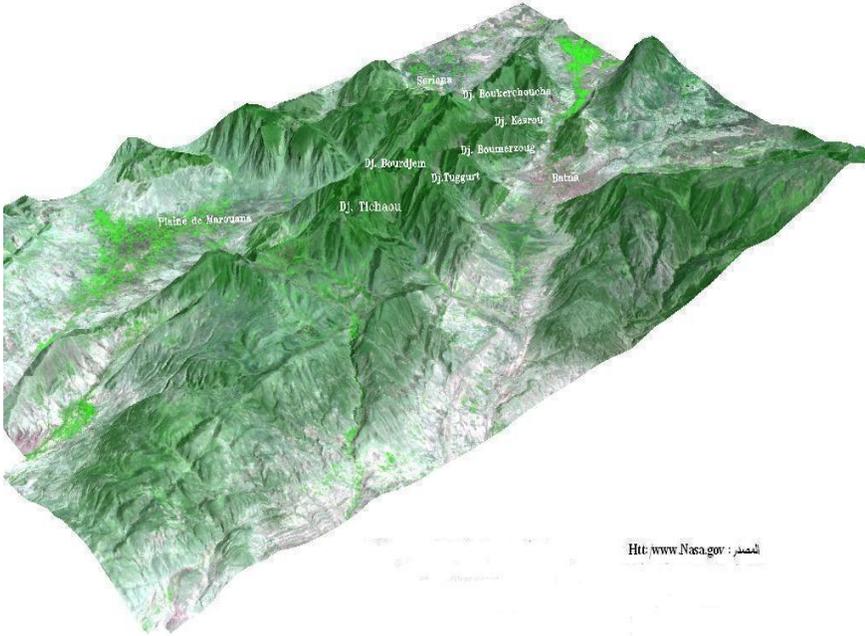
فالتضاريس الوعرة ساهمت في حرية تحرك المجاهدين نظراً لمعرفتهم للمسالك والطرق، بالمقابل حدثت من نشاط القوات الاستعمارية، لأنه يتعذر تنقلهم بالآليات لضيق الطرق وشدة انحدارها، فتمشيط المنطقة يتطلب مشاة على البر، وهذا ما عرضهم لكمان عدة نظراً لعدم معرفتهم للجبال، وكان لصالح المجاهدين الذين كبدوا الاستعمار خسائر كبيرة واستنزفوا من قواتهم وجعلهم يستسلمون في النهاية.

ولقد استغل قادة جيش وجبهة التحرير الوطني المعطيات الجغرافية والبشرية للمنطقة، فاتخذوا من الغابات الكثيفة لجبال بلزمة معاقل لجيشها، واستمالوا أهم رجالاتها المعروفين بشجاعتهم وخبرتهم العسكرية كالثيهد بورعية مبارك الذي اقنعه علي النمر بالانضمام إلى الثورة، وبالفعل كان انضمامه نقطة تحول كبيرة في مسار الثورة بالمنطقة، فتعددت مهامه من قيادة كتيبة لجيش التحرير، وجلب السلاح من تونس، وخوضه لمعارك عديدة في مختلف نواحي المنطقة الأولى، وتدريبه للجنود نظراً لخبرته العسكرية التي اكتسبها من مشاركته في الحرب العالمية الثانية وحرب الفيتنام، وكذا اختياره ضمن أول فريق للكوموندوس لجيش التحرير الوطني بالمنطقة للقيام بعمليات خاصة ضد الاحتلال، لدليل على شجاعته وكفاءته القتالية العالية.

لقد كان الضابط الشهيد بورعية مبارك من سكان جبال بلزمة وجزء من مجتمع قبلي محافظ على العادات والتقاليد في المقاومة ضد أي دخيل أجنبي، يتميزون منذ القدم بالتعاون والتآزر في ما بينهم، وكل هذه الخصائص جعلت المنطقة الأولى محصنة طبيعيا وبشريا يصعب اختراقها، وهذا ما جعلها تتحمل العبء الأكبر من الثورة والصمود في مواجهة العدو الفرنسي وبالتالي المساهمة الكبيرة في نجاح الثورة وتحقيق الحرية والاستقلال، فرحم الله كل شهداء ومجاهدي الثورة التحريرية.

الملحق

مجسم خريطة التضاريس لجبال بلزمة



الهوامش:

- 1- غرينة عبد النور، الأوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولونيالية "1840-1939"، مذكرة ماجيستر في تاريخ الأوراس الحديث والمعاصر، جامعة باتنة، 2009-2010، ص 10.
- 2- حنفوق اسماعيل، دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس 1844-1931، مذكرة ماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة، 2010-2011، ص 1 .
- 3-Anonyme, Plan de Gestion du Parc national de Belzema Section A: Approche descriptive et analytique, 2010 ;P 03.
- 4- LAABED.A ,les actes du 3^{ème} séminaire national sur les plans de gestion des parcs nationaux.Ed .parc national de chréa1999, Pages 61.
- 5- ANONYME ,Bureau National des Etudes Forestière (B.N.E.F) ;Etude d'aménagement du parc national de Belezma.Phase2 ; inventaire et analyse des ressources naturelles et étude socio- économique, ED.Ministère de l'hydraulique de l'environnement des forêts1986, Page 08.
- 6- ABDESSAMED. KH: Le Cèdre de l'atlas) Cedrusatlantica Manetti) dans les massifs de l'Aurès et Belezma – Étude phytosociologique et le problème de conservation et d'aménagement – Thèse de docteur – Ingénieur – Univ .Aix – Marseille, France, 1981, 199 P.
- 7- محمد منصور الشيلاق؛ عمار عبد المطلب عمار، الهيدرولوجيا التطبيقية، ط1، منشورات جامعة عمر المختار، ليبيا، 1998، ص 26 .
- 8- QUEZEL, Contribution à l'étude des forêts de chênes à feuilles caduques d'Algérie .Pub.Service Forêt de l'Algérie, 1956, 57p.
- 9- BECKER.M. et TIMB.J.,Lesarbres,Edit :Maison rustique,1982.,P41.
- 10- RIGHI.Y, Flore et Faune du Parc National de Belezma,document interne, 2005, P27.
- 11- ليلي تينة، "منطقة الأوراس بعد اندلاع الثورة التحريرية في تقارير الجنرال بول شاربير"، مجلة البحوث التاريخية، جامعة المسيلة، ص 121-125.
- 12- مختار فيلالي، "ثورة الأوراس 1916"، مجلة التراث، العدد الثاني، جمعية التاريخ والتراث الأثري، دار الشهاب، الجزائر، ص 58-59
- 13- مقابلة مع أخت الشهيد يوم 27 جانفي 2020.
- 14- مغشيش عبدالرحمان، حياة ونضال الشهيد بورعية مبارك، كتاب غير منشور، ص30.
- 15- أحداث الثورة التحريرية بالأوراس 20 اوت 1956 الى 31 ديسمبر 1958 الجزء الثاني رقم المعركة 397.
- 16- المرجع نفسه، رقم المعركة 499، الصفحة 310.
- 17- حياة الشهيد عبد الحميد دباش، صفحة صوت بيطام في الفايس بوك (facebook) يوم 03 جويلية 2018 .
- 18- مقابلة مع مجاهدين رفاق الشهيد في السلاح يوم 14 ديسمبر 2019.
- 19- مقابلة مع ابنة الشهيد يوم 25 جانفي 2020 .

اندلاع الثورة في المنطقة الأولى من الولاية الأولى وتوسعها

ط.د. اسماعيل حنفوق

جامعة باتنة -1-

مقدمة

الدارس لموضوع الثورة يدرك تماما مدى عمق جذورها، ويدرك كذلك أن كل المناطق الجزائرية قد ساهمت فيها من خلال تفاعلها مع هذه الثورة، وتعتبر منطقة الأوراس من المناطق الأولى والبارزة في هذا المشروع التحرري، لأنه كان الميدان الساخن لأبرز الأحداث الأولى للثورة، خاصة الجزء الأوسط منه بسبب الاستعداد المبكر لها منذ 1947، ومعظم القيادة التاريخية من المنطقة (ابن بولعيد، عاجل عجول، عباس لغرور، والطاهر النويشي، الحاج لخضر، عباس لغرور، لزهرة الشريط، القادة أحمد، عمر بن بوالعيد البشير شيحاني)، وكذلك الطبيعة الوعرة والغابات الكثيفة، والخلفية التاريخية لسلسلة من الثورات الشعبية خلال القرن 19 ومطلع القرن 20، وملاذ للخارجين عن القانون، ومأوى للضارين من الحركة الوطنية بعد اكتشاف المنظمة الخاصة سنة 1950، وأرضية خصبة للخلايا السرية التي أسسها القائد مصطفى بن بولعيد، ودوره الريادي في جمع الأسلحة وتخزينها، وإصلاح ذات البين بين الأعراس، وإقناعها بان الثورة حتمية فرضتها السياسة القمعية للاستعمار، ولم يكتف بإعلان الثورة في الأوراس الشرقي فقط بل سعى إلى نشر الثورة إلى الجهة الغربية منها، والتي تشكل المنطقة الأولى من الولاية الأولى، والتي ساهمت بقدر وافر في استمرار الثورة بالأوراس التي شد عليها الخناق الفرنسي والتطويق والمحاصرة من الجهات الأربعة.

للموضوع أهمية تاريخية كونه يتناول جزء من تاريخ المنطقة الأولى من الولاية الأولى غير المدروس أكاديميا، ودورها في الثورة باعتبارها حلقة وصل بين أربع ولايات، الأمر الذي دفع قيادة الأوراس في وقت مبكر (1954-1955) إلى الاهتمام بها منذ هجومات ليلة أول نوفمبر، وإرسال قادة ثوريين مع أفواجهم لتنظيم الثورة ونشرها في المنطقة، فزيما تتمثل استراتيجية الموقع الجغرافي الإستراتيجي للمنطقة؟

وماهي أبرز هجومات ليلة أول نوفمبر في المنطقة؟ ومن هم القادة الأوائل للمنطقة، وأبرز أسباب انتشار الثورة فيها؟

هذا ما سنحاول الإجابة عليه من خلال هذا المقال، معتمدين على العديد من المصادر والمراجع المتوفرة لدينا، ومركزين على المنهج التحليلي لما له من أهمية في استنباط الأحكام وتحليلها.

أولاً: الموقع الجغرافي للمنطقة الأولى من الولاية الأولى وأبرز جباها

01/ الموقع الجغرافي للمنطقة الأولى من الولاية الأولى: إن إطار دراستنا محدد بوضوح ويتعلق الأمر بالمنطقة المحصورة داخل مربع يكاد يكون متساوي الأضلاع، من باتنة إلى سطيف، ومن المسيلة وبريكة إلى عين التوتة، وهذه المنطقة هي إحدى المناطق الستة لولاية الأوراس النمامشة، إذ تعتبر أكبر المناطق الستة من حيث المساحة من الولاية الأولى التاريخية التي تقدر بـ 57838 كلم²، وتشمل اليوم خمسة ولايات "حالياً": وهي باتنة، سطيف، المسيلة، بسكرة، وأم البواقي.

والمنطقة الأولى من الولاية الأولى تشكل في معظمها الأوراس الغربي، وتمتد من مدينة المسيلة إلى برج بوعريريج غرباً ومن البرج وسطيف، العلمة، بئر الشهداء، سوق نعمان، وأولاد سلام، والتلاغمة شمالاً عبر خط سكة حديد نحو قسنطينة، ومن التلاغمة، عين ياقوت، باتنة، عين التوتة شرقاً، ومن عين التوتة، وبريكة إلى المسيلة جنوباً، وتحتل المنطقة الأولى موقعا استراتيجيا فهي تتوسط الولايات التاريخية الثورية، فشمالاً لها حدود مع الولاية الثانية والثالثة، وغرباً مع الولاية الرابعة، وجنوباً مع الولاية السادسة وشرقاً مع الولاية الأولى التي تنتمي إليها⁽¹⁾.

02/ أبرز أهم جبال المنطقة الأولى من الولاية الأولى

إن دراستنا لجبال المنطقة تعود بالأساس إلى دورها الريادي في الثورة، لأنها كانت المسكن والملجأ والمخزن وساحة للقتال وميادين للشرف، ففي فجاجها تكلمت لغة الرصاص التي أرهبت العدو وزعزعت كيانه، فعرفت معارك كبيرة بطولية أرهبت جنرالات فرنسا وساهمت بأشجارها ومغاراتها وكهوفها وحيواناتها وحجارتها وثمارها في تحرير الجزائر.

تتربع المنطقة الأولى على جبال صخرية ذات أخاديد وارتفاع كبير تمتد من جبال الحضنة غربا إلى جبال بوعريف شرقا، تتوسطها سلسلة جبلية متراكمة ومتلاصقة مع بعضها (جبال بوطالب، ارفاعة، مثيلي، الشلعل ومستاوة..) وكلها تشهد على شراسة المعارك بين جيش التحرير والاستعمار، ونود في هذه الدراسة أن نتناول بعضها باختصار، وذلك بسبب الدور الفعال والريادي والرئيسي لها في الثورة فمعظم معارك جيش التحرير الوطني انطلقت في هذه الجبال، وتكاد أن تنطق وتشهد عن كل حدث وأهمها:

أ: جبال الرفاعة

يقع هذا الجبل ببلدية تكسلانت، ينتمي إلى سلسلة الأطلس الصحراوي، ويعتبر ثاني قمة في الأوراس (2178 متر) من حيث الارتفاع بعد قمة شيليا⁽²⁾ ورابع قمة في الجزائر، طوله 13 كلم وعرضه 03 كلم، يتميز بشدة الانحدار وحافته الصخرية الخطيرة وكثافة غطاءه النباتي وغاباته الكثيفة من أشجار العرعار، البلوط، الصنوبر والأرز،⁽³⁾ كان هذا الجبل معقل للثوار والمعارك الشديدة، ومنطقة عبور إلى المناطق الأخرى وبرج مراقبة لأي تحرك في المناطق المجاورة، به كهوف ومغارات مثل غار أوشطوح، غار أوكرميش،⁽⁴⁾ وبه مكان يعرف باللهجة المحلية الخلوث، وبجوار جبل الرفاعة توجد عدة مرتفعات مثل مركوندة شمالا، وتارشوين جنوبا.

ب: جبال الشلعل

يقع شرق مدينة وادي الماء، وغرب مدينة باتنة، وجنوب سريانة يصل علوه 1848 متر ملئ وكثيف بأشجار الأرز والصنوبر يشقه طريق يربط بين وادي الماء وباتنة يعرف باسم الجبل، ثم جبل بوسدان بطول 1583 متر يطل شمالا على بلدية سريانة.

ج: جبال مستاوة

ارتفاعه 1648 متر يبعد عن وادي الماء بحوالي 17 كلم شمالا، يمتاز بانتشار شجرة الطاقة به كهف يعرف ب (غار نوسالاس) أي الغار المظلم سمي بكهف الأسود في العهد الاستعماري بحكم انه كان مأهولا

بالأسود سابقاً،⁽⁵⁾ تكسو مرتفعات الشلعل ومستأوة أشجار عملاقة تعمر لأكثر من 100 سنة ويبلغ ارتفاعها 40 متر، كما توجد بهذه الجبال أجمل عينات شجر الأرز، والتي استغلت بصورة كثيفة خلال العهد الاستعماري لتشييد بعض المرافق في باتنة كالثكنة، والمستشفى العسكري، وتشيد قرى للمستوطنين في باستور وبرنال وكوقود للتدفئة،⁽⁶⁾ وبجوارها يمتد غرباً جبل مسعودة، وجبل فوغال 1750 متر، وجبل كف تلسنيت 1649 متر، وجبل أم الطيور، والكاف لحممر وصولاً إلى جبال رأس العيون مثل جبل قطيان، وجبل تشيريريت وجبل اكيال وجبل شعابة، وجبل أولاد مبارك، وجبل جرمية،⁽⁷⁾ وإلى الجنوب يوجد جبل تقرت 2100 متر يسمى عند سكان المنطقة بجبل حيدوس، وهو امتداد لمرتفعات بلزمة، ثم جبل بوعريف 1741 متر المحاذي لمدينة باتنة بالإضافة إلى جبال مثليبي بمدينة عين التوتة.

د: جبال بوطالب

يقع جنوب مدينة سطيف حوالي 40 كلم يرجع هذا الاسم إلى رجل نزل بالجبل فسمي باسمه جبل بوطالب، ويرجح أنه على بوطالب عم الأمير عبد القادر وحملت اسمه البلدية، اعتبر منطقة محرمة أثناء الثورة التحريرية بسبب موقعه الاستراتيجي وجباله الشاهقة ودروبه الوعرة حتى أطلق المستعمر عليه اسم الأوراس الثاني، وكان محطة عبور الكثير من قادة الثورة التحريرية نحو الولاية الثالثة والرابعة اقترح لكي يعقد به مؤتمر الثورة لحصانته، واتساع مساحة غاباته 28700 هكتار المتنوعة الأشجار كالبوط والصنوبر والزان والزيتون، وشهد معارك كبيرة وكثيرة.

ج: جبال الحضنة

تمثل حلقة وصل بين السلاسل الأطلسية والتلية الصحراوية، تقع شمال منطقة لمسيلا ومنها جبال ونوغة غرباً وجبال المعاضيد وبوطالب شمالاً وجبال الأوراس شرقاً وجبال بوسعادة جنوباً، يتراوح ارتفاعها ما بين 1400 و2000م.

ثانيا: التحضير للثورة وعمليات ليلة أول نوفمبر في المنطقة

01/ التحضير للثورة في المنطقة الأولى

لقد شكلت مجازر 08 ماي 1945 شرخا وفاصلا بين الأحزاب الوطنية والاستعمار الفرنسي، فلا الوعود تحققت ولا المطالب لببت، وإذا كانت هذه المجازر نقمة على الجزائريين لما تركته من ضحايا وشهداء وتنكيل ودمار وجريمة ضد الإنسانية، فإنها كانت مهمة من جهة أخرى لأنها فتحت أعين الجزائريين على حقيقة فرنسا وكشفت النقاب على وجهها، فما كان من الأحزاب الوطنية سوى أن تغير إستراتيجيتها ومنهجها خاصة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية التي بادرت إلى إنشاء المنظمة السرية فيفري 1947 برئاسة محمد بلوزداد وهدفها الأساسي التحضير للثورة بتقسيم التراب الوطني إلى خمسة مناطق (العاصمة، متيجة، القبائل، قسنطينة، وهران) ثم بدأت في تأسيس الخلايا وتدريب المناضلين.

كانت منطقة الأوراس منبع ومنبت مجموعة من الخلايا التي أسسها ابن بولعيد مصطفى بين 1947-1950، اهتمت خصوصا بجمع وشراء الأسلحة والتدريب مع وجود مجموعة ممن سمتهم فرنسا بالخارجين عن القانون، أما في سطيف فكان يشرف على هذه الخلايا محمد النذير معيزة، ومعه 45 مناضل منهم 21 عضو من مدينة سطيف بقيادة رابع حربوش، لئلا أن اكتشف المنظمة السرية في مارس 1950، وفشل جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها في لم شمل الحركة الوطنية أدى إلى حالة من الركود السياسي إلى غاية 23 مارس 1954، أين تأسست اللجنة الثورية للوحدة والعمل لإصلاح ذات البين بين المصاليين والمركزيين ولكنها فشلت، فسعت إلى توحيد القاعدة النضالية لمنعها من الانسياق والانسيار وراء أي طرف،⁽⁸⁾ فكان اجتماع 22 التاريخي في 25 جوان 1954 بالعاصمة والذي خرج بقرار تكوين لجنة الخمسة، والتي اجتمعت يوم 23 أكتوبر 1954 بعد انضمام كريم بلقاسم وسميت بلجنة الستة،⁽⁹⁾ وتم فيه ضبط التقسيم الإقليمي على التالي:

- المنطقة الأولى: الأوراس يرأسها ابن بولعيد مصطفى ونائبه شهاني بشير.

- المنطقة الثانية: الشمال القسنطيني يرأسها ديدوش مراد ونائبه زيغود يوسف.
- المنطقة الثالثة: القبائل يرأسها كريم بلقاسم ونائبه عمر او عمران.
- المنطقة الرابعة: العاصمة يرأسها راجح بيضاظ ونائبه سويداني بوجمعة .
- المنطقة الخامسة: وهران يرأسها العربي بن مهدي، ونائبه عبد المالك رمضان.
- أما الصحراء فألحقت للمنطقة الأولى، وتترك لابن بولعيد مهمة تشكيلها.⁽¹⁰⁾

سأركز على المنطقة الأولى الأوراس لأن مجال الدراسة يتعلق بجزء منها، فإذا كانت المنظمة السرية قد تم اكتشافها والقي القبض على جزء كبير من مناضليها، فإن منطقة الأوراس كانت بمنأى عن ذلك، لذا هرب إليها الكثير من الأعضاء، وعليه يمكن القول أن المنظمة الخاصة هي النواة الأولى لجبهة التحرير الوطني مروراً باللجنة الثورية للوحدة والعمل، حيث يقول يوسف بن خدة في هذا الصدد (اللجنة الثورية لعبت دور المفسر للثورة وظهرت كقوة جديدة على مسرح الوطن الجزائري، والتي تكشف للعالم يوم الفاتح نوفمبر 1954 تحت عنوان جبهة التحرير الوطني).⁽¹¹⁾

أمام كل هذا بدأ مصطفى بن بولعيد بعقد سلسلة من اللقاءات تحضيراً لتفجير الثورة، فكان أول اجتماع له في منزل مسعود بلعقون بحي الزمالة بباتنة بتاريخ 30 مارس 1954 بحضور عاجل عجل من (أريس) والطاهر النويشي عن (بوعريف) وعباس لغرور من (خنشلة) وفي هذا الاجتماع اتفق الحاضرون على إقرار العمل المسلح وطلب منهم تحمل مسؤولياتهم التاريخية، وضرورة إشراك المواطنين المالكين للأسلحة في الثورة، ودراسة استعداد السكان،⁽¹²⁾ ثم اجتماع آخر بمزرعة بن بولعيد في لامبيز تازولت 30 أبريل 1954 مع مجموعة مقاومين وهم (عاجل عجل، الطاهر النويشي، مسعود بلعقون، وعباس لغرور) أين أقسم الجميع على الانخراط في الثورة،⁽¹³⁾ وفي الحقيقة هذه هي النواة الأولى للثورة في الأوراس، والتي شكلت مجموعة الخمسة ثم بعد 15 يوم انضم إلى هذه المجموعة (بشير شيحاني، وبشير حاجي من مدينة

الخروب، ومحمد خنترة من مدينة بريكة)⁽¹⁴⁾ فأصبحت المجموعة تتكون من ثمانية أفراد آمنوا بالعمل المسلح، وطلب منهم بن بولعيد مصطفى إعداد المناضلين والمقاومين نفسياً، والاستعداد الدائم، ثم جاء الاجتماع المصيري والتاريخي بلقرين، وهي مشته تقع بدوار أولاد عمر بن فاضل بلدية أولاد فاضل حالياً ولاية باتنة، وسبب اختيار هذه المنطقة جاء نتيجة ثقة بن بولعيد في سكانها، ومعرفته السابقة لهم خاصة صاحب الدار التي اجتمعوا فيها عبد الله بن مسعودة الملقب بالمزيطي بتاريخ 26 أكتوبر 1954 بحضور قيادة أركان الثورة بالأوراس وهم (عاجل عجول، عباس لغرور، شبحاني بشير، الطاهر النويشي، حاجي موسى، ومحمد خنترة)⁽¹⁵⁾، وحددت فيه الترتيبات الأساسية للإعلان الفعلي للثورة، ومن النقاط التي درست في هذا الاجتماع:

1. تحديد عدد الأفواج المعدة لتنفيذ العمليات والأهداف التي يتم ضربها.
 2. تعيين المناطق وقادتها وكذا حدود المنطقة الأولى (الولاية الأولى)⁽¹⁶⁾.
 3. تحديد وسائل النقل وأماكن الانطلاق والانسحاب بعد العمليات.
 4. تقديم قوائم المناضلين من طرف رؤساء الأفواج (عاجل عجول والطاهر النويشي وعباس لغرور).
 5. طبع بيان أول نوفمبر، ومجموعة المناشير التي خصصت للتعريف بالثورة وأهدافها من طرف عاجل عجول بالعربية وعباس لغرور بالفرنسي⁽¹⁷⁾، وإعلام الحضور بتاريخ وساعة ويوم اندلاع الثورة المباركة، بعد القسم على المصحف الشريف.
 6. تحديد مكانين للقاء بيومين قبل ليلة أول نوفمبر الأول بدشرة الحجاج بأولاد موسى والثاني بخنقة معاش (خنقة لحداة) بدار بولقواس بقيادة الطاهر النويشي.
- وبدشرة الحجاج خطب القائد مصطفى بن بولعيد وشرح المهمة للأفواج الحاضرة، ثم شكل الأفواج ووضع كل واحد تحت تصرف رئيسه، ووزع السلاح وحدد وجهته، ثم اتجه إلى مجموعة النويشي وقام بنفس العمل وكانت كلمة السر تلك الليلة خالد عقبة.⁽¹⁸⁾

وبالعودة إلى المنطقة الأولى نلاحظ أن مصطفى بن بولعيد اهتم كثيرا بمدينة باتنة فهي عاصمة الدائرة ومركز الجيش الفرنسي، لذا عقد مصطفى بن بولعيد أول اجتماع مع مناضلي باتنة بحي المجزرة وهم (الحاج لخضر، حرسوس محمد، عمر العايب، عبد الصمد عبد الحفيظ، محمدي السعيد، بوشمال رشيد، ملاح علي المدعو علي النمر)،⁽¹⁹⁾ واخبرهم بأن موعد الثورة قرب، وقدم الحاضرين تقاريرهم حول استعداداتهم للثورة، ونخص بالذكر ما قام به الحاج لخضر في باتنة من أعمال حيث انشأ أول مركز وهو مركز المجاهد سي عمار الفاطمي بدشرة (عين علي) لجمع السلاح الصالح، وغير الصالح مخبأ في منزله بحي (الكا) يجمع فيه الأسلحة الآتية من أريس وضواحيها، مثل خماسي ألماني، قارة أمريكية، خماسي انجليزي، تامسو وسباعي ميترايات، ثم اهتم باللباس الذي يشتريه من السوق واغلبه مهرب يبيعه المنخرطون في الجيش الفرنسي،⁽²⁰⁾ وكون خلايا سرية ضاربة امتازت بالانضباط والفعالية ففي مذكرة الحاج لخضر يقول (لأول مرة اعرف بأن للجزائر طلائع جاءت لتقول كلمتها عن طريق فواحات البنادق وطلقات البارود، لأول مرة اعرف بأن مخاض 130 سنة لها لحظة الولادة فكانت اللحظة هي أول نوفمبر 1954 كل هذا بخنقة لحدادة)،⁽²¹⁾ واجتهد في اختيار المناضلين المخلصين الذين هم في مستوى التحديات لحمل السلاح ومستعدين للتضحية إذ يقول (لابد علينا أن نفجر الثورة كقرار نهائي فهي مغامرة خطيرة في نظر البعض وعملية انتحارية في نظر الآخرين وإقدام جنوني في نظر الكثير، وعند المخلصين هي الخطة الناجحة والعمل المثمر).

02/ عمليات ليلة أول نوفمبر 1954 في المنطقة الأولى

في ليلة أول نوفمبر اتجه الحاج لخضر مع مجموعته إلى خنقة لحدادة للقاء بن بولعيد الذي حدد لهم أهداف ومناطق الهجوم، فقد كلف محمد الشريف سليمان والصادق بن دايدة ومنصور فوغالي، وهم ثلاث مقاومين محنكين لمهاجمة مدينة بريقة، ويساعدهم في ذلك ست رجال وزعت عليهم بنادق صيد،⁽²²⁾ أما مدينة عين التوتة فأوكلت مهمة الهجوم عليها إلى اسماعيل كشرود مع مجموعة صغيرة، أما مدينة باتنة فقد حذيت باهتمام بالغ من طرف القائد مصطفى بن بولعيد لتركز الثكنات

والمعمرين والمرافق، وهي أهداف أساسية ورئيسية في ليلة أول نوفمبر فحدد لها فوجين، الأول بقيادة محمد الطاهر عبيدي المدعو الحاج لخضر* ونائبه بن كاوحة لخضر، أما الفوج الثاني بقيادة الطاهر النويشي (غمراس).

انطلقت هذه الأفواج من دشرة أولاد موسى وخنقة لحدادة نحو أهدافهم المحددة والمضبوطة من طرف قيادة المنطقة، وتم نقل فوجي باتنة في سيارتين، الأولى لمصطفى بن بولعيد والأخرى لمقاوم يدعى بن شايبة،⁽²³⁾ ونظرا لأهمية مدينة باتنة رافق بن بولعيد الأفواج المتجهة إليها حسب رواية عاجل عجول لصاحب كتاب "مغربلو الرمال"، ثم عاد إلى دشرة أولاد موسى على الثالثة صباحا، أما الفوجين فقد نزلا عند جسر عبد الصمد في الضاحية الشرقية للمدينة، حيث اتجه فوج الطاهر النويشي نحو مدينة تازولت للمهجوم على السجن، أما الحاج لخضر فشكل ثلاثة أفواج، الفوج الأول بقيادته لمهاجمة الثكنات والدرك، والفوج الثاني بقيادة محمد مسعودي مهمته مهاجمة مخزن الذخيرة والمتفجرات،⁽²⁴⁾ وفوج آخر بقيادة محمد بوشمال مهمته مساعدة وإسناد المجاهدين المكلفين بقتل حراس الثكنات، لأن الخطة كانت هي محاصرة الثكنة (ثكنة الصبايحية) واغتيال الحراس بالخنجر لا بالبارود، وقبل الهجوم اتجه الحاج لخضر نحو داره بحي "ألكا" لإحضار الفأس من أجل ثقب جدار الثكنة العسكرية المركزية التي تحتوي على مخزن الأسلحة،⁽²⁵⁾ وعند التنفيذ اتجه المناضلون لقتل الحارس بالأسلحة الأبيض إلّا أنهم فشلوا فاستخدموا السلاح بعدما انتبه لهم الحراس وقتلوا العريف (اوجيت كوشي) ثم القناص (بيار اوديات)،⁽²⁶⁾ أما الحاج لخضر فقد احدث ثقبا في الجدار، ودخل مع مجموعته إلى مخزن الأسلحة إلّا أنهم وجدوها مربوطة بسلاسل فعجزوا عن فكها، وعندما سمعوا صوت الرصاص رموا عدة قنابل في المخزن ثم انسحبوا بطلب من محمد الصغير عزوي، ومن الأسلحة التي استخدموها في هذه الليلة نذكر ما يلي (الستاتي الإيطالية، وموزر الألمانية، وغاراند الأمريكية، والستين الإنجليزية، وماس 36 و 49 الفرنسية)،⁽²⁷⁾ والملاحظة هنا أن هجوم مدينة باتنة اختار له مصطفى بن بولعيد العناصر الأكثر تدريبا وحماسا، ومنحهم أحسن

الأسلحة لأن مدينة باتنة كانت مركز حساس ، والهدف هو إسماع صوت الثورة .

كانت نتائج هذا الهجوم قليلة بالمقارنة مع ما كان منتظرا، فمقتل جنديين فرنسيين وإحداث ثقب في جدار الثكنة وبث الهلع والفرع داخلها لم تكن نتائج مرضية، ولم تحقق المبتغى المطلوب، ويرجع محمد العربي مداسي ذلك إلى عدم معرفة المدينة جيدا من طرف الكثير من المهاجمين، وكذلك ثقل القنابل المحمولة التي كانت توقد بالسجائر، ثم أن اللباس الجديد ضايقهم على التحرك، أما محمد حربي في كتابه سنوات المخاض فيرجعها إلى تأخر العملية عن موعدها بعد بدأ الإنذار؛ أما نحن فنرى أن أصعب الأمور بداياتها، وأن هذه الهجمات تمثل شجاعة نادرة من شبان تعطشوا للحرية والإنعتاق، فمغامراتهم في نظرنا كانت ناجحة لأنها أدخلت الحيرة والهلع وعدم الاطمئنان لدى الفرنسيين، رغم قلة الإمكانيات مقارنة بإمكانيات العدو، وعملية الهجمات في هذه الليلة تعتمد على المباغتة والحيلة، ثم أن الدليل على نجاح هذه العمليات هو الرد السريع والقاسي الذي قامت به فرنسا في الأيام الموالية.

بعد الانسحاب اتجه الحاج لخضر ومجموعته إلى جبل كاسرو، ونظرا لقلّة النتائج في الليلة الأولى قرر مهاجمة القطار الحامل للسلع اتجاه مدينة بسكرة عبر مدينة باتنة بحل قضبان السكك الحديدية للقطار .

أما مجموعة بريكة فقد تكلف مصطفى بن بولعيد وسليمانى بشير بنقل السلاح إلى بريكة،⁽²⁸⁾ وكان قائد مجموعة بريكة هو محمد الشريف سليمانى، ومعه الصادق بن داخة ومنصور فوغالى لضرب مقر الدرك ومولد الكهرباء، إلا أن هجومهم فشل بسبب وشاية من أحد الخونة، فلاذوا بالفرار تاركين أسلحتهم منها تسعة بنادق سلمت لهم للهجوم،⁽²⁹⁾ وقاموا بعد ذلك بتخريب خطوط المواصلات خاصة الهاتفية في الطريق الرابط بين بريكة ونقاوس،⁽³⁰⁾ ولتقييم نتائج هجمات ليلة أول نوفمبر بمنطقة الاوراس، عقد القائد مصطفى بن بولعيد مع قادة الأفواج اجتماع 10-11 نوفمبر 1954 والذي درس فيه عدة نقاط، كان أهمها قضية محمد الشريف سليمانى الذي تبين انه لم يقم بالهجوم مما أثار غضب بن بولعيد، فطلب معاقبته وتعيينه كمجاهد بسيط مع نقله إلى خنقة

عريش، أما الأمر الثاني فهو دراسة حالة التراجعات حيث سرح بعض المجندين، والأمر الثالث يتعلق بتنظيم النقل وكلمة السر ونقاط التجمع والاقتصاد في الذخيرة، وكذا بحث بعض المشاكل خاصة قلة السلاح والذخيرة، حيث اضطر بن بولعيد إلى سحب الكثير من الأسلحة غير الصالحة، والتي تفتقد للذخيرة، ورفع شعار نضك سلاحنا من عدونا.

أما العملية الثالثة التي قامت بها مجموعة باتنة، أو الفوج الأول هي الهجوم على ضيعة المعمرين (جيلو - وفوزو) بمنطقة سريانة (باستور سابقا) بسبب مشاركتها في قتل جزائريين خلال مجازر 08 ماي 1945، وقد كلف بالعملية مجاهدين بقيادة قرين بلقاسم** يوم 03 نوفمبر 1954، وهو الهجوم الذي استشهد فيه أول شهيد في المنطقة،⁽³¹⁾ وهو مزوجي أحمد،*** والذي دخل إلى منزل المعمر فوزو عبر المدخنة، ووقع بينهما اشتباك فضر المعمر بعد إصابته إلى الخارج واختبأ داخل البوابة، وبعد خروج مزوجي من المنزل اتجه إلى بيت المعمر الثاني جيلو ضنا منه بان المعمر فوزو هرب إليه لكن فوزو أطلق عليه النار من داخل البوابة فسقط شهيدا.

لقد شد انتباهي مقال لصالح مسعودي "بجريدة الشروق أون لاينط تحت عنوان (الشروق في اثر أول الشهداء غداة تفجير الثورة)،⁽³²⁾ وفيه يؤكد الأخوين منصور عمر ولحسن وهم من سكان المنطقة أن تاريخ استشهاد مزوجي احمد كان مساء الثالث نوفمبر 1954، وقد شاهدا ذلك بنفسيهما، ولعل هذا ما أكدته "جريدة لوردار" الصادرة بتاريخ 04 نوفمبر 1954 التي تطرقت إلى خبر مقتل مزوجي مرفقة الخبر بصورة للشهيد بعد مقتله، كما أن التقرير الذي أعده مراسل "ايكو دالجيري" ونشر في 14 نوفمبر 1954، تناول حادثة استشهاد مزوجي واصفا إياه بالخارج عن القانون، في حين يرى الرائد عمار ملاح في كتابه قادة جيش التحرير الجزء الثاني بأنه أول شهيد في الاوراس،⁽³³⁾

وفي مذكرات الحاج لخضر ورد ذكر تاريخ 14 نوفمبر 1954 كمعلم لإستشهاد عمر اوقرقور، ولعله يقصد تاريخ مراسل جريدة ايكو دالجيري الذي تناول حادثة مزوجي يوم 14 نوفمبر 1954، هذا بالرغم أن بعض الروايات تؤكد بأن القيادي بن عبد المالك رمضان هو أول شهيد في الثورة بتاريخ 04 نوفمبر 1954 بمنطقة سيدي العربي بمستغانم،

وبغض النظر عن من هو الأول أو الأخير، فإن مجمل المعطيات تؤكد وحسب صاحب المقال (أن بن عبد المالك أول قيادي يسقط في ميدان الشرف بحكم انه معروف ومن مجموعة 22، في حين يعتبر مزوجي احمد أول جندي يفتح قافلة الشهداء يوم 03 نوفمبر 1954).⁽³⁴⁾ أما قتلى الفرنسيين فان جريدة (L'echouD'Algérie) في مقال لها يوم 05 مارس 1957 كتبت بعنوان الأربعة الأوائل الموتى لفرنسا (Les quatre premiers morts pour la France) بقولها أن الموتى الأوائل في حرب الجزائر كانوا مجندين جدد (Appelés)، وهم (Pierre Audat) وعمره 21 سنة توفي 16 نوفمبر 1954 قناص من الفرقة التاسعة في طريق تازولت، أما الثاني هو (Augéne Cochet) وعمره 21 سنة رئيس فرقة في ثكنة وسط المدينة.⁽³⁵⁾

كان من نتائج هذه العمليات التي وقعت في المنطقة الأولى بباتنة وسريانة أن زرعت الرعب والخوف في نفوس العدو الذي سارع إلى تتبع آثار منفي هذه العمليات، وتوصلت إلى معرفة بعض الحقائق من الذين وقعوا في قبضتها مثل بوشمال محمد رشيد قائد فوج الإسناد والمساعدة ليلة أول نوفمبر والذي سلم نفسه في 05 نوفمبر 1954، واعترف بكل شيء، ثم وقوع مناضلين ومجاهدين في الأسر⁽³⁶⁾ مثل القائد مسعودي محمد، وبوخلوف محمد ناقل الأفواج، وفرحات بن شايبة، ولبلالطة سليمان ممون المهاجمين،⁽³⁷⁾ وقد أصدرت كذلك محكمة باتنة قرار إدانة ضد 20 مجاهد على رأسهم ابن بولعيد، وشيخاني بشير، والحاج لخضر، وغيرهم بتهمة تكوين مجموعة أشرار وتخريب الممتلكات والقتل العمدي.

وأمام هذا الارتباك الفرنسي وتراجع بعض المناضلين وتفرق الأفواج، حاول القائد مصطفى بن بولعيد، ونائبه شيخاني بشير تحديد مدونة سلوك المجاهد ورسم خطوط تنظيم هيكلية للثورة بعد أن أحصى قرابة 300 مقاوم،⁽³⁸⁾ وعليه تم تحديد عقوبة الإعدام لكل من عصى الأوامر، أو حرقها، أو تمرد أو انشأ مجموعة مسلحة خارج الجيش أو ضيع سلاحه، أما عقوبة الحبس فتشمل السرقة والزيارات بدون إذن أو حمل وثائق وصور.⁽³⁹⁾

ثالثاً: انتشار الثورة وأسباب توسعها في المنطقة الأولى

01/ انتشار الثورة في المنطقة الأولى

أن الذين فجروا الثورة علموا أن عملية حمل السلاح معناه الموت، والموت من أجل الوطن شعور يشترك فيه كل المناضلين، والكثير تحمس لحمل السلاح واستعد للموت من أجل التحرر وضرب العدو، فظي ظرف قصير تعدى عدد المجاهدين 300 جندي، ولم يكتف مصطفى بن بولعيد بإعلان الثورة في الأوراس الشرقي فقط بل سعى إلى نشر الثورة إلى الجهة الغربية للأوراس، والمتمثلة في المنطقة الأولى من الولاية الأولى، والتي ساهمت بقدر وافر في استمرارية الثورة بالأوراس التي شد عليها الخناق الفرنسي والتطويق والمحاصرة من الجهات الأربعة، والذين استطاعوا خلال شهر نوفمبر من كسر هاجس الخوف ومواجهة العدو الشرس، لئلا أن أمالهم بدأت تتراجع بسبب قلة السلاح، وهي المشكلة العويصة التي واجهت الثورة في بدايتها وأصبحت هاجس مفرجها في الأوراس، خاصة وأن ابن بولعيد وعد بتحمل الأوراس للثورة لمدة 6 أشهر أو أكثر، وهو ما أثار قلقه وبدأ يفكر في الحلول، خاصة وأن جيراننا في المغرب وتونس كانوا في إنتفاضات جمعت بين العمل المسلح والإحتجاجات، وكان الحل الوحيد هو السفر إلى ليبيا والالتقاء بالوفد الخارجي أملاً في الحصول على السلاح.

كانت رمزية القائد الأوراسي مصطفى بن بولعيد بمثابة صمام أمان حقيقي للثورة، حارب النزوات الشخصية والصراعات الهامشية فاعتبرت فترته بالفترة الذهبية رغم قلة الإمكانيات، حيث تحمل أعباؤها في البداية معتمداً على التكوين السياسي والنضالي للمناضلين والمواطنين المخلصين في أريس وباتنة وعين التوتة وخنشلة... وأمام كل ذلك وقبل سفره قام بمجموعة من التعيينات ثبت فيها الأفواج الأولى التي عاشت أحداث ليلة أول نوفمبر في أماكنها وأعطاهم دفعا قويا نحو العمل العسكري⁽⁴⁰⁾ وكانت هذه التعيينات كما يلي:

1. تعيين قيادة عامة للثورة في الأوراس برئاسة شيحاني بشير ونائبه عاجل عجول وعباس لغرور، تتولى تسيير الأفواج، والقيادات الفرعية للثورة، ومتابعة تنفيذ كل الأعمال العسكرية والسياسية.

2. تعيين وتثبيت رؤساء الأفواج، وفيما يخص المنطقة الأولى فقد كانت التعيينات على الشكل التالي:

أ. عبيدي محمد الطاهر المدعو الحاج لخضر، كلفه باتنة وضواحيها والتي ستصبح فيما بعد تعرف بالناحية الأولى من المنطقة الأولى.

ب. بن عكشة محمد الشريف،^{****} كلفه بعين التوتة وضواحيها⁽⁴¹⁾ والتي ستصبح تعرف فيما بعد بالناحية الثانية من المنطقة الأولى.

ج. مصطفى رعابلي،^{*****} كلفه بناحية سطيف وبرج بوعريريج التي ستصبح تعرف بالناحية الثالثة من المنطقة الأولى.

د. عبد الحفيظ طورش،^{*****} كلفه ببريكة والحضنة والتي ستصبح تعرف بالناحية الرابعة من المنطقة الأولى. (الملحق رقم 1)

كانت حنكة وفطنة ابن بولعيد السياسية والعسكرية في تثبيت رؤساء الأفواج في مناطقهم تمثل بعد النظر عند هذه الشخصية لأنهم على دراية ومعرفة بها وأشعلوا فتيل الثورة فيها، وتتبعوا خطوات العدو في ملاحظتهم، فنجد فوج باتنة استمر في هجوماته فبعد عملية سريانة يوم 03 نوفمبر 1954 عاد قرين بلقاسم إلى منطقة كاسرو، وفي منزل المجاهد مصطفى مرارده.^{*****} شرح أسباب قيام الثورة وضرورة الالتفاف حولها، وبذلك تحول منزل مرارده إلى مركز للمجاهدين ومخزن للذخيرة والسلاح واللباس، ونقطة اتصال مع باقي الأعراس كحيدوسة وأولاد منعة وأولاد فاطمة والحراكتة وباتنة وقام بتشكيل مجموعة من سكان كاسرو مختصة في تخريب ممتلكات المعمرين وقطع الأعمدة الكهربائية والهاتفية، ومن هذه المنطقة تحركت الأفواج الأولى غربا إلى سطيف وبريكة، ثم تلتها عملية اختيار الأشخاص لإقامة المراكز في القرى والمداشر خارج مدينة باتنة، وكان أول مركز تم تعيينه هو مركز عمار الفاطمي في دشرة عين علي ببلدية وادي الماء، والذي اهتم بإنجاز المخابئ بطريقة محصنة لتصبح المقر الأول في المنطقة الأولى يختص بجمع السلاح، كما انه كان للحاج لخضر مخبئ في منزله بحي (ألكا) سري يجمع فيه الأسلحة التي تأتيه من منطقة الحجاج بأريس.⁽⁴²⁾

2 : أسباب توسع الثورة في المنطقة الأولى

بعد أن شد القائد مصطفى بن بولعيد الرحال اتجاه ليبيا في فيفري 1955 بحثا عن السلاح والاتصال بالوفد الخارجي، تولى القيادة بالنيابة المجاهد شيحاني بشير الذي سارع إلى استدعاء رؤساء الأفواج في آخر مارس 1955 بمنطقة كيمل منهم (الظاهر النويشي، حسين برحائل، مسعود بن عيسى، عمر بن بولعيد، عبد الوهاب عثمانى، مدور عزوي، مصطفى بوسته، على شايبة، مسعود بلعقون، علي بعزي، محمد بن مسعود وسيدي حني) وساعده في الاجتماع عاجل عجول وعباس لغرور، وكان جدول الأعمال كالتالي:

- عرض لإعادة تنظيم ناحية النمامشة.
- توسيع العمل المسلح اتجاه سطيف وبريكة.
- تنظيم الاتصالات.

وما يهمننا من هذا الاجتماع هي النقطة الثانية حول توسيع العمل المسلح اتجاه الناحية الغربية للأوراس، ورغم أن توسع الثورة كان أليا وحتمية يملها الطابع الثوري إلا أن هناك أسباب فرضت حتمية هذا التوسع وباستعجال وهي:

01- الحصار المضروب على الجهة الشرقية للمنطقة التاريخية الأولى، حيث قامت فرنسا انطلاقا من الوالي العام روجي ليونار، ووزير الداخلية فرنسوا ميتران بمحاصرة الجهة الشرقية للقضاء على الثورة، وذلك بزيادة عدد الجيوش الفرنسية وتشجيعها ميدانيا، ثم الوالي العام جاك سوستيل الذي اهتم شخصا بتطهير الأوراس مستخدما كل الوسائل وغالقا كل الأبواب على هذه المنطقة،⁽⁴³⁾ حيث اشتد الضغط الفرنسي على الأوراس بالمدافع والدبابات والطائرات، وحرقت المداشر والقرى والغابات، وترحيل السكان من المناطق الجبلية وحوصروا في مراكز التجمع وفي المدن، ولا يسمح لهم العدو بالدخول إلى المناطق المحرمة، ونقصت المواد الغذائية عن جيش التحرير مما دفع شيحاني إلى القول (الأوراس محاصر، لا بد من تمديد عملياتنا حتى سطيف وسيكون ذلك عمل سي الظاهر (الظاهر النويشي) وسي عبد الحفيظ وسي مصطفى)،⁽⁴⁴⁾

وتنفيذا لذلك انطلق مصطفى رعاعيلي من جبال سريانة اتجاه سطيف، وعبد الحفيظ طورش من جبال مثليلي نحو بريكة⁽⁴⁵⁾ ومحمد الشريف بن عكشة نحو عين التوتة وفوج اتجاه قسنطينة، وطلب من قيادة المنطقة الثانية القيام بنشاط عسكري للتخفيف على الأوراس على أن تكون المساعدة بالسلاح من المنطقة الأولى، وكان الاتصال بين المنطقتين من طرف الهاشمي حمادي وبلقاسم عالية، وأرسل لهم أربعين رجلا بالسلاح⁽⁴⁶⁾ فكان من أهداف خلفاء القائد مصطفى ابن بولعيد هو فك الحصار وتشتيت القوات الفرنسية نحو الناحية الغربية وتوسيع الثورة إلى الشمال.

02- ازدياد عدد الجنود الذي وصل في ربيع 1955 إلى نحو 1000 مجاهد بين الأوراس والنمامشة وهذا يتطلب المزيد من السلاح والمخابئ والمثونة التي تتوفر في الجهة الغربية من الأوراس، والغنية اقتصاديا مقارنة بالناحية الشرقية التي تعرضت إلى السلب والنهب والتضييق الذي مارسه فرنسا على سكانها، وجمعت معظمهم في المحتشدات والمراكز المنشأة واستولت على ممتلكاتهم لإبعادهم عن المجاهدين، فالعدو صادر أرزاق الناس واستولى على كل ما يجدره مثل الدقيق، القهوة، النقود، الحليب، ويتلفون مالا يأخذونه⁽⁴⁷⁾.

03- حصانة المنطقة الغربية وقوة تضاريسها كالجبال (بوطالب، الرفاعة، مثليلي، الشلعلع، مستاوة، المعاضيذ..) فهي تضاهي الجبال الشرقية الحصينة التي فجرت الثورة، وكذا الكهوف والمغارات التي تتميز بها هذه المنطقة، والتي سوف تشكل المخابئ والملاجئ والمخازن للثورة نتيجة صعوبة تضاريسها ووعورة مسالكها وكثرة مرتفعاتها وصعوبة تسلق جبالها وكثافة غاباتها وتعدد تضاريسها من وديان ووهاد وتلال واتصال سلاسل جبالها، وكل ذلك هيأها لتكون قلعة صعبة في المقاومة ضد المحتلين.

04- وجود طاقة خام من المناضلين والمتطوعين ذوي الحس الوطني والراغبين في المشاركة بكل الإمكانيات من أسلحة ومثونة، فالكثير من الخلايا المؤسسة تحتاج إلى توجيه وقيادة.

05- الاتصال بالمناطق الأخرى، فتوسيع مجال الثورة أصبح ضرورة حتمية وحيوية وإلا فسوف تختنق الثورة في الأوراس في وقت قصير كما قال القائد بالنيابة البشير شيحاني، فالمنطقة الأولى تشكل منطقة عبور واتصال مع المناطق الأخرى، فقد طلب بن بولعيد قبل سفره من شيحاني بشير أن يوجه رسائل إلى المجاهدين في القبائل لإبلاغهم بأن حصار الأوراس يجعل من المستحيل إرسال أي أسلحة من منطقتهم،⁽⁴⁸⁾ فالجنرال شريار قال (الأوراس هي الحرب (l'Aurès c'est la guerre) ففي 22 جانفي 1955 طالب بإرسال المزيد من القوات للقضاء على الثورة في الأوراس.⁽⁴⁹⁾

كانت المنطقة الأولى من الولاية الأولى لها وضع خاص في بداية الثورة لأن مناضليها لم يلتحقوا ويشاركوا في تفجير الثورة باستثناء مدينة باتنة، ثم أنهم كانوا لا يزالون موالين لمصالي الحاج ماعدا البعض منهم،⁽⁵⁰⁾ وعددهم صغير، ولذا ركز مصطفى ابن بولعيد على القيادات الأكثر معرفة وثقة بضروريات الثورة ومن مفجري ليلة أول نوفمبر، فسارت الأفواج نحو الأوراس الغربي، وكانت ناحية باتنة من نصيب الحاج لخضر بحكم انتمائه ومعرفته للمدينة ونشط فيها قبل الثورة ويعرف مداخلها ومخارجها، وهو الذي اشرف ليلة أول نوفمبر على الهجوم عليها، أما عبد الحفيظ طورش المنتمي إلى ناحية أريس فتوجه إلى ناحية بريكة والحضنة برفقة مجاهدين ينتمون إلى نفس الجهة مثل محمد الشريف باله وقادري احمومة، وبوسماحة، أما مصطفى رعايلي حفيد ابن بولعيد من عرش التوابة توجه إلى ناحية سطيف بمساعدة احمد بن العربي زروالي ومعه علي النمر، أما عين التوتة فقد توجه إليها بن عكشة محمد الشريف مع نائبه الحاج إدريس،⁽⁵¹⁾ إن النواح التي سارت إليها هذه الأفواج أصبحت تسمى بالقطاعات، فيقال قطاع الحاج لخضر بدل فوج الحاج لخضر وقطاع رعايلي بدل فوج رعايلي لأن الأفواج توسعت وأصبحت أفواج بدل فوج،⁽⁵²⁾ وأصبح كل قائد يعمل في مجاله المحدد، ولم يكن هناك أي تنسيق أو انسجام بين هذه القطاعات، فاهتم كل مسؤول بالقطاع المكلف به.

الخاتمة:

لقد قام هؤلاء الأبطال بالمساهمة في فك الحصار المضروب على الأوراس خاصة الأوسط منه ونشروا الثورة شيئا فشيئا في المنطقة، من منزل إلى آخر، ومن دوار إلى آخر، فكونوا الخلايا وجندوا الكثير ثم بدأوا في تأسيس المراكز والمخابئ وجمع الاشتراكات والمثونة، وجمع الأسلحة واللباس وتوعية الشعب وتجنيد لخدمة الثورة، وتبيان الأسباب الحقيقية لها، ومهاجمة المعمرين وحراس الغابات والخونة والعملاء وحرق المنشآت الاقتصادية وتهديم أعمدة الهاتف والكهرباء والجسور ومهاجمة مراكز العدو، وبذلك تحققت المهمة الأساسية لهذه الأفواج وهي تعميم الثورة، وتوسيع القاعدة النضالية لدى السكان، فلم تمر ستة أشهر من الثورة حتى احتضنت المنطقة الأولى الثورة من باتنة إلى الحضنة ومن سطيف إلى عين التوتة، وأصبحت جزء من الثورة تقوم بالمعارك والكمائن وتهاجم العدو في مراكزه ويحسب لها ألف حساب.

الهوامش:

1. المنظمة الوطنية للمجاهدين، المكتب الولائي للمجاهدين، باتنة، التقرير الجهوي للولاية الأولى، أحداث الثورة الحريية 1959-1962 الجزء الأول، (باتنة. دار الطباعة والنشر عمار قرفي) ص 03.
2. عبد الحميد زوزو، الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي (التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية 1837-1939)، (ترجمة) مسعود حاج مسعود وزارة المجاهدين 2005 ص 29.
3. حمادة بن ساسي، "جبل ارفاعة شموخ وتاريخ"، مجلة التواصل، العدد 02 نوفمبر 2014، مروانة، ص 10.
4. حمادة بن ساسي، "غار اشطوح رمز الصمود"، مجلة التواصل، العدد 02 نوفمبر 2014، مروانة، ص 14.
5. عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 29.
6. نفسه، ص 29.
7. منظمة المجاهدين لبلدية رأس العين، "تحديد الموقع الجغرافي للمنطقة"، نشرة خاصة، د ت، ص 01.
8. عيسى كشيدة، مهندسو الثورة (ترجمة) موسى أشورور، منشورات الشهاب، ط1، 2010، ص 94.
9. لجنة الستة هم، مصطفى بن بولعيد، محمد بوضياف، مراد دينوش، العربي بن مهيدي، رايح بيطاط، كريم بلقاسم.
10. Ben youcef Ben khadda : les origines de Inouvembre 1954, opcit p36.
11. الرائد هلايلي محمد الصغير، شاهد على الثورة في الأوراس، دار القدس العربي وهران الجزائر، 2013، ص 57.
12. محمد العربي مداسي، مغربلو الرمال، الأوراس النمامشة 1954-1959، تعريب صلاح الدين الاخضري، المؤسسة الوطنية للاشغال الروبية، الجزائر، 2011، ص 14.
13. المرجع السابق، ص 14.
14. الرائد عمار ملاح، ثورة التحرير المباركة الفاتح نوفمبر 1954، دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة، الجزائر، 2019، ص ص 32، 33.
15. المرجع نفسه، ص 33.

16. الرائد هلايلي محمد الصغير، المرجع السابق ص 70.
17. المرجع نفسه، ص 64.
18. سوهالي سليم، باتنة حكاية مدينة، دار النشر انزار بسكرة، الجزائر، 2017، ص 150.
19. تابلت عمر وبن فليس صالح، العقيد الحاج لخضر قائد الولاية الولي التاريخية في الجهاديين، مطبعة قرفي، باتنة 2012، ص 19.
20. الجمعية الثقافية للبحوث التاريخية باتنة، صفحات ناصعة من حياة قادة الثورة مصطفى بن بولعيد وقرين بلقاسم، نشره، عدد 1، دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة، ص 33.
21. محمد العربي مداسي، المرجع السابق ص 17.
22. المرجع نفسه، ص 19.
- *اسمه عبيدي لخضر المعروف بالحاج لخضر ولد في 1914/03/12 بقرية ثيقرى بدوار أولاد شليح، حكم عين التوتة سابقا وبلدية وادي الشعبة حاليا سافر لفرنسا وعمره 20 سنة، اشتغل في مقولة ثم في مخبزة، كانت له اتصالات مع أعضاء الحركة الوطنية، بعد عودته سنة 1939 انشأ خلية سرية بمدينة باتنة واتصل به مصطفى بن بولعيد وطلب منه توسيع الخلايا السرية وتنظيمها وجمع التبرعات والاشتراكات وبث الروح الوطنية، نفي الى تونس لانه اعتدى على دركي فرنسي وهناك اشتغل بالتجارة، وفي أواخر 1952 أدى فريضة الحج، كلفه مصطفى بن بولعيد باستقبال المناضلين الفارين من الشمال القسنطيني وكان من الطلائع التي نفذت هجمات ليلة أول نوفمبر توفي في 24 فيفري 1998. ينظر، الجمعية الثقافية للبحوث التاريخية المرجع السابق، ص 29.
23. الجمعية الثقافية للبحوث التاريخية، المرجع السابق . ص 34.
24. الطاهر حليسي، قيسات من ثورة نوفمبر 1954 كما عايشها العقيد الحاج لخضر قائد الولاية الأولى، شركة الشهاب الجزائر ص 63.
25. محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، (ترجمة)، نجيب عياد وصالح المثلوثي، دار موفم، 1994، ص 18.
26. محمد العربي مداسي، المرجع السابق، ص 38.
27. محمد لحسن الزغدي ولحسن بومالي، التحضيرات العملية للثورة التحريرية الجزائرية 1954، ج 1 دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة الجزائر، 2012، ص 25.
28. محمد العربي مداسي، المرجع السابق، ص 23.
29. بسام العسيلي، الله اكبر وانطلقت ثورة الجزائر، دار الرائد للطباعة والنشر، الجزائر، 2008، ص 168.
30. محمد العربي مداسي، المرجع السابق، ص ص 38. 41.
- **قرين بلقاسم من مواليد 29 ماي 1927 بسالات بكيمل حوز اريس اعتبر من الخارجين عن القانون بسبب رفضه الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي، عمل مع مصطفى بن بولعيد، وخصص حاكم فليي جائزة مالية لم يأتي بقرين بلقاسم حيا، أو ميتا، حارب العملاء الماجورين رفقة زملائه قبل الثورة، حضر الاجتماع التاريخي بشرة أولاد موسى وخنفة لحداثة وكان ضمن فوج باتنة مع الحاج لخضر حيث قضى ثلاث أسابيع من شهر نوفمبر 1954 في ناحية باتنة، استشهد في 29 نوفمبر 1954 مع مجموعته في معركة بوادي عبيدي تسمى بمعركة انزي احمد قرب اريس. ينظر، عمار ملاح، قادة جيش التحرير الجزء الأول، ج 1، دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة الجزائر، 2008، ص ص 72، 73، وكذا محمد العربي مداسي: المرجع السابق، ص ص 44، 45.
31. عمار ملاح: قادة جيش التحرير الوطني في الأوراس، ج 2 دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر 2009 ص 70.
- ***مزوج أحمد: المدعو عمو او قرقور من مواليد 01 جويلية 1910 بدوار ايشمول اشتغل بالفلاحة والتجارة، وانخرط في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية عام 1947 ومسؤول على فوج ملوثة المكون من ثلاث خلايا، أوى في منزله الفارين بعد اكتشاف المنظمة السرية منهم عمار بن عودة ورايح بيطاط، حضر اجتماع خنفة لحداثة وانضم لفوج باتنة بقيادة الحاج لخضر ينظر، عمار ملاح، قادة جيش التحرير، الجزء الأول، المرجع السابق، ص 134.
32. صالح مسعودي، "الشروق في اثر اول الشهداء غداة تجبير الثورة"، جريدة الشروق اون لاين 15/02/2016 ص 20.
33. عمار ملاح، قادة جيش التحرير الوطني في الأوراس، المرجع السابق، ص 134.
34. صالح سعودي، المرجع سابق، ص 21.

35. L'echou D'algerie: "Les quatre premiers morts pour la France 05/03/1957" ,p11.

36. تابليت عمر، المرجع السابق ص 24
37. محمد العربي مداسي، المرجع السابق، ص 53.
38. نفسه ص 54.
39. هلايلي محمد الصغير، المرجع السابق ص 95.
40. جمعية أول نوفمبر لتخليد وحمية مآثر الثورة في الأوراس، مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 1999، ص 273.
- **** محمد الشريف بن عكشة، من مواليد 25 جانفي 1926 بدوار اشمول اشتغل بالفلاحة والتجارة، درس عند ابن باديس ودرس في منبنة اونغيين والحجاج واشمول، كان عضو في حزب الشعب، ثم المنظمة السرية أسس خلية باشمول لجمع السلاح وتدريب المناضلين، كلفه مصطفى بن بولعيد بناحية عين التوتة، استشهد في جبل ثامر ببوسعادة مع سي الحواس وعمروش في معركة 28 مارس 1959. ينظر، عمار ملاح، قادة جيش التحرير، الجزء الأول، المرجع السابق، ص 126
41. تابليت عمر، المرجع السابق ص 28
- **** مصطفى رعابلي، ولد في 19 فيفري 1927 بخنقة أمعاش دوار ايشمول (اريس) مارس الرعي والفلاحة، انخرط في حركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1946 في منطقة وادي الأبيض كان من الرعيل الأول الذي فجر الثورة ساهم في تأسيس قواعد الثورة في سطيف وبرج بوعريريج استشهد في ناحية بوسعادة سنة 1959. ينظر، عمار ملاح: قادة جيش التحرير، الجزء الثاني، المرجع السابق، ص ص 25، 26.
- ***** عبد الحفيظ طورش من مواليد 1920، انخرط في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ثم في المنظمة السرية كمسؤول على خلية من المناضلين في خنقة معاش، كلفه مصطفى بن بولعيد بمنطقة بركة، استشهد في معركة بوعمود ناحية الوزنة 28 مارس 1958.
- ***** مصطفى مرادة، المدعو مصطفى بن النوي من مواليد 1928 بدوار أولاد شليح ولاية باتنة انخرط في صفوف الثورة كمناضل في 14 نوفمبر 1954 ثم جندي في ماي 1955 عن طريق الحاج لخضر: عين ملازم أول في بركة مكلف بالاتصال والأخبار ثم عضو في مجلس المنطقة وقائد الناحية الرابعة ثم نقيب مسؤول عن المطقة الثابتة أريس وما بين افريل 1959 الى افريل 1960 مسؤول للولاية الأولى بالنيابة، تقلد مناصب عسكرية وسياسية في الدولة بعد الاستقلال، ينظر مسعود فلوسي، مذكرات الرائد مصطفى مرادة (بن النوي) شهادات ومواقف عن مسيرة الثورة في الولاية الأولى، دار الهدى عين مليلة 2003 ص ص 11، 12.
42. مسعود فلوسي، المصدر السابق، ص 36.
43. الطاهر حليس، المرجع السابق، ص ص 46، 47.
44. هلايلي محمد الصغير، المرجع السابق، ص 95.
45. وهم الذين اختارهم بن بولعيد لنشر الثورة في الناحية الغربية قبل سفره علما انهم من اقرب الناس اليه فمصطفى رعابلي ابن أخته.
46. محمد الطاهر عزوي، "شهرة معارك الجرف" معالم بارزة في ثورة اول نوفمبر في الملتقى الاول بباتنة من انتاج جمعية اول نوفمبر 1989، ص 117.
47. محمد العربي مداسي، المرجع السابق ص 74.
48. نفسه ص 75
49. عمار ملاح، قادة جيش التحرير الوطني في الأوراس، ج، 2 مرجع سابق، ص 74.
50. هلايلي محمد الصغير، المرجع السابق، ص 76.
51. هلايلي محمد الصغير، المرجع السابق، ص 81.
52. نفسه، ص 81.

الدعم اللوجستي للثورة التحريرية في المنطقة الأولى من الولاية الأولى

تجار بني مزاب نموذجاً

د. ناصر بالحاج

جامعة باتنة - 1-

مقدمة

يعود تواجد بني مزاب في الشمال الجزائري إلى تاريخ قديم يصعب تحديده، حيث سعى المزابيون إلى تعويض فقر منطقتهم من الناحية الاقتصادية إلى امتهان التجارة خارجها، سواء التجارة القارة داخل المدن، أو المتنقلة خارج المناطق الحضرية فيما يعرف بتجارة القوافل.

وبحكم تواجدهم القديم في مدن التل فقد كان المزابيون على دراية جيدة بكل تطورات الأمور بحكم احتكاكهم مع مختلف شرائح المجتمع، خلال الثورة التحريرية كانت المعلومات التي يملكها المزابيون ذات قيمة كبيرة بالنسبة للثورة، حيث كانوا يحصلون على المعلومات من الكولون بفضل الثقة التي اكتسبها لديهم كتجار أمناء، وعليه فقد أفادوا الثورة كثيراً، حيث أصبحت متاجرهم وحماماتهم (هذه الأخيرة التي ورثوها من عهد الأتراك)، مراكز لتجميع المعلومات وتبادل المراسلات، وتجميع المؤن والأسلحة للثورة التحريرية، وكان هذا حالهم في كل المناطق التي تواجدوا بها، وكما يقول المجاهد الحاج مسعود باحمانى: "ما يميز المزابيين أنهم شاركوا في الثورة في أغلب مناطق البلاد بحكم توزعهم عليها"⁽¹⁾.

وسأتناول في هذه الورقة البحثية إشكالية حقيقة مساهمة الميزابيين في الثورة بالولاية الأولى والمنطقة الأولى منها بالخصوص، وللإجابة عن هذه التساؤلات سأتناول:

1- نماذج من مساهمة التجار المزابيين في الثورة في عموم الولاية الأولى.

2- نماذج من مساهمة الميزابيين في المنطقة الأولى من الولاية الأولى:

أ- تجار بني مزاب والثورة في مدينة باتنة.

ب-- تجار بني مزاب والثورة في مدينة بريكة.

ت- تجار بني مزاب والثورة في مدينة نقاوس، وخلاصة بحثية.

1- نماذج من مساهمة التجار المزابيين في الثورة في عموم الولاية الأولى

كانت في عموم الولاية الأولى مشاركة المزابيين حاضرة ومعروفة لدى أغلب المجاهدين في الولاية، ومن بين النماذج المركز الذي كان عبارة عن متجر السيد محمد بن عبد الرحمان باحماني (والد المجاهد الحاج مسعود باحماني) في مدينة قايس بخنشلة حيث كان مركز تجميع للمؤونة والسلاح والأموال لصالح الثورة، ويكفي دليلاً على ذلك الرسالة التي أمضاها أحمد نواورة عن قيادة الولاية الأولى، يتقدم فيها بالشكر للسيد محمد بن عبد الرحمان نظير الأعمال الهامة التي قام بها لصالح الثورة رفقة أخيه سي سليمان وابنه المسعود.⁽²⁾

سنتطرق في هذه المداخلة إلى بعض نماذج الدعم اللوجستيكي الذي قدمه المزابيون إلى الثورة التحريرية في المنطقة الأولى من الولاية الأولى، مما تمكناً الحصول عليه، وكذلك أسماء الشهداء المزابيين الذين استشهدوا بعد اكتشاف أمرهم من طرف الأمن الفرنسي. نماذج من مساهمة التجار المزابيين في الثورة في المنطقة الأولى من الولاية الأولى

أ- تجار بني مزاب والثورة في مدينة باتنة

تعتبر متاجر العديد من المزابيين في مدينة باتنة محلات تجميع للمؤونة اللازمة لإرسالها إلى الثوار في الجبال، وعلى سبيل المثال الحاج لخضر عبيدي وشهادته في حق آل سليمان موثقة في استجواب مع المجاهد الحاج مسعود باحماني.

الحركة التجارية لآل سليمان

تعتبر متاجر آل سليمان أهم مراكز المزابيين لتجميع المؤونة للثورة في باتنة، ومن بين أبرز كبار التجار المزابيين نذكر:

المجاهد عمر بن إبراهيم، سليمان بوعصيانة: جاء عنه في معجم أعلام الإياضية ما يلي: " (و: 1332هـ / 1914م - ت: 1397هـ / 18 فيفري

1977م)، وكذلك إخوانه وأبناء عمومته، وشركائه. من أبرز رجال الحركة الثورية بمنطقة الأوراس. ولد بالقرارة بميزاب، ثم اشتغل بتجارة الأقمشة مع آل سليمان بمدينة باتنة. كان رئيس خلية الميزابيين بها، وله اتصالات مباشرة مع قائد الولاية الأولى في الثورة: القائد مصطفى ابن بولعيد، ثم بعد استشهاده مع خليفته عبيدي الأخضر. سخر متجره لخدمة الثورة، فاتخذ مقراً لملاقاة القادة العسكريين، ومستودعاً للذخائر والأسلحة والأقمشة والأموال والمواد الغذائية.

وعند إنشاء لجنة ثورية من الميزابيين بباتنة، عين رئيساً لها، وتمثل دورها في جمع التبرعات، وتحريك الهمم للمشاركة في الثورة، ومحور نشاطها هو: باتنة، قايس، خنشلة، بريكة، عين التوتة، ونقاوس.

وفي 9 سبتمبر 1958 ألقى عليه القبض مع أخويه، وزميله عيسى ابن عمر بوعصباينة، ومجموعة من العمال في شركة سليمان، وعذبوا أشد العذاب لكشف أسرار الثورة، فلم يظفر المستعمر منهم بشيء.

أدرك المستعمر حقيقة دكان آل سليمان، وأنه مركز للثورة لا متجر للبيع والشراء فقط، فأصدر أمراً بإغلاقه في 23 أكتوبر 1959م⁽³⁾.

المجاهد: محمد بن يحي سليمان بوعصباينة (1916-2002)، من مدينة القرارة بغرداية، خريج الصادقية بتونس، عضو المجلس البلدي بباتنة، وكانت له علاقات وطيدة مع أغلب أعلام المنطقة. خلال الثورة كان الرأس المدبر للمزابيين بها حيث كان رئيس جماعتهم، وكان ينسق جمع التمويل للثورة من بني عمومته وغيرهم، حيث تخزن في محلات المزابيين، ويأتي من يحملها إلى الجبال، وكان ذلك بداية من أول شحنة في 20 أكتوبر 1954 نحو أريس. وقد اكتشف أمرهم ولولا لطف الله وتدخل أحد معارفه من الفرنسيين، لحكم عليهم بالإعدام⁽⁴⁾.

المجاهد يوسف بن ابراهيم سليمان بوعصباينة: من مواليد 1921 بالقرارة بغرداية، توفي خلال الثمانينات، كان من بين الأعضاء الرئيسيين لخلية المزابيين بباتنة، وقد تم اكتشاف أمره، وصدر في حقه أمر رسمي من الجهات الأمنية بالأوراس بالاعتقال بسبب أن "حركته تشكل خطراً على

الأمن والنظام العام" مثلما يظهر بوضوح من الوثيقة في الملحق رقم 2 أدناه.

المجاهد عيسى بن ابراهيم سليمان بوعصبانة: (1919—2003) وهو كذلك من عائلة آل سليمان، وكان هو وسيلة الاتصال الرئيسية بالثوار حسب شهادة الحاج لخضر عبيدي التي أمدنا بها الحاج مسعود باحماني أطل الله في عمره، وقد جاء فيها ما يلي: "كان الأخ سليمان بوعصبانة عمر بن الحاج ابراهيم رئيسا للجنة الإخوان الإباضية بباتنة، وكان متصلا بي ويعمل تحت مسؤوليتي في جمع الاشتراكات والتبرعات وجمع المؤونة وإلحاقها بمراكزها، ومن بين أعضائها كاتبها باحماني مسعود".

المجاهد مسعود بن محمد بن عبد الرحمان باحماني: (من مواليد 1939 بمليكة بغرداية)، من بين التجار المزابيين الذين ساهموا في دعم الثورة التحريرية في مدينة باتنة وقبلها في مدينة قايس. كان شريكا لآل سليمان ورفيقا لهم، ولا يزال يحتفظ بذاكرة قوية حياه الله بها، كما كانت له اتصالات وثيقة وموثقة مع الحاج لخضر عبيدي رحمه الله، وهو (أي الحاج مسعود) يعتبر المصدر الأساسي للمعلومات التي كتبنا بها هذا البحث.

ب- تجار بني مزاب والثورة في مدينة بريكة

تعتبر مدينة بريكة من المناطق الاستراتيجية في الثورة التحريرية في الولاية الأولى، حيث تربط شمال الولاية بجنوبها في قسم كبير وواسع منها.

من التجار المزابيين الأعلام الذين تركوا أثارا بارزة في دعم الثورة التحريرية السيد أحمد بن الحاج ابراهيم حمدي (و: خلال 1900م - ت: 08 ماي 1998م)، وهو من مواليد القرارة، أبوه وجده من أنصار الحركة الإصلاحية، وقد تعرضا للمضايقة والسجن في تعاضيت وغرداية بسبب ذلك. مارس التجارة في مدينة بريكة منذ 1934، حيث بدأ عمله الثوري بها منذ بداية 1955 بتقديم التموين المالي وغيره من مؤونة وأسلحة، وكان على اتصال بالمجاهد عزيل عبد القادر عن طريق المجاهد بورزيق العلوي، وكذلك مسؤول الناحية المدعو سي الحسين بولحية المتمركز بجبال سفيان أين كان يزورهم، ويتصل بهم

لتزويدهم بأخبار العمليات الفدائية داخل المدينة، ولاسيما تحركات الاستعمار وأذنا به، وكان معروفًا لدى الثوار بـ "أحمد المزابي".

كان مسؤولاً عن خلية التجار المزابيين الذين كانوا يملكون 12 حانوتا قدموا مشاركتهم منذ تاريخ أول نوفمبر 1954، وكان متجره ومتجر أخيه كبير مركزين أساسيين، حيث كان يجمع الاشتراكات والمساهمات المادية من مؤن و سلع مختلفة. اكتُشف أمره وتعرض للتحقيق لكنه تمكن من الإفلات من الإدانة، وتعرض متجره مرارا للفتيش.

تمّ تعيينه من طرف الإدارة الفرنسية عضواً في المجلس البلدي في بركة سنة 1959 ممثلاً لجماعة بني مزاب من جملة عشرين عضو من أبناء البلدة، وبسبب رفضه الحضور تمّ سجنه لمدة شهر، وبضغط من الجبهة أطلق سراحه ومن كان معه من الأعضاء. نابه في رئاسة الخلية السيد حفار باحمد.

كما جمع التبرعات من أموال وأقمشة ولباس بتكليف من الثورة عن إخوانه المزابيين في كل من بسكرة و باتنة وقسنطينة والجزائر مع مرافق له يدعى القليل، وكان يبلغه للمسبلين بصفتهم زبائن لديه على غرار صحراوي بنين وغيره.

بعد الخلاف الذي وقع بين قيادات مختلف مداخل الناحية حول جمع التبرعات من المزابيين، وما تبعه من تهديدات، اتصل الحاج أحمد بجبال سفيان، وتمّ حسم الأمر وتقررّ الدفع والاتصال بجبال سفيان، ومنذ 1957 أصبحوا تابعين إلى منطقة بركة، ثم قرّر تحويل دفع الاشتراكات إلى جبال سقانة بواسطة السيد الصالحي محمد المدعو شايب راسو وبقي الأمر على ذلك إلى غاية الاستقلال، وقد جمع الحاج أحمد التبرعات لصالح الهلال الأحمر الجزائري كذلك رفقة المجاهد الصالحي أمحمد من التجار المزابيين في كل من: باتنة، قسنطينة، الجزائر العاصمة، وبسكرة. كما جمع التبرعات لمجاهدي الجزائر، وكان الاتصال عن طريق جرافّ التهامي، وكذلك لدوّار بيطام عن طريق المدعو أحمد الداب.

استطاع الحاج أحمد أن يحصي ما دفعه إلى الجبهة والجيش من التمويل والاشتراكات باسم المزابيين خلال الثورة بـ: 14.500.000 فرنك.

استمرّ على نشاطه ومسؤوليته إلى غاية الاستقلال، وقد أتلّف معظم الوثائق التي كانت لديه خوفاً من متابعة الفرنسيين، ورغم ذلك فقد وقعت إحدى مراسلات قيادات الثورة إليه بين يدي الاستعمار فتعرّض إلى الاعتقال والتحقيق، ونجا منها بلطف إلهي وبقدرته على التملّص، وكذلك رفضه للإغراءات مقابل التحوّل إلى العمل إلى جانب الاحتلال، ثم عدم استسلامه لضغوط المداهمة والنهب التي تعرّضت لها متاجر المزابيين. تحصّل على شهادة الاعتراف بعضويّته في المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني من طرف لجنة بركة، ورقمها لدى مديرية المجاهدين لولاية غرداية: 209. توفي رحمه الله في 08 ماي 1998م.⁽⁶⁾

الشهيد عبد الكريم بن يوسف، موكا

من نماذج تلك المشاركة التي لم تقتصر على الدعم المادي فقط، المجاهد والشهيد عبد الكريم بن يوسف، موكا (و: 1351هـ / 4 فيفري 1933م - ت: 1380هـ / 1960م)، من عائلة موكا بالقرارة، التحق بالثورة التحريرية سنة 1955م في الجزائر العاصمة، وكان من كبار الفدائيين في أحياء القبّة، رويسو، وحسين داي بالجزائر العاصمة. إسمه الحربي: خوخة، وهو برتبة رائد، "وبعدما اشتدّ الطلب عليه من الجيش الفرنسي صعد إلى الجبل وعمل مسبلاً في جبال أريس، حيث استشهد في معركة بضواحي بركة سنة 1960م. وبالقبّة نهج سمي باسمه اعترافاً بفضله وتخليداً لمواقفه وبطولاته"⁽⁷⁾

المجاهد: باي احمد ابراهيم، من التجار المزابيين في بركة، رفيق والد العقيد محمد الصالح يحيواوي السي عيسى يحيواوي، تعرّض للسجن بعدما تم اكتشاف أمر دعمه للثورة في بركة، ولديه الوثائق التي تثبت مساهمته.⁽⁸⁾

ت- تجار مدينة نقاوس

الشهيد محمد بن مسعود، شرع الله: (و: 1346هـ / 1927م - ت: 1378هـ / 1958م)، من الرجال الوطنيين بمليكة بميزاب، ولد بها، ثم انتقل إلى نقاوس تاجراً مع شركائه شرع الله عبد العزيز، ومطهري الحاج أحمد، ومطهري عبد الوهاب؛ وكان محلهم مركزاً لتموين الجنود، ومخبأ لهم، وصندوق بريد لمراسلات الثورة بالمنطقة.

جمع محمد شرع الله تبرعات للجيش بلغت خمسمائة ألف فرنك سنة 1958م، وقدمها لهم، ولكن الوشاة أفضوا أمره للسلطات الفرنسية، فاعتقل رفقة شركائه، في شهر أوت من نفس السنة، وأخذ إلى قنطرة تبعد بـ 12 كلم عن مدينة بريكة، وبعد التعذيب استشهد رميةً بالرصاص يوم 4 ديسمبر 1958م. وهو مدفون في مدينة نقاوس، بجبال الأوراس.⁽⁹⁾

الشهيد أحمد شرع الله: هو كذلك من مدينة مليكة بمزاب، كان تاجراً في نقاوس، لما اكتشف أمر دعمه للثورة في نقاوس، أغلق متجره وفرّ إلى الجزائر العاصمة وأصبح مسيراً لحمام "الطيّار" أحد حمامات المزابيين بالعاصمة، وبعد وشاية اكتشف الفرنسيون أمره فأخرجوه من الحمام وقتلوه أمام الملأ.⁽¹⁰⁾

الخاتمة

تجدر الإشارة في نهاية هذه المداخلة إلى أن قائمة أسماء الشهداء والمجاهدين خصوصاً قد لا تكون كاملة حيث لم نحص كل المجاهدين الذين ساهموا في الثورة التحريرية في المنطقة الأولى من الولاية الأولى، ولكن كان الهدف الأساسي من هذه المساهمة هو نفض الغبار عن موضوع طالما غفلت عنه البحوث الأكاديمية رغم أهميته، سواء عن قصد، أو بسبب نقص المادة العلمية التي توثق لحقائقه. ولعل نقص الوثائق وعدم الحرص على تدوين التاريخ الشفوي هي أسباب ضياع تاريخ العديد من المجاهدين من أمثال المجاهد فخار عيسى أصله من مليكة بغرداية، والذي كان في مدينة عين توتة، أو المجاهد عاشور قاسم، وغيرهما عديدون في مختلف مناطق الوطن.

الدعم اللوجستي للشورة التحريرية في المنطقة الأولى من الولاية .. د. ناصر بالحاج

كما أن نقص الوثائق تعود إلى طبيعة التاجر المزابي الذي يتميز بالحرص على سرية عمله، والخوف على تجارته وجاليته بإعتبار أن الشبكة الاجتماعية المزابية متماسكة وخاصة خارج وادي مزاب، لذلك وفي كثير من الأحيان لا تترك أثرا للإدارة الإستعمارية لإدانتهم.

الملاحق

الملحق 1: شهادة الحاج لخضر عبيدي في حق جماعة المزابين

تصريح المسؤول - الشاهد الأول
DECLARATION DU RESPONSABLE - 1er TEMOIN

أنا المصنف، اسفله : عبيدي محمد الهاشم
Je 'souligné.

ابن : عبيدي محمد
et de

المولود بتاريخ : 12 مارس 1914 بـ : أولاد شليح ولاية
Né le Wilaya

بساكن بـ : باتنة : شارع الجمهورية رقم
demeurant à Rue

الوظيفة الحالية : عقيد الولاية الأولى حاليا متقاعد
Fonction actuelle

رقم بطاقة التعريف : 387110 صادرة بتاريخ : 18-12-1979 من طرف : حاضر باتنة
C.N.I. n° délivrée le par

رقم مستخرج للسجل البلدي لمضوية جيش و جبهة التحرير الوطني : صادرة بتاريخ
Extrait du registre communale n° délivrée le

من طرف : _____
par

الصفة (1) عضو جيش التحرير الوطني - المنظمة الوطنية لجبهة التحرير الوطني - مسجون - فدائي - دائم
Qualité : (1) - Membre ALN-OFUN - Détenu - Fidéj - Permanent

تاريخ الانخراط بالجيش أو بالصفة المدنية لجبهة التحرير الوطني : تاريخ نوفمبر 1966
Date d'incorporation ou de structuration

المسؤوليات التي تمت بها : _____
Responsabilités assurées

التاريخين و الأماكن : _____
Dates et lieux

أتمهد بشرفي على صحة الشهادة التالية، بعد الاطلاع على المادة 11 من المرسوم رقم 66 - 37 المؤرخ في 2 فبراير سنة 1966، و بعد الاطلاع على التصريح الخاص بالانشطات التي قام بها الاخ : محمد صودا باصماني
Certifié en m'engageant sur l'honneur et après avoir pris connaissance de l'article 11 du décret N° 66-37 du 2-2-1966 et après avoir lu la déclaration sur les activités du frère.

المولود بتاريخ : رو فيفري 1939 بـ : سليح عز دام
Né le

المتصرح الوارد بالصفحتين 1 و 2، أشهد انه قام بالانشطات التي ذكرها بالتفصيل :
portées en pages 1 et 2 atteste qu'il a exercé les activités ci-après détaillées :

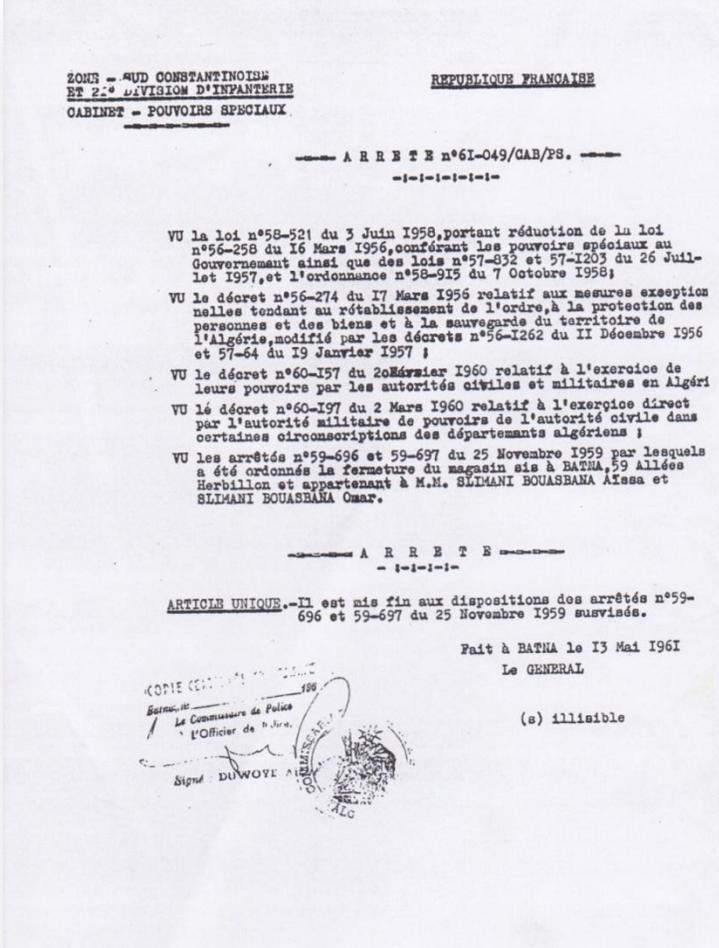
كان الاخ سليمان بوعصبان من طرف الشيخ ابو الهيثم رئيسا لجنت
الاخوان الذين طهت بيوتهم وكان مساعداً في العمل
في عسكروني من جميع الاستراتيجيات وجمعهم في
الجماعة من اجل تحريرها ومنى به ان يقاتل معنا بايدينا مسلحين
Fait à _____ le _____ 1979/11/12

التوقيع مصدق عليه
Signature légalisée

1 - شطب مامو ونسب
1. - Supprimer les mentions inutiles.

- 3 -

ومساهماتهم في الثورة التحريرية في مدينة باتنة
الملحق 2: الأمر الرسمي من الجهات الأمنية بالأوراسبغلق
الحركة التجارية للسيد يوسف بن ابراهيم سليمان بوعصبانة بسبب دعمه
للثورة



المصادر والمراجع:

الاستجابات

- مسعود باحماني، من مواليد 1939 بمدينة مليكة بغرداية، مجاهد، من تجار مزاب في الأوراس، كان في قايس بخنشلة ثم تحول إلى باتنة، استجواب في فيفري 2019، بمنزله بباتنة.

الشهادات

- الحاج لخضر عبيدي، شهادة في حق الحاج عيسى بن ابراهيم سليمان بوغصبانة والحاج مسعود باحماني، بتاريخ: 1987/2/10، وثيقة بحوزة المجاهد الحاج مسعود باحماني.

الوثائق

- رسالة من الصاغ الأول أحمد نواورة عن قيادة الولاية الأولى، إلى محمد بن عبد الرحمان، بتاريخ 10 جويلية 1957.
- Le Préfet de l'Aurès, Officier de la Légion d'Honneur, Arrêté n° 60-343, Batna le : 16 Mai 1960.

الكتب

- مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر (قسم المغرب الإسلامي)، جمعية التراث - غرداية - / دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1421هـ / 2000م.
- محمد أبو العلا، صفحات من الجهاد (خاص بمجاهدي القرارة)، ج2، جمعية التراث، القرارة - غرداية - الجزائر، 2018.
- النوري حمو، نبذة من حياة المزابيين الدينية والسياسية والعلمية من 1505 إلى سنة 1962، دار البعث، قسنطينة، د.ت.

الهوامش

1. باحماني مسعود، استجواب في فيفري 2019.
2. قيادة الولاية الأولى، 10 جويلية 1957.
3. معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر (قسم المغرب الإسلامي)، جمعية التراث - غرداية - / دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1421هـ / 2000م، الترجمة رقم: 650.
4. باحماني، 2019.
5. عبيدي، 1987.
6. محمد أبو العلا، صفحات من الجهاد (خاص بمجاهدي القرارة)، ج2، جمعية التراث، القرارة - غرداية - الجزائر، 2018، 372-377.
7. معجم أعلام الإباضية ...، مرجع سابق، الترجمة رقم: 563.
8. باحماني، 2019.
9. معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، الترجمة رقم: 852.
10. باحماني، 2019.

المنطقة الأولى محور دعم، ومصدر إمداد للمنطقتين الثانية والثالثة.

- أ. د. أحمد مسعود سيد علي- جامعة المسيلة -
ط.د. كريمة زيتون - جامعة المسيلة-

ملخص

نعالج في سياق هذه المداخلة الدور التاريخي للمنطقة الأولى من الولاية الأولى (الأوراس)، حيث سنضطلع من خلال مجموعة من الدراسات الأكاديمية والمصدرية إلى محاولة التعرف على مكانة هذه المنطقة إبان الثورة التحريرية الجزائرية، ودورها في تفعيل النشاط الثوري وتعميمه؛ والحديث هنا عن جهود المنطقة الأولى في الثورة، يقودنا بالأساس إلى الرغبة في معرفة نوعية العلاقة التي تربطها بباقي مناطق الولاية، سيما المنطقتين الثانية والثالثة بحكم القرب الجغرافي، والاتصال التاريخي، والفاعل التنظيمي المقرر.

ونظرا إلى أن المنطقة الأولى قد عرفت علاقات وصل وربط بين هاتين المنطقتين، وبرزت مظاهر ذلك أكثر في ميدان الدعم العسكري والتسليح، فإننا سنحاول تسليط الضوء على هذه الأمور، واعتماد معطياته ومتغيراته كسبيل لفهم هذه العلاقة وتمظهراتها في السياق التاريخي. التحليلي المحض.

مقدمة

شكلت المنطقة الأولى التاريخية «الأوراس» دورا محوريا في الثورة التحريرية الجزائرية، حيث لازمت مجريات الفعل التحريري منذ البداية إلى غاية تحقيق الاستقلال واسترجاع السيادة الوطنية، وأعطت للنهج النضالي بعدا وطنيا بفضل قادتها وفاعليها في عديد الميادين المختلفة سيما العسكرية منها، والدارس لتاريخ هذه المنطقة سيستشف لا محالة ذاك التآزر والتضامن بين جميع المناطق الثورية المتجلى في روابط علائقية مكملة من أجل الحفاظ على الهدف الأسمى، ومنع حدوث الاختلالات اللاتناسقية التي قد يؤدي إلى استغلال الوضع من قبل المحتل الفرنسي.

في هذا المقام سنسلط الضوء على أهمية المنطقة الأولى بالنسبة للمنطقتين الثانية والثالثة، ومدى تفاعل هذه المناطق فيما بينها وسعيها إلى تجاوز الظرف الاستعماري وتجنّب نفسها مغبة الوقوع في الحصار والضغط الاستعماري.

إشكالية الموضوع وتفرّعاته:

تمخض عن فكرة هذا الموضوع إشكالية محورية تبحث في تماهي المنطقة الأولى ودورها في تفعيل النشاط الثوري في المنطقتين الثانية والثالثة باعتبارها محور دعم ومصدر إمداد لها.

فماذا نعني بالمنطقة الأولى؟ وفيما تتحدّد جغرافيتها وحدودها؟

كيف كان موقعها إبان الثورة التحريرية خاصة مع بدايات اندلاعها؟ وكيف ترجمت علاقاتها مع المناطق التي تجاورها؟.

للإجابة عما سبق؛ وضعنا مخطّطاً لدراستنا تُبيّن المحاور الآتية:

أولاً: جغرافية المنطقة الأولى وتاريخها.

ثانياً: الثورة في المنطقة الأولى وتمظهرات البعد العلائقي في صلاتها بالمنطقتين الثانية والثالثة.

أ/ علاقة المنطقة الأولى بالمنطقة الثانية

ب/ علاقة المنطقة الأولى بالمنطقة الثالثة

ثالثاً/ تطوّر المنطقة الأولى بعد مؤتمر الصومام وتجدّد مظاهر التعاون الشامل

أ/ التقسيم الجغرافي الجديد للمناطق في مؤتمر الصومام وتطوّر نسقها الهيكلي إلى "ولايات"

ب/ تطوّر علاقة الولاية الأولى بالولايتين الثانية والثالثة

أولاً: جغرافية المنطقة الأولى وتاريخها

تتلازم المعطيات الفكرية المحسوسة مع الشواهد المصدرية المكتوبة حول تاريخ ما، لتفرز لنا عصارة قويمه لمختلف الظواهر المدروسة والمتعلّقة بخصوصية الزمان والمكان الذين يتناسبان ظرفياً مع

طبيعة أي بحث؛ ويبدو أن مسألة تقصّي الحقائق حول تاريخية المنطقة الأولى بالضبط تحيلنا إلى وجوب إدراك جيد لامتداداتها وتوسّعاتها الجغرافية، سواء في مراحلها الأولى، أو في تطوّر تقسيمها عقب مؤتمر الصومام، وذلك حتى نفهم طبيعة هذا التشكل وبنياته المختلفة.

إنّ المنطقة الأولى، أو بالتعبير العام المتداول «الأوراس»¹ قد تمثلت في كتلة جغرافية مُحدّدة المعالم والجهات؛ تمخّضت عن لقاء مجموعة «الستة التاريخيين» التي "حدّدت في اجتماع لاحق مناطق العمليات الستة وتعيين مسؤوليها"⁽²⁾ فتسمّت المنطقة الأولى بمنطقة الأوراس التي أوكلت مهمة تسييرها «لمصطفى بن بولعيد»، ونائبه «بشير شبحاني»، وتضم سلسلة جبال الأوراس والناماشة، وتمتد من بسكرة جنوباً إلى سطيف شمالاً، وتشمل المناطق الحدودية ما بين وادي سوف، وجنوب سوق أهراس،⁽³⁾ لتغطّي بذلك مساحة كبيرة، ومهمة ممّا سيجعل من سلطات الاحتلال الفرنسي تصبّ كل اهتماماتها في محور امتداد منطقة الأوراس وبالنسبة للمناطق الأخرى فقد جرى تسميتها وتوصيفها كآلاتي.⁽⁴⁾

المنطقة الثانية، منطقة الشمال القسنطيني، يقودها مراد ديدوش ونائبه يوسف زيغود.

المنطقة الثالثة، منطقة القبائل، يقودها كريم بلقاسم ونائبه أعمار.

المنطقة الرابعة، منطقة الجزائر، يقودها رابح بيطاط، وسويداني بوجمعة.

المنطقة الخامسة، منطقة الجزائر، منطقة ناحية وهران، يقودها العربي بن مهدي بن رمضان عبد المالك.

أما المنطقة السادسة التي تشمل ناحية الصحراء فتُرك أمر تعيين قائدها إلى وقت لاحق.

وتبعاً لذلك فقد ضمّت المنطقة الأولى كل من: باتنة، عين توتة، بريكة، مسيلة، سطيف، وجزء من برج بوعريريج، توفّرت على 1300 جندي موزعين ضمن ثلاثة كتائب.⁽⁵⁾

وحسب الرائد "عمار ملاح" فإن هذه المنطقة الأولى التي ستحوّل فيما بعد إلى ولاية قد (تكوّنت من ستة مناطق ثم انفصلت عنها المنطقة الثالثة «الصحراء» التي أصبحت الولاية السادسة، والمنطقة الخامسة أصبحت تابعة لمنطقة سوق أهراس، لتصبح الولاية الأولى تشمل أربع مناطق:

- المنطقة الأولى:⁽⁶⁾

- المنطقة الثانية: وتشمل أريس، كيمل، خنشلة، عين لقصر (بوعريف).

- المنطقة الرابعة: عين البيضاء، أم البواقي، سدراتة، عين امليلة.

- المنطقة السادسة: تبسة، العاتر، الشريعة، الحمامات.⁽⁷⁾

ومن جهة أخرى، فقد "شكّلت منطقة الأوراس قاعدة الارتكاز الأولى التي استندت إليها الثورة التحريرية في بداية العمل المسلح، ولم تكن الجغرافيا هي الفاعل الأساسي الذي جعل من هذه المنطقة العرين الأول للثورة، وإنما يرجع ذلك إلى جهود عدد من رجالها الذين جعلوا منها المنطقة التاريخية الأكثر تنظيماً، وعدة من بقية المناطق الأخرى، ويعود الفضل في توحيد صفوف قبائلها، وفي توجيه المنطقة برمتها نحو المشروع الثوري إلى مجموعة من قدماء المنظمة الخاصة، ومن بعض مناضلي حركة انتصار الحريات الديمقراطية الذين التفوا حول مصطفى بن بولعيد بعدة أشهر"⁽⁸⁾.

ثانياً: الثورة في المنطقة الأولى وتظاهرات البعد العلائقي في صلاتها بالمنطقتين الأولى والثانية

بدأت الاستعدادات العسكرية للثورة منذ أوائل ربيع سنة 1954، حيث كان القائد مصطفى بن بولعيد يقوم بالاتصالات مع أعضاء المنظمة الثورية في بقية أنحاء الجزائر، يعاونه في ذلك شيحاني بشير، في حين كان الحاج لخضر، وبوشمال رشيد يعملان على تجنيد الشباب المناضلين الذين عرفوا بماضيتهم المشرف، وتنظيمهم في خلايا عسكرية بعد وضعهم تحت امتحان دقيق هدفه التأكد من إصرارهم على الجهاد ومثانة عقيدتهم وقوة إرادتهم،⁽⁹⁾ فعشية الموعد الحاسم جمع قائد المنطقة الأولى مصطفى بن بولعيد قادة النواحي في قرية لقرين، وبعد أداء اليمين على كتمان السر كشف عن تاريخ اندلاع الثورة، وتمت تلاوة البيان

رقم 1 باللغتين العربية والفرنسية، وتمّ في نفس الاجتماع ضبط المواقع المستهدفة بهجمات ليلة الفاتح نوفمبر على مستوى المنطقة (30 هدفاً)، مع تعيين الأفواج وتحديد هدف كل منها،⁽¹⁰⁾ وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ المجاهدين الأوائل قد تجمعوا في مكانين هما: دشرة أولاد موسى وخنقة لحدادة (حوز أريس آنذاك).⁽¹¹⁾

ولتوضيح أهمية الرهان على الأوراس في مسلسل الثورة المسلحة، أكد بن بولعيد لمساعديه: "أنّ قيادة الثورة تعقد أملا كبيرا على المنطقة الأولى، في تفجير الثورة وتغذيتها، ريثما تتمكّن بقية المناطق من اللحاق بالركب؛ وأنها كانت تنتظر منها الصمود 6 أشهر فوعدها بالصمود 18 شهرا"،⁽¹²⁾ وأنّه سيساعدها على تقوية نفسها وتجهيزها عدّة وعتادا، وهذا طبعا لن يتأتى إلّا في نطاق تأصيل التعاون الطبيعي بين بقية مناطق الوطن، والذي يتمظهر لنا كأحد الأسس الرئيسة في بقاء الثورة واستمرارها.

أ/ علاقة المنطقة الأولى بالمنطقة الثانية

لم تكن المنطقة الثانية بمنأى عن مجريات الفعل الثوري الذي تُرجم أخيرا إلى "الثورة التحريرية"، "فقد ركّز قائدها مراد ديدوش في آخر اجتماع له بمساعديه على الدلالة الرمزية للعمليات التي يتأهبون لتنفيذها، وقد عبّر عن ذلك في هذا الاجتماع الذي انعقد ناحية سمندو بقوله: « يكفي أن تكون لديك رصاصتان فالمهم أن يقول الفرنسيون: قد تجرّأوا»، وكانت الأهداف في الثانية أقلّ جرأة، وأكثر تواضعا قياسا بالأولى نظرا لقلّة الإمكانيات⁽¹³⁾ وصعوبة التموين وتوفير ضروريات الثورة التي تسمح لها بالصمود والانتشار، ولهذا كان على المنطقة الأولى أن تكون شريان حياة لها، وقبل ذلك لا بدّ على قائدها مصطفى بن بولعيد أن يضيّ بالوعد الذي قطعه في البداية.

فعلا لقد لعبت المنطقة الأولى دورا في تسليح الطلائع الأولى للمجاهدين في المنطقتين الثالثة والثانية؛ وساهم قائدها الأول بن بولعيد شخصيا مع نائبه بشير شيهاني في نقل الأسلحة بسيارته الخاصة حتى نواحي الخروب والسمندو (زيغود يوسف حاليا) بالنسبة للمنطقة الثانية،

وذراع الميزان (من دوائر البويرة حالياً) بالنسبة للمنطقة الثالثة، وذلك بعد أن تم اخراج الأسلحة التي كانت مخزّنة منذ مدّة في المطامير، وتنظيفها وتوزيع جزء منها على مختلف مناطق الأوراس.⁽¹⁴⁾

كما عملت المنطقة الأولى على تدعيم المنطقة الثانية بالسلح الذي كان ينقصها منذ اندلاع الثورة، فتمكّنت من إرسال (40) مجاهداً محمّلين بالسلح في صيف 1955، بعد تنظيم الاتصالات بين المنطقتين، مقابل دعوتها للقيام بعمليات عسكرية لتخفيف الضغط عنها، وهو ما سيجعل منطقة الشمال القسنطيني تقبل على تنظيم هجمات 20 أوت 1955،⁽¹⁵⁾ ويكون الشرف للمنطقة الأولى أوراس بأن تشارك هذا الهجوم بفرقتين بأمر من شيهاني بشير، وعباس لغرور،⁽¹⁶⁾ وقد أكّد الجنرال "جاك آلار" قائد القوات الاستعمارية بولاية قسنطينة حتى أوت 1955 "أنّ أفواجا من جيش التحرير الوطني من المنطقة الأولى، تسرّبت إلى المنطقتين الثانية والثالثة."⁽¹⁷⁾

وترجم التعاون بين المنطقتين في المجال العسكري، بتنظيم كمائن مشتركة على حدود المنطقتين على غرار ما حدث بمنطقة "ماوونة" (بولاية قالمة حالياً) بالمنطقة الثانية (الولاية الثانية)، وذلك بعد اتصال "سي مبروك" القائد العسكري لهذه المنطقة بعناصر من جيش التحرير الوطني بقطاع سدراتة من المنطقة الأولى الأوراس، حيث طلب منهم استغلال معلومات حول تحرك قافلة عسكرية بالمنطقة؛ إذ صرّح حسب "عبد الله بلهوشات" قائلاً: "إنني أدعوكم أيها الإخوة للمشاركة في تنظيم هذا الكمين، فليس لديّ العدد الكافي لأضطلع بالعملية بمفردي، ثم أنّنا سنغنم كمية كبيرة من السلاح،⁽¹⁸⁾ فضلاً على أنّنا سنرسّخ أقدامنا في المنطقة كلها"، فأعطت قيادة المنطقة الأولى موافقتها على المشاركة في الكمين رفقة مجاهدي المنطقة الثانية.⁽¹⁹⁾

والثابت أنّ "...العمليات العسكرية وعمليات التمشيط المكثّفة، واستعمال العتاد الحربي وآلاف الأجناد المجلوبة من فرنسا كلها شكّلت مضايقة رهيبية وخناقاً على الوحدات الأولى المكوّنة لجيش التحرير الوطني في الشرق الجزائري، وعلى وجه الخصوص المنطقة الأولى وجنوب المنطقة الثانية، وكان المسؤولون في المنطقتين يدركون جيداً

ذلك الوضع القاسي... وعليه صار لا بدّ من إيجاد طريقة تمكن من فك الحصار المضروب على قمم الجبال والأوراس⁽²⁰⁾، ويبدو أنّ تركيز فرنسا على المنطقتين الأولى والثانية لم يكن يعني أنّ الثورة قد خفت نيرها في المناطق الأخرى من البلاد، لكن المنطقة الأولى - حسب المؤرخ القدير محمد العربي الزبيري - كان لها وضع خاص تمثل في:

- لقد كانت قبل نوفمبر 1954، مأوى لمناضلي ومسؤولي المنظمة الخاصة الملاحقين من طرف السلطات الاستعمارية⁽²¹⁾ عبد السلام حباشي، عبد الحفيظ بوصوف، عبد الله بن طوبال، عمار بن عودة، بكوش،...، وبالتالي فهي ميدان للتدريبات العسكرية، ومخزنا للأسلحة والذخائر التي تحصّلت عليها مختلف أجهزة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية من جميع الجهات والوسائل.

- أنّ مسئولها الأول مصطفى بن بولعيد كان معروفا كمسؤول في الأوساط السياسية، إذ كان عشية الثورة عضوا في اللجنة المركزية لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، ومن ثمة فإنه كان يحظى بثقة معظم المناضلين بما في ذلك أعضاء المنظمة الخاصة المتواجدين هناك، وأعضاء اللجنة المركزية وحتى عند زعيم حركة إنتصار للحريات الديمقراطية مصالي الحاج⁽²¹⁾.

لكن لا يخفى على أحد تكتيكات المراوغة والمناورة الخاصتين بالاحتلال الفرنسي، إذ قد وظّف كل آلياته النفسية والفكرية في سبيل تطويق المناطق، والقضاء على رأس حربة كل منطقة حتى يتسنى لها اختراق الصفوف وزرع بذور الفتن والتضليل كما فعل بالمنطقة الثالثة من (الولاية الثالثة).

واصلت المنطقة الأولى مدّ جسور العلاقات التآزرية مع المنطقة الثالثة، وتجاوز مظهر التعاون فيما بينهما حدود التسليح والمساعدات العسكرية إلى الجانب الإنساني أيضا، وقبل التطرّق إلى استعراض ذلك، نشير إلى انطلاق الثورة في المنطقة الثالثة التي تتسمّ بمنطقة القبائل.

وكغيره من قادة المناطق الأخرى،⁽²²⁾ عقد بلقاسم كريم قائد المنطقة الثالثة آخر اجتماع بمساعديه بقرية بترونة (تيزي وزو)، حيث

كشف لهم عن موعد إعلان الثورة، وتم تحديد الأهداف التي ينبغي ضربها ابتداء من منتصف ليلة الفاتح من نوفمبر، ورغم استلام كمية من الأسلحة من منطقة الأوراس فقد كانت المشكلة مطروحة بحدة، لذا تقرر في نفس الاجتماع ارسال فوج من 21 مناضلا بقيادة أوعمران إلى منطقة العاصمة (الرابعة)، للمشاركة في الهجوم على ثكنات ناحية البليدة واقتسام ما يمكن غنمه من الأسلحة،⁽²²⁾ وهذا الأمر يشير إلى تعاون المنطقة الثالثة مع نظيرتها المنطقة الرابعة، وعلى غرار عملية نقل الأسلحة من المنطقة الأولى نحو المنطقة الثالثة، والمشاركة في بعض العمليات العسكرية التي تطرقنا إليها ذي قبل، فإن المنطقة الثالثة قد حاولت هي الأخرى تنسيق العمل مع المنطقة الأولى مطلع عام 1955 من أجل مواجهة قوات محمد بلونيس.⁽²³⁾

بعد مقتل القائد بالنيابة شيهاني بشير،⁽²⁴⁾ انقسمت القيادة في الأوراس إلى غربية وشرقية، فحاول القائد التاريخي للأوراس مصطفى بن بولعيد بعد فراره من السجن شهر نوفمبر 1955 جمع شملها مرة أخرى لتنبعث من جديد إلى أن استشهاده حال دون ذلك، فتفتتت القيادة إلى عدة بارونيات مثلما عبر عنها حربي، نتج عنها وضع بالغ التعقيد بمحاولة كل واحدة منها اقتطاع منطقة نفوذ خاصة بها،⁽²⁵⁾ وفي خضم هذه المرحلة المهمة كانت المنطقة الثالثة تحضر لمؤتمر للثورة، وعلى إثره ستبادر إلى محاولة التهدئة في الأوراس،⁽²⁶⁾ ومن ثمة ستلعب دور الشريك المحوري بين مختلف المناطق الثورية الأخرى على الرغم من معاناتها الشديدة من الدسائس الاستعمارية المختلفة.

ثالثاً: تطور المنطقة الأولى بعد اجتماع الصومام وتجذد مظاهر التعاون الشامل

أ/ التقسيم الجغرافي الجديد للمناطق في اجتماع الصومام وتطور نسقتها الهيكلية إلى ولايات

تمخض عن اجتماع الصومام العديد من القرارات السياسية والعسكرية والاجتماعية، من بينها ما تعلق بالجانب السياسي الذي يقتضي إعادة تسمية المناطق الجغرافية التي كانت قائمة قبل اجتماع الصومام وتحديدها جغرافياً، وذلك بإنشاء ست ولايات حربية هي: ولاية الأوراس، ولاية الشمال القسنطيني، ولاية القبائل، ولاية العاصمة وضواحيها، ولاية

وهران، ولاية الجنوب التي تم استحداثها خلال الإجماع،⁽²⁷⁾ وبالنسبة لحدود هذه الولايات فقد كانت وفق الشاكلة التالية:

- **الولاية الأولى: {الأوراس النمامشة}** يحدها: من الشمال مداورش، سدراتة، القرزي، سطيف؛ ومن الجنوب الصحراء، ومن الشرق الحدود التونسية، ومن الغرب برج بوعريريج، المسيلة، بوسعادة، أولاد جلال.

- **الولاية الثانية: {الشمال القسنطيني}** يحدها: من الشمال القالة، سوق أهراس؛ ومن الجنوب سطيف، طريق الجزائر، قسنطينة إلى القرزي، إلى الحدود التونسية؛ ومن الغرب سطيف، خراطة، سوق الاثنين.

الولاية الثالثة {القبائل} يحدها: من الشمال سوق الاثنين، كوربي مارين، ومن الغرب كوربي مارين، منرفيل.

- **الولاية الرابعة {الجزائر وضواحيها}** يحدها: من الشمال كوربي مارين، تنس، ومن الجنوب: عين بسام، البويرة، بئر غبالو، البرواقية، قصر البخاري، تيارت؛ ومن الشرق منرفيل، باليسترو، البويرة، عين بسام؛ ومن الغرب حدود عمالة وهران

- **الولاية الخامسة {الغرب الجزائري وهران}** حدودها عمالة وهران.

- **الولاية السادسة {الصحراء}** يحدها من الشمال بورد، قصر البخاري، بئر غبالو، عين بسام، سور الغزلان، بوسعادة، ومن النواحي الأخرى الصحراء الجزائرية⁽²⁸⁾

ب/ تطور علاقة الولاية الأولى بالولايتين الثانية والثالثة

الواضح من هذا الطرح هو أن الثورة التحريرية الجزائرية قد بلغت أشواطاً معتبرة من التطور والفكر، ولسنا ندلّ على ذلك سوى بحجم الانتصارات المحققة لجيش وجبهة التحرير الوطني على مختلف الأصعدة داخليا وخارجيا، وبالنسبة لعلاقات الولاية الأولى مع الولايتين الثانية والثالثة فقد بقيت قائمة وملتفة حول الهدف الذي يشكّل مصير كل المناطق الأخرى؛ لكن الأمر الذي لم يتغيّر في المنطقة الأولى هو

بقاء الصراعات المحتمة التي أُلقت بضلالها على الثورة المحتمة فيها، واستمرت فيها إلى غاية إجتماع الصومام وبعدها.

ومحاولة لتجاوز الأزمة حاول عميروش الالتقاء بمختلف النشطاء الفاعلين في منطقة الأوراس، والاجتماع بهم قصد دراسة الوضع وتهديته،⁽²⁹⁾ لكن هذه المحاولات لم تمنع من حدوث الأسوء، حيث تم إغتيال البعض، والمساس بكرامة الآخرين، وبعد إطلاعنا على واقع العلاقات بين الولايات المدرجة في الدراسة خاصة بعد اجتماع الصومام، ارتأينا إلى وضع جملة من الاستنتاجات بدلا من سرد الأحداث:

- لقد تغيرت العلاقات بين الولايات بحكم ظرفية الثورة وصعوبة التملص من سيف رقابة المحتل الفرنسي الذي طور من أسلوبه القمعي وابتكر أساليب جديدة للتطويق وفرض الحصار.

- أضحت العلاقات بين الولايات التاريخية عقب إجتماع الصومام أضحت علاقات أفراد تحكمها طموحات فردية، بدليل انشقاق صف الرفقاء وتحويل بوصلة المعركة إلى وجهة البيت الثوري الذي تحول فيه الرفاق إلى فرقاء منشقين.

- إن الولاية الأولى لم تضللها أبدا قوة الصراعات، وإنما بقيت محاضن الثورة وصمام أمانها.

وأخيرا يمكن القول بأن الثورة التحريرية الجزائرية قد أدركت النجاح بفضل تعاون وتكتل مناطقها، ووقوفها سداً منيعاً ضد إغراءات المحتلين وتكتيكاتهم، ولئن شكّل السلاح عقبة للمناضلين الوطنيين، إلا أنهم حافظوا على الوحدة الثورية، ورأوا في تعميم الثورة سبيلاً إلى تشتيت قوات العدو وتفكيكها، وعليه لا يمكن لأيّ كان إنكار الدور الريادي الذي اضطلعت به المنطقة الأولى بفضل جهود قائدها مصطفى بن بولعيد، ومساندتها لباقي المناطق سيما المحاورة لها، حتى تضمن لها الوقوف من جديد وتستمر نحو إدراك النصر، ولو تطلّب الأمر الزحف على البطون.

الهوامش

1. تسمية الأوراس تعود إلى القرن السادس الميلادي، زمن التواجد البيزنطي في شمال أفريقيا، منذ أن أورد ذكرها المؤرخ البيزنطي "بروكوب دوسيزاري" في كتابه "الحرب ضد الوندال" De la guerre contre les vandales بأسم «أوراسيوس» Aurasius التي أطلقها على المنطقة المحصورة حاليا بين باتنة وخنشلة شمالا، وخنشلة وزربية الوادي شرقا، وزربية الوادي وبسكرة جنوبا، وبسكرة وباتنة غربا (ينظر: لخميسي فريخ، العقيد سي الحواس مسيرة قائد الولاية السادسة 1959/1923، دون ذكر دار نشر، الجزائر، دت).
2. محمد عباس، الثورة الجزائرية نصر بلا ثمن، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص 69.
3. محمد عباس، المرجع السابق، ص 82.
4. عبد السلام فيلاي، الجزائر الدولة والمجتمع، ط1، دار الوسام العربي، الجزائر، ص 249، ينظر كذلك: Mohammed Boudiaf , La Préparation du premier Novembre 1954 , édition dar el khalil elkackmi, 2011, p76/77
5. أحمد مسعود سيد علي، "تطور أوضاع الولايات الحدودية خلال الثورة الجزائرية 1962/1959"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 09/ العدد 01/ جامعة المسيلة، الجزائر، 2019؛ وينظر أيضا: عمار ملاح، وقائع وحقائق عن الثورة التحريرية بالأوراس الناحية الثالثة بوعريف، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص 108.
6. هذه المنطقة أوضاعنا امتدادها في تعريف سابق وقلنا بأنها تلك التي تشمل كل من باتنة، عين الثوتة، بريكة، مسيلة، سطيف، وجزء من برج بوعريبيج.
7. عمار ملاح، المصدر السابق، ص، ص 104، 108؛ وحول هذه المناطق ونواحيها. راجع أيضا: محمد زروال، إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية - الولاية الأولى نموذجا - المطبعة الرسمية، الجزائر، ص، ص 193، 195.
8. عبد النور خيثر، تطور الهيئات القيادية للثورة التحريرية 1962/1954، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر، إشراف: حباسي شاوشي، الجزائر، 2006، ص 245.
9. بسام العسلي، الثورة الجزائرية، دار العزة والكرامة للكتاب، 2013، ص 127؛ ينظر أيضا تفاصيل عملية التحضير للثورة: بسام العسلي، الله أكبر وانطلقت ثورة الجزائر، ط1، دار النفائس، بيروت، 1986، ص 159، 160.
10. محمد عباس، المرجع السابق، ص 86.
11. عمار ملاح، المصدر السابق، ص 108.
12. محمد عباس، المرجع السابق، ص 86.
13. المرجع نفسه، ص 87.
14. عبد المالك بوعويرة، العلاقات بين الولايات التاريخية للثورة التحريرية الجزائرية 1962/1954، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ المعاصر، (إشراف): شاوشي حباسي، الجزائر، 2006، ص 46.
15. المرجع نفسه، ص 46.
16. عمار ملاح، المصدر السابق، ص 112.
17. عبد المالك بوعويرة، المرجع السابق، ص 46.

18. كان شعار المجاهدين إبان الثورة التحريرية الكبرى "سلاحنا نفتكّه من عدونا".
19. عبد الملك بوعريوة، المرجع نفسه، ص 47.
20. العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج2، منشورات اتحاد الكتاب العرب، بيروت، 1999، ص 30.
21. المرجع نفسه، ص 31.
22. محمد عباس، المرجع السابق، ص 88.
23. عبد الملك بوعريوة، المرجع السابق، ص 43.
24. أصبح شيهاني بشير قائدا بالنيابة على المنطقة الأولى بعد أسر بن بولعيد، واستنادا إلى شهادة الوردى قتال فقد واجهت شيهاني اعتراضات شديدة من معظم المناطق، حيث تكثرت أهل الغرب (باتنة) حول عمر بن بولعيد ودفعوه إلى المطالبة بخلافة أخيه، وتكثرت أهل الشرق (خنشلة) حول مسعود معاش، ودخلوا في خلاف مع شيجاني، ولتسوية الموقف قام هذا الأخير بتصفية مسعود معاش وبعض أنصاره من بينهم معمر لمعافي، ورغم النشاط الكبير الذي اتصف به شيجاني، إلا أنّ الفتنة استمرت وأدت إلى تصفيته عقب معركة الجرف الشهيرة في سبتمبر 1955 (ينظر المزيد في: حكيمة شتواح، المرجع السابق، ص 31).
25. حكيمة شتواح، المرجع نفسه، ص 31؛ للاستزادة ينظر كذلك: محمد عباس، المرجع السابق، ص 170، 171.
26. خلال اجتماع الصومام تمّ وصول خبر استشهاد مصطفى بن بولعيد، فقام كريم بلقاسم بإرسال عميروش إلى الأوراس في 3 سبتمبر 1956 لأداء مهمتين؛ الأولى كانت دراسة المشكلات الثورية التي استعصت على الحل بعد الأوراسيين بعد استشهاد كل من شيهاني وبين بولعيد، والثانية لتبليغ نتائج مؤتمر الصومام للمسؤولين في الولاية الأولى (ينظر: سهام سعودي، الثورة في الولاية الثالثة ومظاهر التأزر التاريخي بينها وبين الولايات الثورية الأخرى، مذكّرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة المسيلة، الجزائر، 2016، ص 37).
27. وزارة المجاهدين، النصوص الأساسية لثورة نوفمبر 1954، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2008، ص 28، 29.
28. رابح عدالة، الجزائر الثورية من سقوط النازية إلى استرجاع السيادة الوطنية، ط1، دار المجتهد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص 113، 114.
29. سهام سعودي، المرجع السابق، ص 37، 38.

الثورة التحريرية بالناحية الثانية للمنطقة الأولى (عين التوتة) 1954-1960
(قراءة في مسار المعارك)

د. صلاح الدين هدوش - جامعة باتنة - 1-
ط.د. فاتح زياني ————— جامعة باتنة-1-

مقدمة

حظيت ناحية عين التوتة بشرف المشاركة في الثورة التحريرية كغيرها من النواحي والمناطق في مختلف ربوع الوطن، وساهم أبناؤها وسكانها من مختلف الفئات مساهمة كبيرة في دعم الثورة بكل الإمكانيات المادية والبشرية، وقدمت الناحية بعد سبع سنوات ونيف من الزمن قوافل عديدة من الشهداء، والتضحيات الجسام لنصرة ودعم ثورة الشعب الجزائري، وهكذا كانت ناحية عين التوتة مسرحا للكثير من المعارك مع جيش العدو الفرنسي، وشهدت معظم جبالها وقراها وأريافها- بلا استثناء- ملاحم وبطولات صنعها جيش التحرير ووثقتها شهادات فاعليها من المجاهدين، ومن هنا يجدر بنا التساؤل عن حقيقة هذه المعارك التي شهدتها ناحية عين التوتة، وما دور قيادات جيش التحرير ومجاهدي الناحية في صناعتها؟ وما رد فعل جيش العدو الفرنسي ضدها؟

وفي محاولة منا للإجابة عن التساؤل وضعنا خطة تمثلت فيما يلي:

أولاً- التحضير للثورة التحريرية في ناحية عين التوتة ودور الشهيد محمد الشريف بن عكشة فيها.

أ- النضال السياسي والعسكري للشهيد محمد الشريف بن عكشة قبل الثورة.

ب- قيادة الشريف بن عكشة للثورة في ناحية عين التوتة ودوره التنظيمي واللوجستي.

ثانيا- أهم المعارك التي شهدتها الناحية الثانية (عين التوتة) للمنطقة الأولى خلال الثورة.

ثالثا- أهم الكمائن التي نصبها جيش التحرير ضد قوات العدو الفرنسي في الناحية الثانية.

رابعا- رد فعل الجيش الفرنسي ضد الثورة في عين التوتة وأعمال التعذيب ضد سكان الناحية.

أولا: التحضيرات للثورة وانطلاقها في مدينة عين التوتة

أ- النضال السياسي والعسكري للشهيد محمد الشريف بن عكشة قبل الثورة

ترتبط انطلاقة الثورة بناحية عين التوتة مثل بقية نواحي المنطقة الأولى، وبقية المناطق بالجيل الأول الذي حضر جيدا للثورة التحريرية، ويرجع الفضل كما هو معروف للشهيد مصطفى بن بولعيد ورفقاؤه في السلاح من أمثال: عاجل عجول، عباس لغرور، البشير شيهاني، الحاج لخضر عبيدي، عبد الحفيظ طورش ومحمد بن عكشة وغيرهم، أما في الناحية فقد ساهم عدد من المناضلين السابقين من سكان البلدة في صفوف حركة الانتصار في الإعداد والتحضير للثورة وانطلاقها خلال الأيام الأولى من أمثال أوشن الطاهر، وموسى زروال، أحمد جغابة، مسعود منكور وغيرهم، غير أن قيادة الثورة في الأوراس كانت قد أوكلت مهمة قيادتها والتحضير لها للشهيد محمد الشريف بن عكشة، فمن يكون هذا الشهيد؟ وما هو نضاله؟ ودوره للتحضير للثورة؟

انخرط محمد الشريف مبكرا في صفوف حزب الشعب، وكان ذلك أواخر الحرب العالمية الثانية، ولعل أهم الدوافع التي جعلت من الشهيد أحد أبرز القيادات النشيطة والفاعلة في الحقل السياسي والثوري في منطقة أريس بعد الحرب هو نضجه السياسي المبكر وتربيته الدينية التي تمت في كتاتيب إشمول، أين أتم فيها حفظ القرآن الكريم في إحدى مدارس المنطقة. كما أن احتكاكه اليومي بشيوخ ومناضلين تربوا، وتعلموا في صفوف جمعية العلماء وحزب الشعب، وأبرزهم الشيخ ميهوبي محمد الدراجي، وهو الذي كان من الطلبة المجازين على يد الشيخ عبد الحميد ابن باديس، كل ذلك ساهم في جعله أحد أبرز القيادات الثورية التي تكرمت بتفجير الثورة المباركة في المنطقة الأولى.⁽¹⁾

ولما أمرت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بتأسيس المنظمة السرية التي أوكل لها الإعداد للثورة التحريرية، كلف بن بولعيد بن عكشة بتأسيس خلية في لمدينة لنفس الغرض، تكونت من أبرز

الوجوه المخلصة والمؤتمنة من مناضلي الحزب، وهم: محمد الشريف بن عكشة، ومحمد الصغير تيغزة، والمسعود عايسي وعمار بلهروال "خلاف"، والتي قامت بقيادة بن عكشة بأعمال جبارة تناسبت مع أهدافها، وقد شاركت الخلية في جمع السلاح مع الخلايا الأخرى من فم الطوب وقرية الحجاج وأريس. وكان هذا النشاط قد أدى إلى توجس السلطات العسكرية من تحركات بن عكشة، والتي أمرت بتفتيش منزله لمرات عدة - سنة 1951 و1953-، بعد أن اكتشف أمر المنظمة السرية عام 1950.⁽²⁾

لم يكن دور الشهيد قبل الثورة ينحصر في جمع السلاح من الصحراء ونقله من زريبة الوادي وتخزينه في بيته وتدريب المناضلين في استعمال السلاح وصنع القنابل اليدوية،⁽³⁾ وتوعيتهم وزرع فكرة الوطنية في وسط سكان المنطقة فحسب، بل جازف بحياته مرات عدة في إيواء أخطر الفارين والملاحقين من قبل سلطات الاحتلال في منزله، حيث لم يأبه لحياته بقدر ما كان يرى في تلك المخاطرة تضحية في سبيل الوطن، ومن بين الذين ترددوا عليه نذكر: رابح بيطاط، لخضر بن طوبال، سليمان بركات، بكوش عبد الباقي. ومن حسن حظ الشهيد، ومشروع الثورة أن السلطات الفرنسية لم تعثر على أحد من الملاحقين، كما أن قوات الأمن الفرنسي لم تتفطن لمطامر السلاح المخبئة بعناية في منزل الشهيد، ولا في منازل المناضلين في المنطقة.⁽⁴⁾

ب- قيادة الشريف بن عكشة للثورة في ناحية عين التوتة؛ ودوره التنظيمي واللوجستي

كانت قيادة الثورة في الأوراس قد قسمت الولاية الأولى إلى ست مناطق، وهي:

- المنطقة الأولى: ضمت أربعة نواحي، وهي: باتنة، عين التوتة، بريكة، سطيف.

- المنطقة الثانية: ضمت أريس، عين القصر (بوعريف)، شيليا، كيمل، طامزة.

- المنطقة الثالثة: مشونش، بسكرة، بوسعادة، أولاد جلال.

- المنطقة الرابعة: عين مليلة، أم البواقي، عين البيضاء، مسكيانة، الكويف.

- المنطقة الخامسة: الحدود التونسية، سوق أهراس، سدراتة، العوينات.

- المنطقة السادسة: النمامشة إلى تبسة.⁽⁵⁾

ومن جهتها قسمت الناحية الثانية (عين التوتة) إلى أربع قسمتات، وهي:

- القسمة الأولى : ضمت كل من تاعنانت، لقصور، عين التوتة.

- القسمة الثانية: معافة، مولية.

- القسمة الثالثة: البريكات، غاسرو.

- القسمة الرابعة: بيطام، سقانة.⁽⁶⁾

وقد توالى على قيادة الناحية الثانية، عددا من القادة معظمهم استشهد خلال الثورة، وهم محمد الشريف بن عكشة، السعيد عوفي، الطاهر أوشن، لخضر عبيدي المدعو (موسطاش)، محمد حجار، علي بن عدودة المدعو (سي علي الطبيب)، وموسى رداح، غير أن أبرزهم وأكثرهم مساهمة في تنظيم الثورة في ناحية عين التوتة، هو الشهيد الرائد محمد الشريف بن عكشة.

حضر محمد الشريف بن عكشة اجتماع 31 أكتوبر 1954 قبل ساعات من الشروع في عمليات الفاتح من نوفمبر في دشرة أولاد موسى، وخنقة الحدادة، حيث قام كل من مصطفى بن بوالعيد، والبشير شيحاني بتوزيع الأسلحة على المجاهدين، وبعدها قام مصطفى بن بولعيد تكليفه بالاتجاه إلى ناحية عين التوتة للإشراف على الثورة هناك رفقة نفر من ثلة من المجاهدين لا يتجاوز عددهم 20 شخص،⁽⁷⁾ والهجوم على النقاط المحددة والمتفق عليها.

رغم أن مهامه كانت الإشراف على الثورة في ناحية عين التوتة، فإن الشهيد محمد الشريف بن عكشة لم يتردد قيد أنملة في تلبية الواجب لدعم الوحدات الأخرى، ومقارعة جيش العدو في أي شبر من ربوع الأوراس، فلم يمض سوى أسبوع من اندلاع الثورة حتى سارع للالتحاق مع رفقائه المجاهدين في المعركة الطاحنة التي جرت وقائعها في خنقة معاش قرب فم الطوب في الثامن من نوفمبر 1954، والتي شاركت فيها عدة أفواج من النواحي الأخرى، هي:

- فوج يقوده عباس لغرور.
- فوج يقوده الحاج لخضر.
- فوج بقيادة محمد نجاوي.
- فوج يقوده محمد فروجي والطاهر نويشي والصادق شبشوب.
- فوج بقيادة محمد الشريف بن عكشة.

وقد وضعت كل هذه الأفواج تحت قيادة المجاهد محمد نجاوي، أظهر الشهيد كغيره من المجاهدين بطولة وشجاعة منقطعة النظير في مواجهة أرتالاً عسكرية كبيرة مدعومة بطائرات الاستكشاف. وبعد ثلاثة أيام كاملة من المعارك المتواصلة، انتصر جيش التحرير مكبدا الجيش الفرنسي خسائر فادحة في الأرواح والمعدات تمثلت في مقتل 150 جنديا وإسقاط طائرة من نوع الكشاف⁽⁸⁾.

وبعد أن شارك في العديد من المعارك السالفة الذكر (خنقة معاش)، (أريس)، وبعد أن سافر بن بولعيد إلى ليبيا يوم 24 جانفي 1955 لجلب السلاح، انتقل بعدها بأيام محمد الشريف إلى عين التوتة،⁽⁹⁾ لتنظيم الثورة هناك والإشراف على قيادة وسير العمليات الحربية فيها، وتعود أسباب تعيينه من قبل بن بولعيد على ناحية عين التوتة وبريكة هو عدم قدرة الفوج الأول الذي أرسله بن بولعيد للإشراف على الثورة هناك، والذي يقوده سليمان محمد شريف بالة وعبد القادر بوساحة، وهذا مايدل على الثقة العالية التي يكنها أبو الثورة للشهيد نظرا لتلاؤم شخصية الشهيد مع صفات القائد الحربي، والتي هي الشجاعة والصبر والإخلاص والتضحية. وقد ظل لما يقارب من سنتين يقوم بواجبه الثوري من تجنيد سكان المنطقة وتدريب شبابها، والتخطيط وقيادة المعارك البطولية التي ساهم فيها مجاهدو المنطقة، متحديا في ذلك كل الصعاب والمشاق الكبيرة من نقص المئونة والأسلحة، وكل الظروف المناوئة لأي عمل ثوري في الشهور الصعبة الأولى للثورة، حتى تم اختياره للسفر إلى تونس لجلب السلاح أواخر عام 1956،⁽¹⁰⁾ وبداية عام 1957.

ساهم مجاهدو الناحية سواء في فترة بن عكشة، أو مع القادة الذين تولوا قيادة عين التوتة بعد رحيله عن الناحية سنة 1956، على الاهتمام

بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية لصالح الثورة، من توعية سكان الأرياف بالانخراط في الثورة، وجمع الاشتراكات، وبناء المستشفيات الميدانية، وتكوين الإطارات، وجمع الأدوية، والتي أشرف عليها الشهيد سي علي الطبيب والممرض علي بوشمال، ومن أهم المستشفيات الميدانية في الناحية، نذكر مستشفى أولاد ابشينة، ومستشفى تبيحرين.⁽¹¹⁾

اهتم المجاهدون إلى جانب المجال الصحي، بالعبء اللازمة للتعليم، لما له من أهمية قصوى في تربية أشبال الثورة وشبابها، ولما للمعرفة من دور في بناء الشخصية الوطنية وتشكيل الوعي السياسي للمناضل في صفوف الجبهة، وقد تكفلت اللجان الشعبية ومسؤولو القرى على رعاية المعلمين، حيث خصص مبلغ مالي قدره 5000 فرنك كراتب للمعلمين، ومن بين المعلمين الذين خدموا الثورة علميا وفكريا نذكر على سبيل المثال لا الحصر الشيخ الصديق ميهوبي الحاصل على شهادة التطويق من جامع الزيتونة، ومعلم قرية تيرشيويين (أولاد عوف).⁽¹²⁾

2/ أهم المعارك التي شهدتها عين التوتة

ساهمت ناحية عين التوتة ككل المناطق والنواحي الأخرى مساهمة فعالة في الأعمال الثورية، ودفعت بخيرة أبنائها للتضحية في سبيل الوطن، ومقاومة الاستعمار، ولا بأس هنا أن نستشهد ببعض المعارك الملحمية التي واجه فيها مجاهدو الناحية، سواء كانوا من الناحية أو من النواحي، والمناطق الأخرى في الثورة فيها.

- معركة تيقليعين قرب تارشيويين بتراب أولاد عوف (أولاد سلطان) شمال غرب عين التوتة 28 أفريل 1956.

كانت هذه المعركة قد فرضها الجيش الإستعماري، الذي طوق عددا من المجاهدين البالغ عددهم 42 مجاهدا بقيادة عمر بن المبارك طورش الأوراسي، بسبب وشاية أحد العملاء، وقد حرك الجيش الفرنسي جيشا جرارا قوامه 6000 جنديا.

اندلعت المعركة في حدود الثالثة مساء واستمرت لغاية منتصف الليل أسفرت على استشهاد 21 مجاهدا وجرح 21 آخرين، ومن بين شهداء ناحية عين التوتة في المعركة الشهيد بوخالفة مسعود، عمر بن محفوظ

الراقدي، كما قام العدو بقتل 7 أشخاص من لقب بيظام، وكلهم من سكان الدوار، وهم: أحمد بن السعيد، لخضر بن السعيد، امحمد بن ابراهيم، المختار بن علي، بوقرة بن علي، أما خسائر الجيش الفرنسي فقد كانت 80 قتيلاً.⁽¹³⁾

- الهجوم على المركز العسكري الفرنسي بمعافة "دوار جبل قرون" 30 ماي 1956

كانت معافة- وهي منطقة جبلية ريفية تقع جنوب شرق عين التوتة- في الفترة الاستعمارية تسمى دوار جبل قرون، وهي منطقة كسائر مناطق الأوراس محرومة من أبسط شروط الحياة الإنسانية، يعاني سكانها الفقر الشديد والبطالة والظلم والقهر الاستعماري الذي مارسه عليهم أذئاب الاحتلال من القيادة وأعوان الاستعمار.

لقد ولدت كل تلك المعاناة في نفوس سكان الدشرة الحقد والكراهية الشديدة للاستعمار، وعززت فيهم حب الوطن والروح الوطنية، وازداد ذلك الشعور قوة لما أقدم الجيش الفرنسي إلى بناء مركز للجيش في أعالي المنطقة لمراقبة تحركات السكان، ومراقبة وملاحقة عناصر جيش التحرير،⁽¹⁴⁾ ولذا فما إن اندلعت الثورة حتى انخرط معظم شبابها في صفوف المجاهدين وتحمسوا لنصرة الثورة بكل الوسائل .

كان التحام سكان المنطقة بالثورة والانخراط المبكر فيها سببا ودافعا رئيسيا لتحرك جيش التحرير الوطني لتطهير المنطقة من الجيش الفرنسي عبر تدمير مركزهم العسكري، ولاسيما بعد تزايد الثقة بين سكان معافة وجيش التحرير بقيادة الشهيد محمد الشريف بن عكشة، لكن قبل الهجوم على هذا المركز كانت منطقة عين التوتة وجبل قرون قد شهدت عدة أعمال ثورية بقيادة الشهيد، استهدفت مصالح الاستعمار وبنيته التحتية كالهجوم على السكك الحديدية وتفجيرها والهجوم على محطة القطار في مخرج مدينة عين التوتة، إلى جانب تخريب شبكة أسلاك الهاتف التي تربط مدينة عين التوتة بالمدن المجاورة، وهذا هو السر في بناء العدو الفرنسي لمركز عسكري في جبل قرون لاعتقاده بأن غرفة هندسة العمليات الحربية الموجهة ضده كانت موجودة في جبال المنطقة، وبعد إتمام بناء هذا المركز وجه العدو الفرنسي كتيبة من

الجنود مدججة بالأسلحة للتمركز فيه، وقد مثل وجود قوات كبيرة من الجيش الفرنسي تهديدا للثورة والمجاهدين من جهة، ومركزا للتعذيب والقتل والتنكيل لسكان المنطقة من جهة ثانية، ومنه شكل هذا المركز خطرا محققا على الثورة وجب على قيادة الثورة في ناحية عين التوتة إزالته وتدميره.⁽¹⁵⁾

بدأت التحضيرات للهجوم على مركز معافة حينما اتصل عدد من المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي داخل المركز الفرنسي مع مجاهدي المنطقة، وانتهت الاتصالات بفرار ثمانية من العناصر من المركز والالتحاق بالثورة، حيث سربوا لهم كل التفاصيل والمعلومات الممكنة لعدد الجنود داخل المركز ونقاط القوة والضعف للعدو. وكان الشهيد محمد الشريف بن عكشة ينسق في عملية الهجوم مع مجاهدي المنطقة، والذين يتقدمهم كل من حسين القبائلي، وزيداني الصالح، وعبد القادر ناصر، ومسعود مذكور، وبالتنسيق أيضا مع بعض قيادات مدينة عين التوتة الشهيدين فورار السعيد وزكور عمر اللذان أديا دور الوساطة بين فوج معافة والشهيد نزار الصالح الذي كان ضابطا في الجيش الفرنسي بالمركز الفرنسي.

بعد التحضير الجيد للعملية، تم تحديد يوم 30 ماي 1956 كتاريخ لتنفيذ العملية وتكفل بالمهمة عددا من مجاهدي عين التوتة ومعافة "جبل قرون"، بلغ عددهم 32 جنديا يتقدمهم كل من زيداني الصالح، وبوزيدي الصالح وقسمون مختار، وعلى الساعة الواحدة صباحا تم اقتحام المركز لتستغرق المعركة، أقل من ساعة، إلا أنها حققت نتائج باهرة كانت حدا فارقا، ومرحلة فاصلة في تاريخ المنطقة، كانت أهم نتائجها، مايلي:

- تدمير المركز تدميرا كاملا.
- قتل حوالي 40 جنديا من بينهم ضابط برتبة ملازم أول.
- التحاق 17 عسكريا من المجندين الجزائريين بالجيش الفرنسي بصوف الثورة.
- غنم كمية كبيرة من الأسلحة والذخيرة، تمثلت في:

- قطعنا مدفع هاون (مورطي).
- ثلاث رشاشات من نوع 29/24.
- حوالي 100 قطعة سلاح من نوع "فيزين ماس" و"ماتد49".
- ثلاثة أجهزة إرسال لاسلكي.
- كمية كبيرة من قنابل يدوية وذخيرة.
- أما خسائر المجاهدين فقد تمثلت في استشهاد أربعة، هم: حسن الجيجلي، علي عرار، الطاهر مهماهي ومسعود الملقب بـ "البلاندي" رحمهم الله.
- أما النتائج المترتبة عن تدمير المركز على المنطقة وسكانها، فقد تمثلت في:
 - هجرة وتشرد سكان القرى المحيطة بجبل قرون، والبالغ عددهم حوالي 2000 ساكن.
 - تدمير قريتي المرادسة والفتاتشة عن آخرهما.
 - إعدام أربعة مدنيين، وهم: أحمد بوجمعة، عمر راهم، عمر عنان، مسعود بوخيالت.
 - استشهاد المواطن أحمد غزالي حرقا بالمركز، حيث كان مسجوناً ليلة الهجوم.
 - إعلان كل معافة منطقة محرمة لغاية الاستقلال بعد أن أعاد ترميم المركز وتهجير سكانه.⁽¹⁶⁾
- معركة عين تاغسرة بتاريخ 27 سبتمبر 1956
- وقعت المعركة بعين التوتة، وبالضبط بين معافة وعين زعطوط، بقيادة عدد من مجاهدي المنطقة ومجاهدين من النواحي الأخرى، نذكر منهم: العساسي حاج عمر، الشايب لخضر، جزار الصالح، محمد بن بو العيد، فقد قاد المجاهد لخضر الشايب فرقة من الناحية الثانية كانت تضم حوالي 40 مجاهداً، بينما قاد المجاهد محمد بن بو العيد فرقة يصل تعدادها حوالي 50 مجاهداً، وقاد المجاهد حسين عبد الباقي فرقة بلغ

عددها 70 جنديا، وعلى العموم فقد قدر عدد جنود جيش التحرير 200 نفسا، واجهوا قوة عسكرية كبيرة قدر عددها 4000 جنديا، مما جعل المعركة غير متكافئة تماما، لا في العدة ولا العدد ضمت تشكيلات ميدانية ضخمة، احتوت على عدد كبير من الدبابات والسيارات المصفحة والطائرات.⁽¹⁷⁾ يمكن تفصيلها على الشكل الآتي: 14 هلكوبتر، 4 طائرات ب26، 4 طائرات استكشاف، 4 طائرات ريكسن، انتهت المعركة التي دامت أكثر من 24 ساعة متواصلة إلى انتصار كبير لجيش التحرير، بحيث قدر عدد قتلى العدو بـ 600 قتيل ومئات الجرحى، بينما قدرت خسائر المجاهدين 72 شهيدا وعدد من الجرحى.⁽¹⁸⁾

- معركة أولاد سلطان سبتمبر 1956

كانت المعركة في جبال بريشبين حيدوسة وعين التوتة بقيادة عمر بن بو العيد، وعمر طورش على رأس جيش من مجاهدي المنطقة، البالغ عددهم حوالي 50 مجاهد، وقوات من الجيش الفرنسي قدرت بحوالي 200 مجاهد، دامت المعركة حوالي أربعة ساعات انتهت بمقتل 40 جنديا فرنسيا، وجرح أكثر من 10 منهم، في حين تم غنم رشاش وجهاز اتصال لاسلكي،⁽¹⁹⁾ غير أنه لم يتسن لنا معرفة عدد خسائر جيش التحرير على وجه التحديد.

كانت تخوم مدينة عين التوتة وجبالها، مثل باقي مناطق الأوراس قد تعرضت للتمشيط والتفتيش العسكري، الذي امتد من خنقة معاش واشمول إلى جنوب الولاية إلى خنقة سيدي ناجي جنوب خنشلة، حيث قامت فرقة الجيش الفرنسي رقم 25 خلال الأسابيع الأولى بتعبيد مطار للطائرات "داكوتا" بخنقة سيدي ناجي حتى يتسنى لها الإقلاع وقنبلة قرى ومدامر الأوراس، كما تعرضت القرى الجبلية المحيطة بعين التوتة إلى حملات الاعتقال والتفتيش، ولعل أبرزها تلك التي قادها العقيد "دي كورنو"، والتي مست الجبال الجنوبية الشرقية لعين التوتة، وبالأخص في وادي عبي.⁽²⁰⁾

- معركة كاف الناظور 21/20 أكتوبر 1956

جرت المعركة بالقرب من شعبة أولاد مخلوف بقيادة المجاهد مصطفى تباي،⁽²¹⁾ رفقة 150 من المجاهدين، منهم علي الشريف بركان، وعبد الله بوروب وعلي بوخالفة ضد 1000 من قوات الجيش الفرنسي مدعمة بثلاثة طائرات للاستكشاف، انتهت باستشهاد جندي واحد، أما خسائر الجيش الفرنسي فقد قدرت بعشرين قتيلًا وجرح عشرة آخرين وأسر جنديا واحدا، وغنم عدد كبير من أسلحة العدو.⁽²²⁾

- معركة متليلي 05 ديسمبر 1956

هي معركة جرت وقائعها في جبل متليلي جنوب الناحية الثانية ما بين عين التوتة والقنطرة، في الخامس من ديسمبر عام 1956، حينما تقدمت قوات كبيرة من الجيش الفرنسي لمحاصرة قوات جيش التحرير المتمركزة في جبل متليلي، والتي قدرها المجاهد لخضر زروال بحوالي 140 مجاهد شكلوا ثلاث مجموعات بقيادة محمد الصالح بن عباس، وقد تمكن المجاهدون من فك الحصار بعد معركة دامت يوما واحدا، وأجبروا قوات العدو التراجع، ومن ثمة الانسحاب، تاركين خلفهم 20 قتيلًا من جنود الجيش الفرنسي، لكنهم تكبدوا خسارة 14 شهيدا.⁽²³⁾

يجهل تاريخ مغادرة محمد الشريف بن عكشة قيادته لناحية عين التوتة والتوجه ضمن القادة الذين أرسلوا إلى الولاية السادسة لقيادة الثورة فيها، رفقة مصطفى بوسطة، عبد الحفيظ طورش،⁽²⁴⁾ وأرعالي مصطفى، والتي بقي فيها مسؤولا حتى تاريخ استشهاده سنة 1959.⁽²⁵⁾

- معركة تيبحرين (بني فضالة) 11 أكتوبر 1957

وقعت أحداث هذه المعركة في منطقة تيبحرين قسمة بني فضالة شرق عين التوتة، بين قوات جيش التحرير، والتي قدرت أعدادها حوالي 200 مجاهد بقيادة المجاهد عبد الحميد بورزق، وهم أغلبهم من جنود دورية كانت متجهة نحو تونس، لغرض التسلح ضد قوات الجيش الفرنسي المقدرة بـ 3000 جنديا المدعمة بسلاح الطيران ومدفعية الميدان، انتهت المعركة بخسائر فادحة للطرفين؛ حيث قدر عدد شهداء

معركة تبحرين بـ 100 شهيد، في حين قدر عدد قتلى العدو بـ 150 قتيلاً.⁽²⁶⁾

- معركة أولاد سلطان 08 جانفي 1958

إطلع الفرنسيون- بسبب وشاية من أحد العملاء- على مكان تواجد مجاهدين لجيش التحرير، فقام الجيش الفرنسي المتمركز ببلدة عين التوتة التوجه لحصار كتيبة المجاهدين التي قوامها 95 جنديا بقيادة المجاهد عبد القادر اسبع، ومساعديه محمد بزياتي، وسي احمد الطيب، وقام الجيش الفرنسي المقدر بـ 6000 جنديا معززين بمدفعية الميدان، والطائرات المقاتلة والمستكشفة، أسفرت المعركة التي انطلقت من 9 صباحا، وانتهت في 2 زوالا عن خسارة كبيرة لجيش التحرير الوطني، حيث استشهد 48 مجاهدا، وجرح 12 منهم، وأسر مجاهد واحد، وضياع 20 قطعة سلاح، بالرغم من أن الجيش الفرنسي فقد 200 جنديا.⁽²⁷⁾

- معركة الرفاعة (19-21 سبتمبر 1958)

وقعت هذه المعركة في جبل الرفاعة جنوب مروانة وشمال عين التوتة بقيادة الضابط الثاني عمار عشي، وبصحبة قادة الكتائب الضابط محمد الصالح بلعباس، وبالعمري معجوج وشارك في المعركة قادة الكتائب من الناحية الثانية والأولى من المنطقة الأولى، من بينهم الضابط الحاج لخضر، والضابط بلقاسم شنوف.

كان عدد الجيش يفوق 300 مجاهد، ودامت المعركة من الثامنة صباحا من 19 سبتمبر إلى ليلة اليوم الثاني، استخدم فيها الجيش الفرنسي بكثافة الطائرات والدبابات ومدفعية الميدان، وبعد ما يقارب ثلاثة أيام، أفرزت المعركة عن خسائر فادحة صفوف العدو حيث فاقت خسائره البشرية 200 قتيل وجريح، أما خسائر الجيش المجاهدين فقد قدرت بـ 35 شهيدا وعدد كبير من الجرحى والأسرى.⁽²⁸⁾

- معركة متليلي 29 ديسمبر 1958

كانت بقيادة المجاهد محمد الصالح بلعباس رفقة 60 مجاهد، ضد قوات كبيرة من جنود الجيش الفرنسي لم تعرف أعدادها، غير أنها كانت

معززة بأربع طائرات مقبلة وثلاث طائرات استكشافية، وستة طائرات هليكوبتر، انطلقت المعركة من الساعة الواحدة ظهرا وإلى غاية الساعة الثالثة فجر اليوم الموالي أي 30 ديسمبر، انتهت المعركة بقتل 22 جندي من قوات الجيش الفرنسي وجرح 15 آخرين وإسقاط طائرة، بينما لم يفقد جيش المجاهدين سوى ثلاثة جنود فقط.⁽²⁹⁾

- معركة كاف الناظور 28-30 ماي 1959

قادها قادة الكتائب الثلاث، وهم كالتالي: الكتيبة الأولى من ناحية باتنة، بقيادة المجاهد محمد الصالح بلعباس، والثانية بقيادة علي فرحان من ناحية سطيف، والثالثة من ناحية بريكة بقيادة عمار عبدي المدعو الكبران، وقد التقت الأخيرتان في جبل أولاد علي، وسارتا معا إلى جبل الرفاعة بغرض التوحد والاتجاه إلى مقر الولاية بدعوة من قيادتها، لكن المهمة لم تكتمل إذ اكتشفت قوات العدو أمرها، وسارعت لتطويقها واشتبكت معها، حيث أسفرت المعركة عن مقتل حوالي 14 عسكريا من قوات الجيش الفرنسي وجرح عدد مماثل، غير أن المجاهد لعور عبد الله لم يذكر عدد شهداء جيش التحرير.⁽³⁰⁾

- معركة إيزمورن (معافة) جانفي 1960

حدثت المعركة في القسمة الأولى بالمكان المسمى إيزمورن بمعافة شهر جانفي 1960 بقيادة مسئول القسمة مسعود حاجي رفقة مجموعة من المجاهدين، وقد اندلعت المعركة بعد حصار فرضته قوات الجيش الفرنسي عليهم، مما اضطر بجيش التحرير على خوض المعركة، التي اندلعت في منتصف النهار، لتنتهي باستشهاد عدد من المجاهدين، لم يحدد الشاهد عددهم، واكتفى بذكر واحد منهم، وهو الشهيد طالبي عمار المدعو العربي، كما لم يذكر المجاهد عبد الرحمان مذكور عدد قتلى الجيش الفرنسي.⁽³¹⁾

هذه جوانب قليلة فقط من أهم المعارك التي كان لناحية عين التوتة شرف المشاركة في صناعة أحداث الثورة، وجانبا من بطولات مجاهديها ونضالهم في المعركة الكبرى التي خاضتها المنطقة الأولى من الولاية الأولى ضد العدو الفرنسي، وتبقى للناحية أدوار أخرى في الثورة

التحريرية. فإلى جانب المعارك كانت لمجاهدي الناحية دور في نصب عدة كمائن للإيقاع بالعدو تعددت دوافع نصبها، من قطع الطريق لقوافل الجيش الذي كان يتجه لمحاصرة القرى والأرياف أو مراكز المجاهدين، أو أحيانا لدعم قواته، وغيرها من الدوافع الأخرى .

3/ أهم الكمائن ما بين 1954-1960

- كمين لمهايج قرب عن التوتة مارس 1959

نصبه مجموعة من المجاهدين بقيادة المجاهد الصالح شايب لثلاثة ضباط فرنسيين كانوا يقومون بمهمة تفقد لتمرکز الجيش الفرنسي، انتهت العملية اسر الضباط وحرق دبابة وسيارة جيب عسكرية.⁽³²⁾

- كمين شرف الحلفاء (تيلاطو) ماي 1959

نصبته مجموعة من المجاهدين بقيادة بوحه كمينا لقافلة عسكرية أسفر خسائر مادية وبشرية في صفوف الجيش الفرنسي.⁽³³⁾

- كمين دوار البريكات 25 أكتوبر 1959

نصبه مجموعة من المجاهدين لقافلة من العدو، تكلفت بقتل وجرح 30 جنديا فرنسيا.⁽³⁴⁾

- كمين مشتة الصفر (سقانة) جانفي 1960

كان بقيادة المجاهد مسعود حاجي المدعو البلاندي رفقة عدد من المجاهدين على دورية للجيش الفرنسي، أسفرت عن مقتل 5 جنود، وجرح عدد مماثل.

- كمين سعادين 10 أوت 1960

كان عند مخرج سقانة في الطريق الرابط ما بين سقانة وبريكة، حيث قامت فرقة من جيش التحرير بقيادة أحمد طيار على الساعة الخامسة مساءً بنصب كمين لقافلة للعدو، أسفرت عن مقتل 15 جنديا، وجرح عدد مماثل وتدمير عدد من المركبات والشاحنات، ومن جهتهم فقد المجاهدون عددا من المجاهدين قدر عددهم 5 شهداء، من بينهم الصالح قدوري، علي موليه، السعيد حرزالله، قراح دريدي.⁽³⁵⁾

- كمين شراف الحلفة 11 جانفي 1962

قامت فرقة من الجيش بنصب كمين في الطريق الرابط بين بريكة وعين التوتة لقافلة كبيرة من السيارات تقل عددا من الجنود الفرنسيين،

تمكن المجاهدون من قتل ثلاثة ضباط برتبة نقيب، وثلاثة ضباط آخرين، وثمانية جنود.⁽³⁶⁾

4/ رد فعل الجيش الفرنسي ضد الثورة في عين التوتة وأعمال التعذيب ضد سكان الناحية

عاش سكان الناحية سنوات صعبة ومريرة، عانت من كل أنواع البطش وعمليات الانتقام الوحشي الذي سلطه الجيش الفرنسي وأذنابه من الحركى والعملاء ضد المدنيين العزل، والتي من بينها حرق القرى، وإقامة المحتشدات، وتسليط كل أنواع التعذيب والتنكيل على كل السكان.

مثلما كان الحال في كل القطر الجزائري، رمت فرنسا كل قواتها وجندت كل قواها العسكرية في إطار مخطط شال لؤاد الثورة وتصفيتها في الأوراس، حيث كثفت عمليات التمشيط في معظم القرى الجبلية وقامت بتفتيش ودهم للبيوت ليلا ونهارا، فضلا على سياسة عزل القرى وإقامة المناطق المحرمة ... وغيرها، وسنكتفي بهذه الأحداث كأمثلة لما تعرضت له مداشر وقرى عين التوتة من عمليات الانتقام الوحشي، والتي غالبا ما تأتي بعد كل عملية حربية ناجحة ينفذها المجاهدون ضد العدو الفرنسي .

خلال يومي 14 و15 أفريل 1959 حاصرت قوات كبيرة من الجيش الفرنسي مداشر سفيان، بومقر، أولاد عوف، نتج عنها استشهاد عدد من المجاهدين، منهم: مشرقي حميدة، بلخير الصالح وسليمان زيادي، كما قامت قوات الجيش الفرنسي في 27 جوان بمداهمة أحد أهم مراكز الثورة بمتليلي (تلاطو) حيث أدخلوا الرعب في نفوس سكانها، ألقوا القبض على: زيد بلقاسم بن عمار، ومسعود بن السعيد وخربال عمر، حيث تم قتلهم بعد تعذيبهم بوحشية.

غير أن أهم المناطق التي ركز الجيش الفرنسي على استهدافها هي جبال أولاد سلطان، وذلك لكونها سلسلة جبلية تحيط من الشمال والجنوب الغربي للمدينة، كما أنها تتصل بجبال باتنة ومروانة، ومن أبرز الأمثلة نذكر ما يلي:

- في يوم 30 سبتمبر 1959، حاصر جيش العدو قرى أولاد عوف، بريش، أولاد بشينة، بيظامات، وبعد أن عاث في الأرض فسادا، قام باغتيال عددا

من المجاهدين، منهم: بوخالفة مسعود بن السعيد، بوخالفة علي بن الطيب، تمرابط علي ... وغيرهم، كما قام باختطاف عددا منهم، بعد أن أحرق المداشر وقتل المواشي وأتلف المحاصيل الزراعية.⁽³⁷⁾

- قامت في يوم 10 سبتمبر قوات غفيرة من الجيش الفرنسي بالهجوم على مشاتي بيطام، واستمر الحصار من 4 صباحا إلى 9 ليلا، ألقى القبض على 864 من المدنيين بينهم أربعة من المجاهدين، وهم: قواوسي السعيد، إبراهيم مذكور، بقي 30 منهم تحت التعذيب لمدة طويلة.⁽³⁸⁾

- قام في 16 أكتوبر 1960 الجيش الفرنسي بحصار بريش وأولاد عوف، مستهدفا مركز المجاهدين المسمى ببخوش، وتم حرق منازل السكان المدنيين وبساتينهم، وأدت الحرائق إلى استشهاد السيدة بوجلال سالمة التي شاركت في عمليات إطفاء الحرائق، كما قام الفرنسيون بقتل مواشي السكان، أطلقوا الغازات السامة على مغارة بخوش التي لجأ إليها حوالي 58 فردا من المواطنين والمجاهدين، ولولا تدخل سكان القرية المجاورة لاختنق كل من فيها.⁽³⁹⁾

استمر تعذيب أفراد الجيش الفرنسي للمدنيين العزل، بل ازداد قسوة طيلة سنة 1960 وبعدها، يفيد تقرير موثق لمكتب الولائي للمجاهدين أن الجيش الفرنسي كثف عمليات مدهامة مداشر البلدة وأريافها، فزي أولاد سلطان حاصر مشاتي بيطام، وتم اقتياد وقتل عدد من سكان الريف، نذكر منهم زيان يوسف بن منصر، عمر بوطن بن صالح.⁽⁴⁰⁾

هذه عينة قليلة وبعض الشواهد التاريخية للأعمال الانتقامية وردود فعل القوات الاستعمارية ضد المدنيين العزل، والتي تأتي دوما بعد فشل الجيش الفرنسي في كل معركة، أو مواجهة حقيقية ضد قوات جيش التحرير، ولكن بالرغم من كل أعمال العنف انتصرت إرادة الشعب في الناحية، وفي كل جهات الوطن.

الخاتمة:

من خلال ما سبق نقدم الاستخلاصات التالية:

- تأكد دور الشهيد محمد الشريف بن عكشة والرعييل الأول من مجاهدي الناحية في التحضير للثورة وإطلاق العمليات الأولى لها، وقد تعدى

ذلك الدور المهمة العسكرية، إلى مهام أخرى، كتوعية السكان بأهمية العمل المسلح ضد الاستعمار، وحثهم على ضرورة دعم الثورة بكل الوسائل والإمكانات. ومن جهتهم استجاب سكان الناحية سريعا لنداء الواجب الوطني، وقدموا أبناءهم قوافلا تتلوها قوافل كقرايين للثورة، إيماننا منهم بأن دعم الثورة مسئولية جماعية وواجب ديني ووطني.

- شهدت الناحية معارك كثيرة طيلة سنوات الثورة، وقد ساعدت الجبال المحيطة فيها على إيواء المجاهدين، وفي احتضان مراكز الثورة التحريرية وقياداته، وقد خاض سكانها ومجاهدوها عدة معارك رئيسية كبدت العدو خسائر فادحة، ولعل أبرز المعارك معركة جبل القرون معافة، ومعركة عين تاغسرة عام 1956.

- عانت المنطقة مثل باقي المناطق والنواحي من ردود مسعورة من قبل جيش الفرنسي، ومن عمليات انتقامية كبيرة مست المدنيين العزل، عبرت أعماله القمعية عن عجزه في مواجهة الثورة، ولعل حرق معافة عام 1956 وتهجير الآلاف من سكانها أبرز مثال على ذلك.

الهوامش:

1. محمد الطاهر عزوي، شهداء منطقة الأوراس، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2002، ص 52-53.
2. المرجع نفسه، ص 55.
3. عمار ملاح، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه قادة جيش التحرير الوطني، الولاية الأولى، ج1، دار الهدى للطبع والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2007، ص 126.
4. المصدر نفسه، ص 55.
5. المنظمة الوطنية للمجاهدين، التقرير الولائي لأحداث الثورة التحريرية: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية للفترة ما بين جانفي 1959-1962، أعمال الملتقى الجهوي للولاية الأولى، المنعقد يومي 20-21 أبريل 1987، ببلتنة، ص 65.
6. المرجع نفسه، ص 67، 68.
7. محمد العربي مداسي، مغربلو الرمال بالأوراس والناماشة 1954-1962، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2011، ص 19.
8. عمار ملاح، المصدر السابق، ص 177.
9. وزارة المجاهدين، "محمد الشريف بن عكشة (1926-1959)"، سلسلة أمجاد الجزائر، سلسلة تاريخية ثقافية، تصدرها وزارة المجاهدين، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 2010، ص 13.
10. محمد الطاهر عزوي، المرجع السابق، ص 58.
11. المنظمة الوطنية للمجاهدين، التقرير الولائي لأحداث الثورة التحريرية: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية للفترة ما بين جانفي 1959-1962، المرجع السابق، ص 75.
12. المرجع نفسه، ص 76-77.
13. التقرير الجهوي للولاية الأولى، أحداث الثورة التحريرية الأوراس، أعمال الملتقى الوطني الثالث لتسجيل أحداث الثورة التحريرية من 20 أوت 1956-31 ديسمبر 1958، المنظمة الوطنية للمجاهدين، ص 123-124.
14. محمد عزوي، المرجع السابق، ص 804.
15. المرجع نفسه، ص 805.

16. المرجع نفسه، ص ص، 806-807.
17. مجلة أول نوفمبر، المرجع السابق، ص 17.
18. مجلة المجاهد، المرجع السابق، ص 16.
19. التقرير الجهوي للولاية الأولى، أحداث الثورة التحريرية الأوراس، أعمال الملتقى الوطني الثالث لتسجيل أحداث الثورة التحريرية من 20 أوت 1956-31 ديسمبر 1958، المصدر السابق، ص ص 142-143.
20. للمزيد ينظر حزب جبهة التحرير الوطني، أحداث الثورة بالأوراس، التقرير الجهوي المقدم للملتقى الوطني الثاني لتسجيل أحداث الثورة من 20 أوت 1956 إلى 31 ديسمبر 1958، دار الشهاب، الجزائر، (د ت)، ص ص 72-73.
21. من خلال تفحص تقارير الولاية لأحداث الثورة بالناحية لم يتسن لنا التأكد من التاريخ الفعلي للمعركة حيث وردت بتاريخين الأول 20 والثاني 21 أكتوبر 1956، ولذا من واجب التحفظ والأمانة العلمية وفي ظل عدم التأكد الفعلي من تاريخ المعركة استلزم منا قرن التاريخين مع بعضهما البعض أي 20 و 21.
22. المصدر نفسه، ص 156.
23. المصدر نفسه، ص 18.
24. عبد الحفيظ طورش، أحد أبرز مفجري الثورة في منطقة الأوراس رفقة القادة الأوائل للثورة، من مواليد اشمول 19 ماي 1920، انخرط في حزب الشعب بعد الحرب العالمية الثانية، عين مسنولا لخليه من المناضلين بـ "خفقة امعاش" حوزة أريس للتضخيم للثورة، ساهم في التحضير للثورة وللعمليات الأولى ليلة الفاتح من نوفمبر تحت قيادة مصطفى بن بولعيد، مشاركاً رفقة إخوانه المجاهدين في قيادة عدة معارك، منها معركة خفقة امعاش نوفمبر 1954، معركة خالد ديسمبر 1954، معركة خفقة امعاش (الثانية) 1955، ثم معارك أخرى لما تولى مسؤولية الثورة في ناحية بريكة كمعركة جبل بوطالب 1956، أمارس أولاد نجاع 1956، حمام أولاد عائشة وغيرها، استشهد في جبل بوعمود ناحية الوززة بعد معركة حامية الوطيس مع قوات العدو بتاريخ 28 مارس 1958. للمزيد أنظر: - عمار ملاح، المصدر السابق، ص 129.
25. تجمع المصادر التاريخية والروايات الشفوية التي جمعت على ألسن المجاهدين بأن استشهد محمد الشريف بن عكشة كان بجبل ثامر (بوسعادة) بتاريخ 28 مارس 1859 رفقة القائد سي الحواس والعقيد عميروش آيت حمودة خلال معركة دامية سخرت لها قوات جرارة من مدفعية ودبابات وطائرات، وحاصر مطبق، وذلك بعد وشاية لقوات العدو، وبعد يوم من المعركة الدامية التي أبلى فيها المجاهدون البلاء الحسن وتكبب العدو خسائر في العدة والعدد. للمزيد أنظر: - عمار ملاح، المصدر السابق، ص 128.
26. التقرير الجهوي للولاية الأولى، أحداث الثورة التحريرية الأوراس، أعمال الملتقى الوطني الثالث لتسجيل أحداث الثورة التحريرية من 20 أوت 1956-31 ديسمبر 1958، المنظمة الوطنية للمجاهدين، ص 30.
27. أحداث الثورة التحريرية، التقرير الجهوي للولاية الأولى الرابع، المقدم لتسجيل أحداث الثورة التحريرية من فاتح جانفي 1959 إلى 05 جويلية 1962، (التقرير العسكري)، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للطباعة التجارية، الجزائر، ص 295.
28. جمعة بن زروال، "النضال العسكري للمجاهد الحاج لخضر في مدينة باتنة وجبال الأوراس 1954-1958"، مداخلة في ندوة تاريخية حول المجاهد محمد الطاهر عبيدي المدعو - الحاج لخضر - كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة 1، ص ص 09-10.
29. التقرير الجهوي للولاية الأولى، ص 375.
30. شهادة لعور عبدالله، المصدر نفسه، ص 44.
31. شهادة المجاهد عبد الرحمن مذكور، تقرير ناحية عين التوتة، المصدر نفسه، ص 121.
32. المنظمة الوطنية للمجاهدين، التقرير الولائي لأحداث الثورة التحريرية: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية للفترة ما بين جانفي 1959-1962، المصدر السابق، ص 189.
33. نفسه، ص 192.
34. نفسه، ص 196.
35. أحداث الثورة التحريرية، التقرير الجهوي للولاية الأولى الرابع المقدم لتسجيل أحداث الثورة التحريرية من فاتح جانفي 1959 إلى 05 جويلية 1962، المصدر السابق، الجزائر، ص 325.
36. نفسه، ص 386.
37. المنظمة الوطنية للمجاهدين، التقرير الولائي لأحداث الثورة التحريرية: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية للفترة ما بين جانفي 1959-1962، المصدر السابق، ص ص 303-326.
38. المرجع نفسه، ص 365-367.
39. أحداث الثورة التحريرية، التقرير الجهوي للولاية الأولى الرابع المقدم لتسجيل أحداث الثورة التحريرية من فاتح جانفي 1959 إلى 05 جويلية 1962، المصدر السابق، الجزائر، ص 371.
40. المصدر نفسه، ص 383.

التطور السياسي والعسكري في المنطقة الأولى من الولاية التاريخية الأوراس- النمامشة 1956-1959م من خلال مذكرات بعض القادة التاريخيين.

د. سليمان قريري. جامعة باتنة - 1-

ط.د. ميادة مزوزي. جامعة باتنة - 1-

مقدمة

تعد منطقة الأوراس رمزا للثورة التحريرية وقبله لكل الثوار نظرا لطابعها الجغرافي وحصانتها الطبيعية هذا من جهة، ولحكمة قيادتها، وحكمتهم العظيمة من جهة ثانية فتصميمهم الصارم مكنتهم من إشعال شرارة مواجهة الاستعمار بكل تحدي وصمود. إلّا أنها ومع استشهاد قائدها مصطفى بن بولعيد في 22 مارس 1956 حدث ما لم يحمد عقباه في مسألة من يخلف القائد التاريخي لمنطقة الأوراس.

لكن بعد انعقاد اجتماع الصومام ظهرت تطورات جديدة مست المنطقة فأصبحت تعرف بالولاية التاريخية الأولى- الأوراس النمامشة- قسمت إلى مناطق ونواحي وقسمات يتولاها قادة تولوا مهام سياسية وعسكرية قصد تنظيمها من جديد، وفي هذا الإطار سوف نعالج جوانب من التطور السياسي والعسكري للمنطقة الأولى من الولاية التاريخية الأولى الأوراس- النمامشة 1956-1959.

وعلى ضوء هذا التقديم يمكن لنا طرح التساؤلات التالية:

- كيف كانت أحوال لمنطقة الأولى بعد 1956؟
- ما ملامح التطور السياسي والعسكري للمنطقة الأولى من الولاية الأولى بعد إجتماع الصومام؟
- كيف ساهم القادة الذين تعاقبوا عليها في تنظيمها وتطورها؟ لإجابة عن ذلك، قمنا باتباع الخطة التالية.
- 1- وضع الأوراس بعد 1956، ومهمة الرائد عميروش فيها.
- 2- التطور السياسي والعسكري للمنطقة الأولى من 1956-1959.
- 3- استنتاج.

1- وضع الأوراس بعد 1956 ومهمة الرائد عميروش فيها

بعد استشهاد مصطفى بن بولعيد* وانعقاد إجتماع الصومام، شهدت الولاية التاريخية الأولى الأوراس فترة حرجة، وظروف جد قاسية صورها الرائد مصطفى مراردة في مذكراته من جهات مختلفة أهمها:

- قضية عاجل عجل —* وإتهامه بقتل سي مصطفى.
- الخلاف حول من سيخلف مصطفى بن بولعيد في قيادة الولاية الأولى.
- وجود اتصالات مع الولاية الثالثة بشأن القرارات التنظيمية التي خرج بها إجتماع الصومام.
- شهدت المنطقة الثانية من الولاية التاريخية خلافات داخلية.
- مشكلة تسليم عاجل عجول نفسه للاستعمار الفرنسي.
- القرصنة الجوية التي تعرضت لها الطائرة المقلدة للوفد الخارجي للثورة (الأربعة)، بن بلة، بوضياف، آيت أحمد حسين، محمد خيضر والكاتب الصحفي مصطفى الأشرف.

كل هذه المشكلات إلى جانب الاتساع الكبير الذي كانت تتميز به الولاية التاريخية الأولى كانت السمة الغالب على تلك المرحلة، هذا لا يعني أن العمليات العسكرية بالمنطقة، توقفت بل العكس كانت مكثفة ومستهدفة لمراكز العدو حتى لا يظن الاستعمار أن الثورة فشلت بموت قائدها التاريخي، فالثورة شعبية لا ترتبط بالأشخاص ومستمرة إلى غاية تحقيق الهدف.⁽¹⁾

تأزمت الأوضاع بالأوراس، لكن بعد فترة وجيزة من مقررات الصومام التنظيمية، وقد باشر الرائد عميروش زيارته للأوراس وفتيشها على اعتبار أنه مفوض من طرف لجنة التنسيق والتنفيذ لشرح توصيات الصومام وكيفية تطبيقها.

وكان في استقباله عند جبل المعاضيد ببرج بوعريريج كل من: الطاهر النويشي*، والحاج لخضر، وعمر بن بولعيد، وعلي مشيش، ومحمد لعموري، وإبراهيم كابويا، وفي طريقهم إلى مقر الولاية بكيمل طرح عليهم مجموعة من الأسئلة عن استشهاد مصطفى بن بولعيد، وتنظيم

النواحي، واستخدام الرتب والعلاقات مع السكان...، مؤكداً على لجنة التنسيق والتنفيذ بأنها هي الهيئة المسيرة للثورة، ولها الكثير من المال حسب ما أكده: "أنا كفيل بطلباتكم في الحصول على المال"⁽²⁾.

إن المتمعن لتساؤلات الرائد عميروش حول وضع ولاية الأوراس النمامشة يستخلص أن قيادة الثورة كانت على اطلاع بالأوضاع التي آلت إليها، ويكشف مدى اتصال المنطقة الأولى بالولاية الثالثة، وفي هذا الصدد علق الرائد مراراً مصطفى في مذكراته: "بأن إشارات الولاية الأولى رأوا فيه القائد المخلص الذي سيحل كل المشكلات العالقة وسلموا له كل المعلومات عن بعضهم البعض... وقد أعاب هذا معلماً: كان لابد أن يتفاهموا فيما بينهم على أرضية مشتركة ثم يحكموا بينهم عند عميروش"⁽³⁾.

1.1- جدول أعمال عميروش بولاية الأوراس

دامت اجتماعات الرائد عميروش بقيادة الأوراس عدة أيام، وكان فرقاء الولاية يلتقون في النهار، ويفترقون في المساء، إذ يعود كل قائد إلى معسكره القريب من الاجتماع إلى أن انفض في 19 أكتوبر 1956⁽⁴⁾. وللخوض في تداعيات ومجريات هذا الاجتماع أورد الرائد عمار ملاح في كتابه: محطات حاسمة لثورة أول نوفمبر 1954 بعنوان: "التقرير الذي قدمه العقيد عميروش إلى لجنة التنسيق والتنفيذ بتونس الخاص بالولاية الأولى الأوراس"⁽⁵⁾. وبما أن ورقة بحثي تقتصر على تتبع وضع المنطقة الأولى من الولاية الأولى وجهت اهتمامي مباشرة لكل ماله علاقة بالموضوع، ومن أهم القرارات التي مستها ما يأتي:

بعد تصريح عميروش بأن لجنة التنسيق والتنفيذ أذنت له بإنشاء مناطق حيث تكون ضرورية طلب منه أيضاً تطبيق نظام رتب صادق عليه المؤتمر، فاقترح إنشاء منطقة ثانية في أريس بقيادة النقيب الطاهر النويشي والحاج لخضر كنقيب على قيادة المنطقة الأولى باتنة، وقد رفض الأخير المنصب ليعين لعموري بدلاً منه كقائد عليها⁽⁶⁾. بعدها رحل عميروش، وعاد إلى منطقة القبائل تاركا توصيات الصومام، والتنظيم الجديد للثورة الذي ينبغي أن يتم العمل به مستقبلاً.

2.1. المجال الجغرافي والتنظيم السياسي للمنطقة الأولى من الولاية الأولى التاريخية

أصبحت الولاية الأولى تشمل أربع مناطق:

- المنطقة الأولى: باتنة، عين التوتة، بريكة، مسيلة، سطيف، وجزء من برج بوعرييج.
- المنطقة الثانية: أريس، كيمل، خنشلة، عين لقصر (بوعريف).
- المنطقة الرابعة: عين البيضاء، أم البواقي، سدراتة، عين مليلة.
- المنطقة السادسة: تبسة، بئر العاتر، الشريعة، الحمامات.

أما المنطقة الثالثة فحولت الولاية السادسة (الصحراء)، والمنطقة الخامسة ضُمت إلى منطقة سوق أهراس " القاعدة الشرقية"، وكذا تنظيم جديد لجيش التحرير الوطني...⁽⁷⁾

كان هذا النظام هرميا، فقد تشكلت الولايات والمناطق والنواحي والقسمات واللجان الشعبية، فقائد الولاية معه ثلاث نواب: عسكري، سياسي، وأخبار واتصال، ونفس التنظيم موجود في المنطقة والناحية والقسم، في الوقت الذي برز فيه للوجود فرع القضاء والتموين والهلل الأحمر والدرك. أما الدواوير والمشاتي فتم تنظيمها في إطار ما تراه اللجان الشعبية سليما، وما يقدم كإضافة للثورة التحريرية، وكانت تلك اللجان همزة الوصل بين جيش التحرير الوطني، وجميع شرائح الشعب الجزائري.⁽⁸⁾

2. التطور السياسي والعسكري للمنطقة الأولى من الولاية الأولى الأوراس النمامشة* (1956.1959)

أولا: محمد لعموري* مهامه كقائد للمنطقة الأولى (1956.1957)

التحق في أواخر ديسمبر 1956 عميروش بالولاية الثالثة التاريخية القبائل لتقديم تقريره للجنة التنسيق والتنفيذ، واجتمع في وستيلي** ببعض القادة لإنقاذ الولاية الأولى التاريخية مما هي فيها من ظروف (فهي مهد الثورة) وهم لعموري، الحاج لخضر، يحيى المكي، مدور عزوي والطاهر النويشي، واستحوذ الحاج لخضر على الكلمة دون مقدمات مقترحا أن يتولى لعموري مسؤولية المنطقة الأولى، وتمت الموافقة على الفور بالرغم من رفض لعموري لهذا المنصب برده: "اعتقد أن الحاج لخضر أكفأ مني". ولكن الضغط اشتد عليه حتى وافق وساعده الحاج

لخضر كنانب عسكري، وحيحي المكي كنانب سياسي، ويوسف لعلاوي كنانب مكلف بالاستعلامات.⁽⁹⁾ هكذا طبق التنظيم السياسي والعسكري للمنطقة الأولى وفقا لمقررات الصومام.

مهامه:

أول ما قام به لعموري هو نقل مركز القيادة إلى رفاعة غرب باتنة في جبال بلزمة، واستأنف العمل وفق الخطة التالية: رسم الحدود للقطاعات والمناطق رسميا.

- تزويدها بالقيادة ذات الرؤوس الثلاث (عسكرية، سياسية، استعلامات).
- جمع الاشتراكات والمؤمن من جديد، ونجح القائد الجديد في تطبيق رزنامته كون سكان المنطقة مهيكليين ومقتنعين بالعمل الثوري خلافا لما كان عليه طبع سكان المنطقة الثانية*.⁽¹⁰⁾

تلقت قيادة المنطقة الأولى دعوة للتوجه إلى الولاية الثالثة بالرغم من ترددها في البداية إلا أنها حسمت موقفها وذهبت حيث جمع لعموري قادة الأوراس في وستيلي للتداول في الأمر، ويورد الحاج لخضر في تقريره: "أن أغلب القادة كانوا غير متحمسين لدعوة عميروش، وبخاصة مسعود بن عيسى، ولكن لعموري تحمس لذلك ناصحا قومه بعدم قطع العلاقات". وبعد أسابيع وصلوا إلى بني واسيف ثم توجهوا ناحية أقبوا، وكان في استقبالهم عميروش ومحمدي السعيد*، وعقدوا سلسلة من الاجتماعات لدراسة المشكلات التي تتخبط فيها الولاية التاريخية الأولى⁽¹¹⁾ بعد استشهاد قائدها التاريخي مصطفى بن بولعيد، ومحاولة فرار عجول، وردود أفعال عرشه "السراحنة" اتجاه الثورة.

في اليوم الثاني أعلن محمدي السعيد أن لجنة التنسيق والتنفيذ قررت تسيير الولاية التاريخية الأولى بنفسها كان رد فعل لعموري الرفض قائلا: "نحتاج فقط لبعض الوقت وسنعيد وضع الولاية الأولى على السكة، فقد سبق أن بدأنا مع المنطقة الأولى وسينتشر نموذجنا"، فرد عليه محمدي السعيد: "بالمناسبة يا لعموري فقد عينتك لجنة التنسيق والتنفيذ لتمثيل الولاية الأولى"، ذهل لعموري وواصل محمدي السعيد: "إن لجنة التنسيق والتنفيذ هي الهيئة المسيرة للثورة، وللجيش

وسبب وجودها في الخارج لأسباب أمنية لا أكثر، ولحاجتها لمعلومات عن الأوضاع في الداخل فعلى كل ولاية أن توفد ممثلاً إليها مؤهلاً".⁽¹²⁾

غداة هذا الاجتماع تحرك موكب عميروش وعموري، والنويشي باتجاه تونس نحو الشمال القسنطيني وعاد الآخرون متذمرون من عدم عودة لعموري معهم، لكنهم عازمين على تطبيق ما اتفق عليه، ومنددين بأولئك الذين يعملون على إحياء النعرات المحلية... وهكذا نجحت سلسلة الاجتماعات هذه في تكوين قيادة متماسكة للأوراس اعتماداً على كفاءة لعموري وثقافته، وحسم اجتماع أبريل 1957 بتونس مسألة القيادة في الولاية الأولى بإسنادها لممثل الأوراس محمود الشريف، ونوابه بلهوشات، ولعموري، وأنوارورة. وعلى إثر هذا الاجتماع قام لعموري وأنوارورة بتفتيش بعض المناطق والاجتماع بقادتها وتوجيه التعليمات والإرشادات، وقد دون النائبان تقريراً مطولاً عن أوضاع الولاية الأولى رفع إلى قائدها وإلى لجنة التنسيق والتنفيذ.⁽¹³⁾

قررت في أوت 1957 لجنة التنسيق والتنفيذ في اجتماعها بالقاهرة ضم محمود الشريف إلى صفوفها وتكليفه بالشؤون المالية، وتعيين نائبه محمد لعموري قائداً للولاية الأولى بالنيابة، ومعه نوابه: أنوارورة أحمد، عبد الله بلهوشات والصالح بن علي.⁽¹⁴⁾

لقد ساهم لعموري منذ تعيينه في إرساء النظام وتوحيد القيادة في الولاية الأولى، وكان مدركاً بأن بعض القادة توجب إعادتهم إلى الطريق بكل السبل، وكان متشدداً إزاءهم، كما شارك لعموري في اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية بالقاهرة أوت 1957م، وكان الممثل الوحيد عن الأوراس، وبالطبع مال موقفه إلى جانب العسكريين.⁽¹⁵⁾

بعد ترقية لعموري كقائد على الولاية الأولى التاريخية، تولى الحاج لخضر وحيحي المكي بين شهري ماي 1957م وأفريل 1958م قيادة مشتركة على المنطقة الأولى، وقد أرسل إليهما لعموري ما إن وصل إلى تونس جهاز إرسال واستقبال، والذي بواسطته أبلغهما أن لجنة التنسيق والتنفيذ قد عينت الحاج لخضر، ونائبه على رأس الولاية.⁽¹⁶⁾

ثانياً: حيي المكي والحاج لخضر كقيادة مشتركة على المنطقة الأولى (1957-1958)
 بعد تعيين محمد لعموري من قبل لجنة التنسيق والتنفيذ على مستوى القيادة في الولاية الأولى، وسفره إلى تونس تم تعيين حيي المكي*، والحاج لخضر لقيادة المنطقة الأولى (1957-1958) قيادة مشتركة منسجمة، وكانت العلاقة بينهما علاقة احترام متبادلة، فحيي المكي أستاذ في الحياة المدنية متقن للغتين العربية والفرنسية، والحاج لخضر قائداً عسكرياً.

وبواسطة جهاز الإرسال الذي أشرنا إليه سابقاً، والمبعوث من طرف لعموري تم إبلاغ الحاج لخضر بعد فترة وجيزة على تعيينه على رأس الولاية مع علي النمر** رد الحاج لخضر بالرفض باعتبار حيي المكي بحاجة إليه لتسيير المنطقة الأولى فأجابه لعموري: "إنه أمر ويجب الطاعة"، راح الحاج لخضر يتأهب للالتحاق بعلي النمر حتى سمع باستشهاد حيي المكي في اشتباكات مع العدو، وتم نقل الخبر إلى لعموري فرد بمباشرة عمل الحاج لخضر لقيادة الولاية الأولى، وسيتم إرسال إشارات جديدة للمنطقة الأولى، ويذكر الحاج لخضر: "أنه بقي ينتظر لشهور ولم يصله أحد ليغادر هو الآخر للالتحاق بمنصبه الجديد تاركا قيادة المنطقة..."⁽¹⁷⁾

مهامهما:

أ- أولاً حيي المكي:

باعتبار أنه لم يمض وقت طويل حتى توفي وبحكم أنه رجل سياسي، ولشح الكتابات التاريخية عنه، استطعت الوصول إلى بعض أعماله اعتماداً على وثائق أوردها مصطفى مرادة في مذكراته: "نظراً لطبيعة مشاكل القيادة والتشويش التي كانت تعاني منها مناطق الولاية الأولى سطر المكي، واقترح قانون عقوبات داخلي للمنطقة الأولى في اجتماع عقده يوم: 17 جويلية 1957، تضمن فصلين الأول خاص بالجنود، والثاني خاص بالمدنيين تحت إشراف لجنة منتخبة، وسيتم العمل به بعد النظر فيه والموافقة عليه من طرف مجلس المنطقة الذي استحسن العملية، ووجدت ثاني وثيقة وضعها القيادي السياسي المكي سطر فيها أعمال المجالس الشعبية، والتي تأخذ أوامرها

ومهامها من المسؤول السياسي، وثالث وثيقة وضح فيها طبيعة عمل المسؤول العسكري ومهامه".⁽¹⁸⁾

أما رابع وثيقة فقد فيها وظائف مسؤول الأخبار والاتصال وطبيعة تقاريره، وخامس وثيقة بعنوان الاجتماعات حيث أورد فيها نظام الناحية الذي استحدثته وثيقة الصومام بتسطير أعمال مسؤول الناحية ونوابه،⁽¹⁹⁾ وخلاصة القول فإن الرجل كان سياسياً مثقفاً بدا ذلك من خلال الخطط التي رسمها لتنظيم المنطقة الأولى إلا أن الشهادة سبقت مطامحه، وهو في طريقه إلى تونس.

بـ محمد الطاهر عبيدي المدعو الحاج لخضر*

عرفت قيادة المنطقة الأولى شغورا باستشهاد حيحي المكي من جهة، وإبلاغ الحاج لخضر بترقيته لقيادة الولاية من جهة ثانية، لهذا اتجه مباشرة إلى مقر الولاية بكيمل للالتحاق برئيسه علي النمر بل حاول تقصي أوضاع المناطق، وكانت له رحلة عبرها يمكن لنا أن نستشف بعض مهامه عن تنظيم المنطقة الأولى من أبرزها:

- ترك المنطقة الأولى لنوابه متجها نحو كيمل.
- محاولة القضاء على المنشقين والفضوى التي عمت مناطق الولاية التاريخية خاصة في المنطقة الثانية منها.⁽²⁰⁾
- وتشير الكتابات التاريخية إلى أن الحاج لخضر عرف بشدة البأس في مواجهة المجموعات المنشقة والرافضة للقيادة، فطيلة الفترة التي قضاها على رأس الأوراس تميز بلجوئه إلى الحسم الميداني للقضاء على معاقل المشوشين قبل أن ينتهي به الأمر إلى عقد هدنة معهم.⁽²¹⁾
- وأثناء هذه المهمة وبوصوله إلى أريس في جوان 1958 بلغه استشهاد علي النمر، وهنا أحس الحاج لخضر بفراغ رهيب على حد قوله.
- تولى تنظيم مناطق ونواحي الولاية خاصة.
- اهتم الحاج لخضر بالتموين لشعوره بالمسؤولية لإطعام الجنود والمدنيين.

- بناء تحصينات ومخابئ سرية لأغراض مختلفة كالحراسة، والمعالجة وجمع السلاح والذخيرة ولتحصين المعاقبين.
- إعداد معارك ونصب كمائن والتخطيط لها، ومن أشهر المعارك معركة رفاعة في 17 سبتمبر 1958.⁽²²⁾ ففي هذه المعركة أبدت المنطقة الأولى من الولاية الأولى قوة وصرامة قيادتها، فهذه المعركة تزامنت وتأسيس الحكومة المؤقتة الجزائرية في جبال الرفاعة بنواحي مروانة بالمنطقة الأولى بقيادة الضابط الثاني عمار عشي وبصحبة قادة كتائب هم: الضابط محمد الصالح بلعباس، والعمري معجوج، وشارك في المعركة أيضا قادة كتائب من الناحية الأولى، والثانية من المنطقة منهم الضابط الحاج لخضر، والضابط بلقاسم شوف.

كان عدد المجاهدين يفوق 300 مجاهد، ودامت المعركة من الثامنة صباحا إلى ليلة اليوم الثاني، استخدم فيها الجيش الفرنسي بكثافة الطائرات والدبابات ومدفعية الميدان، كانت خسائر الفرنسيين فاقت 200 مابين قتل وجريح، أما خسائر المجاهدين فقدت ب45 شهيد، وعدد كبير من الجرحى والأسرى.⁽²³⁾

في أواخر 1958 م سافر الحاج لخضر إلى القبائل بناء على دعوة وصلته من عميروش للنظر في الوضعية التي آلت إليها الثورة بعد تعذر الاتصال بالقيادة في الخارج وانقطاع التموين، وتم عقده بمنطقة زمورة بتراب الولاية الثانية التاريخية بالقرب من الحدود المشتركة للولايات التاريخية (1، 2، 3) خلال شهر نوفمبر 1958، وعرف بإجتماع عقداء الداخل حضره: "الحاج لخضر، عميروش، أمحمد بوقرة، سي الحواس"، وعقب هذا الاجتماع تم إرسال ذلك التقرير المطالب بعودة قيادة الخارج إلى الداخل لمتابعة الثورة في الميدان، ما جعل قيادة الخارج تستدعي قادة الداخل للاجتماع بهم في تونس من أجل النظر، والتباحث في الأوضاع.⁽²⁴⁾

ما يمكن قوله من خلال تشخيص لمهام الحاج لخضر، وهو على رأس قيادة الولاية الأولى في الداخل أين كان له شرف قيادة على تنظيم المنطقة الأولى، فقد وجدت تداخلا كبيرا بين الوظيفتين صعب

تشخيص مهامه على المنطقة الأولى، وكما أوردناه سابقاً أنه استند إلى بعض نوابه لتسيير المنطقة الأولى كعمار عشي ومصطفى مراردة* الذي راح في التدرج في مناصب مختلفة في المنطقة الأولى من جهة، وتسييرها من جهة ثانية. فقد انتقل إلى باتنة كمسؤول للناحية بالنيابة وبمساعدة العسكري أحمد الجدارمي هذا الذي قام بتدمير مركز درك فرنسي في سريانة، وأسس ثلاث خلايا فدائية في مدينة باتنة، وخلال شهر فيفري 1959 تلقى مراردة رسالة من الحاج لخضر لإنهاء قضية المشبوهين، وباشر ابن النوي في تقصي القضية وتوصل إلى حقيقة مفادها أن الخيانة غير واردة، والحقيقة هي محاولات للتكتل ضد الحاج لخضر ومؤيديه، هذا ما نظمه في تقرير أرسله إلى مسؤول المنطقة آنذاك عمار عشي.⁽²⁵⁾

في الأخير؛ عند مغادرة الحاج لخضر الولاية نحو تونس كانت الوضعية في مجموع إقليمها صعبة من حيث التمويل ونقص السلاح ووضعية المنطقة الأولى منها - موضوع المداخلة - كانت كالآتي:

كان عدد الجنود كاف، وكل ناحية تتوفر على كتائب وعدد الجنود حوالي 1300 جندي، والتأطير مغطى بصورة كاملة في كل الرتب العسكرية، والمؤونة كانت تصل بانتظام، وتم تسجيل نقص في الأسلحة والذخيرة التي تم جلبها من تونس، أما بالنسبة للجانب المالي فكانت الوضعية مريحة جداً بحيث أن المخصصات كانت تكفي تماماً لشراء المؤونة واللباس، مع تسجيل فائض في مخزون في صندوق الولاية.⁽²⁶⁾

ثالثاً: الاستنتاجات

من خلال دراستنا لهذا الموضوع استطعنا الوصول إلى النتائج التالية:

- أجمعت الكتابات التاريخية بأن العامل الجغرافي للأوراس أسهم بشكل كبير في نجاح الثورة بها، وجعل منها معقلاً للثوار، إلا أنه لا يمكن أن ننسى جهود عدد من رجالها أسهموا في جعلها منطقة تاريخية منظمة يقتدى بها في درجة الالتفاف بالمشروع الثوري في مقدمتهم الأب الروحي للثورة مصطفى بن بولعيد.

بن بولعيد، والقضاء على المشوشين، والحصول على الأسلحة، والقيام ببعض العمليات العسكرية، وتنشيط الاتصالات فقد كانت المنطقة الأولى على اتصال بالولاية الثالثة التاريخية سيما فترة حكم لعموري. وما يلفت الانتباه أن هذه القيادات تحكمت لفترات زمنية قصيرة.

- هذه الولاية التي تولاهها محمد لعموري من 1956-1957، وساعده كل من حيحي المكي والحاج لخضر استرجعت فيها المنطقة استقرارها مقارنة بمناطق الولاية الأخرى سيما الثانية، (أريس)، لكن سرعان ما استدعي لعموري للارتقاء لقيادة الولاية الأولى ليحل محله نائبه اللذان وصلهما جهاز إرسال، واتصال منه 1957-1958، إلا أن حيحي المكي نالت منه الشهادة تاركا سجلا سياسيا ومخططات لتنظيم المنطقة الأولى أشرنا إلى محتوياتها سابقا، وكلها توحى عن المستوى الثقافي للرجل وحنكته القيادية، ليواصل الحاج لخضر المهمة لوحده هذا الذي جمع بين الإستراتيجية السياسية والعسكرية؛ إذ اعتمد على كسب تأييد الشعب والحرب النفسية المضادة للعدو، والإشراف على العمليات العسكرية بنفسه.⁽²⁷⁾

هذا النضال السياسي والعسكري جعل منه القائد الثاني للمنطقة الأولى الذي يتم استدعاه للقيادة على مستوى الولاية من طرف لعموري، وقد أبدى الحاج لخضر رفضه للمنصب، إلا أنه التحق بالمنصب كونه أمر توجب عليه الطاعة، وقد قيل عنه أنه لا يحبذ مناصب المسؤولية، وهذا ما لمسنه أثناء تناولنا لمسيرته في المنطقة الأولى.

- كانت أمنية الحاج لخضر القضاء على ظاهرة المشوشين بمناطق الولاية، والتي عدت مشكلة عويصة أزمّت العلاقة بين القيادة، التحق بمنصبه تاركا نوابه لقيادة المنطقة الأولى: عمار عشي، ومصطفى مرادة من ناحية بريكة، وقد قاموا بعمليات عسكرية هامة أثبتت نشاط المنطقة الأولى مرة أخرى كمعركة الرفاعة 1958م، وتأسيس ثلاث مراكز فدائية بباتنة الخوض في قضية المشبوهين.

- في الأخير جدارة وكفاءة وصرامة قيادي المنطقة الأولى من الولاية الأولى سمحت لهم وبسرعة الى الارتقاء في مناصب ومسؤوليات على مستوى الولاية ككل، فقد بلغوا في مجملهم رتبة عقيد على رأس

الولاية الأولى، وتعد أيضا المنطقة الأولى من الولاية الأولى أكثر مناطق الولاية استقرارا وعملا على غرار المناطق الأخرى.

الهوامش

(*) في ليلة 22-23 مارس 1956 م استشهد القائد بن بولعيد، وبقيت الولاية بعد استشهاده فارغة لم يخلفه أحد في قيادتها وبقيت المناطق تسير نفسها والمنطقة الأولى تولاها الضابط الثاني محمد لعموري ثم الضابط الثاني حيحي المكي. ينظر: عمار ملاح: وقائع وحقائق عن الثورة التحريرية بالأوراس الناحية الثالثة بوعريف، دار الهدى عين مليلة الجزائر، ص 116.

(**) ولد سنة 1923 م بالدمون بدوار كيمل درس في الكتاتيب حفظ القرآن، انتقل إلى قسنطينة للدراسة في مدارس جمعية العلماء المسلمين ساهم في التحضير للثورة في منطقة الأوراس، تقلد مهمة مسؤول سياسي نائب شبحاني بشير، ثم تقلد مسؤولية الولاية الأولى بعد استشهاد بن بولعيد، حكمت عليه اللجنة الموقدة من قبل مؤتمر الصومام بالإعدام بسبب الصراعات التي عرفت بها المنطقة بعد وفاة بن بولعيد، استسلم للاستعمار الفرنسي لكنه ظل صامتا بعد الاستقلال سجن في سجن تازولت ثم أطلق سراحه توفي سنة 1992 م ببائنة. ينظر: كتاب المجاهد العقيد الحاج لخضر سيرته وجهاده وخصاله، (تحرير) مسعود فلسوي 2019 م، وأيضاً، مداخلة للدكتوراه جمعة بن زروال: "النضال العسكري للمجاهد الحاج لخضر في مدينة بائنة وجبال الأوراس"، في نفس المرجع، ص 51.

1- مراردة مصطفى، مذكرات الرائد مصطفى مراردة ابن النوي، شهادات ومواقف من مسيرة الثورة في الولاية الأولى، (إعداد وتحرير) مسعود فلسوي، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، ص ص، 63-64.

(*) من مواليد 1915 م بدوار كيمل أريس، انخرط في حركة انتصار الحريات الديمقراطية، أشرف على قسمة لقرين، وأسهم في الإعداد للثورة بالأوراس، حضر اجتماع ليلة الفاتح نوفمبر في دار بولقواس حيث كلف برئاسة فوج والتوجه إلى بائنة لتنفيذ العمليات العسكرية، وفي سنة 1957 م ذهب إلى تونس، وبقي هناك إلى غاية الاستقلال، ويعد عين مسؤولا للمجاهدين ببائنة، وتوفي سنة 1972 م. ينظر: مداخلة جمعة بن زروال، المرجع السابق ص 51.

2- محمد العربي مداسي، مغربلو الرمال-الأوراس النمامشة- (1954-1959 م)، (ترجمة): صلاح الدين الأخضر، منشورات ANEP، الرويبة 2011، ص 219.

3- مصطفى مراردة، المصدر السابق، ص 65.
(**) ولد العقيد عميروش أيت حمودة يوم 21 أكتوبر 1926 م بقرية تاسافت إحدى قرى جرجرة، انضم إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية بغيليزان، كان يشتغل تاجرا وناشطا سياسيا مهتما بتوزيع المنشور وجمع الاشتراكات، اعتقل من طرف السلطات الفرنسية وعاد قبل اندلاع الثورة ليلتحق بصوف المجاهدين ككف مجهوداته لعقد إجتماع الصومام. في 1957 عين كقائد على الولاية الثالثة، بعد إجتماع العقداء 1958 كلف بمهمة مع سي الحواس للاتصال بالقيادة في تونس وتنفيذا لتلك المهمة باتجاه بوسعادة وقع الشبّك مع العدو استشهدا معا في 1959/03/29 م.

4- الطاهر الزبيري، مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين (1929-1962 م)، منشورات ANEP، الجزائر، 2008، ص 169.

5- عمار ملاح، محطات حاسمة في ثورة أول نوفمبر 1954 م، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، ص ص 117-156.

6- محمد العربي مداسي، المرجع السابق، ص 220.

7- عمار ملاح، وقائع وحقائق عن الثورة بالأوراس، المصدر السابق، ص ص 108-109.

8- المرجع نفسه، ص 107.

(*) من مواليد 3 جوان 1923 م بعين ياقوت، كان عضوا في حركة انتصار الحريات، شارك في التحضير للثورة بالأوراس سنة 1956 م رقي برتبة نقيب مسؤولا عن المنطقة الأولى، وفي سنة 1957 م عين عضوا مكلف بالجانب السياسي في الولاية الأولى، وفي نفس السنة أصبح قائدها، عين عضوا في قيادة الأركان للحدود الشرقية، وفي 1959 م. تم اعتقاله وحكم عليه بالإعدام. ينظر: عبدالله مقلاتي، قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2009 م.

9- محمد العربي مداسي، المرجع السابق، ص 247.

10- المرجع نفسه، ص 243.
(**) لقي الطاهر النويشي من سكان المنطقة الثانية اعتراضهم ورفضهم لتعيينه خاصة من عرش التوبة العشييرة الأغلبية في منطقة أريس، وعين أحمد عزوي مكانه فرفض ذلك.

11- مقلاتي عبدالله، "محمد لعموري ومؤامرة العقداء (محاولة إعادة قراءة منفرج حاسم في تاريخ الثورة الجزائرية)"، مجلة أفكار وأفاق، المجلد الرابع، العدد الخامس لسنة 2015، ص 75.

12- محمد العربي مداسي، المرجع السابق، ص 216.

13- عبدالله مقلاتي، المقال السابق، ص 76.

- 14- فتية معروز، التطور السياسي والعسكري للولاية الأولى الأوراس النمامشة (1956-1962م)، مذكرة ماستر، جامعة مسيلة، 2015، ص ص 26-27.
- 15- عبدالله مقلاتي، المقال السابق، ص 76.
- 16- محمد العربي مداسي، المرجع السابق، ص 248.
- (*) ولد الشهيد بعين البيضاء في 25 أكتوبر 1932 م نشأ بها ضمن كتاتيبها ومدارسها وترعرع في حراكها النضالي الوطني الذي ورثه من أبيه (حجي اليمين شهيد انتفاضة 8 ماي 1945م بسوق الاثنين بجاية). عزز نضاله الوطني من الشيخ بلقاسم البيضاي، وزيناى بلقاسم لفته أجديات حركة انتصار الحريات الديمقراطية والمنظمة الخاصة، حاز على شهادة البكالوريا في سن مبكرة كما تحصل على الشهادة العليا بالثانوية الفرنسية الإسلامية بالعاصمة وعين أستاذا بثانوية قسنطينة، في صيف 1956 م عين في مصلحة الكتابة والتحرير بمقر الولاية الأولى لإتقانه اللغتين، لكن سرعان ما تاهل لكفائه مسؤولا عسكريا وقائدا على المنطقة الأولى بوطالب من الولاية الأولى، عرفت فترته صرامة في تطبيق القانون الداخلي كما كان محنكا في القيادة والتخطيط للعمليات العسكرية، ومنتشدا ضد الحركى والقومية، بتاريخ في 1 نوفمبر 1957 م أقيمت الذكرى الثالثة لاندلاع الثورة في العباطشة بأولاد تبان بالمنطقة الأولى، عقد اجتماعا قبل سفره إلى تونس، وأسدى تعليمات وتوجيهات وفي 22 نوفمبر بدأت رحلته التي دامت أسبوع، وعلى اثر وشاية باعته قوات العدو على مشارف سهل الخليج (أحد سهول الحضنة) الذي يطل عليه جبل بوطالب، ووقعت معركة عنيفة انتهت باستشهاده رفقة صالح عبد الصمد، وسدان حفناوي، في 30 نوفمبر 1957م. ينظر: أمانة المجلة، "ملخص مسار الشهيد حجي المكي مستقى من سلسلة أبطال معركة التحرير للمجاهد الأستاذ يوسف علاوي"، مجلة أول نوفمبر، العدد الثامن، 1974 م، ص 32.
- (**) ولد يوم 16 مارس 1925 م في مشنة أم الرخاء بدوار حيدوسة مروانة، حفظ القرآن ثم انتقل إلى باتنة ليواصل تعليمه في مدرسة الأهالي باللغتين، انضم إلى حزب الشعب سنة 1943 م بباتنة، هاجر إلى فرنسا سنة 1948م انخرط في الفريق الرياضي الباتني لكرة القدم (1944-1948 م)، التحق بالثورة في مارس 1955 م كان مسؤول ناحية برتبة ملازم ثاني، ثم مسؤول المنطقة الثانية برتبة نقيب سنة 1957م، ثم عضو قيادة أركان الولاية الأولى برتبة راند استشهد في 6 جوان 1958م. ينظر: مداخلة جمعة بن زروال السابقة، ص 2.
- 17- محمد العربي مداسي، المرجع السابق، ص 248.
- 18- مذكرات الراند مصطفى مرادة، المصدر السابق، ص ص 233-245.
- 19- المصدر نفسه، ص ص 246-251.
- (*) محمد الطاهر لعبيدي المدعو الحاج لخضر ولد بقرية تيقري. دوار أولاد شليح باتنة وسط أسرة فقيرة ماميته أنه شديد التدين ومتمسك بقيم الإسلام، هاجر إلى فرنسا سنة 1936م للبحث عن عمل، وهناك احتك بمهاجرين جزائريين ناشطين سياسيا، تأثر بأحمد الوهراني عاد إلى الجزائر بالضبط إلى عين التوتة بباتنة لامتحان أعمال حره، و أسس خلية سرية بباتنة سنة 1939م، قاد الولاية الأولى 1958-1959م ترأس الجمعية التي أنجزت القلعة الإسلامية بباتنة مسجد أول نوفمبر ومعهد علوم الشريعة. ينظر: كتاب المجاهد العقيد الحاج لخضر 2019، مداخلة أبقو علي: "قراءة في دور الحاج لخضر السياسي والعسكري وتصوره لبناء النظام السياسي ومشروع المجتمع"، ص 65.
- 20- محمد العربي مداسي، المرجع السابق، ص- ص 249-264.
- 21- فتية معروز، المرجع السابق، ص 30.
- 22- محمد العربي مداسي، المرجع السابق، ص 265.
- 23- جمعة بن زروال، المقال السابق، ص 59.
- 24- مذكرات الراند مصطفى مرادة، المصدر السابق، ص 106.
- (*) من مواليد 1928/08/21م بالشعبة قرب بلدية باتنة من أعماله أنه رافق مسؤول ناحية باتنة محمد الطاهر لعبيدي، وبعد إجتماع الصومام عين ملازما، وعضوا متحفظا بقيادة الناحية الرابعة بركة (56/1957م)، وفي 1958م أصبح عضوا في مجلس المنطقة الأولى للولاية الأولى ثم مسؤولا للولاية بالنيابة بعد خروج العقيد الحاج لخضر إلى تونس من أبريل 1958 إلى أبريل 1959م. ينظر. مذكرات الراند مرادة، المصدر السابق.
- 25- المصدر نفسه، ص 104.
- 26- نفسه، ص ص 116-118.
- 27- جمعة بن زروال، المقال السابق، ص ص 63-64.

نشاط الثورة في القسمة الرابعة

المعاضيد نموذجا

ط.د. عبد الرزاق فراحتية. جامعة باتنة-1-

ط.د. فوزي فراحتية. جامعة المسيلة

مقدمة

خرجت وثيقة الصومام المنبثقة عن الإجماع الذي انعقد في 20 أوت 1956 بإستراتيجية شاملة لمختلف المجالات من ضمنها إعادة تقسيم التراب الوطني عسكريا ضمن ما اصطلح عليه بالولايات الثورية أو التاريخية، وعلى رأسها تأتي الأوراس كولاية أولى اشتملت على العديد من المناطق والنواحي والقسيمات والمجالس الشعبية و منطقة المسيلة، كبقية التراب الوطني أصبحت جهتها الشرقية، والتي من ضمنها منطقة المعاضيد المعروفة بطابعها التضاريسي الوعر والمعقد تابعة للقسمة الرابعة من الناحية الرابعة للمنطقة الأولى بذات الولاية.

لقد اعتمدت الثورة بالأساس على الأرياف والمناطق الجبلية لإنجاح إستراتيجيتها العسكرية المبنية على تكتيك حرب العصابات والمباغثة، لتتجاوز بها فارق القوة بينها، وبين جيش العدو من جهة، ومن جهة ثانية اتخاذ تلك المناطق حصونا طبيعية ومخابئ، كما أقامت فيها مراكز صحية وأخري للإيواء فشكلت بذلك قواعد خلفية لمختلف نشاطات جيش التحرير الوطني الأخرى، ومن هنا تأتي أهمية هذا الموضوع كون قرى ومدامر المعاضيد بالمسيلة قدمت الكثير من الدعم اللوجستيكي للثورة فضلا عن الدعم العسكري، وما المعارك التي خاضتها وما قدمته من شهداء إلتا دليل علي ذلك، فضلا عن البيوت والكهوف التي حولها أصحابها إلى مراكز لجيش التحرير، والتي مازالت أثارها إلى يومنا هذا شاهدة على أن الثورة كانت حاضرة بقوة هناك.

اعتبارا لما سبق يمكننا طرح التساؤل الآتي: ماهي إسهامات قرى ومدامر المعاضيد بالمسيلة في الثورة، باعتبارها كانت تشكل قاعدة خلفية للمنطقة الأولى؟

للإجابة على هذا التساؤل تم تقسيم الموضوع إلى عدة محاور :

- * التنظيم العسكري لمنطقة الأوراس 1954 .
- * التحاق المعاضيد (المسيلة) بالثورة 1955.
- * الأهمية الجيوستراتيجية للمعاضيد (المسيلة) بالنسبة للمنطقة الأولى .
- * مراكز المنطقة الأولى بالمعاضيد (المسيلة).
- * أهم معارك المنطقة الأولى بالمعاضيد (المسيلة)

1/التنظيم العسكري لمنطقة الأوراس 1954

انطلقت الثورة بمنطقة الأوراس بقيادة مصطفى بن بوالعيد، وبمجموع مجاهدين بلغ عددهم أزيد من 350 عنصر قسموا إلى أفواج وكل فوج مكون من 10 أفراد أوكلت لها مهمة الهجوم علي مركز العدو الفرنسي في نواحي عدة، كباتنة وخنشلة وبسكرة، وبعد أسابيع تم توسيع المجال الجغرافي للثورة ليشمل مناطق أخرى تم هيكلتها على شكل نواحي عسكرية بلغ عددها 14 ناحية وعلى رأس كل ناحية قائد بتفويض من القيادة المركزية للأوراس، ومن بينها ناحية المسيلة بقيادة عبد الحفيظ طورش، وبانعقاد إجتماع الصومام في 20 أوت 1956 تم إعادة الهيكلة الجيوعسكريه لتشمل كامل التراب الوطني الذي قسم إلى 6 ولايات، وكل ولاية إلى مناطق وقسمات ونواحي ومجالس شعبية (اللجان الخماسية) تتحدد فيها الرتب والمسؤوليات بشكل هرمي⁽¹⁾.

قسمت الولاية الأولى إلى ست مناطق وقد ضمت المنطقة الأولى كل من باتنة، عين التوتة، بريكة، مسيلة، سطيف وجزء من برج بوعريريج، وقد أوكلت مسؤوليتها لمحمد العموري ثم مكى حيحي، وتراب المسيلة قسم بين الولاية الأولى والولاية الثالثة والولاية السادسة والمعاضيد بجبالها ومداشرها وقراها كانت تابعة للقسمة الرابعة من الناحية الرابعة للمنطقة الأولى الخاضعة للولاية الأولى (الأوراس) كما سبق ذكره وهذه القسمة (الرابعة) تضم إلى جانب المعاضيد قرى الزيتون، المطارفة، مزيرير، البراكتية والمسيلة في جزئها الشرقي، أما المعاضيد فتضم عدة تجمعات سكنية (الداشرة، السرايش، بشارة الصماير، أولاد شعيب)، وبهيكلتها العسكرية حوت أربع مراكز واقعة في عمق الجبال محاطة بعديد المداشر.

2/ التحاق قرية المعاضيد بالثورة 1955:

إن الأهمية الجيوستراتيجية للمعاضيد وحصانيتها الطبيعية جعلها من المناطق الأولى التي انتشرت بها الثورة، واستقطبت الأفواج الأولى من المجاهدين، وفي هذا الصدد تسلفت إليها طلائع المجاهدين قادمة من الأوراس في أواخر سنة 1955، التي كان يقودها المجاهد علي النمر الذي دخل تراب المعاضيد على رأس فوج في طريقه إلى الولاية الثالثة مبعوثاً من قائد الولاية الأولى مصطفى بن بولعيد، وبعد أداء مهامه في الولاية الثالثة عاد علي النمر أدراجه على رأس جيش مكون من 60 مجاهداً، حيث استقبله سكان بحفاوة وحماس كبيرين عبرتا عن اعتزاز السكان بمجاهديهم وثورتهم؛ رغم الحيلة والحذر الملازمين للترحيب لأن الثورة مازالت غير منتشرة بكثرة في المنطقة.

أقدم القائد علي النمر على إلقاء خطبة حماسية لأهالي المعاضيد شرح فيها الخطوط العريضة للثورة وأهدافها السامية داعياً سكان المنطقة إلى ضرورة احتضانها ودعمها بما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ثم مكث بالمنطقة ثلاثة أيام، قام خلالها بتقسيم الجيش إلى فرقتين، فرقة بقيادة الشاب محمد أورحال تتولى المناطق الشمالية المحاذية للمعاضيد (برج الغدير- غيلاسة، والمناطق المجاورة لها)، وفرقة ثانية بقيادة بلقاسم شنوف تتولى قيادة القسمة الرابعة بما فيها المعاضيد والمناطق المجاورة لها أين تتواجد أهم مراكز جيش التحرير، وبعد استكمال عملية التنظيم عاد علي النمر وجنوده إلى الأوراس واستكمل خليفته على المعاضيد تكوين فرق من الفدائيين، والتي تتكفل بمختلف المهام كربط الاتصال مع المجاهدين، وجمع الاشتراكات وجلب المؤونة والقيام بالأعمال الصحية، وكانت هذه التعيينات كلها تتم تحت إشراف اللجنة الخماسية التي تم تنصيبها من طرف أول مسؤول سياسي يدخل المعاضيد، وهو السيد كبوية ابراهيم.

يقول المجاهد مزعاش ابراهيم في رواية أخرى أن الطلائع الأولى للثورة بالمناطق الشمالية للحضنة "جبال المعاضيد" قد بدأت تظهر منذ جوان 1955، وذلك بعد ظهور أشخاص غرباء عن المنطقة اتخذوا من الجبال الشمالية منطقة عبور لهم ومن ثم بدأت اتصالاتهم بسكان المنطقة.

ذكر طرف آخر أنه وبتاريخ 20 جوان 1955، وبمنطقة أولاد خلوف مرّ فوج من الثوار قادما من الولاية الأولى عبر جبال بوطالب والمعاضيد في طريقه نحو الولاية الثالثة، لكن القوات الفرنسية تمكنت من كشفه والاشتباك معه فاستشهد 06 مجاهدين منهم عبد القادر يحياوي وتم القبض على أربعة آخرين.⁽²⁾

أدى تشكيل الأفواج الأولى للثورة بالمنطقة إلى ربط الاتصالات مع مجاهدي المناطق المجاورة بهدف تكوين قاعدة خلفية للثورة بالمنطقة لدعم عمل المسلحين في الجبال ومنهم "وعواع المدني، كبوية ابراهيم، مزعاش ابراهيم بوضياف عبد الرحمن مجاهد المدني... الخ، ومن الأوائل الذين التحقوا بالثورة بجبال المعاضيد نذكر، براهيمي إبراهيم، مقري علي بن المبروك، زلوف الحركاتي، سليمان الدراجي، محمود الحاج بن علي، سلامي الجغلولي، بإشراف كبوية ابراهيم، وعواع المدني وبورزق عبد المجيد.⁽³⁾

3/ الأهمية الجيوستراتيجية لقرية المعاضيد:

تعتبر الحضنة (المسيلة) بصفة عامة والمعاضيد بصفة خاصة ذات طبيعة تضاريسية هامة وموقع جغرافي مميز من خلال توسطها مناطق الشرق والغرب ومنطقة ربط واتصال بين مناطق الثورة في الولاية الأولى والثالثة والسادسة بعد إجتماع الصومام 20 أوت 1956، وقد شكلت الجبال أهمية طبيعية بسلاسلها المترابطة أين كانت بمثابة ممرات مختصرة لطرق جيش التحرير الوطني من جهة ومناطق اختباء وتجنيد في مغاراتها وكهوفها من جهة ثانية، وبحكم جوارها وتماس حدودها مع الولاية الأولى، والتي تركزتها أغلب العمليات العسكرية في بداية الثورة فإن قري المعاضيد كانت نقطة ربط واتصال خاصة بين الولاية الأولى والولاية الثالثة، وقد ساعدها في ذلك حصانتها الجبلية عبر سلسلتها الممتدة من جبال بوطالب في الشرق، وجبال المعاضيد، وجبال أولاد خلوف في الوسط إلى جبال الدريعات، وونوغة ووصولاً إلى جبال البيبان بالولاية الثالثة (القبائل) غرباً.

شكلت جبال المعاضيد ملجأ ومأوى للكثير من المناضلين الراغبين في الالتحاق بالثورة والتجنيد في صفوف جيش التحرير الوطني، وأيضاً

المطاردين من طرف السلطات الاستعمارية وحتى القادمين من مناطق بعيدة، أين تكونت الأفواج الأولى لجيش التحرير الوطني وعرفت تواجد كبار القادة فيها.

كانت هذه المراكز إما دائمة "ثابتة" في المناطق التي يسيطر عليها جيش التحرير الوطني والبعيدة عن أعين العدو، حيث كانت تعقد بها الاجتماعات، ويتم بها تخطيط العمليات العسكرية، وتتواجد بها مراكز صحية وقلاع للحراسة وأماكن للتدريب كما كانت هناك مراكز أخرى غير ثابتة (متنقلة)، ويؤكد المجاهد عبد المجيد بورزق وجود عدة مراكز أخرى لجيش التحرير بالسفوح الشمالية للجبال مثل مركز "لعوييد"، ومركز أولاد سيدي منصور بالمعاضيد.⁽⁴⁾

شهدت المنطقة عبور عدد كبير من قوافل المجاهدين وقادة الثورة سواء في إطار الإرساليات المتوجهة الى الولاية الثالثة، أو في إطار مهمات جلب الأسلحة والقيام بمهمات عسكرية مختلفة بداية كمرور فوج علي النمر، شنوف بلقاسم، محمد أورحال، أو في إطار مهمة نشر الثورة.⁽⁵⁾

يذكر المجاهد بن عمر رابح أنه؛ وبعد توسع الثورة بدأت الدوريات تتوالى ذهابا وإيابا من وإلى تونس محملة بالأسلحة والذخيرة الحربية، كما بدأت العمليات العسكرية تتوالى وتتوسع شيئا فشيئا متخذة من طريق جبال بوطالب، وجبال سيدي سحاب، جبال المعاضيد، وأيضا أصبحت هذه المناطق تمثل مراكز تنقل، وتمركز لضباط جيش التحرير أمثال العقيد عميروش، عمر بن بولعيد، عبد القادر غزيل، شيخ يوسف اليعلاوي، صالح نزار، الحاج لخضر سليمي، بركات أحمد المكي حيحي، مصطفى بن النوي علي النمر... الخ⁽⁶⁾ وتؤكد شهادات أخرى مدى الأهمية الكبيرة للمنطقة من حيث تنقل وعبور قادة الثورة الكبار لجلب الأسلحة، أو القيام بعمليات عسكرية منها تنقل أكثر من 250 مجاهد من المنطقة الأولى التحقوا بالمنطقة الثالثة منهم عمار بوليف، ومحمد لعموري، سعيد بن عيسى بهدف المشاركة في إجتماع الصومام لكنهم وجدوا أن أشغال الإجتماع قد انتهت، ولم تقتصر أهية المنطقة في كونها مركز عبور، وتنقل فقط بل كانت أيضا منطقة لشن عديد الهجومات

على قوات العدو وجلب السلاح والذخيرة وتأمين الطرق في كل الأوقات مثل الهجمات التي شنها حوالي 50 مجاهدا على المزارع التابعة للكلون في مدينتي رأس الواد وبرج الغدير وعلى شاحنات التموين الفرنسية قرب منطقة أولاد خلوف مثل مركزي (شارن وسيقي) خصصا لتجميع وتخزين المؤونة للجيش الفرنسي.⁽⁷⁾

4/ مراكز الثورة بالمعاضيد (المسيلة)

أمام الطوق العسكري الذي فرضته قوات الجيش الفرنسي على منطقة الأوراس ورغبة منها في توسيع مجالها الجغرافي ليشمل مزيدا من المناطق اتخذت الثورة الجزائرية من الجبال والمرتفعات الوعرة حصونا طبيعية، ومن الأرياف المحيطة بها مراكزا لمختلف العمليات العسكرية واللوجستية، وفي هذا الإطار كان الاهتمام بقرية المعاضيد التي أسس بها جيش التحرير الوطني أربعة مراكز كالتالي:

1/ مركز كشرود أحمد (قرين)

ينسب هذا المركز للمجاهد المرحوم كشرود أحمد (1911.1983)، وأصله من اولاد دراج التي تبعد عن المعاضيد بحوالي 22 كم، حيث قام رفقة مجموعة من الشباب، ومنهم قراس أحمد بن عبد الله، وبلعربي عمر بن البوهالي، بن عثمان عبد الحفيظ، وغيرهم من ذوي الخبرة السياسية والكفاءة العسكرية والحس الوطني العالي بتأسيس هذا المركز ببيته نظرا لموقعه الإستراتيجي، فمن الشمال تحده الجبال، ومن الشرق الوادي المحاذي لقلعة بني حماد، ومن الجهة الجنوبية والغربية غابات كثيفة تضمن عدم كشف الوافدين، أو المغادرين للمركز.

فيما يخص هيكل المركز فهو يتكون من ثلاثة غرف، الغرفة الأولى واسعة مخصصة لاستقبال الضيوف وعقد الاجتماعات، والغرفة الثانية عبارة عن مطبخ قائمة عليه زوجة كشرود أحمد ومن معها من النساء لإطعام المجاهدين؛ أما الغرفة الثالثة مخصصة لإيواء العائلة، وفي الجهة الجنوبية وجود دكاكين أحدهما مخصص للخياطة والثاني لتخزين المؤونة وكلاهما يطل على فناء خاص بالمركز، وحول هذا الأخير توجد العديد من المخابئ (كازمات).

تم تأسيس المركز مباشرة بعد مجيء الطلائع الأولى لجيش التحرير التابع للولاية الأولى أو ما اصطلح عليهم بالمبشرين سنة 1956 من طرف قريشي عبد القادر، وبن عمر رابح، وقد أسند المركز لصاحبه كشرود الذي كان يقوم بالمهام التالية:

- تحضير الاجتماعات التي كانت تعقد بين الضباط والجنود.
- جمع المؤن والسلع وتوزيعها على بقية المراكز.
- القيام بشؤون الوا فدين على المركز من إطعام ومبيت.

ظل المركز في خدمة الثورة من سنة 1956 الى غاية سنة 1959 حيث تعرض بمعية منازل القرية الى قصف بطائرات الحلف الأطلسي فنال نصيبه من الحرق والتدمير، ومن نجا من الأهالي هاجر.⁽⁸⁾

ب/ مركز غار الشط

عبارة عن مغارة مهجورة توجد بقرية الزرايف الجبلية الواقعة غرب المعاضيد، وتم اختيارها كمركز لارتفاعها، والذي يصعب معه الوصول إليها إلا بتسلق الجبال، كما يعتبر موقعا آمنا لأنه يتوسط سكان القرية المشهود لهم بإخلاصهم للثورة وإلى جانب ذلك يتوفر على الماء، والمغارة التي تم اتخاذها مركزا واسعة جدا غير محدودة المساحة، ولم يصل أحد إلى نهايتها كما تشتمل على عديد التفرعات باتجاه أعماق الجبل، كان يضاء جزء منها بواسطة الشموع أو القناديل التقليدية.⁽⁹⁾

خصص المركز لعلاج المصابين من جرحي مجاهدي جيش التحرير التابعين للمنطقة الأولى، بحيث يتم نقلهم الى أعالي المركز عبر الحبال، وكان يشرف عليه طبيب ينحدر من ولاية قسنطينة اسمه الحاج بوليلة، ويساعده مجموعة من الممرضين أمثال الشريف بوراية، ومختار حشيشة وحسين البرايحي، فكان غار الشط حقيقة عبارة عن مستشفى يستقبل فيه حتى المدنيين الذين تعرضوا لوابل من القصف بالطائرات والمدافع.⁽¹⁰⁾

احتوى المركز علي مجموعة مخابئ خصصت لتخزين الأدوية التي يتم جلبها بصعوبة بالغة نتيجة الحصار المفروض على المنطقة من

قبل القوات الفرنسية، وقد تولت المنظمة المدنية المحلية جميعها وإرسالها في طرود الى مقر القسمة، ومن هناك إلى مركز الناحية بعد أن يتم تسجيلها في محضر الصيدلي الجهوي بالرغم من أن الكميات كانت محدودة ووسائل الإسعاف قليلة وأحيانا نادرة فضلا عن نقص الأطباء والمرضيين ليس فقط في الولاية الأولى لكن في كامل التراب الوطني، وهي من جملة الصعوبات التي عانت منها الثورة في المجال الصحي عموما، ونستطيع القول أن مركز غار الشط قدم خدمات جليلة للمرضى سواء مجاهدين، أو مدنيين، حيث بذل القائمين عليه كل الجهد سواء ما تعلق بحراسة مخابئ الأدوية التي كان يشرف عليها مجاهد برتبة عريف، أو التخفيف من معاناة المصابين بما توفر من معدات جزء منها طب تقليدي طبيعي.⁽¹¹⁾

استمر نشاط المركز من سنة 1956 إلى غاية سنة 1959 أين علمت القوات الفرنسية بوجود مجموعة مجاهدين به فحاصرتهم بقوات ضخمة، ووقع الاشتباك الذي دام يوما كاملا أبلى فيه رفقاء القائد الدراجي سايجي بلاء حسنا اسقطوا من خلاله عددا لا بأس به من القتلى في صفوف العدو.⁽¹²⁾

ج/ مركز سرايش محمد

ينسب لصاحبه سرايش محمد بن أحمد لخضر ولد سنة 1931، ونشأ في قرية السرايش الواقعة في أعالي جبال المعاضيد، التحق بالكتاب وحفظ نصف القرآن، اشتغل بالفلاحة، وبعدها بتجارة المواد الغذائية وانضم الي صفوف جيش التحرير الوطني سنة 1956 وبعد اجتماع القائد محمد أورحال رفقة شنوف بلقاسمبأهل القرية عين مسئولاً عن المركز الذي تم استحداثه في بيته، كما تم تعيين لجنة خماسية وفق مقاييس الكفاءة والخبرة والالتزام وهم لبوازدة لخضر، بيسار موسى، الطيب برحال، وقويسي عبد القادر وبن عمر رابح، وتشكيل مجموعات الفدائيين التي كانت تؤمن طريق المجاهدين العابرين لتونس لإحضار الأسلحة، وتقوم كذلك بتخريب للجسور لقطع الطريق علي القوات الفرنسية القادمة للمنطقة والاستيلاء على مواشي المعمرين لتقديمها غذاء للمجاهدين العابرين للمركز.⁽¹³⁾

استمر عمل المركز ثلاث سنوات إلى غاية 1959، ويذكر السيد سرايش محمد أن مركزه حضي باستقبال العقيد عميروش الذي مر من هناك وحسب شهادته أيضا فقد حطت مروحية الجنرال ديغول بالمكان المسمى أم الشويشة مقابل جبل الرحمة، وقلعة بني حماد بالمعاضيد، وفيما يخص نهاية نشاط المركز يوضح الشاهد أنه بتأسيس القوات الفرنسية لثكنات لها في قرى جعونة والزيتون وبشارة، وأولاد شعيب ضيقت الخناق علي المجاهدين الذين صار مجيئهم نادرا للمركز وهكذا انتهى نشاطه.⁽¹⁴⁾

د/ مركز الجفين

يقع هذا المركز بقرية الجفين التي تبعد بحوالي 5 كم عن بلدية المعاضيد حاليا وسط مرتفعات جبلية معقدة وصعبة (شعاب ووديان) فمن الجهة الشرقية تحده مياه وادي شعبة رأس بن رزيق، ومن الجهة الغربية وادي الصفيصفية، ومن الجهة الجنوبية جبل الشلخة الحمراء، ومن الجهة الشمالية منطقة تالتمدة المشهورة بمعارك جيش التحرير.⁽¹⁵⁾

والمركز عبارة عن منزل مبني بالحجارة ويتكون من عدة غرف مغطاة بأغصان الأشجار والطين والقرميد، لصاحبه ضيف الله أحمد بن عمر المولود بالمعاضيد سنة 1914 حفظ القرآن وهو صغير، والتحق بالثورة، حيث عينه محمد أورشال بعد وصوله مع جيشه هناك مسولا عن المركز سنة 1956، وقد ساعدته ثقافته للقيام بتدوين المؤونة، وكتابة الرسائل وقراءة المراسلات من وإلى القيادة.⁽¹⁶⁾

استمر المركز سنة 1959 في ايواء وإطعام المجاهدين وتسهيل مرورهم إلى بقية المناطق، لكن بعد تأسيس الجيش الفرنسي لثكنة له في قرية بن صوشة شهر مارس من نفس السنة ضاق الخناق عليه، وبعد اكتشافه وقعت معركة تالتمدة الشهيرة حيث حشدت لها فرنسا 600 جندي مدعمة بـ 50 طائرة مختلفة الأنواع و5 دبابات، وبالمقابل دخل جيش التحرير المعركة بكتيبة وفصيلة مدعمة بفرقة الكومندوس بقيادة اسماعيل بورادي ومحمد حجار، وقد تمكنوا من إسقاط طائرة للعدو؛ وبالمقابل تم تدمير المركز وإحراقه فنقل الى منطقة بشارة في منزل نسال عمر.⁽¹⁷⁾

4/ أهم المعارك التي قامت بالمنطقة

عرفت المعاضيد منذ التحاقها بالثورة العديد من المعارك والعمليات العسكرية، والتي تنوعت بين هجمات خاطفة (كر وفر)، أو في شكل معارك دامت ساعات طويلة، ورغم أن الجهة كانت مركز تنقل، وعبور بالدرجة الأولى نظرا لحصانتها الطبيعية إلا أنها عرفت العديد من العمليات والمعارك العسكرية والبدائية كانت مباشرة بعد تنصيب فرق الضدانيين بالمنطقة أين تم حرق وتخريب مقر مركز الفرقة الثانية من الجيش الفرنسي المتواجدة بقرية "بشارة" أين تم تخريب مكتب القائد وقطع خيط الهاتف الرابط بين القائد العسكري في المعاضيد ومقر القيادة بولاية المسيلة.⁽¹⁸⁾

***معركة جبل المعاضيد أوائل 1956:** وهي من أبرز المعارك التي وقعت سنة 1956، فقد حشدت فرنسا جيشا كبيرا مؤلف من قوات برية، وأخرى جوية في مواجهة 35 مجاهد بقيادة وعوac محمد الهادي أين استشهد معظم جنود الفرقة من بينهم عرسلان النوي، بيسار محمد، بيسار الطيب وأسر ساعد جلول، ورغم وصول الكثير من المجاهدين للمساعدة بقيادة الطيب بوعجاج، إلا أن وصولهم كان متأخرا.⁽¹⁹⁾

كما قامت فرقة من المختصين في زراعة الألغام بقيادة حجاب ابراهيم بوضع مجموعة من الألغام في الطريق الرابط بين جعونة والمعاضيد وأسفر عن تدمير سيارة جيب وقتل وجرح من فيها .

***معركة بسور 26 أفريل 1956:** اشتبكت فيها فرقة من جيش التحرير مع القوات الفرنسية، والتي حاولت القضاء على المجاهدين أين استشهد أكثر من عشرين مجاهد، من بينهم بزراع عبد القادر، البشير زازو، الجدي مبروك، وبورزق محمد كمال، زرقين مسعود وبن زيد محمد.... الخ، شهدت المعركة سقوط عدد من جنود الاحتلال الفرنسي.

***معركة ولجة الستين 1956:** عرفت اشتباك بين المجاهدين بالمعاضيد والقوات الفرنسية ونتيجة الهلع والارتباك الذي حصل في صفوف العدو فقد تم سقوط العديد من القتلى نتيجة نيران صديقة.⁽²⁰⁾

*معركة الزيتون جويلية 1956: تحت قيادة شنوف بلقاسم حيث كان عدد المجاهدين المشاركين حوالي 75 مجاهد، ودامت المعركة يوما كاملا واستشهد فيها 14 مجاهدا معظمهم من المثقفين مما أعطاها صدى كبير، وقدرت خسائر العدو أكثر من 80 جنديا رغم اشاركه لسلحه الجوي.⁽²¹⁾

*اشتباك سبتمبر 1956: قام الطيران الحربي الفرنسي بالإغارة على مركز العوييد بالمعاضيد (مركز بورزق محمد الطاهر)، وذلك أثناء مرور فيلق بقيادة الولاية الأولى باتجاه الأوراس بعد إجتماع الصومام أين تم تدمير المركز وسقوط بعض الجرحى في صفوف المجاهدين.

*حملات تفتيش وتصفية 10 ديسمبر 1957: في إطار حملات التفتيش التي كان يقوم بها العدو بحثا عن المجاهدين، وإرهاب السكان بغية إبعادهم عن الثورة قام بتنفيذ 30 عملية اعدام في حق السكان منهم فراحتية العياشي، وعثمانية عبد الحفيظ، وقراس محمد، وقراس المسعود، بن طرشة محمد، وبورزق عبد القادر وآخرون.⁽²²⁾

*معركة تالمدة 26 أفريل 1958: التي استمرت من الصباح وحتى الليل حيث اشتبكت كتيبة من المجاهدين مدعمة بفضيلة من الكوموندوس تحت قيادة المسؤول العسكري للناحية الرابعة للمنطقة الاولى محمد حجار، والتي كانت تضم 250 جنديا بالإضافة الى فوج صنع الألغام بقيادة حجاب ابراهيم⁽²³⁾ والعبيدي عبد الله مع حوالي 6000 عسكري مدعمين بمدافع بعيدة المدى وتحت غطاء أكثر من 20 طائرة من مختلف الأنواع، و أسفر عن وقوع خسائر معتبرة في صفوف العدو الفرنسي، وإسقاط طائرة مقابل استشهاد حوالي 16 مجاهدا من بينهم نائب قائد الكتيبة اسماعيل بورادي فضلا عن العديد من الجرحى.⁽²⁴⁾

أما فيما يخص الإجراءات الفرنسية للقضاء على الثورة بالمنطقة، فقد عمدت إلى زيادة عدد وحداتها العسكرية في المنطقة وتطبيق العديد من المخططات والعمليات منها عملية شرارة التي شنتها القوات الفرنسية على جبال الحضنة من البيبان غربا إلى جبال بوطالب شرقا بداية من جويلية 1959، ودمرت خلالها العديد من القرى، وقتلت الكثير من المجاهدين والمدنيين ورحلت قرى بأكملها الى مناطق أخرى أعقبتها

عمليات تمشيط أشرف عليها جنرالات كبار لتعقبها عملية المجهر (المنظار) الكبيرة والضخمة، كما تم قبلة المنطقة بواسطة الطائرات (الطائرات السوداء) من نوع (T.D) و(26.B) الحاملة للقنابل الضخمة والطائرات الحاملة للمتفجرات (نابالم) مثل قصف قرية أولاد سيدي منصور 1959.⁽²⁵⁾

الخاتمة:

من خلال هذا العرض الذي تناول جزءا من تاريخ الحضنة (المسيلة)، وبخاصة منطقة المعاضيد إبان الثورة التحريرية يمكن استخلاص النتائج التالية:

أقامت الأوراس كمنطقة ثم كولاية تنظيما جيوعسكري محكم تجاوزت به فرق القوة بين جيش التحرير، وجيش الفرنسي وأدارت معركة التحرير في هذا الجزء من التراب الوطني باقتدار، وتفوق كبيرين على العدو.

استطاعت المنطقة الأولى من الأوراس توظيف المجال الجغرافي التابع لها، والذي يتميز بطابعه التضاريسي الوعر، والمعقد (سلسلة الاطلس الصحراوي) في إقامة قواعد خلفية داعمة للثورة عسكريا ولوجستيكا.

كانت جبال الحضنة بالمعاضيد حلقة الربط والاتصال بين الولاية الأولى (الأوراس) والولاية الثالثة (القبائل)، والرابعة (العاصمة) فخفضت بذلك الخناق الذي فرضه العدو الفرنسي علي المجاهدين، وحلت إلى حد ما مشكلة الاتصال والتنسيق التي كانت تعاني منها الثورة قبل التحاق قرى، ومدامر المعاضيد بالثورة.

- تراب بلدية المعاضيد حاليا شكل أثناء الثورة مجالا حيويا لنشاطات الثورة المختلفة حيث أقيمت عليه العديد من مراكز الإيواء والصحة للمجاهدين، وحتى المدنيين فضلا عن المعارك العسكرية التي كانت المنطقة ساحة لها طوال سنوات الثورة.

- سكان قري ومدامر المعاضيد سجلوا حضورهم بقوة أثناء الثورة بما قدموه من دعم مادي لها (الاشتراكات المالية، إيواء المجاهدين، التكفل بعلاج الجرحى) فضلا عن قائمة الشهداء التي قدموها فداء للوطن.

كما يمكن التأكيد على أن القواعد الخلفية التي أنشأتها المنطقة الأولى من الولاية الأولى، قد ضمنت وبشكل كبير من خلالها استمرار نشاطها العسكري وديمومتها الثورية متجاوزة بذلك الحصار الذي فرضته قوات الاحتلال على الأوراس منذ اندلاع الثورة الجزائرية، وتبقي أطلال وآثار تلك القواعد الخلفية، والتي مازالت موجودة إلى يومنا هذا شاهدا على أن منطقة المعاضيد قد خطت اسمها بحروف من دم، وناز في سجل الذاكرة الوطنية وتاريخ هذا البلد المفضى.

الهوامش

¹-عمار ملاح، وقائع وحقائق عن الثورة التحريرية بالأوراس، دار الهدي، عين مليلة، 2003، صص، 107.106

* ابراهيم كوية ابن مدينة المسيلة، ناشط ثم عضو في حركة انتصار الحريات الديمقراطية بعد اندلاع الثورة تولى عدة مناصب بالمنطقة الأولى ثم عين كاتبا لعمر بن بوالعبد، ينظر، المنظمة الوطنية للمجاهدين، مجلة 01نوفمبر1954، العدد106، صص32.31

²-مديرية المجاهدين لولاية المسيلة شهادة المجاهد بن عمر رابح بن السعيد.

³-مديرية المجاهدين لولاية المسيلة شهادة المجاهد بن عمر رابح بن السعيد، مرجع سابق.

⁴-مقابلة مع المجاهد زغبة احمد يوم 10 ديسمبر 2019 .

⁵-شهادة مجموعة من المجاهدين مسجلة ومحفوظة لدى الباحث بن جدو محمود.

⁶-عبد القادر ماجن، مجلة 01 نوفمبر، العدد 106، صص 171.

⁷-المنظمة الوطنية للمجاهدين لولاية المسيلة الندوة الولاية الثالثة لكتابة تاريخ الثورة من 1956 إلى 1960، صص 17.

⁸-شهادة الأخوين رابح وساعد حول مركز والدهما أحمد كشرود بتاريخ 19أفريل2014، متحف المجاهد بالمسيلة

⁹-محمد التومي، "نظرة عامة عن التنظيم الصحي في أحدي الولايات خلال الثورة التحريرية"، مجلة أول نوفمبر، 1954، المنظمة الوطنية للمجاهدين، ع 54، 1982، صص 34

¹⁰-شرح مقدم من طرف ضيف الله السعيد موظف بالمركز الثقافي، الشهادة مدونة بالمركز الثقافي ببلدية المعاضيد .

¹¹-عبد الحفيظ أمقران، "التنظيم الصحي اثناء حرب التحرير"،مجلة أول نوفمبر1954، ع 19، المنظمة الوطنية للمجاهدين، نوفمبر1979، صص28.

¹²-المنظمة الوطنية للمجاهدين بالمسيلة، التقرير الجهوي للولاية الأولى لأحداث الثورة التحريرية 1959.1962، صص59.

- 13- محمد سرايش، شهادة حول الثورة، تسجيل مصور، متحف المجاهد بالمسيلة، 2014/1/5.
- 14 - محمد سرايش، المصدر نفسه .
- 15- سجل خاص بالمراكز التابعة للقسمة الرابعة الناحية الرابعة المنطقة الأولى الولاية الأولى، المركز الثقافي لبلدية المعاضيد، المسيلة.
- 16- محمد سرايش، مصدر سابق.
- 17- الوطنية للمجاهدين بالمسيلة، السجل الذهبي لشهداء الثورة التحريرية الكبرى لولاية المسيلة، 2010، ص90.
- 18- مديرية المجاهدين، "شهادة المجاهد بن عمر رايح، مكتوبة وموثقة"، تاريخ الشهادة 10-08-2007، ص - ص06-07.
- 19- عبد القادر ماجن، المصدر السابق، ص 81.
- 20- مديرية المجاهدين، شهادة المجاهد بن عمر رايح .
- 21- شهادة المجاهدين زرواق أحمد ، فراحتية الطاهر (قرين) .
- 22- المنظمة الوطنية للمجاهدين بالمسيلة.
- 23- شهادة المجاهدين بورزق عبد المجيد، نقاز سالم وفراحتية الطاهر.
- 24- الندوة الولائية لكتابة تاريخ الثورة بالمسيلة للفترة 1956 - 1958.
- 25- شهادة المجاهد أحمد زرواق .

التناول التاريخي لتكنولوجيا الثورة الجزائرية

- ناحية بريكة أنموذجا-

د. نورالدين بن قويدر

جامعة باتنة-1-

مقدمة

نتناول هذه الورقة البحثية موضوع تطورات الثورة الجزائرية بناحية بريكة، والذي تندرج دراسته في سياق إعادة كتابة التاريخ الوطني، أما إشكاليته فتتخسر في سؤال محوري هو: كيف يمكن تناول أحداث الثورة التحريرية تاريخيا بناحية بريكة تصنيفا وترتيبيا وتحليلا وبرؤية أكثر دقة وحيادية وبعيدة عن الإساءة والتحريف؟ بهدف عرض قراءة جديدة، ومحاولة الإحاطة بتاريخ المنطقة بكتابة علمية، وتعوض الكتابة الأسطورية، أو المسيئة، ولبلوغ ذلك جاءت الخطة معالجة لمحاور رئيسية هي: دور ناحية بريكة في ليلة أول نوفمبر 1954، من حيث الاستعدادات والتحضيرات، وظروف العمليات التي نفذت في تلك الليلة الموعودة، ثم تبيان إسهامات فصائل جيش التحرير، والجماهير الشعبية بناحية بريكة في الثورة التحريرية.

أولا- دور ناحية بريكة في ليلة أول نوفمبر 1954

أ- الاستعدادات والتحضيرات

بعد أن شرع قائد المنطقة الأولى التاريخية مصطفى بن بولعيد في تنظيم الأفواج وتحديد المهام لكل النواحي، قامت ناحية بريكة بإعداد نفسها ماديا وبشريا لثورة التحرير،⁽¹⁾ ومن بين 25 فوجا مكلفين بالهجمات ليلة الفاتح من نوفمبر في المنطقة الأولى، عين فوج بقيادة ثلاثية تكونت من "محمد الشريف سليمان، والصادق بن دايدة ومنصور فوغالي"، وكلفوا بالهجوم على أهداف محددة،⁽²⁾ وبعد أن منحت ناحية بريكة حصتها من السلاح بأمر من مصطفى بن بولعيد⁽³⁾ بدأت التحضيرات بجدية؛ علما أنّها كانت تمثل الناحية الرابعة والمقسمة بدورها إلى أربعة قسّات ضمت الأولى: نقاوس، أولاد عوف، أولاد سي سليمان وغيرها، وضمت الثانية: بريكة والجزار، القصبات، متكعوك، وضمت الثالثة: مقرة، برهوم، عين الخضراء، أما

الرابعة فقد جمعت: المعاضيد، المسيلة، والزيتون، وتوفرت للناحية كتيبتين، أو ثلاثة كتائب.⁽⁴⁾ ورغم المشاكل اللوجيستكية⁽⁵⁾ إلا أنه بمجرد وصول السلاح انتهى التحضير، وبدأ التنفيذ والعمل الميداني الثوري.

ب- ليلة إنطلاق ثورة أول نوفمبر 1954

رغم جدية التحضيرات للثورة بالمنطقة التاريخية الأولى، إلا أن عنصر السرية قد أخترقته إدارة المحتل، حيث تسرب خبر الهجوم على مدينة بريكة، بسبب وشاية لأحد عملاء الإحتلال، فلاذ أفراد الفوج بالفرار تاركين أسلحتهم خلفهم من بينها: (09) بنادق إنجليزية مخصصة للهجوم، ويؤكد هذه الوشاية المجاهد "عالمي مختار"⁽⁶⁾، ولذا فإن الوشاية كانت وراء فشل الهجوم الذي كلف به فوج بريكة بالتنسيق مع مصطفى بوسنة، وعاجل عجول،⁽⁷⁾ فالمسؤولية لا تقع على عاتق منفذي الهجوم بل تقع على العملاء والمهندسين الذين زرعهم الإحتلال بين الجماهير الشعبية.

كما أن تلك الليلة لم تمر بسلام، حيث قام المجاهدون بهجوم آخر، جرى فيه إتلاف وحرق حانات الكولون، وتدمير خطوط المواصلات ومراكز الاتصالات الهاتفية بين بريكة، ونقاوس، والمدن المحيطة بها.

ثانيا. إسهامات فصائل جيش التحرير بناحية بريكة في ثورة التحرير

تعتبر المعارك في ناحية بريكة طيلة مراحل الثورة كثيرة لايمكن حصرها، لذا سأكتفي بالإشارة لبعض الهجومات والكمائن والحصارات على سبيل الذكر لتبيان الإسهامات المتنوعة لناحية بريكة في الثورة التحريرية.

- الهجومات

قام المجاهدون في بداية 1956 بقيادة شريف لخضر بهجوم على ثكنة "جون بيار" في بريكة على رجال القومية والحركة في الحادية عشر ليلا، ونتج عنه قتل إثنان وجرح ثلاثة من الحركى وفي نفس الشهر قام المجاهدون بقيادة عزيل عبد القادر بالهجوم على مركز المراقبة (رأس سيسلي) ببوطالب فدمروه وقتلوا ضابطه، أما في 19 فيفري 1956 فشن هجوما آخر على برج المراقبة بالزيتون*، وتم إحراق

شاحنة وحافلة، وكمية من المحاصيل الزراعية بالمنطقة، وفي نفس الشهر تم شن هجوم ثالث⁽⁸⁾ على شاحنتين محملتين بالمؤن والملابس في طريقها إلى مدينة بريكة، وتم تحويلهما إلى جبل بوطالب وإفراغهما من حمولتهما⁽⁹⁾، وقد انتظمت قوات الاحتلال من المواطنين الأبرياء بقتلها لامرأتين (أزعير كلثوم وبركات خضرة)، وثلاثة أطفال تراوحت أعمارهم بين 10-12 سنة.

كما شنّ قروي محمد وإخوانه المجاهدين هجوما في 24 فيفري 1956 على مركز للعدو وحانة بجبل بوطالب، أسفر على مقتل 13 حركي وإصابة 5 آخرين بجروح متفاوتة، وفي 13 مارس 1956 انضم المجاهدون هجوما بقيادة محمد الصالح بلعباس على برج الحاكم بامدوكال* وتمّ تخريبه بالكامل، وهجوما آخر على مركز الحركة بأولاد السائح بمدينة بريكة قاده عزيل عبد القادر، وقضى خلاله على الكثير من العملاء والحركة وحارسي الكهرباء، وتم الاستيلاء على الذخيرة والأسلحة، كما هاجمت فرقة لجيش التحرير بقيادة محمد الصالح بلعباس على مزرعة الحاكم القريبة من مدينة بريكة (3 كلم) فأحرقت المزرعة وغنمت ما قوامه (200) رأس من الغنم** وفي نفس الشهر تمّ الهجوم على مركز صحي بامدوكال في التاسعة ليلا قاده المجاهد ساعد حملة رفقة 11 مجاهدا.

- الحصارات العسكرية: وأهمها الحصار الأول في جانفي 1956 داخل قرية امدوكال ببريكة، وجاء إثر وشاية، وحوصر فيها مجموعة من المجاهدين⁽¹⁰⁾ مؤلفة من: لعمرى ناصر، بوشريط سليمان، عكروش محمود، محمد عويّنة تحت قيادة بلقاسم مشيش، وقد اشتبكت بقوات العدو التي استخدمت الدبابات وطائرات الهليكوبتر، ودام الاشتباك نصف ساعة خلف 6 قتلى وعدة جرحى في صفوف المحتل، واستشهد بوشريط سليمان، وأسر لعمرى ناصر، عكروش محمود، وألقي القبض على لجنة امدوكال الشعبية.

- المعارك:

شهدت ناحية بريكة معارك عديدة أهمها: معركة في 13 ماي 1958 بامدوكال التي أسفرت عن مقتل جندي فرنسي هو شيسو أندري، وفي

شهر جوان قام المجاهدون بهجوم على برج المراقبة بمدينة بريكة دام 20 دقيقة بقيادة حمادي غجاتي رفقة 15 مجاهد، ألحقت بالعدو خسائر بلغت 05 قتلى، وفي 13 جوان حدثت معركة بجبل كمار بين امدوكال*، ومثليي بين كتيبة من المجاهدين قادها عبد الحميد وناس، ودورية للعدو ضمت 4000 جندي مدعمن بالطائرات المقنبلية، واستغرقت المعركة 14 ساعة، أسفرت عن استشهاد 60 مجاهدا، و30 مدنيا أما العدو فقد خسر حوالي 180 قتيلًا و45 جريحًا واسقاط طائرتين مقاتلتين،⁽¹¹⁾ وفي 24 جويلية نفذ هجوم على حانة داخل مدينة بريكة بقيادة الذواي السطايفي رفقة 06 مجاهدين أسفرت على 22 قتيلًا للعدو، أما في ديسمبر من نفس السنة فقد هاجم المجاهدون مزرعة، ودار الحاكم بذات المدينة، ومن بينهم محنش ميهوب*، وبراني الشريف وساعد صرياك، والذواي يحيواوي ومحمد الصالح بلعباس، وسلمي الطاهر.**

- الكمائث:

نصب المجاهدون في 01 أكتوبر 1958 كمينًا بطريق بريكة - امدوكال، وقاده سالم الوهراني ودريس مختار، أسفر على إتلانف 03 سيارات جيب، وإصابة 15 جندي للمحتل الفرنسي، وفي أكتوبر نصب كمين آخر بطريق نقاوس - بريكة قاده (أحمد لندوشين) على قافلة عسكرية مكونة من 05 شاحنات، قتل خلالها 15 جندي فرنسي، وأصيب 26 آخرين وجرح بعض المجاهدين، منهم سلمى الطاهر.⁽¹²⁾

قام المجاهدون بقيادة عبد الله بيطام وإبراهيم حجاب في بداية جانفي 1959 بزرع ألغام في الطريق بين نقاوس وبريكة، فدمر الانفجار سيارة جيب عسكرية، وقتل جندي وجرح 03 آخرين للعدو، وفي الوقت نفسه زرع الفدائيون بالجزائر لغما بوادي أشرافه بين بريكة والجزائر أسفر على تدمير شاحنة للعدو، ومقتل جنوده، وفي 13 جانفي 1959 قام المجاهدون بهجوم على ثكنة (جون بيار) بمدينة بريكة، وزرعوا لغما في 20 مارس 1959 في الطريق بين نقاوس وبريكة وضعه المجاهدان عبد الله بيطام، وصالح بن يوسف أدى إلى تحطيم آليه عسكرية وقتل عسكريين 02 وجرح 40 آخرين، كما زرع فدائيو الجزائر⁽¹³⁾ بقيادة عجيمي الحواس لغما على الطريق الرابط بين بريكة وثكنة عين الثعالب

مستهدفين دورية المحتل، فحطم دبابة وقتل جنودها، كما وضع لغم آخر في الطريق بين بركة وثكنة المرابطين، فانفجر في الشاحنة وقتل وجرح من كان عليها، وفي مدينة بركة قام الفدائيون في مارس سنة 1959 بقيادة عيسى نقاز بتنفيذ حكم الإعدام على الخائن القايد الزيتون سقاي بشاغا، وفي 18 أفريل 1959 بشارع العتيق ببركة نفذت عملية فدائية أخرى ضد جندي ورقيب فرنسي.

قام المجاهدون بتفجير لغم في 30 مارس 1960 وضع في الطريق بين بركة ونقاوس أدى إلى إتلاف سيارة عسكرية (جيب) وقتل ثلاثة عساكر وجرح واحد منهم، وفي 25 أفريل 1960 قام فدائيو الجزائر بقيادة عجمي الحواس بزرع لغم في جسر رقم 12 في الطريق بين نقاوس وبركة، فتحطمت على إثره شاحنة وقسم من الجسر، وعطلت حركة مرور العدو لمدة 15 يوما، كما نصب كمين للعدو في منتصف ماي 1960 بثكنة امدوكال على الساعة 12 ليلا من طرف 18 مجاهدا وفدائيا وقتل خلاله 40 جنديا للعدو وجرح 25 آخرون، أما في نهاية ربيع 1960 فنصب كمين لقوات العدو بين بركة ومقرة بوادي الشرارة بقيادة عمار سعدون ولشاني حمة أسفر على مقتل وجرح 15 جنديا، وفي 15 أوت 1960 زرع حجاب إبراهيم (الجزار) عدة ألغام بجانب ثكنة المرابطين بناحية بركة فدمرت واحرقت شاحنة للعدو، وقتل من فيها من جنود، أما في سبتمبر 1960 فزرع لغم في جبل الكدية قرب برج المراقبة⁽¹⁴⁾ (امدوكال)، ولكن العدو أكتشفه ودفع بالسكان إلى مكان اللغم حتى انفجر فيهم فمزق 04 منهم، وفي أكتوبر 1960 انفجر لغم وضعه المجاهدون بمنطقة السطح (امدوكال) في قافلة لجنود الإحتلال أدى إلى تحطيم دبابة وقتل ركابها، وقام فيدائيو بيطام في نهاية مارس 1961 برزع لغم بالوسيط، فانفجر في آلية (ج.م.س)، وقتل 10 جنود وجرح 06 آخرين للعدو، وقام المحتل انتقاما لذلك بتجميع المواطنين وحجزهم في سوق المال لمدة ثلاثة أيام.

ثالثاً: دور الجماهير الشعبية بناحية بريكة في الثورة

إنّ العدو أمره ظاهر للعيان، ولكن هناك عدو آخر لا يمكن توقعه، يعيش بين الجماهير وخائن لها، وهو سبب إختراق الثورة، ورغم ذلك كان للجماهير دور في الثورة يمكن توضيحه كما يلي:

أ- الطلبة: كانت الانتفاضة الطلابية في 19 ماي 1956، أول إستجابة لهم إتجاه للثورة، حيث غادروا مقاعد الدراسية، وقاطعوا البرامج التعليمية، وكانت بمثابة صفة قاسية للإستعمار، ومن المشاركين فيها عن ناحية بريكة المثقف بن بعطوش عبد العالي رفقة إخوانه بالعاصمة من أمثال طالب عبد الرحمن، ومليحة حميدو، وفضيلة سعدان.* إذ ضحى بشهادة الليسانس في الحقوق ومستواه العلمي كطالب بكلية الطب (سنة ثانية) وإلتحق بالثورة، أما فرحات محمد الطيب الحائز على ليسانس في الرياضيات، فتنازل عن منحة التفوق لمواصلة دراسته في الخارج والتحق بالثورة، وهناك من ناضلوا لأجل القضية الجزائرية بنشاطاتهم مثل تنظيم المحاضرات والأمسيات التاريخية لدعم الثورة من تونس والقاهرة، ونذكر منهم أيضا المؤرخ موسى لقبال والطلبة الزيتونيين أمثال دباش عبد الرحمن الحائز على شهادة التحصيل، وأحمد قراوي الذي جمع بين التدريس والجهاد، ومحمد الصالح يحياوي الضابط والقائد، ومحمد قادري الضابط وسفير الجزائر بعد الاستقلال، وثلة أخرى من الإطارات وصانعي القنابل والمتفجرات، وأطباء وممرضين منهم: غالمي مختار بمستشفى ناحية بريكة، ومريم بوعتورة (ياسمينية) إبنة نقاوس، والطالبة الناجحة بالمدرسة الفرنسية (أوجان ألبرتيني- مليكة قايد حالياً)، والتي نظمت إضراب في 19 ماي 1956 بثانويتها في سطيف، وأصبحت في بداية 1959 مسؤولة المستشفى بالناحية، ونقلت إلى قسنطينة لتواصل جهادها.

ب- العمال: ساهمت هذه الفئة بالإضرابات والدعم المالي،⁽¹⁵⁾ وإيصال صوت الجزائر للرأي العام العالمي، وقاموا بأعمال فدائية على أرض المحتل ومن العمال المغتربين عزيز عبد القادر البريكي* الذي اشتغل بمصنع (سان تيتيان)،⁽¹⁶⁾ ثم أصبح من قادة الثورة بالنواحي والمناطق، وشارك في معارك عديدة بالولايات (3.2.1)،⁽¹⁷⁾ وتكفل إلى جانب العقيد عميروش⁽¹⁸⁾ بحراسة وتأمين مكان إجتماع الصومام في 20 أوت 1956،

ولمدة ثمانية عشر يوماً،⁽¹⁹⁾ ومنهم أيضا المغترب عبد الله بن مبارك، الذي استشهد ليلة عودته من فرنسا بمدينة بريكة في مظاهرات 11 ديسمبر 1960 حاملا الراية الوطنية ومتقدما المتظاهرين، وأطلق عليه الرصاص من طائرة مروحية للإحتلال، كما استشهد يومها قراوي السعيد، ومعهما أصغر طفل هو عياد عبد الحميد (8 أعوام)، أما دراجي أحمد فكان أحد المتظاهرين اللذين استشهدوا في مظاهرات 17 أكتوبر 1961 بفرنسا،⁽²⁰⁾ إلى جانب رفيقه في النضال بن يحيى عبد اللطيف الذي استشهد معه⁽²¹⁾ بضاحية باريس.

ت- التجار والفلاحين: استهلوا نشاطهم بالمشاركة في إضراب 24 ساعة في 16 نوفمبر 1956، وإضراب الثمانية أيام في 28 جانفي 1957، فأغلقوا المحلات والحوانيت بمدينة بريكة، وكانوا وراء نداءات الاتحاد العام للتجار الجزائريين، ومن هؤلاء عزيز عبد الرحمن، ومعجوج العمري والنقيب محمد الصالح بلعباس وغيرهم.

ث- المرأة: بدأت نشاطها قبل الثورة بإنشاء "جمعية النساء المسلمات الجزائريات" في 24 جوان 1947، لمساعدة المسجونين السياسيين من رجال الحركة الوطنية الجزائرية، أما أثناء الثورة فتكفلن في المدن بنقل الأخبار والرسائل والأسلحة والمتفجرات، وبوضع القنابل الموقوتة في أماكن تجمع المعمرين ومحلاتهم التجارية ومنشآتهم الاقتصادية، أما في البوادي والأرياف فقد شاركن في الثورة كطاهيات ودليات وناقلات الأموال والأدوية والأسلحة وحملن السلاح، ومن أمثلة الحرائر المجاهدات: سليمة بن حفاف، والفضائية صراوي أم السعد⁽²²⁾ عمّة الشهداء الثلاثة (الإخوة صراوي)، والتي كانت الإخبارية وجامعة الأموال والاشتراكات، والمكلفة بالاتصال بالمساجين من خلف الأسلاك الشائكة والمكهربة متخفيه وراء طلب رغيف الخبز، أو التظاهر بأداء الصلاة على مقربة ممن تريد إبلاغهم رسائل الثورة دون خوف أو تردد، ولا ننسى المجاهدات: معروف نوار، وحليتم خيرة هذه الأخيرة حوّلت بيتها إلى مركز للثورة بالعلية في الجزائر، فذبحها الاستعمار ودمر منزلها، أما قيري ربيحة المغتربة (20 سنة) فقد حوّلت بيتها إلى مركز للثورة بعين الحيمر، وأنقذت مجاهدي

بريكة بعد معركة 08 جانفي 1962 التي قتل فيها (11) عسكريا للعدو، واستشهد فيها (04) من المجاهدين، بإخفائها لمحافظة الإخباري التي حملت وثائق الثورة عن ناحية بريكة، وانتقاما لذلك أحرق المحتل بيتها والبيوت المجاورة، أما الفتاة نعاة شكشاك (15 سنة) فقد تحددت الإحتلال بحملها الراية الوطنية،⁽²³⁾ وصعودها على إحدى دباباته في مظاهرات بمدينة بريكة يوم 11 ديسمبر 1960، وكانت الحرائر يرفعن الراية البيضاء لجيش التحرير لعبور الطريق أما بإنزالها فهو إنذار وتنبه للثوار بالحذر،⁽²⁴⁾ وتعرضت بعضهم لأبشع أنواع التعذيب ومن أمثلتهن "خياطي زينب ومناد فتيحة وأختها وهن التحرير بمستشفى (النبكة) ببريكة، وهناك الكاتبات مثل دباش فتيحة التي تحولت من كاتبة المدرسة إلى كاتبة رئيس لجنة ناحية بريكة عام 1956، وسجنت وعذبت واستنطقت بسجن لامبار بتازولت.

ج- **العلماء والمثقفون:** سخر العلماء والنخبة المثقفة الكلمة والفكر خدمة للثورة، ومن رواد الحركة الإصلاحية والثورة الشيخ زقاق والشيخ عيساني والشيخ دراجي والشيخ عيسى يحيواوي،⁽²⁵⁾ وهم من المقربين لمشايخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولقد دعوا طلبتهم إلى الإلتحاق بالثورة، وأبحر هؤلاء ممرضات في جيش إلى فرنسا لجمع الأموال للثورة، وعندما عاد الوفد بميناء الجزائر، نزع الشيخ عيسى يحيواوي حدائه، وهو على الباخرة ليرتجل حافي القدمين وعندما سئل أجاب بأنه لن يدنس تراب الجزائر الطاهر بتراب المحتل الفرنسي.

الخاتمة:

يتبين مما سبق أنّ الظروف هي التي تحكمت في الثورة، وأنّ مدلولاً لخيانة مرتبط بمن تعاون مع المحتل الفرنسي، وأن سكان ناحية بريكة وغيرها قد ساهموا في الثورة منذ البداية عسكرياً وشعبياً، فهجومات ليلة أول نوفمبر 1954 لم تكن تحريراً وإنما إشارة لإنطلاق العمل التحرري كما جاء في نص بيان أول نوفمبر.

وصفوة القول أن الثورة الجزائرية كانت وطنية وشعبية، وما العمل بوسائل وآليات الهجومات والكمائن والاضرابات والمظاهرات هي دلالة قاطعة تؤكد تنوع مساهمة كل النواحي بحسب إمكاناتها، وتحقق فكرة التكامل بين الثورة والشعب في ناحية بريكة، كصورة مصغرة لباقي المناطق اتجاه الثورة، وبقي على المهتمين والباحثين التحري والتحقيق في الأحداث للوصول إلى المعرفة والحقيقة، ثم الكتابة الموضوعية والعلمية، والبعد عن التأويل والتشويه لرموز الثورة وشهادتها، لأن ذلك لا يخدم كتابة التاريخ الوطني ولا ينفعه، بل أن القراءة الجديدة والمتواصلة وتقصي الحقائق برؤية متفحصة هي التي تصوبه وتحفظه.

الهوامش:

- 1- محمد لحسن از غيدي؛ معراج أجيدي، نشأة جيش التحرير الوطني (1947- 1954)، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2012، ص 80.
- 2- محمد زروال، إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية (الولاية الأولى أنموذجاً)، دار هومة، الجزائر، 2010، ص ص، 98- 99.
- 3- محمد لحسن از غيدي؛ أحسن بومالي، التحضيرات العملية للثورة التحريرية الجزائرية 1954، ج1، دار الهدى للطبع والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2012، ص 25.
- 4- عمر ملاح، قلعة جيش التحرير الوطني، الولاية 1، ج4، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2013، ص ص45-46.
- 5- محمد زروال، المرجع السابق، ص ص108- 212.
- 6- نفسه، ص 108.
- 7- شهادة غانم مختار يوم 30 أكتوبر 2004 بالمركز الثقافي بمدينة بركة.
- 8- محمد زروال، المرجع السابق، ص 143
- 9- محمد لحسن از غيدي؛ حسن بومالي، المرجع السابق، ص 58.
- 10- المنظمة الوطنية للمجاهدين، التقرير الجهوي للولاية الأولى (20 اوت 1956- 31 ديسمبر 1958)، متحف المجاهدين، باتنة، ص 468.
- * يبعد عن مدينة بركة بحوالي 11 كلم.
- * هي بلدية تقع جنوب مدينة بركة بحوالي 35 كلم في طريق بوسعادة.
- 11- المنظمة الوطنية للمجاهدين، المصدر السابق، ص 470.
- * شهادة مخنش ميهوب بمنزله بحي مسجد الرحمة بمدينة بركة يوم 01 نوفمبر 2012.
- ** شهادة مخنش ميهوب يوم 14 افريل 2015 بمنزله.
- 12- المنظمة الوطنية للمجاهدين، المصدر السابق، ص 457.
- 13- نفسه، ص ص267 – 268.
- 14- وثائق قسمة المجاهدين بيطام (أمين القسمة بوجمعة).
- 15- مجلة أول نوفمبر، "الشهيد عزيل عبد القادر"، العدد 58، 1982، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر، ص 49.
- * شهادة عزيل موسى أخ الشهيد عزيل عبد القادر (فيديو مصور بمركز الجامعي بركة) في 2014.
- 16- شهداء منطقة الاوراس، جمعية رواد مسيرة الثورة، ج2، دار الهدى، عين مليلة، 2005، ص ص246-247.
- 17- بوعلام بن حمودة، الثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 195.
- 18- عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، ج1، دار البعث، الجزائر، 1199، ص 342.
- * بن قويدر نور الدين، "19 ماي ذكرى الانتفاضة الطلابية"، مجلة الطالب، الجزائر، العدد 11، ماي 1988، ص 6.
- 19- مجلة المجاهد، العدد 29، 2 جوان 1959، ص 9.
- 20- شهادة دراجي أحمد بالمكتب الفرعي للولاية السابعة ببركة في 17 أكتوبر 2015.
- 21- أنيسة بركات، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، م.و.ك، 1985، ص 3.
- 22- شهادة صراوي عبد الباقي بمنزله في 12 أكتوبر 2017.
- 23- شهادة شكشاك صابر في المركز الثقافي ببركة في 11 ديسمبر 2012.
- 24- مجلة الوحدة، عدد 384، ص 26.
- 25- شهادة دراجي الساسي في مرسة عبدالرحمن دباش ببركة بتاريخ 10 نوفمبر 1989.

العمليات العسكرية في منطقة معافة إبان الثورة التحريرية 1954-1962.

د. فتاح شباح
جامعة باتنة - 1-

مقدمة

اندلعت ثورة أول نوفمبر 1954 التي خاضها الشعب الجزائري من أجل استعادة حريته واستقلاله ضد الاحتلال الفرنسي الذي عاث في الأرض فسادا، باستغلاله لأرض الجزائر واستعباده لأهلها لأزيد من قرن وربع قرن من الزمن، وقد عرفت العديد من الأحداث والمعارك العمليات العسكرية التي عمت مختلف أرجاء الوطن، وفيها تمكن المجاهدون من تحقيق عدة انتصارات، أربكت القوات الفرنسية، وجعلتها تعيد حساباتها، وتحشد كل إمكانياتها من أجل القضاء على هذه الثورة وأهدافها النبيلة، وبذلك لا يخلو شبرا من هذه الأرض إلا ويروي حدثا أو معركة.

إشكالية الدراسة:

تعتبر منطقة الأوراس من أهم المناطق التي عرفت ضغطا رهيبا من القوات الفرنسية التي تريد القضاء على الثورة في مهدها، وبذلك جرت في هذه المنطقة العديد من العمليات والهجمات العسكرية التي كبدت العدو الفرنسي خسائر فادحة رغم ما يتمتع به من إمكانيات ومعدات عسكرية وأسلحة متعددة من مدفعية وآليات عسكرية وطائرات مقنبلية وكشافة، ودبابات ومصفحات وسيارات عسكرية متطورة، في حين لا يمتلك الثوار الجزائريين إلا أسلحة بسيطة وقديمة، إلا أن الإرادة والتصميم والإيمان بالقضية العادلة تحقق المعجزات، ومن بين هذه المناطق التي شهدت العديد من الأحداث على غرار باقي المناطق منطقة معافة التي خاض فيها المجاهدون الكثير من المعارك والهجمات، وحققوا من خلالها الكثير من الانتصارات التي غيرت مجرى التاريخ ليس المحلي فقط بل والوطني، وعلى هذا الأساس يمكن طرح الإشكالية التالية:

ما مدى مساهمة منطقة معافة في الثورة التحريرية 1954-1962؟

وتندرج ضمن هذه الاشكالية جملة من التساؤلات:

- ما هي أهم المعارك التي تمت بمنطقة معافة ابان الثورة التحريرية؟
- فيما تتمثل أهم الكمائن التي قام بها المجاهدون بمنطقة معافة ضد القوات الفرنسية خلال الثورة التحريرية؟
- ما هي أهم الهجومات التي نضمها المجاهدون ضد القوات الفرنسية في منطقة معافة، وما ترتب عنها من نتائج؟.

منهجية الدراسة:

للإجابة على الإشكالية والتساؤلات المطروحة تم الاعتماد على المنهج التاريخي الذي يدرس الظاهرة في حالتها الزمكانية من خلال سرد لأهم الوقائع والمعارك والكمائن والهجومات التي عرفتها منطقة معافة وتحليلها واستخلاص النتائج منها.

الإطار المكاني والزمني للدراسة:

يتمثل الإطار المكاني للدراسة في المنطقة الثانية بالولاية الأولى التاريخية (منطقة معافة)، أما الإطار الزمني للدراسة فيتمثل في الحيز الزمني للثورة التحريرية الجزائرية 1954 - 1962.

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في أهمية الموضوع نفسه، حيث لعبت منطقة معافة - باعتبارها أحد المناطق التي يضر بها الأوراس الأشم- دورا مهما وكبيرا في مسار الثورة الجزائرية التحريرية، وذلك من خلال مختلف العمليات العسكرية التي قام بها الثوار بتلك المنطقة، حيث لا تقل مساهمة هذه المنطقة في تحقيق النصر ، والاستقلال عن باقي مناطق الوطن.

أهداف الدراسة:

إن الهدف الرئيسي للدراسة هو الكشف عن دور منطقة معافة في مجابهة القوات الاستعمارية الفرنسية خلال الثورة التحريرية، وذلك من خلال إبراز دور مختلف العمليات العسكرية التي جرت بالمنطقة، والمتمثلة فيما يلي:

- إبراز أهم المعارك التي جرت بمنطقة معافة وأهم القيادات التي ساهمت في مجابهة العدو فيها.
- الكشف عن أهم الكمائن التي نصبت لمواجهة العدو بالمنطقة.
- إبراز أهم الهجومات التي قام بها الثوار الأحرار ضد المحتل الفرنسي بالمنطقة.

هندسة الدراسة:

تمحورت عناصر الدراسة حول:

- أولاً/ التعريف بمنطقة معافة.
- ثانياً/ أهم المعارك بمنطقة معافة.
- ثالثاً/ أهم الكمائن بمنطقة معافة.
- رابعاً/ الهجومات بمنطقة معافة.

أولاً/ التعريف بمنطقة معافة

تقع منطقة معافة جنوب شرق عين التوتة، وهي تابعة إدارياً لدائرة عين التوتة، بولاية باتنة، وكان يطلق عليها خلال فترة الاحتلال الفرنسي اسم دوار جبل لقرون، يحكمها قايد يخضع لسلطة الحاكم في عين التوتة التي كانت تسمى آنذاك ماكهمون، ويبعد جبل معافة الذي احتضن الثورة على عين التوتة 30 كلم.⁽¹⁾

تتربع بلدية معافة على مساحة قدرها 15426 كيلومتر مربع، يحدها شمالاً بلدية عين التوتة، وجنوباً بلدية القنطرة، وشرقاً بلدية بني فضالة، وغرباً بلدية تيلاطو.⁽²⁾

ويقدر عدد سكانها إبان الثورة التحريرية بحوالي 4000 نسمة، يتوزعون على مداشر وقرى تاسرغينت، مولية، ازمورن، برباط،⁽³⁾ وهم موزعين على 12 مشقة، ويتمركز أغلبهم في قرى لمارسة، فتاتشة، ايزمورن.⁽⁴⁾

وتعد منطقة معافة منطقة جبلية صعبة، وتتميز بغطاء نباتي وغابات من أشجار متوسطة إلى كثيفة في بعض الجهات، كما تتواجد

بها صخور متنوعة متباعدة عن بعضها البعض، وتتخلل انحناءات الجبال شعاب تنساب عبرها كمية من المياه، تتحول خلال فصل الشتاء إلى أودية صغيرة، وتتميز جبالها بانحدارات شديدة، وتعتبر قمة جبل معافة أعلى قمة بها.⁽⁵⁾

ويتميز مناخ المنطقة بالبرودة الشديدة والأمطار الغزيرة شتاءً، بحيث تصل درجة الحرارة خلال هذا الفصل ما بين صفر (0) إلى ثمانية (8) درجات، أما صيفا فهو حار جدا.⁽⁶⁾

ثانياً/ أهم المعارك بمنطقة معافة

عرفت منطقة معافة إبان الثورة التحريرية العديد من المعارك، ومن أهمها:⁽⁷⁾

1- معركة أزموون بمعافة

تمت هذه المعركة في 20 نوفمبر 1955 بقيادة حسين مذكور، وعبد القادر أمينيه.

2- معركة معافة الزيتونة

جرت هذه المعركة يوم 15 ديسمبر 1955 بقيادة احمد لاندوشين وحسين لقبابلي.

3- معركة تيرفاعين

وقعت هذه المعركة يوم 14 فيفري 1956 بقيادة عبد الحفيظ طورش.

4- معركة ثنية تاغريست

وقعت هذه المعركة يوم 25 أوت 1956 بقيادة عمار معاش وبرفقة 25 مجاهداً، بحيث قام الجيش الفرنسي بتفتيش وتطوير المنطقة وتعذيب المواطنين، فنصب جيش التحرير الوطني كميناً تحول إلى معركة دامت من الساعة الثانية زوالاً إلى الساعة الخامسة مساءً، أسفرت عن مقتل 25 جندياً فرنسياً وعدد كبير من الجرحى، وتم غنم بعض الأسلحة من طرف المجاهدين.⁽⁸⁾

5- معركة عين تاغسرة

جرت أحداث هذه المعركة بعين التوتة ما بين منطقة معافة، وعين زعطوط، بتاريخ 27 سبتمبر 1956، بقيادة لخضر شايب والحاج عمر العساسي وصالح جزار ومحمد بن بولعيد، ويرجع سبب المعركة إلى وشاية مجهولة عن تجمع مجموعة من المجاهدين مقدره ما بين 180 إلى 320 مجاهد،⁽⁹⁾ وكان المجاهدون موزعون كالتالي:

- فرقة تابعة للناحية الثانية مكونة من 40 مجاهد بقيادة لخضر الشايب.
- فرقة يقدر عدد أفرادها بـ 50 مجاهدا بقيادة محمد بن بولعيد.
- فرقة جبل احمر خدو 70 مجاهدا بقيادة حسين بن عبد الباقي.

أما القوات الفرنسية فقدت بحوالي 4000 جندي تتكون من تشكيلات عدة من مختلف القوات البرية، تم تعبئتها من المراكز الموجودة بالناحية، وقد استخدمت القوات الفرنسية في هذه المعركة الدبابات والسيارات المصفحة والطائرات المختلفة الأشكال والأحجام.⁽¹⁰⁾

ففي الصباح الباكر من يوم 27 سبتمبر 1956 قامت القوات الفرنسية بمحاصرة المنطقة وقنبلتها بالطائرات، وقد شاركت في هذه العملية 14 هيليكوبتر و 4 طائرات B26 و 4 طائرات استكشاف، و 4 طائرات ريكسن، ثم تلتها مدفعية الميدان الثقيلة التي قصفت مواقع المجاهدين، وتمت الاستعانة بقوات اللفيظ الأجنبي، وقد أعطى القائد لخضر الشايب الأمر باتخاذ الاستعدادات القصوى، والإجراءات اللازمة لمجابهة الوضع، والبداية بتوزيع الأفراد وتحديد مناطق المجابهة، والاتفاق على إشارات الاتصال، وكانت نتائج المعركة 60 قتيل من القوات الفرنسية ومئات الجرحى، بينما استشهد 72 مجاهدا.⁽¹¹⁾ وبذلك تمكن المجاهدون من إلحاق الهزيمة والخسائر بقوات العدو الفرنسي.

6- معركة واد سلطان الأولى

تمت هذه المعركة في سبتمبر 1956 بقيادة عمر بن بولعيد وعمر طورش، رفقة 50 مجاهدا ودامت أربع ساعات، وبلغ عدد جنود الجيش

الفرنسي فيها 200 جندي، وأسفرت المعركة عن مقتل 40 جندي وجرح 10 منهم، وغنم المجاهدون رشاش وجهاز اتصال لاسلكي.⁽¹²⁾

7- معركة كاف الناظور

وقعت في 20 أكتوبر 1956 قرب شعبة بني مخلوف بضواحي عين التوتة من الناحية الثانية للمنطقة الأولى، وأدت إلى استشهاد مجاهد واحد، وغنم المجاهدون عدد كبير من الأسلحة، ومحفظة طبيب بأجهزتها وأدواتها.⁽¹³⁾

8- معركة جبل متليلي الأولى

جرت وقائع هذه المعركة يوم 05 ديسمبر 1956 بشعبة العرعار بعين التوتة من الناحية الثانية للمنطقة الأولى، بقيادة محمد الصالح بن عباس و140 مجاهد، وبدأت المعركة على الساعة السابعة صباحا بعد أن طوق العدو جبل متليلي محاصرا بذلك أفراد جيش التحرير الوطني، فأعطى قائد المعركة الأمر بالاستعداد ووزع المهام والمسؤوليات وحدد إشارات الاتصال، وترك قوات العدو تتقدم ثم أمطرت بوابل من الرصاص مما أدى بها بالتراجع للوراء لتدعيم صفوفها بالطائرات المقنبلة والمدفعية الميدانية والكلاب، وحين خيم الظلام قرر المجاهدون الانسحاب لأن ذخيرتهم أوشكت على النفاذ، واستشهد منهم 14 مجاهدا، وألحقت بالعدو خسائر معتبرة، تمثلت في 20 قتيلاً،⁽¹⁴⁾ ورغم ضراوة المعركة وقساوتها فإن المجاهدين لم يستسلموا وواجهوا الموقف ببسالة وشجاعة، بفضل حنكة قائدهم.

9- معركة تكربوشت

جرت أحداث هذه المعركة في 07 أكتوبر 1957 بعين التوتة الناحية الثانية للمنطقة الأولى بقيادة إسماعيل الشايب برفقة 12 مجاهدا كلفوا بمراقبة دورية من الولاية الثالثة، حيث قامت القوات الفرنسية بتطويق القرية بقوات قادمة من منعة معززة بطائرات استكشافية وأخرى مقنبلة، وقد بدأت المعركة من الساعة التاسعة صباحا، ودامت ست ساعات أدت إلى استشهاد أربعة مجاهدين، وقتل 15 جندي في صفوف العدو.⁽¹⁵⁾

10- معركة تيجرين الأولى

وقعت هذه المعركة في 11 أكتوبر 1957 في الناحية الثانية بالمنطقة الأولى، شارك فيها حوالي 200 مجاهد بقيادة عبد الحميد بورزق، وقدرت قوات العدو الفرنسي بحوالي 3000 جندي مدعّمين بسلاح الطيران والمدفعية، ودامت المعركة يوماً كاملاً، استشهد فيها 100 شهيد، وكان أغلبهم من مجاهدي دورية متجهة إلى تونس بغرض التسلح، وأسقطت طائرة للعدو وقتل حوالي 150 عسكري.⁽¹⁶⁾

11- معركة واد سلطان الثانية

وقعت أحداث هذه المعركة في يوم 08 جانفي 1958، بجبل بني مسعود قرب عين التوتة بقيادة عبد القادر السبع ومساعديه محمد زياني وسي علي الطيب بصحبة كتيبة تضم 95 مجاهداً مسلحين برشاشات عيار 24-30، ضد قوات الجيش الفرنسي المكونة من 6000 جندي معززين بمدفعية ميدان وطائرات مقنبلية وأخرى استكشافية، وتعود أحداث المعركة إلى وشاية قام بها أحد الخونة، وهو تواتيت محمد المدعو قجوج، وقد بدأت المعركة على الساعة التاسعة صباحاً إلى غاية الساعة الثانية زوالاً، استشهد على إثرها 48 شهيداً وجرح 12 مجاهداً واصر واحد، وبلغت خسائر الفرنسيين حوالي 200 قتيل وعدد من الجرحى،⁽¹⁷⁾ ورغم اكتشاف أمر المجاهدين إثر الوشاية التي قام بها أحد الخونة الجزائريين الذين باعوا شرفهم وضمايرهم للأعداء، إلا أن الثوار اثبتوا بسالتهم في القتال، ونجحوا في مهمتهم رغم الخسائر البشرية التي لحقتهم.

11- معركة أولاد بشينة

جرت هذه المعركة سنة 1958، إثر الانتخابات الرئاسية الفرنسية، وفيها يروي المجاهد الحاج بن مسعد معمر أن سبب المعركة هو قدوم كتيبة من المجاهدين مكونة من 160 مجاهداً إلى المنطقة لتوعية السكان بمقاطعة الانتخابات، إلا أن العدو الفرنسي تفضن للعملية فقام بمحاصرة المنطقة حصاراً شديداً، وبتطويق الجبل مكان تواجد المجاهدين، وعلى الساعة العاشرة صباحاً وقع الاشتباك بين المجاهدين وقوات الاحتلال التي لم يتم التمكن من إحصائها نظراً لضخامة عددها،

وقد استمر الاشتباك إلى غاية الساعة الثانية عشر صباحا، حيث شاركت فيه بالأسلحة الثقيلة وسلاح الطيران، بحيث انسحب المجاهدون بعد إلحاقهم الخسائر المعتبرة بصفوف قوات العدو، وغنموا 28 سلاحا حديثا و24 قطعة من السلاح الثقيل، واستشهد 38 شهيدا من بينهم الشهيد مسعود مساعدي الذي استشهد واقفا، وهو يمطر العدو بوابل من الرصاص.⁽¹⁸⁾

يتبين لنا من خلال مجريات هذه المعركة أن قادة الثورة لم يهملوا دورهم في توعية السكان لمواجهة مخططات الاحتلال وقاموا بكسب السكان لمساندهم من أجل استعادة الحرية والكرامة المسلوبة من الجزائريين.

12- معركة تيجرين الثانية

جرت وقائع هذه المعركة في نوفمبر 1958، بقرية لارباع بين مجموعة من المجاهدين وقوات الاحتلال المدججة بالأسلحة الفتاكة والمزودة بسلاح الطيران ومدفعية الميدان، ويرجع سبب المعركة إلى اكتشاف المجاهدين المتمركزين في المكان بواسطة طائرة استكشافية، فسارع العدو الفرنسي إثرها إلى التدخل بالطائرات المقنبلة وقصف مكان تواجد المجاهدين، كما استقدمت مدفعية الميدان من ضواحي عين التوتة إلى ساحة القتال، فاستشهد إثر هذه المعركة خمسة مجاهدين،⁽¹⁹⁾ وبذلك خسر المجاهدين هذه المعركة المباغتة التي لم يكونوا على استعداد لها.

13- معركة جبل متليلي الثانية

جرت أحداث هذه المعركة بتاريخ 29 ديسمبر 1958 شارك فيها 60 مجاهدا بقيادة محمد الصالح بلعباس، ضد قوات كبيرة من مشاة الاحتلال الفرنسي معززة بأربع طائرات مقنبلة وثلاثة استكشافية وستة هليكوبتر، ودامت المعركة من الساعة الواحدة إلى الساعة الثانية ليلا، وأدت إلى مقتل 22 جنديا من قوات الاحتلال الفرنسي وجرح 15 منهم، وإسقاط طائرة، واستشهاد مجاهدين،⁽²⁰⁾ فرغم أن قوات العدو المدججة بأحدث الأسلحة الفتاكة والطائرات المقنبلة إلا أنها لم تصمد أمام عزيمة الثوار الذين الحقوا بهم الخسائر الفادحة رغم قلة الإمكانيات والعتاد.

14- معركة تبيجرين الثالثة

جرت وقائع هذه المعركة سنة 1959، وجاءت كرد فعل على قوات الاحتلال التي أقدمت في شهر جوان 1956 بحرق دوار معافة وتدميره نهائيا نتيجة قيام سكانه في مساعدة وإيواء الثوار، بحيث قرر المسؤول العسكري بالمنطقة المجاهد عبد الحميد بورزق بتجنيد شباب الذين شاركوا في العديد من العمليات والمعارك، ومنها هذه المعركة التي وقعت على الساعة التاسعة صباحا بين وحدة جيش التحرير الوطني المكونة من سبعين مجاهدا بقيادة القائد عبد الحميد بورزق، وبين قوات كبيرة للاحتلال الفرنسي معززة بأربع طائرات B26، وسبع طائرات صفراء وكشافيتين، طائرات هليكوبتر، وقد خلفت المعركة حوالي 250 قتيل في صفوف العدو واستشهد أربع مجاهدين، والقي القبض على المجاهد مزيان محمد.⁽²¹⁾

وقد جاءت هذه المعركة كرد فعل على سياسة الأرض المحروقة التي انتهجها الاحتلال الفرنسي، والتي لم تسلم منها منطقة معافة كغيرها من المناطق الجزائرية، وقد اثبت المجاهدين رغم قلة الإمكانيات حنكتهم في تجنيد السكان، واصرارهم وعزيمتهم على دحض قوات العدو التي تقوم بأبشع الجرائم ضد السكان العزل، وبينوا قدرتهم على مجابهة عدو يمتلك جيشا مدربا ومجهزا بأحدث الأسلحة والطائرات المختلفة.

ثالثا/ أهم الكمائن بمنطقة معافة

عرفت منطقة معافة العديد من الكمائن من أهمها:

1- كمين عقبة اليهودي:

تم وضع هذا الكمين في أول فيفري 1956 في منطقة ما بين عين التوتة والقنطرة بقيادة محمد صالح بلعباس بصحبة 11 مجاهدا، ضد دبابه مارة بالطريق أدى إلى تدميرها وقتل من فيها.⁽²²⁾

2- كمين اجدير انثغارت:

تم نصب هذا الكمين في 05 مارس 1956، والذي استهدف شاحنتين فرنسيتين تمران مساء على بعض الجسور الموجودة بمنطقة ازمورن، فتم تدمير الشاحنتين وحصل المجاهدون على عدة أسلحة.

3- كمين برياط:

تم وضع هذا الكمين في 1956، وأسفر عن مقتل أربعة جنود فرنسيين، وفي كمين آخر لا يبعد كثيرا على المنطقة تم تدمير شاحنتين.

4- كمين عين التوتة

نصب هذا الكمين سنة 1956 المجاهد الصالح بوزيدي، في مكان مقابل شركة توزيع الكهرباء والغاز في عين التوتة حاليا، وتم من خلاله قتل قائد عسكري فرنسي مع جنديين.

5- كمين القنطرة

نصب هذا الكمين أيضا سنة 1956 المجاهد الصالح بوزيدي، وقتل فيه قائد فرنسي برتبة نقيب.

6- كمين قرب مولية

نصب فوج من المجاهدين هذا الكمين في ديسمبر 1956 لسيارتين عسكريتين من نوع جيب وشاحنة عسكرية ودبابة مصفحة، وقد قتل فيه خمسة جنود فرنسيين منهم ضابط وجرح آخر.⁽²³⁾

7- كمين لارباع بمعافة

نصب هذا الكمين من قبل كتيبة من المجاهدين مكونة من 110 مجاهدا، بقيادة المجاهد زوادي، ضد قوات العدو المقدرة بـ 150 جندي في سبتمبر 1958 على الساعة العاشرة ليلا، وقد أسفرت العملية عن إصابة 40 جنديا من صفوف العدو الفرنسي بين قتيل وجريح.⁽²⁴⁾

لقد كانت كل الكمائن التي نصبها المجاهدون ضد القوات الفرنسية في المنطقة ناجحة، مما كان لها الأثر البالغ في إحباط معنويات جنود العدو، وهذا ما يبين قدرة، وبعد النظر التي يتمتع بها المجاهدون، ومعرفتهم بتفاصيل بالمنطقة، وأهمية هذه الكمائن في إرباك قوات العدو.

رابعا/ الهجومات بمنطقة معافة

من أهم الهجومات التي قام بها الثوار في منطقة معافة هي الهجوم على المركز الفرنسي الذي كان له أثر كبير في تغيير الأوضاع

بالمنطقة، وقد جرت وقائعه في 30 ماي 1956، والذي قام به حوالي 33 مجاهدا بقيادة حسين لقبائلي،⁽²⁵⁾ وتعود أسباب هذا الهجوم إلى بدايات الثورة التحريرية حيث عجل الاحتلال الفرنسي بإنشاء مركزا له في المنطقة ليقضي على الثورة في مهدها، بحيث قام سنة 1955 بتحويل مدرسة أسست سنة 1936 إلى مركز عسكري، فوضع فيها كتيبة عسكرية مدججة بأحدث الأسلحة، وأصبحت تشكل خطرا حقيقيا على سكان المنطقة بصفة خاصة، وعلى الثورة التحريرية بصفة عامة.⁽²⁶⁾

لقد تسبب هذا المركز في الكثير من عمليات النهب والتقتيل والترهيب وانتهاك الحرمات واعتقالات في صفوف الثوار، ومن بينهم السعيد زكور وموسى زيتوني، وفي منطقة ازمورن حظر التجول وتم تمشيط المنطقة كلها، كما تم تدمير بعض المناطق الحيوية بالنسبة لسكان المنطقة، وعلى سبيل المثال تدمير طاحونة عبد القادر ناصر، وطاحونة محمد حمشي، وهدم بيت بوبكر دحمان، ونسف بيت محمد أبركان وقهوة محمد صالح زكور، وإعدام الهاشمي دحماني من قبل القوات الفرنسية.⁽²⁷⁾

وقد فكر قادة الثورة في هذه المنطقة في كيفية التخلص من هذا المركز مهما كلف الثمن، وخاصة بعد السياسة القمعية التي انتهجها هذا المركز، فبدأت الاتصالات ببعض المجندين الجزائريين الموجودين في صفوف الجيش الفرنسي في إطار الخدمة العسكرية الإجبارية في المركز، بحيث التحق ثمانية منهم بصفوف الثورة التحريرية، و الشروع في التخطيط للهجوم على المركز في سرية تامة من قبل جيش التحرير الوطني، وبالتعاون مع المدنيين في المنطقة، وتحسيس السكان وتعبئتهم سياسيا ونفسيا نظرا لما ينجر عن هذه العملية من نتائج.⁽²⁸⁾

لقد بدأ التحضير لعملية الهجوم من قبل قادة فوج المجاهدين بمنطقة معافة وهم حسين لقبائلي، زيداني صالح، عبد القادر ناصر ومسعود مذكور بالتنسيق مع السعيد فورار، وعمر زكور بمدينة عين التوتة الذين أديا دور الوسيط بين قادة فوج معافة، والشهيد الصالح نزار الذي كان ضابطا في الجيش الفرنسي بالمركز، وقد حدد تاريخ 30 ماي

1956 موعدا لتنفيذ العملية، واعلم الشهيد إسماعيل زكور بذلك، وتم تنفيذ العملية حسب الخطة المحددة.⁽²⁹⁾

وكان الاتفاق على أن يتم الهجوم على الساعة العاشرة ليلاً، إلا أن العدو غير الحراسة، فبدل أن يكون الحارس من المجندين الجزائريين إلا أنه غير بأحد الجنود الفرنسيين، وقد حددت كلمة السر به بأغنية " لهوا أوذرار"، ولكن العملية تأخرت إلى الساعة الواحدة صباحاً، وقد تفضن الجندي الفرنسي للمجاهدين، وحاول أن يطلق عليهم النار، ولكن الصالح نزار كان مع الجندي الفرنسي فأسرع وأطلق عليه النار فارداه قتيلاً، وتم تبادل إطلاق النار، ثم اقتحم ثمانية مجاهدين أسوار أسلاك المركز لفتح الطريق أمام المجاهدين الذين قاموا بالدور المنوط بهم بدقة، فتم بعد ساعة تدمير المركز تدميراً كاملاً، ونجح المجاهدون في مهمتهم.⁽³⁰⁾

ومن نتائج الهجوم على هذا المركز مقتل حوالي 40 جندي فرنسي من بينهم ضابط برتبة ملازم أول، والتحاق 17 عسكرياً من المجندين الجزائريين بالجيش الفرنسي، وتم غنم كمية كبيرة من الأسلحة تتمثل في: قطعتان من مدافع هاون، مورطي، ثلاث رشاشات و100 قطعة سلاح حربي، وثلاثة أجهزة إرسال لا سلكي وكمية كبيرة من القنابل اليدوية والذخيرة.⁽³¹⁾

إثر هذا الهجوم استشهد أربعة مجاهدين وهم: حسين الجيجلي، علي عرعار، الطاهر مهماهي ومسعود بلاندي، وعقب تدمير هذا المركز شرد سكان كل القرى المحاذية له، كما تدمير قريتي لمرادسة، وفتاتشة بالكامل، وإعدام أربعة مدنيين قبض عليهم منهم: احمد بوجمعة، عمر راهم، عمر عنان ومسعود بوخبال، واستشهاد احمد غزالي حرقاً بالمركز، والذي كان مسجوناً في ليلة الهجوم.⁽³²⁾

كما نتج عن تدمير المركز رحيل سكان المنطقة الذين كانوا يجلبون المؤن والسلاح للمجاهدين ويقدمون المعلومات على العدو، ويعطلون الإمدادات على الجيش الفرنسي، واتجه بعضهم إلى جبال بني فرح، والبعض الآخر إلى قريتي مولية، وتاسغينت، ومنهم من اتجه إلى عين التوتة والقنطرة، وأصبحت منطقة معافة منطقة محرمة إلى غاية الاستقلال.⁽³³⁾

وبعدها شرع الجيش الفرنسي في ترميم مركز معافة، وكثف من تواجده العسكري، قام بفتح مسالك عبر الجبال لربط هذه المنطقة ببوزينة لخلق الثورة، لكن المجاهدين قابلوا التحدي بالمواجهة عن طريق الكمائن والهجومات السريعة والمتكررة، مما اجبر قوات الاحتلال على النزوح إلى أماكن آمنة، واستقرت في مركز برباط، وبقيت ضربات المجاهدين تلاحقهم، ولم تتوقف إلا بعد وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962 م.⁽³⁴⁾

الخاتمة:

لعبت منطقة معافة دورا هاما، وكان لها نشاطا مميزا إبان الثورة التحريرية فكانت مسرحا للعديد من المعارك التي خاضها المجاهدون ضد الاحتلال الفرنسي المدجج بأحدث الأسلحة الفتاكة، من طائرات ودبابات ومدافع وأسلحة حديثة، ورغم ذلك فقد تمكن المجاهدون من إلحاق الهزائم بالقوات الفرنسية في العديد من المواقع، فرغم قلة الإمكانيات إلا أن العزيمة والإصرار والإيمان بالقضية جعلت المجاهدين يحققون الانتصار.

قام المجاهدون كذلك بالعديد من الكمائن التي استهدفت دوريات قوات الاحتلال الفرنسي، كما تمكنت من إلحاق الأضرار بها في العتاد والأرواح، وهذا ما يعبر عن إستراتيجية المجاهدين في ضرب أهداف العدو وإلحاق الهزائم به، كما عرفت المنطقة القيام بهجوم استهدف المركز الفرنسي الذي تم إعداده في المنطقة بهدف تزويد قوات الاحتلال بمختلف الإمكانيات من أجل ضرب الثورة ومحاولة عزل الشعب عنها، إلا أن المجاهدين تمكنوا من تدمير المركز برمته.

الهوامش:

1. بوشلاغم الزبير، "معركة جبل معافة"، مجلة أول نوفمبر، العدد 32، الجزائر، 1986، ص، 16.
2. بلدية عين التوتة، www.wilaya-batna-gov.dz.html، 2 ماي 2019.
3. جبهة التحرير الوطني، "معركة معافة"، مجلة المجاهد، العدد 1203، الجزائر، 1983.
4. حزب جبهة التحرير الوطني، التقرير الجهوي للولاية الأولى المقدم للمنتقى الوطني الثالث لتسجيل أحداث الثورة التحريرية (الأوراس) 20 أوت 1956 - 31 ديسمبر 1958.
5. ناحية المجاهدين لدائرة عين التوتة، "الجنة تحضير إحياء الذكرى 56 لتدمير مركز الجيش الفرنسي"، معافة عبر التاريخ إلى 19 مارس 1962، الجزائر، 2012.
6. سليمان كريمة، "بلدية معافة تحيي الذكرى 57 لتدمير مركز الجيش الفرنسي"، قسم الأخبار المحلية، إذاعة باتنة الجهوية، 30 ماي 2013، تم التصفح على الساعة 34: 18.
7. عزوي محمد الطاهر، "شهداء منطقة الأوراس (1954- 1962)"، ج3، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2008.
8. الزبير بوشلاغم، "معركة جبل معافة"، مجلة أول نوفمبر، العدد 32، الجزائر، 1986، ص 16.

9. بلدية عين التوتنة، www.wilaya-batna-gov.dz.html، 2 ماي 2019.
10. المرجع نفسه.
11. لجنة تحضير إحياء الذكرى 56 لتدمير مركز الجيش الفرنسي، معافة عبر التاريخ إلى 19 مارس 1962، باتنة، 2012، ص 1.
12. الزبير بوشلاغم، مرجع سابق، ص 15.
13. لجنة تحضير إحياء الذكرى 56 لتدمير مركز الجيش الفرنسي، ص 1.
14. محمد الطاهر عزوي، "شهداء منطقة الأوراس (1954-1962)"، ج3، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص 598-600.
15. حزب جبهة التحرير الوطني، التقرير الجهوي للولاية الأولى للملتقى الوطني الثالث لتسجيل أحداث الثورة التحريرية (الأوراس) 20 أوت 1956 إلى 31 ديسمبر 1958، باتنة، ص 128.
16. المرجع نفسه، ص 141.
17. مجلة أول نوفمبر، مرجع سابق، ص 17.
18. جبهة التحرير الوطني، "معركة معافة"، مجلة المجاهد، العدد 1203، الجزائر، 1983، ص 15.
19. التقرير الجهوي للولاية الأولى، مصدر سابق، ص 142، 143.
20. المصدر نفسه، ص 156.
21. مجلة المجاهد، مرجع سابق، ص 18.
22. التقرير الجهوي للولاية الأولى، مرجع سابق، ص 266.
23. المصدر نفسه، ص 30.
24. المصدر نفسه، ص 295.
25. مجلة المجاهد، مرجع سابق، ص 15.
26. التقرير الجهوي للولاية الأولى، مرجع سابق، ص 373.
27. المصدر نفسه، ص 375.
28. مجلة المجاهد، مرجع سابق، ص 17.
29. التقرير الجهوي للولاية الأولى، مرجع سابق، ص 384.
30. المرجع نفسه، ص 403.
31. المرجع نفسه، ص 456.
32. المرجع نفسه، ص 472.
33. لجنة تحضير إحياء الذكرى 56 لتدمير مركز الجيش الفرنسي، مرجع سابق، ص 2.
34. المرجع نفسه، ص 2، 3.
35. المرجع نفسه، ص 3.
36. التقرير الجهوي للولاية الأولى، مرجع سابق، 473.
37. المرجع نفسه، ص 475.
38. سليمان كريم، بلدية معافة تحيي الذكرى 57 لتدمير مركز الجيش الفرنسي، قسم الأخبار المحلية، إذاعة باتنة الجهوية، 30 ماي 2013، تم التصفح على الساعة، 34: 18.
39. لجنة تحضير إحياء الذكرى 56 لتدمير مركز الجيش الفرنسي، مرجع سابق، ص 4.
40. المنطقة المحرمة: إستراتيجية طبقت فرنسا في 19 فيفري 1958، تمنع إقامة السكان في هذه المناطق بهدف عزل الثوار.
41. لجنة تحضير إحياء الذكرى 56 لتدمير مركز الجيش الفرنسي، مرجع سابق، ص 5.
42. لجنة تحضير إحياء الذكرى 56 لتدمير مركز الجيش الفرنسي، مرجع سابق، ص 5.

المنطقة الأولى من الولاية الأولى، واليوم الوطني ضد التقسيم

05 جويلية 1961.

- أ.د. ليلي تيتة. جامعة باتنة-1-
ط.د. يونس تامة. جامعة باتنة-1-

مقدمة:

يعتبر الخامس من جويلية 1961 محطة حاسمة في تاريخ الثورة التحريرية، ذلك أنه كان يوم دعت فيه الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية كل فئات الشعب الجزائري الى تنظيم مظاهرات واضرابات ضد مسألة فصل الصحراء الجزائرية عن الشمال التي كانت سببا في توقف المفاوضات بين الطرفين الجزائري والفرنسي عندما كان في نية الاستعمار فصل الصحراء عن باقي الوطن الجزائري.

تكتسي هذه الدراسة أهمية بالغة كونها ستحاول التطرق الى هذه المظاهرات، ومدى نجاحها بالمنطقة الأولى من الولاية الأولى، وهو موضوع لم يتم التطرق إليه من قبل المهتمين بالدراسات التي تناولت تاريخ المنطقة، مما يطرح التساؤلات التالية، كيف نظمت هذه المظاهرات بالمنطقة؟ ما مدى نجاحها؟ وكيف كان رد فعل السلطات الاستعمارية عليها؟

للإجابة عن مختلف هذه التساؤلات، تطرقنا لتحديد الإطار الجغرافي للمنطقة، الظروف التي مهد فيها للمظاهرات، التحضيرات والأوامر وتوزيعها، الإستجابة ورد الفعل الفرنسي. ثم تأثير كل تلك الأحداث على مسار الثورة التحريرية.

نشير هنا الى صعوبة الحصول على الشهادات الحية التي تخلد هذه الذكرى، وذلك لأن معظم من عايشوها لم يعودوا على قيد الحياة كما أن جل ما جمع من شهادات لحد الساعة قد خصص وبدرجة كبيرة الى المعارك والكمائن.

1- الظروف العامة المصاحبة لمظاهرات واضرابات 5 جويلية 1961

مثلت الصحراء الجزائرية بوصول الجنرال ديغول للسلطة في فرنسا عام 1958 الرهان الإقتصادي الديغولي لأن الإحتفاظ بها لصالح فرنسا يسمح لها بإجراء التجارب النووية، وهي ذات أهمية بالغة في إطار الصراع بين الشرق والغرب واستقلالية المنظومة العسكرية الفرنسية. وبناء على هذا فقد بذل الجنرال شارل ديغول Charles DE-GAULLE أقصى جهوده من أجل الإحتفاظ بالصحراء وفصلها عن الجزائر، ولقد أكد نيته في فصل الصحراء عن الجزائر صراحة في خطاب له يوم 18 سبتمبر 1959 الذي أعلن خلاله منح الجزائريين حق تقرير مصيرهم واستثنى من ذلك العمالتين الصحراويتين، الواحات والساورة لما تزخران به من ثروات طبيعية وطاقوية.⁽¹⁾

أصدر الجنرال ديغول في 07 ديسمبر 1960 مرسوما يفصل فيه الصحراء عن الجزائر ويربطها رأسا بفرنسا، تنفيذا لهذا المرسوم، وفي الفترة التي كانت فيها المفاوضات الجزائرية الفرنسية في أوجها، عبر المفاوض الفرنسي جورج بومبيدو Georges POMPIDOU في لوسارن عن موقف فرنسا بقوله: (ليس من المصلحة إثارة مشكل السيادة على الصحراء، فإثارة هذا المشكل معناه البحث عن المصاعب ليس فقط مع فرنسا ولكن أيضا مع بلدان أخرى، إن فرنسا تباشر الآن تقسيم هذا الإقليم وفق الصيغة الأرحب في إطار دولي...الصحراء بحر داخلي له جيرانه ومن بينهم الجزائر، وفرنسا ستلتزم باستشارتهم جميعا).⁽²⁾

بعدها طرحت مسألة فصل الصحراء الجزائرية عن الشمال، وبحلول شهر ماي 1961، وصلت المفاوضات الجزائرية الفرنسية الى طريق مسدود، وبتاريخ 13 جوان 1961 توقفت المحادثات بين الطرفين إثر سحب ديغول وفده من المفاوضات التي أصبحت تدور في حلقة مفرغة، متهما الوفد الجزائري بأنه جاء إلى المفاوضات بغرض القيام بالدعاية وفرض الشعارات الثورية، إلا أن الطرفين قد قررا الإبقاء على الإتصال فيما بينهما، وقد تم تعيين سعد دحلب للبقاء ك ممثل للحكومة المؤقتة في جنيف إلى غاية 20 جويلية 1961 ليكون الوسيط بين المبعوثين الفرنسيين والحكومة المؤقتة، ويحاول أن يستفيد من هذه الفترة لنشر

المعلومات والتعريف وشرح مواقف الجزائريين للعديد من الوفود الأجنبية.⁽³⁾

كان العمل من جانب جيش وجبهة التحرير الوطنيين في هذه الأثناء حثيثا من أجل توعية الجزائريين بالمفاوضات وما آلت إليه،⁽⁴⁾ ضاعفت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية من العملية الدعائية بالقول أن فرنسا تفاوض لأنها خسرت ميدانيا، والهدنة ليست سوى دليل على ضعفها، وأن الإستقلال قد أصبح على المشارف. وقد جاء في وثيقة بعنوان التقرير الأدبي عن مفاوضات إيفيان بإسم جبهة وجيش التحرير الوطنيين عن الولاية الأولى المنطقة الأولى: لقد إستقبل الشعب نبأ المفاوضات منذ بدايتها في 20 ماي 1961 بكامل الغبطة والسرور وبارتياح عظيم، وتمنى أن تسفر هذه المفاوضات عن تحقيق رغباته الوطنية وأهدافه المنشودة ويوضع حد نهائي للإستعمار والهيمنة والتحكم الأجنبي، ويفتح عهدا جديدا تسوده الحرية والكرامة والتعاون المثمر على أساس إحترام السيادة الوطنية.⁽⁵⁾

نشطت الجبهة دعايتها في المدن حول الصحراء، وبأنها جزء لا يتجزأ من الجزائر أمام إصرار فرنسا على فصل الصحراء الجزائرية، وأكدت أن الخيارات الصحراوية للجزائريين. وشرع أعضاء الحكومة المؤقتة وممثلوها في زيارة مختلف العواصم الإفريقية والعربية للحصول على دعمها وإشراك البعض منها في إعلام الرأي العام الدولي وتعبئته ضد المشاريع الفرنسية الرامية الى تقسيم الجزائر. سلسلة الزيارات التي تمت في هذا الإطار بدأها فرحات عباس من المغرب يوم 2 جويلية، ثم كريم بلقاسم الى ليبيا يوم 9 جويلية ومحمد يزيد الى كوناكري في نفس اليوم والذي طار منها الى باماكو يوم 12 جويلية، وهكذا فقد كثفت إذاعات تونس، الرباط، القاهرة وعمان من الدعاية المضادة لفصل الصحراء.⁽⁶⁾

شهدت الأيام التالية لوقف المفاوضات بالجزائر مظاهرات في عدد من المدن الجزائرية تحت شعار المطالبة باستئناف المفاوضات واستقلال الجزائر في إطار وحدتها وسلامة ترابها، وتعاظمت الحركة وشملت الكثير من مدن البلاد من 1 الى 5 جويلية 1961، ففي 30 جوان، وفي نداء الى الجزائريين، قامت الحكومة المؤقتة بإعلان يوم الاربعاء 05

جويلية 1961: (يوما وطنيا ضد التقسيم)، لكن قيادة الولاية الرابعة لم تنتظر هذا التاريخ إذ أمرت يوم 01 جويلية بمظاهرات وإضرابات ضد التقسيم فاستجابت للنداء مدن عديدة،⁽⁷⁾ وهو ما اعترفت به التقارير الفرنسية، والتي أعطت النتائج التالية.⁽⁸⁾

عدد المتظاهرين: 45.000 .

متظاهر من مجموع 8.900.335 جزائري.

عدد البلديات التي مستها هذه المظاهرات: 54 من مجموع 1569.

عدد المتظاهرين بالنسبة لمجموع السكان: 0.5% من الجزائريين

مست المظاهرات أكثر المدن بنسبة 2.5%.

- بمنطقة قسنطينة: من مجموع 04 مقاطعات، و29 دائرة كانت المظاهرات بـ 15 دائرة و621 بلدية.

سطيف: سطيف: 5000 متظاهر من مجموع 83.276 ساكن جزائري.

برج بو عريريج: 1000 متظاهر من مجموع 35.387 ساكن جزائري.

توكفيل(سكيكدة): 200 متظاهر من مجموع 11.955 ساكن جزائري.

عنابة: 2000 متظاهر من مجموع 113.487 ساكن جزائري

مرداس: 100 متظاهر من مجموع 2.421 ساكن جزائري.

قالمة: 150 متظاهر من مجموع 30.996 ساكن جزائري.

هلبوبوليس: 50 متظاهر من مجموع 4.712 ساكن جزائري.

واد حنيد: 100 متظاهر من مجموع 40116 ساكن جزائري.

خنشلة: 3000 متظاهر من مجموع 23.855 ساكن جزائري.

كورناي: 500 متظاهر من مجموع 3.768 ساكن جزائري.

باتنة: 6000 متظاهر من مجموع 39.849 ساكن جزائري.

قسنطينة: 10.000 متظاهر من مجموع 181.403 ساكن جزائري.

شاتودان: 800 متظاهر من مجموع 19.917 ساكن جزائري.

واد عثمانية: 1200 متظاهر من مجموع 10.854 ساكن جزائري.

واد سقين: 2500 متظاهر من مجموع 6.053 ساكن جزائري.

عين البيضاء: 2000 متظاهر من مجموع 26.377 ساكن جزائري.

عين مليلة: 400 متظاهر من مجموع 15.941 ساكن جزائري.

عين فكرون: 400 متظاهر من مجموع 14.545 ساكن جزائري.

سيقوس: 350 متظاهر من مجموع 3.747 ساكن جزائري.

القالمة: 100 متظاهر من مجموع 11.514 ساكن جزائري.

الولجة: 50 متظاهر من مجموع 2.982 ساكن جزائري.
 بني معمر: 500 متظاهر من مجموع 3.066 ساكن جزائري.
 بني سيار: 350 متظاهر من مجموع 9.017 ساكن جزائري.
 شكفة: 200 متظاهر من مجموع 10.432 ساكن جزائري.
 أولاد نيل: 250 متظاهر من مجموع 5000 ساكن جزائري.
 أولاد أصلاور: 100 متظاهر من مجموع 7.500 ساكن جزائري.
 رقاد- مثلتين: 600 متظاهر من مجموع 8.991 ساكن جزائري.
 الطاهير: 700 متظاهر من مجموع 9.230 ساكن جزائري.
 زيامة منصورية: 300 متظاهر من مجموع 10.401 ساكن جزائري.
 الميلية: 1500 متظاهر من مجموع 14.435 ساكن جزائري.
 واد عجول: 800 متظاهر من مجموع 7.401 ساكن جزائري.
 سيدي معروف: 50 متظاهر من مجموع 6.058 ساكن جزائري.
 ميلة: 1500 متظاهر من مجموع 20.832 ساكن جزائري.
 كاف بوضرسة: 400 متظاهر من مجموع 6.612 ساكن جزائري.
 سيدي مروان: 2000 متظاهر من مجموع 15.748 ساكن جزائري.
 زراير: 400 متظاهر من مجموع 10.877 ساكن جزائري.

قدمت السلطات الفرنسية كحصيلة عن هذا النشاط: من
 3.488.134 ساكن بمنطقة قسنطينة، كان عدد سكان المدن المتظاهرة
 821.253 ساكن، وعدد المتظاهرين 28.950 متظاهر بمعدل 40 بلدية
 و 15 دائرة. مع تسجيل 49 حالة وفاة و 248 جريح.

جندت السلطات الاستعمارية في مواجهة هذه المظاهرات بمدينة
 الجزائر مثلا 35.000 شخص من الشرطة الرسمية والمكلفين بحفظ
 الأمن و 30.000 جندي بين مشاة وجنود المظلات وجنود تابعين للفيلق
 الأجنبي و 05 فرق من الحرس الجمهوري نقلتهم الطائرات على جناح
 السرعة من فرنسا.

2- التحضير للمظاهرات بالمنطقة الأولى من الولاية الأولى

1-2- التحديد الجغرافي للولاية الأولى والمنطقة الأولى بها

تمتد حدود الولاية الأولى التاريخية من الناحية الغربية من مدينة
 برج بوعريريج إلى المسيلة بما في ذلك المدينة جنوبا، أما حدودها

الشرقية فتمتد من سيدي صالح شمالا إلى نقرين جنوبا على الحدود التونسية، أما من الجهة الشمالية فتبدأ من مدينة برج بوعريريج إلى سطيف بما فيها المدينة ثم طريق السكة الحديدية كحدود بين منطقة الأوراس ومنطقة القبائل (المنطقة التاريخية الثالثة). ومن سطيف إلى العلما إلى اولاد رحمون فسيقوس، قصر الصبيحي، سدراته ثم مداوروش كحدود مع الشمال القسنطيني وسوق أهراس. أما حدودها من الناحية الجنوبية فتمتد من مدينة المسيلة غربا عبر شط الحضنة، بريكة، بيطام، تيلاطو، معافة، جبل سيدي عقبة، عين الناقة، سيدي خليل، خنقة سيدي ناجي، زريبة الواد، بونقار بوقشة، جنوب نقرين بالحدود التونسية إضافة إلى حدود الولاية السادسة التاريخية التي كانت جزء من تراب المنطقة التاريخية الأولى، وتحت تصرف قائدها بن بولعيد مباشرة، إلى غاية إخراجها كولاية تاريخية جديدة سنة 1956.⁽⁹⁾

كانت هذه المناطق خلال فترة الإستعمار الفرنسي جزءا من مقاطعة قسنطينة التي أنشأت في 9 ديسمبر 1848 بالتوازي مع مقاطعتي الجزائر ووهران، قسمت إلى خمس دوائر arrondissements بموجب قرار 25 فيفري 1860 وهي: قسنطينة، عنابة، سكيكدة، قالمة و سطيف لتضاف لها بعد ذلك دائرتين: بجاية بموجب قرار 27 جويلية 1875، وباتنة بموجب قرار 1 فيفري 1885.

لم يكن بدائرة باتنة سوى ثلاث بلديات كاملة الصلاحيات وهي: باتنة، لامبيز وبسكرة، وأربع بلديات مختلطة: عين لقصر، عين التوتة، أريس وخنشلة، لتضاف إليها مع مطلع القرن العشرين البلديتين المختلطتين بلزمة في 1904، وبريكة في 1907، وتلتحق بهم خنشلة في سنة 1911، وهي الهيكلية الإدارية التي استمرت إلى اندلاع الثورة التحريرية.

قسمت الجزائر باندلاع الثورة التحريرية الى مناطق ثم الى ولايات بعد مؤتمر الصومام، حدود الولاية الأولى هي الحدود التي تم توضيحها سابقا، أما حدود المنطقة الاولى منها وفق ما جاء في تقسيم إجتماع الصومام فتمتد من مدينة المسيلة إلى برج بوعريريج غربا ومن البرج و سطيف، العلما، بئر الشهداء، سوق نعمان، تلاغمة شمالا عبر خط سكة

حديد نحو قسنطينة، ومن تلاغمة، عين ياقوت، باتنة، عين التوتة شرقا،
ومن عين التوتة وبريكة الى المسيلة جنوبا.⁽¹⁰⁾

قسمت المنطقة الأولى من خلال مقررات اجتماع الصومام الى أربع
نواحي على الشكل التالي:⁽¹¹⁾

الناحية الأولى: باتنة

القسم الأول: مركونده، حيدوسة، الشعبة، حملة، مروانة، سريانة، وادي
الماء، تقرقورت والسحاري.

القسم الثانية: سوق نعمان، بئر الشهداء، الفسور، زانة إلى غاية التلاغمة.

القسم الثالثة: سبت بن غزالة، ركبة جمل إلى غاية بئر لحرش، من
حدود الولاية الثانية حتى خط السكك الحديدية، العلمة، الطريق المعبدة
حتى بيضاء برج إلى، سبخة بوحداف.

القسم الرابعة: الرحبات، تالخت، لمسيل، بيضا برج، التلة، شيدى، لقصر،
أولاد أمهنة.

الناحية الثانية: عين التوتة

القسم الأولى: تاعنانت، لقصور، عين التوتة .

القسم الثانية: معافة، ومولية.

القسم الثالثة: لبريكات، غاسرو

القسم الرابعة: بيطام، سقانة.

الناحية الثالثة: سطيف

القسم الأولى: عين آزال

القسم الثانية: عين ولمان

القسم الثالثة: راس الواد

القسم الرابعة: برج غدير

الناحية الرابعة: بريكة:

القسم الأول: نقاوس، أولاد رحاب، أولاد عوف، أولاد فاطمة، أولاد سيدي سليمان، بني مخلوف، بومقر، أولاد علي بن عبد الله.

القسم الثانية : بريكة، القصبات، الجزائر الغربي والشرقي، المتكعوك.

القسم الثالثة: برهوم، مقرة، عين الكلبة" عين الخضراء حاليا"، سلمان، الطلبة والشرفة.

القسم الرابعة: لمعاصيد، الزيتون، لمطارفة، مزير، مسيلة، لبراكنية، دوار السعيد، دوار بن سوشة، وادي سلمان.

2-2- التحضير للمظاهرات بالمنطقة الأولى من الولاية الأولى

كانت مظاهرات 5 جويلية 1961، مظاهرات دعت إليها جبهة التحرير الوطني أطيايف المجتمع الجزائري الى القيام بها في كل قرى ومدن الجزائر، للوقوف في وجه المناورات الفرنسية بعد انسداد الطريق أمام استمرار وسير المفاوضات، وبعد أن طرحت فرنسا من جديد مشكلة فصل الصحراء الجزائرية عن الشمال، وتحويلها لمنطقة لها خصوصيات بعيدة عما هو في الشمال بعدما فشلت في أطروحاتها السابقة الداعية لتجزئة الشمال إلى أقاليم محددة جغرافيا، معتمدة في ذلك على الوازع العرقي واللغوي والخصوصية الاجتماعية وغيرها.

جاء في النداء الذي نشرته الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الداعي للقيام بهذه المظاهرات على وجه الخصوص: (في وقت واحد وفي كل مدن الجزائر من العاصمة والمدن الكبرى إلى أصغر دشرة وأبعد دوار ينفذ الإضراب تنفيذا دقيقا شاملا، وتجري المظاهرات التي يشارك فيها كل المواطنين من رجال وشيوخ ونساء وأطفال، وفي نفس الوقت يقوم جيش التحرير بهجومات خاطفة مظفرة على المراكز العسكرية الفرنسية، وينصب الكمائن للدوريات وقوافل الجيش الفرنسي...)⁽¹²⁾، كما دعت الشعوب الشقيقة والصديقة الى مناصرة القضية الجزائرية، ومما جاء في البيان الخاص بذلك: (وتعلن الحكومة المؤقتة الجزائرية أن يوم 05 جويلية 1961 هو يوم وطني ضد التقسيم، وتوجه نداء لشعوب وحكومات البلدان الشقيقة والصديقة لتعرب في ذلك اليوم بصورة

إيجابية عن مساندتها للشعب الجزائري في كفاحه من أجل استقلاله الوطني ووحدة ترابه. إن الشعب الجزائري والشعوب الصديقة ستحبط بفضل عملها سياسة التقسيم وستعمل من أجل استئناف المحادثات الجزائرية الفرنسية فوراً لإجراء تفاوض حقيقي).⁽¹³⁾

نشطت الجبهة لإنجاح هذا الإضراب والمظاهرات بالمنطقة الأولى من الولاية الأولى لإعادة هيكلة التنظيم في المدن، وبدأت عملية التحضير للمظاهرات مع استخدام كلمة إستقلال وحرف إي (I) وهو الحرف الأول في كلمة Indépendence في المحاورات، المراسلات، الكتابة على الجدران وتعويد الناس على المصافحة بالسبابة.⁽¹⁴⁾ مهدت المنطقة للإضراب ليلة 4 جويلية 1961 عندما قام التنظيم السياسي- العسكري لباتنة برمي قنبلتان من نوع OF و F1 في حانة الكازينو Le Casino عند الساعة التاسعة والربع ليلاً. وعرفت العملية جرح كل من المدعويين: أوطاس صالح وحمامي حمودي،⁽¹⁵⁾ بداية من الغد، كان سيناريو المظاهرات والإضرابات وفق ما سيتم عرضه بالعنصر الموالي.

3- سير المظاهرات والإضرابات بالمنطقة الأولى من الولاية الأولى

3-1- بياتنة:

البداية كانت بالإضراب إذ سجل رئيس المحطة البرية للنقل بالسكك الحديدية في تقريره إلى السيد محافظ باتنة قائمة بأسماء المضربين ضمت كل من:

عبد الصمد محمد - خريس محمد- مجو علي- خرشي محمد- رداح مبارك- شوخة محمد- بو عبد الله محمد- طحطاح محمد- مسعود ذبيح عبد اللاتي- بعداش لخضر- بو عبد الله عبد الحميد- بخوش عبد القادر- خلفاوي عبد الكريم- ميهوبي شريف وحليمي محمد.⁽¹⁶⁾

بدأت المظاهرات بحي شيخي، وبطريق بسكرة في حدود الساعة العاشرة صباحاً، أغلق الطريق المؤدي إلى المكانين بسيارة إطفاء قديمة غير أن الشرطة سرعان ما تدخلت ليعود الهدوء من جديد إلى غاية الساعة الحادية عشر أين تجمع بعض الأطفال والشباب بحي شيخي.

كما عرف مركز المدينة أيضا بشارع بيجو Bugeaud محاولة تجمع للأطفال والشباب لتعم المظاهرات كل شوارع المدينة بداية من الساعة الحادية عشر وعشر دقائق، مظاهرات ميزها حضور قوي للأطفال وشباب لم يتجاوزوا المائة، في كل تجمع يرددون الهتافات: الجزائر مسلمة، الجزائر مستقلة، يحيا بن بلة وعباس في السلطة، يحملون الرايات الوطنية في مقدمة كل مظاهرة منها، ترافقها الزغاريت التي كانت تخرج من نوافذ المنازل التي يقطنها جزائريون،⁽¹⁷⁾ مثل ما حدث بعمارة CIA ومن منزل المدعو قوزي Gozzi بشارع نيقريي Negrier وبحي كومبيز Cambes.⁽¹⁸⁾

تطورت الوضعية الى خارج باتنة وسط بحلول منتصف النهار، الى حي كشيدة بعدما قام شباب برمي قنبلتين من نوع OF على سيارتين عسكريتين كانتا بصدد تأدية مهامهما مما أدى الى جرح دركي وثلاث عساكر، ثم الى حي بوعقال بداية من الساعة الواحدة بعد الزوال أين تجمع حوالي 1000 شخص، وقد تولت الشرطة عملية تفرقتهم، ثم الى حي السطا Stad بداية من الثانية زوالا أين تجمع أشخاص تمكنت فرق CCR بعدها من تفريقهم ومصادرة رايتين وطنيتين ثم الى شارع المسجد في حي المجزرة بداية من الساعة الثالثة زوالا، وقد عرفت الساعة الثالثة بعد الزوال تجمعا للنسوة بشارع كوما اتهمت على إثرها الأنسة بوعبد الله ابنة العامل بالسكك الحديدية بالإنتماء الى الحزب الشيوعي الجزائري وبتحريض النساء على التظاهر حينها.⁽¹⁹⁾

تعرضت قوات حفظ الأمن بحي شيخي بداية من الساعة الرابعة لهجوم، ليعود الهدوء الى المدينة بداية من الساعة الخامسة مساء،⁽²⁰⁾ لتشهد الساعة التاسعة ليلا وعشرون دقيقة تفجيرا للغم بمحطة السكك الحديدية ، وفرار لثلاثة أشخاص لم يتم التمكن من تحديد هويتهم.

كان عدد المتظاهرين الذين ألقى عليهم القبض في حصيلة أولية قدمتها الهيئات المعنية، والى حدود الساعة الواحدة زوالا، عشر أشخاص مع تسجيل أربع إصابات منهم طفل ومراهق ليرتفع العدد نهاية النهار الى قتيل و 62 معتقل، الكثير منهم غرباء عن مدينة باتنة، 6 جرحى في صفوف الجزائريين منهم 2 جرحوا بسبب التراشق بالحجارة و 4 بواسطة

الرصااص المنبعث من مسدسات الشرطة، وتم تسجيل 4 حالات جرحى في صفوف قوات الأمن الاستعمارية.⁽²¹⁾

سجل سجن لامبيز في 05 جويلية حركة إضراب عن الطعام قام بها المسجونون تنفيذا لأوامر جبهة التحرير، غير أن الأمر سرعان ما انقلب رأسا على عقب بعدما وقعت مشادات بين المساجين، اتضح بعدها أن من أضرب هم ثلثة من مجموع 1000 مسجون كان منهم 60 من أنصار الحركة الوطنية الجزائرية "MNA" لم يضربوا، وأمام اصرارهم على عدم الإستجابة لأوامر الجبهة كانت المشادات بينهم وبين أنصار الجبهة التي أدت الى جرح اثنين منهم.⁽²²⁾

قدمت السلطات الفرنسية في نهاية النهار حصيلة عن نتائج الإضراب بعبارة سري للغاية جاء فيها: (بلغت نسبة الإستجابة للإضراب بباتنة حوالي 80 الى 90 بالمائة خاصة في صفوف التجار، وأصحاب المقاهي(المقاهي المور). أما بالمصالح الإدارية فقد كانت نسبة الإستجابة بها 40 بالمائة،⁽²³⁾ وهذا بسبب الخوف من انتقام السلطة الاستعمارية، أما مصالح المستشفيات، الأشغال العمومية، EGA، فقد سجلت نشاطا عاديا.

استأنف المضربون بباتنة عملهم مساء وسجلوا حضورهم المعتاد بداية من اليوم الموالي، وحث رئيس دائرة الأوراس السيد أحمد ثابتي السكان في بلاغه الذي بث بالراديو على توخي الهدوء وقدم فترة حضر التجوال بساعة واحدة، أي الثامنة مساء بدلا من التاسعة.

3-2- ببريكة:⁽²⁴⁾

أبرق نائب محافظ بريكة الى محافظ باتنة في حدود الساعة العاشرة صباحا وأربعون دقيقة من يوم 5 جويلية 1961 يصف له الوضعية بشوارع بريكة التي اتسمت بالإضراب العام، لقد تمت الإستجابة الى قرار الإضراب ببريكة بنسبة 100 بالمائة عند التجار وأصحاب المقاهي ما عدا الخبازين والصيدلة لضمان أدنى الخدمات، وعند عمال أغلب المؤسسات والإدارات، أما موظفي المكاتب فقد كانوا الوحيدين الذين كانوا بمواقع عملهم في ذات اليوم، يضيف نائب المحافظ في

تقريره، شوارع المدينة كانت خالية وهادئة لم يلحظ بها سوى وجود لبعض الاطفال.⁽²⁵⁾

أشار التقرير في حديثه عن المصالح التابعة لنائب محافظ بريقة الى أن كل عمال المكاتب قد كانوا بمواقع عملهم عدا أربع أشخاص من بين الستة الذين يشكلون اليد العاملة، أما عمال البلدية فقد التحقوا بمواقعهم عدا سكرتير من سقانة.

أرسلت برقية أخرى في حدود الساعة الثالثة والنصف زوالا جاء فيها: "أن الإضراب يعم كل الشوارع تجار وسكان ومحلات ومقاولين وحرفيين كل الشوارع خالية والهدوء يعم دون تسجيل أي حوادث."⁽²⁶⁾

تدخل نائب المحافظ في مواجهة هذا الإضراب العام وأعطى الامر بعودة النشاط، وأمام عدم الإستجابة التي سجلت من طرف الجزائريين تدخل قائد الناحية في حدود الساعة السادسة مساء وأرغم المقاهي العربية على إعادة فتح أبوابها.⁽²⁷⁾

3-3- بنقاوس: عم الإضراب بنقاوس أيضا وقد سجل بها على خلاف غيرها وجود كتابات حائطية تشيد في معظمها بجبهة التحرير الوطني ورموزها.⁽²⁸⁾

3-4 - بكورناي (مروانة):⁽²⁹⁾

عرفت مروانة بداية من الساعة التاسعة وعشر دقائق من صبيحة يوم 05 جويلية 1961 خروج الجزائريين الى الشوارع بالآلاف حاملين لشعارات ومرددين لهتافات تشيد بجبهة التحرير الوطني ورموزها، لمواجهة هؤلاء، تعالت الطلقات النارية من جانب قوات الأمن الفرنسي لتضيق المتظاهرين فكانت الحصيلة وفاة متظاهر وجرح اثنين آخرين واعتقال مئة شخص للتحقق من هوياتهم وفرار أحدهم ما أدى الى ملاحقته ليجد حتفه خارج المدينة، بعد العملية أوقف 11 شخصا منهم في صفوف الثوار وأعضاء من التنظيم المدني ORU المسؤول عن تنظيم المظاهرات. وفي برقية من نائب المحافظ لكورناي الى محافظ باتنة ارسلت عند الثالثة وأربعون دقيقة بعد الظهر أشار الأول الى حالات

التوقيف تلك، كما أشار الى أن هناك من فر أثناء الإعتقال الى المنازل المجاورة مما استوجب القيام بحملة تفتيش لهذه المنازل واعتقالهم، وكذا تقديم وقت حضر التجوال من الساعة الحادية عشر ليلا الى السابعة ليلا،⁽³⁰⁾ والخلاصة أن نسبة الإستجابة لقرار الإضراب بمركز كورناي قد كانت 100 بالمائة.

3-5- بيرناي وباستور:

بقيت الأوضاع ببيرناي وباستور على حالها ولم يسجل بها أي نشاط إضراب أو احتجاج خلال هذا اليوم، ولم تذكر التقارير سبب ذلك.

3-6- برأس العيون:

كانت نسبة استجابة التجار 25 بالمائة في الصباحة، ثم عادت الأمور الى نصابها عند منتصف النهار. بقيت المحلات التي يملكها أوربيين تعمل بصورة عادية أما المصالح الخاصة بالخدمات فقد عملت دون توقف.⁽³¹⁾

4- تأثير مظاهرات يوم 05 جويلية 1961 على مسار الثورة

أسفرت المظاهرات عن جملة من النتائج الداخلية والدولية التي دفعت بالقضية الجزائرية نحو التسوية الإيجابية، منها تعميق النضال الوطني لدى القاعدة الشعبية وتجميع الرأي العام الجزائري حول وحدة المصير والتصدي لكل الدسائس الاستعمارية الهادفة لإبقاء سيادتها على التراب الوطني، وكذا مساندة مساعي الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في تونس من خلال تزكية مطالب الوفد الجزائري.

خطب الجنرال ديغول في 12 جويلية 1961 قائلا: (...أما بالنسبة للصحراء فإن خط سيرنا هو ذلك الذي يحفظ مصالحنا ويأخذ الحقائق بعين الإعتبار، أما مصالحنا فتتمثل في: حرية استغلالنا للبترول والغاز الذي اكتشفناه والذي سنكتشفه، أما الحقائق فتتمثل في أنه لا يوجد هناك جزائري واحد، وأنا على يقين من ذلك بأن الصحراء يجب أن تكون جزءا لا يتجزأ من الجزائر، وبأنه لن توجد حكومة جزائرية واحدة مهما كانت توجهاتها إزاء فرنسا ستقبل بالتخلي عن المطالبة بالسيادة على الصحراء، وأخيرا فإن الواقع هو أنه لو نشأت دولة جزائرية، وكانت شريكة لفرنسا

فإن الغالبية من سكان الصحراء سوف يميلون الى الإرتباط بها حتى لو لم يطالبوا بذلك علنا في السابق بما يعنيه ذلك أنه في الحوار الجزائري الفرنسي، والذي سوف يتم بعثه مع جبهة التحرير الوطني، أو مع أي هيئة تمثيلية أخرى كهيئة المنتخبين مثلا فإن مسألة السيادة على الصحراء لن تكون محل اعتبار على الأقل من جانب فرنسا، لكن ما يعيننا هو أن يخرج هذا الإتفاق بشراكة تحفظ مصالحنا...⁽³²⁾ وهكذا فقد أعطى تصريحه هذا قفزة نوعية في سير المفاوضات الجزائرية الفرنسية ومهد الطريق لانطلاق سلسلة من اللقاءات طرحت خلالها قضايا التعاون الإقتصادي والمصالح الإستراتيجية والعسكرية بين الطرفين.

إلتقى الوفدان من جديد بعد توقف المفاوضات في مرحلتها الأولى، في 20 جويلية 1961 بعد تبادل العديد من وجهات النظر في لوقران حيث بقيت مسألة الصحراء حجر عثرة أمام التوصل إلى إتفاق الطرفين في هذا اللقاء، وقد إتبعته فرنسا أسلوبا جديدا في الضغط على الحكومة المؤقتة بعد توقف مفاوضات إيضيان، حيث حاولت إثارة الدول الإفريقية المجاورة للجزائر بحجة أن مصالحها في الصحراء مهددة بمطالب الجزائر التي لن تترك لهم مجالا فيها، فاتصلت الحكومة المؤقتة بوزارات خارجية هذه الدول، أوضحت لها موقفها من الصحراء، وجاء رد الدول الإفريقية: (إن موضوع الصحراء يمكن أن يحل بصورة ودية بين الدول الإفريقية ذاتها ولكن بعد استقلال الجزائر).⁽³³⁾

اجتمع أعضاء المجلس الوطني للثورة في طرابلس في الفترة الممتدة من 06 إلى 27 أوت 1961 لدراسة نتائج المفاوضات مع فرنسا وتقييم مسار ما تحقق، وقد تقرر في هذا الإجتماع مواصلة الكفاح حتى نيل الإستقلال التام، وكذا تعيين بن يوسف بن خدة رئيسا للحكومة المؤقتة الجزائرية بدل عباس فرحات.⁽³⁴⁾ في هذه الأثناء وفي 13 أكتوبر 1961، أعلن لويس جوكس Louis JOXE عن استئناف المفاوضات بعد أن أبلغ الطيب بولحروف الوسيط السويسري أوليفي لونغ Olivier LONGUE باستعداد الحكومة المؤقتة للعودة الى التفاوض مع فرنسا، وكان ذلك في 28 من نفس الشهر، حيث إلتقى الوفدان في مدينة (بال) السويسرية، حيث ركز الوفد الجزائري في النقاش حول قضية الصحراء

والوحدة الترابية، إلا أن الوفد الفرنسي تراجع عن مطالبه المتشددة هذه المرة، ورد بأنه فيما يتعلق بالسيادة لن يكون هناك غموض إذا تم الإتفاق على سياسة عامة للتعاون، لكن الوفد الفرنسي لم يوضح موقفه حول إستفتاء شامل، يطبق على مجموع التراب الوطني بما في ذلك الصحراء، أما دوليا فقد دفعت المظاهرات بالقضية الجزائرية وكسبت التضامن العالمي من دول المغرب العربي والدول العربية والإفريقية والآسيوية كذلك.

الخاتمة:

في مواجهة السياسة الفرنسية الرامية الى فصل الصحراء الجزائرية عن الشمال، كثفت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية من نشاطها الداخلي والخارجي للوقوف في وجه التقسيم.

- دعت الحكومة المؤقتة الى مظاهرات وإضرابات في إطار ما عرف باليوم الوطني ضد التقسيم يوم 05 جويلية 1961

- لم ينتظر الشعب الجزائري هذا التاريخ للقيام بالتظاهر والإضراب، بل بدأ نشاطه قبل ذلك بمختلف المدن الجزائرية.

— دفعت هذه المظاهرات الى دعم وتقوية الموقف التفاوضي لدبلوماسية الثورة الجزائرية، في مواجهة الموقف المتصلب والمتعنت للاستعمار الفرنسي.

- يجمع الكثير من المؤرخين وكذا المجاهدين بأن المغزى الحقيقي من مظاهرات يوم 5 جويلية 1961 كان رفع العلم الوطني عاليا، والتأكيد على جزء عميق من هوية الشعب الجزائري، وهو الراية الوطنية الموحدة وما يعنيه ذلك من تراب وطني واحد وهو ما تحقق في المظاهرات التي كانت بالمنطقة.

- لم يتم خروج النسوة في هذه المظاهرات بشكل اعتباطي، بل تجسد بالتنسيق مع قيادة جيش التحرير الوطني بغية توصيل رسائل هامة للرأي العام الوطني والأجنبي، وفي مقدمة ذلك التأكيد على رغبتهم في رفع لواء الثورة والدفاع عن الوحدة الوطنية.

الهوامش:

1. صالح بلحاج، تاريخ الثورة الجزائرية، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2008، ص.ص. 385-386.
2. Gilbert MEYNIER, Histoire intérieure du FLN 1954-1962, Alger, Casbah Editions, 2003, p.624
3. صالح بلحاج، المرجع السابق، ص. 387.
4. A.O.M 81F/ 2443: 2^{ème} bureau, Bulletin mensuel de renseignements mois de juin 1961.
5. A.O.M 81F/894: Evènements, grèves et manifestations politiques en Algérie et en métropole, réglementation : textes officiels ; surveillance : notes, rapports, coupures de presse, correspondance. (1952/1961)
6. صالح بلحاج، المرجع السابق، ص. 390.
7. المرجع نفسه، ص. 390.
8. A.O.M 81F/894, Op.Cit.
9. منظمة المجاهدين لولاية باتنة، أحداث الثورة التحريرية (الأوراس)، التقرير الجهوي للولاية الأولى، الملتقى الوطني الرابع لتسجيل أحداث الثورة من 1/1/1959 إلى 7/5/1962، 1987، مطبعة عمل قرفي، باتنة، ص.ص. (4-5).
10. المرجع السابق، ص. 3.
11. المرجع السابق، ص.ص. (67-68).
12. A.O.M 81F/ 2443: 2^{ème} bureau, Bulletin mensuel de renseignements mois de juin 1961.
13. Ibid.
14. A.O.M 81F/894, Op.Cit.
15. A.O.M 81F/894: Le 6 juillet 1961, Le commissaire principal, chef du service départemental des renseignements généraux BATNA à monsieur le directeur de la sureté nationale en Algérie. Journée du 5 juillet 1961 Faits marquants, considérations, p.02.
16. A.O.M 81F/894: Le chef de gare de de Batna à Monsieur le prefet du département de l' Aurès Batna, Grève du 5 Juillet 1961.
17. A.O.M 81F/894: le 6 juillet 1961, Le commissaire principal, chef du service départemental des renseignements généraux BATNA à monsieur le directeur de la sureté nationale en Algérie. Journée du 5 juillet 1961 Faits marquants, considérations, Op.Cit, p.03.
18. A.O.M 81F/894: Le commissaire principal chef du SDRGDumas Norbert, Film de la journée du 5 juillet 1961
19. Ibid.
20. A.O.M 81F/894: le 6 juillet 1961, Le commissaire principal, chef du service départemental des renseignements généraux BATNA à monsieur le directeur de la sureté nationale en Algérie. Journée du 5 juillet 1961 Faits marquants, considérations, Op.Cit, p.03.
21. Ibid, p.04.
22. Ibid, p.02.
23. Ibid, p.01.
24. A.O.M 81F/894: Le chef de gare de de Batna à Monsieur le prefet du département de l' Aurès Batna, Grève du 5 Juillet 1961.
25. A.O.M 81F/894: Rapport du capitaine SIGRIST commandant la compagnie de Gendarmerie de Biskra sur la journée de grève du 5 juillet 1961 dans les arrondissements de Biskra et Barika.
26. A.O.M 81F/894: Sous prefet Barika à Prefet Cabinet Batna, 5/7/1961 à 10 :40.
27. Ibid, p.3
28. Ibid.
29. A.O.M 932 : Préfecture des Aurès// 298. Rapport de l'adjudant-chef Chamberlin, Commandant Pvt la Compagnie de Gendarmerie de Batna sur les manifestations troublant l'ordre public survenues le 5 juillet 1961 dans la circonscription de la Compagnie de Batna. Le 7 juillet 1961.
30. A.O.M 81F/894: Sous prefet Corneille à Prefet Cabinet Batna, 5/7/1961 à 15 :40.
31. A.O.M 81F/894: Batna le 5 juillet 1961. Le commissaire principal chef du SDRGDumas Norbert.
- 32- Film de la journée du 5 juillet 1961, Op.Cit.
32. جمعية أول نوفمبر، المرحلة الانتقالية للثورة الجزائرية 19 مارس إلى سبتمبر 1962، دار الهدى، عين مليلة، 2005، ص. 79.
33. الهيثم الأيوبي، الموسوعة العسكرية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981، ص. 374.
34. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص. 532.

معارك الناحية الثالثة من المنطقة الأولى في الولاية الأولى التاريخية خلال الثورة التحريرية من خلال الشهادات الحية وأرشيف العائلات الثورية

ط.د. سلامة دربال. جامعة باتنة- 1-

ط.د. عبد الباسط مخناش. جامعة سطيف- 2-

مقدمة

هناك الكثير من الأحداث التاريخية التي لم تدون خاصة تلك المتعلقة بثورة التحرير والتي تمس بالدرجة الأولى الكتابات المحلية، والتي تخص مختلف تفاصيل ما حدث في الفترة قيد الدراسة، لأسباب عدة أهمها قرب هذه الفترة، وما يترتب عن كتابة مجريات الأحداث بموضوعية وبقاء الكثيرين ممن عايشوا تلك الفترة على قيد الحياة، وكانوا من صناع القرار، أو شاركوا بطريقة أو بأخرى في هاته الأحداث، كذلك صعوبة الوصول إلى الوثائق الأرشيفية الخاصة بالثورة واحتكار البعض لها، وبقاء الباحثين الأكاديميين بعديين عن الأصول التاريخية الرسمية خاصة.

على الرغم من هذا فإن كل العراقيل تهن أمام الباحثين والمحبين للتاريخ، باعتبار توفر كمّ معتبر من الوثائق التاريخية، والروايات الشفوية التي ساهمت كثيرا في إبراز وتوضيح بعض جوانب أحوال المجتمع الجزائري خلال الثورة التحريرية، وبالأخص التي تذكر حيثيات المعارك التي جرت في الناحية الثالثة للمنطقة الأولى من الولاية الأولى التاريخية، والمقصد هنا جنوب ولاية سطيف تحديدا، فالورقة البحثية التي بين أيدينا تتحدث عن أهمية الناحية جغرافيا وتاريخيا، ومصادر تمويل فرق جيش التحرير إضافة إلى أبرز المعارك التي خاضها ثوار جيش التحرير في الناحية الثالثة.

تعد الناحية الثالثة أبرز النواحي من حيث الأهمية الإستراتيجية جغرافيا وتاريخيا، جعلت منها موضع اهتمام لقادة جيش التحرير، ولا تقل أهمية عن باقي النواحي في المنطقة الأولى، فإلى أي مدى ساهمت هذه الناحية في رفع مستوى زخم الثورة التحريرية؟ وما الأضرار التي

ألحقها كتائب جيش التحرير بفرق، ومصالح الجيش الفرنسي بشريا وماديا؟

1- الأهمية الإستراتيجية للناحية الثالثة المنطقة الأولى الولاية الأولى تاريخيا وجغرافيا

اتصفت الناحية الثالثة من المنطقة الأولى الولاية الأولى، باتساع مساحتها، فهي تتربع على معظم مناطق جنوب ولايتي سطيف و برج بوعريريج وأقصى شمال ولاية المسيلة، إضافة إلى محاذاتها للحدود الغربية لولاية باتنة، بحيث تتوسط الولايات الأربع، أما عن أبرز المدن الواقعة في حدودها، فتضم ثلاثة تجمعات سكانية أساسية من ولاية سطيف جنوبا، هي: (عين أزال، عين ولمان، صالح باي)، أما أهم المدن التابعة إداريا لولاية برج بوعريريج حاليا فهي: (رأس الوادي، و برج الغدير، والعديد من القرى).

تميزت الناحية الثالثة جغرافيا بوقوعها بين إقليمين متباينين، إقليم الهضاب العليا والإقليم الصحراوي، فقسم المنطقة الجنوبي هو جزء من سلسلة الأطلس الصحراوي، ومعظم مدنها تقع على الشمال من هاته السلسلة، وتعتبر جزء من سلسلة جبال الحضنة الممتدة من الشرق إلى الغرب، وأهم هذه الجبال، نجد جبل بوطالب، بأعلى قمته "أفرحان" التي بلغت 1886 متر، والتي تتميز بالانحدار الشديد.⁽¹⁾

أضف إلى ذلك جبل "قديل" الذي يصل ارتفاعه إلى 1747 متر، بمنطقة أولاد تبان،⁽²⁾ وجبل تندر الذي يبلغ ارتفاعه 1644 متر، وهناك جبل المعاضيد الواقع في الحدود بين المسيلة و برج بوعريريج، وكل هذه الجبال تنتمي إلى سلسلة جبال الحضنة الممتدة على مسافة حوالي 60 كيلومتر،⁽³⁾ ميزها استفادات منطقة الحضنة والمدن التي شيدها الرومان منذ القدم على غرار مدينة "زابي" المسيلة حاليا، بالمياه الآتية من سلسلة جبال الحضنة، وقد عمل البيزنطيون خلال القرن السادس للميلاد كذلك على حمايتها عبر بناء مدن جنوب هذه الجبال، مثل "فاقس" التي تحوي سوق كبيرة للإنتاج الزراعي.⁽⁴⁾

تعتبر المنطقة منذ العصور القديمة استراتيجية لاحتوائها الطرق والمسالك المختلفة، استخدمها الرومان بسبب قرب خط الليمس منها،⁽⁵⁾ ثم استخدمت في العصور الوسطى، حيث تمر عبر المنطقة أهم المنافذ

بين سطيف والمسيلة، وإلى مدينة "القيروان" شرقاً، أو إلى مدينة "فاس" غرباً، فقد ذكرت هاته المسالك عن طريق ثلة من الجغرافيين العرب، مثل ابن حوقل في كتابه صورة الأرض⁽⁶⁾ وبعده أبي بكر العياشي الذي وصفها جيداً،⁽⁷⁾ والورثلاني،⁽⁸⁾ حيث انظما عبرها إلى القوافل المتجهة نحو المشرق في القرنين السابع عشر والثامن عشر، حيث تمر عبر مدينة برج الغدير الطريق الفرعي.⁽⁹⁾

كان يسلك هذا الطريق أهل بلاد القبائل المتجهين نحو "الزيبان" والجريد بتونس، فيمر هذا المسلك عبر مواطن أولاد يحيى، وقصر الطير، وأولاد موسى، ووطن ريغة، ثم بوطالب وبريكة، وقد ذكره كذلك الورثلاني في رحلته نحو البقاع المقدسة،⁽¹⁰⁾ إذ وصف بعض تلك المناطق وأهلها، على غرار قصر الطير، فقال فيها أنها بادية من أحسن الأوطان، تتصف بالاخضرار صيفاً وشتاءً، ثم ذكر أولاد الكتف (الكتافة)، وأولاد سي أحمد، رأس الوادي، أولاد مداسي، وقد ضاع عند أولاد موسى (الشاوية بصالح باي)، ووصفهم بالمحاربين، ولا يمر أحد على طريقهم، كما حصل له هو شخصياً، إلّا بعد إلقاء بعض الكلمات في شكل موعظة عليهم ثم سمحوا له بالعبور، ثم نزل عند قرية رأس ايسلي ثم أولاد رحاب (المناطق الواقعة ببلدية أولاد تبان حالياً)، ثم ذكر أهل قرية بوطالب ووصفهم بالمرابطين.⁽¹¹⁾

شارك أهل المنطقة إبان الفترة الاستعمارية في الكثير من المقاومات الشعبية، بداية بمقاومة أحمد باي، حيث وجدت أسماء شيوخ القبائل التي شاركته في الدفاع عن مدينة قسنطينة، في إحدى الرسائل التي بعث بها إلى بريطانيا للنظر في قضية احتلال الجزائر، إضافة إلى مشاركتهم إلى جانب صهر الأمير عبد القادر الحاج مصطفى، رغم أن الشيخ مسعود زعيم ريغة لقبالة كان ضد بسط نفوذ الأمير في المنطقة، إلّا أن قوات الأمير بقيادة أحمد بن عمر والحاج مصطفى صهر الأمير، والخروبي آغا الخيالة، قامت بشن عدة هجمات على القوات الفرنسية وأعاونها بسطيف وخاضوا معركة "البحيرة" أواخر سنة 1838 (بصالح باي).⁽¹²⁾

التحق بمقاومة الأمير عبد القادر العديد من القادة الشيخ سعد التبانى، ومولاي الطيب، سي موسى، الذين هاجموا المراكز العسكرية في برج بوعريريج وسطيف، وفي شهر ماي من سنة 1840م، ظهر صهر الأمير الحاج مصطفى مرة أخرى في منطقة الحضنة، حيث تقدم شمالاً أي جنوب سطيف، وأخذ ينظم المقاومة ضد الفرنسيين وأعاونهم، وأرسل إليه الأمير 300 فارس والتحق به الحسن بن عزوز خليفة الأمير على الزيبان بقواته، ثم تقدموا نحو برج الغدير بريغة لقبالة⁽¹³⁾ وقد حرضوا السكان بعدم دفع الضرائب للفرنسيين.⁽¹⁴⁾

كما ثار كذلك سكان جبل أولاد تبان، وجبل بوطالب، وسكان أولاد سي أحمد بريغة لقبالة ضد القوات الفرنسية التي قدمت للمنطقة بهدف مهاجمة قوات الحاج مصطفى، في شهر جويلية 1840م، والذي كان يتركز بالقلعة الزرقاء، حيث استطاع تجنيد سكان مناطق من أولاد عبد النور (سانت أرنو سابقا العلمة حالياً)، إلى الببيان ببرج بوعريريج، وحتى الصحراء جنوباً، وبلزمة شرقاً (الأوراس الغربي حالياً) الشلعل، أرفاعة، مستاوة..)، وبعد عدة هجمات انسحب إلى برج الغدير جنوب شرق برج بوعريريج، ثم إلى الحضنة عبر أولاد براهيم، بعد أن حاول الجيش الفرنسي ملاحقته.⁽¹⁵⁾

بقي الكثير من زعماء القبائل والأعراش في المنطقة تهاجم الفرنسيين وأعاونهم حتى بعد استسلام الأمير عبد القادر، وباندلاع ثورة المقراني 1871، تجددت الهجمات والتحققت أعراش المنطقة بالثورة، وهاجمت مزارع الأوروبيين، حيث قام أحمد باي بن الشيخ المسعود من بوطالب من ريغة لقبالة، والشيخ لعروسي البوعبدلي في قصر الطير بمهاجمة مزارع الفرنسيين في العلمة وقتل العديد منهم⁽¹⁶⁾ وهذه الإستراتيجية المتبعة من طرف الثوار أي الهجمات على مزارع الكولون، كان الهدف منها إفشال مشاريع الاستيطان الفرنسية في الجزائر، لأن الاحتلال الاستيطاني يعد أسوأ أنواع الاستعمار في العالم.

أولى قادة جيش التحرير أهمية بالغة للناحية الثالثة خلال الثورة التحريرية، باعتبارها المنفذ الأساسي للأوراس نحو المناطق الأخرى، فكانت تحوي الكثير من مراكز الدعم والإسناد، وتعد مركز عبور

مجموعات جيش التحرير التي تسعى للتسلح من الحدود التونسية، فقد ذكر المجاهد جدوالي عيسى أن جنود الناحية الثالثة في قرية أولاد تبان، وبالضبط في القسمة الثالثة كانوا يقدمون المساعدات المادية والعون، وكدليل عبر الطرق السرية لمجموعات الولاية الثالثة القبائل الكبرى التي تمر عبر هذا المنفذ وإلى الحدود الشرقية أي تونس قصد التسليح.⁽¹⁷⁾

قسمت قيادة جيش التحرير الناحية إلى قسامات عدة، فكان لها تقسيم إداري عسكري لم يتغير كثيرا عن التقسيم الإداري الفرنسي، حيث أن المنطقة في معظم نواحيها كانت تابعة إداريا لبلدية "ريغة" المختلطة، لذا فالمنطقة تعتبر هي الناحية الثالثة من المنطقة الأولى حسب التقسيم الإداري للولاية الأولى التاريخية كما هو موضح في الخريطة (من الوثيقة رقم 01)، بعد مؤتمر الصومام، وتسمى الناحية الثالثة بناحية سطيف، والتي بدورها تقسم إلى أربع قسامات:

القسمة 1: عين آزال، تنزرت، أولاد علي، السبخة الأولى، السبخة الثانية، بئر حدادة وقجال.

القسمة 2: عين اولمان، الرصفة، أفرط، لفريقات، سكرين (صالح باي)، ملول، أولاد قاسم، أولاد بوطارة، قصر الطير، الخربة وقبلة زديم.

القسمة 3: رأس الوادي، أولاد تبان، الأود سي أحمد، أولاد محلة، أولاد براهيم، أولاد عبد الواحد، لرباع، أولاد مصلي. خلوف، أزبير، الزمالة، الرابطة، أولاد مخلوف.⁽¹⁸⁾

القسمة 4: برج لغدير، أولاد حناش، أولاد سي منصور، شهدت الناحية الثالثة الكثير من المعارك خلال الثورة التحريرية، وبها أبرز الطرق، ومراكز العبور واستراحة أفواج الجنود، المنطلقين من مختلف مناطق الوسط الجزائري والمتجهين نحو الحدود الشرقية خاصة، بغرض التسليح، هذه الأهمية جعلت قادة جيش التحرير يولونها اهتماما كبيرا.

2. مصادر تمويل الثورة التحريرية في الناحية الثالثة المنطقة الأولى الولاية الأولى

لاستمرارية العمل المسلح يجب توفير التمويل باستمرار، فهو الركيزة الأساسية لأي جيش، من خلاله يتم توفير ضروريات الحرب من أسلحة، أدوية ألبسة وأغذية، ففي بدايات الثورة التحريرية لم يكن التمويل منظماً، فكانت كل مجموعة تعتمد على أموال مجنديها الخاصة إضافة إلى اشتراكات سكان المنطقة التي تعمل فيها المجموعة بشكل كلي، خاصة سكان البوادي، وبالأخص الفلاحون في الأرياف الذين سَخروا أموالهم وأنفسهم للثورة، ومع مرور الوقت وتكريس قاعدة شمولية الثورة، وبازدياد عدد أفراد جيش التحرير، أصبح لزاماً وضع إستراتيجية محكمة عبر نظام خاص بها، وتحديد مصادر التمويل مسبقاً، وتكليف أشخاص معينين مختصين بضبطها ونقلها.⁽¹⁹⁾

انتهج قادة الناحية الثالثة من المنطقة الأولى، الولاية الأولى التاريخية الإستراتيجية نفسها التي طبقت في كامل التراب الوطني، من خلال تكليف مجموعة من الفدائيين، وبالأخص في المدن بتحرير تقارير حول مختلف فئات المجتمع، وما تتقاضاه من أجور، لتسهيل فيما بعد عملية تحديد الاشتراكات الشهرية، أو الدورية المفروضة على هاته الفئات، فمن خلال (الوثيقة رقم 02)، نجد أن التقرير يفصل أجور قدماء المحاربين من الجزائريين القاطنين في حدود الناحية الثالثة، وتكون التقارير دورية في شكل دراسة معمقة حول الأشخاص المستهدفين كما توضحه الوثيقة حول اسم الشخص، عمره، سكنه، وما يتقاضاه من أجر، وقد حرر هذا التقرير في شهري نوفمبر وديسمبر سنة 1960.⁽²⁰⁾

كان للمرأة في هذه الناحية دور بارز، فمعاناتها والظروف الاجتماعية المزرية واضطهاد المحتل لها لم يمنعها من المشاركة في زخم الثورة،⁽²¹⁾ خاصة تلك النساء اللواتي فقدن أزواجهن في الحرب، مثل المجاهدة (مسهل الطاوس)،⁽²²⁾ زوجة الشهيد بلجرو الطيب، التي كانت تنتقل من قرية إلى أخرى ضمن خلايا منظمة لجمع الاشتراكات من مناطق لا يستطيع أفراد جيش التحرير من فدائيين الوصول إليها، ثم تسلم ما قامت بتحصيله إلى زوجها،⁽²³⁾ وبعد اكتشاف أمرها من طرف الفرنسيين بعد وشاية أحد الخونة أرسلت إلى العاصمة، وقد كُلفت بمهمة

تسليم رسالة إلى المسبل غربي عمار في حي بلكور (بلوزداد حالياً)، وكانت الرسالة تتضمن طلب التمويل، وقد عادت بمبلغ من المال إلى مدينة عين ولمان مركز بلدية ريغة المختلطة، حيث سلمته إلى أحد الضدائيين، وهو السيد كعش البخوش،⁽²⁴⁾ لذا فجيش التحرير نوع أساليب جمع المال، وعدد طرقه في نقلها لتمويل الثورة التحريرية.

يتجلى ذلك من خلال ما جاء في فحوى بعض الوثائق، فنجد أنها أثبتت مدى فاعلية الجهاز الخاص بجمع التبرعات والاشتراكات، وهو ما توضحه (الوثيقة رقم 03) المؤرخة في 11/02/1962، والتي هي عبارة عن وصل استلام لمبلغ مالي قدر بـ: 1.6 مليون فرنك فرنسي، ويعتبر هذا المبلغ إن صح ما جاء في الوثيقة جد كبير، إن كان يقصد المستلم عملة الفرنك غير ما هو متعارف عليه، أن واحد من العملة المعمول بها تساوي 100 فرنك، إضافة إلى تغيير قيمة عملة الفرنك بعد مجيء الجنرال شارل ديغول إلى رئاسة فرنسا ووصوله إلى سدة الحكم بعد انقلاب 13 ماي 1958.⁽²⁵⁾

يبين كذلك مضمون (الوثيقة رقم 04) حرص جبهة التحرير على تطبيق القوانين الصارمة حول تنقل الأفراد المدنيين خاصة، بحيث تُمنح الرخص لهم من أجل تنقلهم إلى المدن، والتي تكثر فيها مراكز الشرطة والجيش الفرنسي، خوفاً من تسريب معلومات تخص تحركات أفراد جيش التحرير، لذا فكل شخص تنقل إلى المدن دون منحه رخصة لذلك، تُفرض عليه غرامة مالية، هذه الغرامة تدخل ضمن مبالغ تمويل الثورة، كما توضحه معلومات الوثيقة، بحيث تبين قيمة الغرامة المالية التي فرضها مسؤول القسمة الثالثة على المواطن باي المعيوف، بسبب إرسال ابن أخيه إلى مدينة باسكال (صالح باي حالياً) دون رخصة،⁽²⁶⁾ وقد تتنوع الغرامات المالية حسب شكل الخطأ المرتكب من طرف المعني بالغرامة، أي الذي خرق قانون جيش التحرير.

إضافة إلى أن جنود جيش التحرير في الجبال وجب دعمهم باللباس العسكري خاصة الذين تُنشط لهم مهمة القتال ضد المحتل، لذا فمعظمهم ليس لديهم لباس موحد، فبعضه غنائم تُجمع بعد المعارك،⁽²⁷⁾ وبعضه توفره جبهة التحرير عبر خياطته محلياً، وفي هذا السياق فهناك دور

بارز لعبه الثوار الحرفيين المختصين في إصلاح الأسلحة، وخطاطة الأحذية العسكرية، واللباس العسكري، وقد لفت انتباهنا مضمون بعض الوثائق، حيث تذكر الكثير من المعلومات حول هذا الموضوع الذي لم تسلط عليه الأقلام التاريخية الأضواء كثيرا، فتتضمن هذه التقارير والرسائل بعض الأرقام والكميات المعتبرة من الأحذية والألبسة العسكرية المصنعة محليا، والتي ترسلها الناحية الثالثة إلى مناطق أخرى، هاته العدة التي تعتبر من ضروريات الحرب، فمن خلال حرفي المنطقة استطاعت جبهة التحرير توفير ما يحتاجه أفرادها في المنطقة، وتمويل نفسها بنفسها دون اللجوء إلى شرائها من خارج الحدود.

كذلك تتضمن (الوثيقة رقم 05) المؤرخة بتاريخ 1961/10/05، والتي بعثها نائب الناحية الثالثة أحسن بوزراعة، إلى المجاهد الحسين كباب المسؤول عن الخلية المكلفة بصنع الألبسة والأحذية، طلب تزويده بـ 25 سروال، و25 معطف، وعشرة أحذية، صنع محلي، وطلب منه استخدام القماش من النوع الجيد، ثم نوه على تعليم مجموعة من الشباب مهنة الخياطة وصنع الأحذية، لأن أحد الحرفيين المعتمدين في صناعة اللباس والأحذية من مدينة عين ولمان، لم يرد على اتصالاتهم بهذا الشأن، كما أخبره في الجهة الخلفية من الرسالة، ربما خوفا من قوات الاحتلال في المدينة، أو ترددا منه بسبب التضييق وانتشار الخونة.

كذلك الشأن بالنسبة للحرفيين المختصين في إصلاح قطع السلاح التي تعطلت أثناء أداء الجنود مهامهم الجهادية، فهناك رسائل عدة حول نقل هذه الأسلحة إلى المختصين، بغرض إصلاحها وهي متنوعة، على غرار بندقية من نوع (ماس MAS-36)، ومسدس بيريطا، من خلال الرسالة التي بعثها نائب الناحية أحسن بوزراعة إلى المجاهد الحسين كباب، المسؤول الأول على خلية الحرفيين وعلى هذا النوع من الدعم، وهذه الوثيقة مؤرخة بتاريخ 1961/09/10، تحت رقم 104، وهذا ما يلاحظ عن أهمية الحرفيين في إصلاح الأسلحة المعطلة، وإذا ما وجدت الإمكانيات لهؤلاء يمكن تصنيع بعض أنواع الأسلحة والقنابل محليا لتوفير الدعم، ولو بشكل محدود ومعتبر لاستمرارية العمليات العسكرية ضد الاحتلال.

تبقى الكثير من حيثيات الثورة التحريرية في هذا الموضوع تتطلب البحث والدقة والمقارنة، فالنظام المعتمد في تمويل الثورة جد دقيق، وُضع خصيصا لمواجهة النظام الفرنسي الذي درس المجتمع الجزائري جيدا، ويعرف قادة الثورة حق المعرفة، لذا تطلب من قيادة جبهة التحرير أخذ جميع احتياطاتهم في هذا الشأن، ويغيرون استراتيجياتهم ودوريا كلما سنحت الفرصة، ليتجاوزوا السلطات الفرنسية في كل مرة، ولو بخطوة.

3- أبرز معارك جيش التحرير الوطني في الناحية الثالثة

إذا اعتبرنا أن الناحية الثالثة مركز عبور ونقطة التقاء فرق جيش التحرير من الولايات الأربع، كان حريا بقيادة جيش التحرير تنشيط هذا المحور الذي يعد ملتقى الولايات التاريخية الثلاث ولأهميتها الإستراتيجية، فمن خلال الوثائق الأرشيفية لجيش التحرير لبعض قادة جيش التحرير ممن احتفظ بها لحد الساعة، وبقيت لدى بعض العائلات الثورية في مدينة صالح باي، تبين لنا مدى فاعلية مجموعات جيش التحرير في الناحية، وباستطاعتنا تقسيم الوثائق إلى تقارير دورية تخص تحركات فرق الجيش الفرنسي في فترات مختلفة، إضافة إلى التقارير التي تخص نتائج بعض العمليات التي قام بها جنود جيش التحرير من كمائن وهجمات على دوريات الجيش الفرنسي ومراكز لاصاص، كذلك هناك وثائق في شكل رسائل بين قيادات الناحية، تتضمن معلومات مختلفة تصف إما حالة جيش التحرير في المنطقة، أو التجمعات السكانية التابعة للناحية الثالثة.

هناك العديد من العمليات العسكرية التي استطاع جنود الناحية الثالثة من خلالها قتل عدد معتبر من جنود الاحتلال الفرنسي، وكسب كميات معتبرة من الأسلحة، نجد معركة (عين بن عياد) بدوار أولاد براهيم في 16 نوفمبر 1957، والتي دامت ثلاث ساعات، والتي قتل فيها أربعة عشر جندي فرنسي، وغنمت مجموعة جيش التحرير أربعة عشر قطعة سلاح نوع رشاش، وقد استشهد مجاهد واحد وثمانية عشر جزائري أعزل، وقد قُتلوا بعد المعركة كردة فعل لقوات الاحتلال الفرنسي لخسارتها الفادحة في العتاد والعدد.⁽²⁸⁾

دُكرت هذه العملية في إحدى تقارير جيش التحرير، وبالضبط في الوثيقة من (الملحق رقم 06)، تضيف معلومات أخرى، من خلال الاختلاف حول عدد قطع السلاح التي غنمت بعد المعركة، إضافة إلى اختلاف تاريخ العملية بين المصدر الأول من خلال مقال لمجلة أول نوفمبر والمصدر الثاني، وهو وثيقة رسمية كتقرير لمجموع العمليات لجيش التحرير في الناحية الثالثة، حيث أرخت العملية في 11 ديسمبر 1957،⁽²⁹⁾ وهنا تكمن أهمية الوثيقة الأصلية، وكيف للباحث التمييز بين ما هو صحيح، وما هو خطأ، وقد قاد هاته العملية القائد الشهيد محمد عيكوس، لذا هناك تهويل وتضخيم للأرقام من طرف بعض من عايش تلك الأحداث كما ذكر وزير المجاهدين (سابقاً) محمد الشريف عباس عن بعض المذكرات التي دونت مجريات الكثير من المعارك في الولاية الأولى، والمجاهد محمد الشريف عباس من بين القادة الذين عملوا ضمن ضباط جيش التحرير في الناحية الثالثة كما تبين الصورة من (الملحق رقم 07).⁽³⁰⁾

كما ذكرنا سابقاً فإن الوثيقة (رقم 06)⁽³¹⁾ توضح تفاصيل مجموع المعارك التي خاضها جنود الناحية الثالثة بكل مناطقها، والحصيلة التي خلقتها هذه العمليات، والفوج أو الكتيبة التي قامت بها، والمسؤول عنها، وعتاد العدو المحطم، والخسائر البشرية للطرفين، وكذلك الغنائم المتحصل عليها، وتقارير أخرى تبين حتى الأسلحة الضائعة من مجموعات جيش التحرير.

هناك عدة عمليات مميزة من خلال نتائجها فنجد مثلاً العملية التي قادها الصالح سرسور في 15/04/1960م مع مجموعة الكومندوس في الحمام ببلدية أولاد تبان جنوب سطيف، والتي قتل فيها 25 جندي فرنسي وجرح خمسة آخرين، وكذلك العملية التي جرت في أولاد خلوف بتاريخ 28/11/1960م التي تمكن خلالها جنود جيش التحرير من قتل 23 جندي فرنسي وجرح أربعة جنود، وشارك فيها أيضا جنود جيش التحرير من الفرقة 2 و3 بقيادة محمد الطيب بارح، وتمكنوا من تدمير سيارة عسكرية والاستيلاء على الكثير من الأسلحة والذخيرة، وجهاز راديو لاسلكي للإرسال،⁽³²⁾ وهناك بعض العمليات التي شارك فيها قائد الناحية شخصياً أحسن بوزراعة.⁽³³⁾

استطاع جيش التحرير عبر عمليات كانت نوعية، ومن خلالها تم الاستيلاء على كميات معتبرة من الأسلحة دون خسائر تذكر، مثل العملية التي قامت بها مجموعة من الكوموندوس (القوات الخاصة)، لكن للأسف لم نجد المعلومات عنها في الوثائق الأرشيفية، حيث بعد الاتصالات الحثيثة التي قام بها مخبرو جيش التحرير مع أحد المجندين في الجيش الفرنسي، بعد استحداث وإنشاء عدة مراكز عسكرية بالمنطقة، هذا المدعو "عمر باجي"، والمجنّد في مركز لاصاص بمدينة عين ولمان، أبدى استعداده للالتحاق بصفوف الثورة التحريرية، فطلبوا منه التريث،⁽³⁴⁾ وعدم الالتحاق إلى أن تكلفه القيادة بمهمة شخصية.

فكان لهم ذلك، فبعد عقد مجموعة من الاجتماعات بدوار الخبرة المحاذي للمدينة، واتفقهم مع عمر باجي على خطة الهجوم على هذا المركز، ليلة التاسع من ديسمبر من سنة 1958م، لكن العملية أُجلت لليوم الموالي بسبب عدم منحه مناوبة الحراسة تلك الليلة، وبعد اقتحام فوج الكوموندوس المركز، ألقوا القبض على ستة عشر مجنّد ضمن الحركة، وتمكنوا من الاستيلاء على كل تجهيزات المركز، من بينها 33 قطعة سلاح منها 7 رشاشات خفيفة نوع مات 49، كمية هامة من الذخيرة والقنابل، إضافة إلى راديو اللاسلكي، وثلاثة علب متفجرات، وعلبة خرطوش بها عيار 9 ملم 7,55،⁽³⁵⁾ ولم تخلف العملية أية ضحية سواء قتلى أو جرحى.

كذلك هناك مجموعة من المعارك التي سجلتها ذاكرة المنطقة بعضها تعد من العمليات البطولية، على غرار معركة جبل (قديل) التي شهدتها الناحية الثالثة بمنطقة أولاد تبان، التي تقع أقصى جنوب ولاية سطيف، باعتبارها منطقة إستراتيجية، تمر عبر مسالكها الكثير من الدوريات المتجهة نحو تونس، أو العائدة من هناك، أو المجموعات الآتية من الولاية الأولى والمتجهة نحو الولايات الأخرى، بحيث تعتبر نقطة تلاقي للولايات التاريخية الثلاث، والولاية الأولى، والثالثة، والولاية السادسة.

جرت هذه المعركة في جويلية من عام 1959، خلال عمليات تمشيطية واسعة، قام بها جنود كتائب ثكنات الجيش الفرنسي الرابضة

في: (المسيلة، بريكة، برج الغدير، رأس الوادي، عين ولمان، باسكال (صالح باي حالياً)، وسطيف)، رغم المعلومات السرية التي تحصل عليها قادة جيش التحرير في المنطقة، وأخذهم لجميع الاحتياطات اللازمة إلا أن المعركة جرت وتصادم الطرفان،⁽³⁶⁾ وقد شاركت قوات حلف الناتو كما ذكر الكثير من المجاهدين على غرار المجاهد السعيد عباشة فحسب شهادته أن بعض جنود الحلف كانوا يشاهدونهم عن قرب لكن لم يتجرؤوا على قتلهم.⁽³⁷⁾

والراجح أن الدورية التي كانت تعبر المنطقة من الولاية الرابعة المحملة بالأسلحة الآتية من تونس، هي السبب في تفجير الوضع، ثم دخلت كتيبتين من الناحية الثالثة المعركة، وقد استخدمت الكثير من أنواع الأسلحة كما هو مفصل كآتي: - موزير ألماني- رشاش ألماني - ماص 51- ماص 49 - بندقية 86- ترانت أمريكي - رشاش فامبار - رشاش 29/24.

هذا دليل على إمكانيات جيش التحرير وتجهيزه الجيد، والذي يخدم إستراتيجيته في حرب العصابات وحتى المواجهة المباشرة في بعض الأحيان إذا لزم الأمر، كما أن نتائج المعركة تدل على فاعلية تسليحها رغم الخسارة الكبيرة التي لحقت الناحية في الجانب البشري، بحيث خلفت المعركة مقتل ما يقارب 150 مجند في صفوف جيش التحرير، وحسب ما صرح به أحد الذين شاركوا في المعركة كانت خسائر الجيش الفرنسي أربع أضعاف خسائر الجزائريين، وفي العتاد فقد أسقطت عدة طائرات،⁽³⁸⁾ وبقي الجيش الفرنسي يقوم بتمشيط المنطقة وتسليط الرقابة الصارمة على السكان لأكثر من خمسة عشر يوم، بعدها رُحل السكان إلى محتشد بازر سكرة (العلمة)،⁽³⁹⁾ إلا أن الأستاذ محمد شمبازي يذكر أن تاريخ إخلاء منطقة أولاد تبان من السكان وترحيلهم إلى بازر سكرة كان بتاريخ 16 جوان 1958.⁽⁴⁰⁾

إلا أن هذا النوع من المعارك يستنزف الكثير من طاقة جيش التحرير التسليحية، فالدوريات التي تنتقل عبر السلاسل الجبلية، والتي تنطلق من مختلف المناطق نحو الشرق، أو الغرب بغرض التسليح، يسقط الكثير منها وسط كمائن الجيش الفرنسي بسبب عدم معرفتهم للطرق الآمنة، والخالية من جنود العدو، وفي معظمها لا يرافقها الدليل، أو من

يدلهم من أبناء المناطق التي تمر عبرها الدوريات، فحسب شهادة المجاهد "كبير عمار"، الذي شارك في إحدى دوريات الناحية الثالثة، فقد صرح بأن بعض الدوريات اتجهت نحو تونس بالآلاف لم يرجع منها سوى أفراد يعدون على الأصابع.⁽⁴¹⁾

هذه الإستراتيجية تعد من النقاط السوداء للثورة التحريرية، إذ كان من المفروض تخصيص مجموعات لنقل السلاح، كل مجموعة تُعنى بالمنطقة التابعة لها لمعرفتها المسبقة بكل تفاصيل تنقلات العدو، ومعرفتهم كذلك بجبال وأودية وتلال المنطقة أفضل معرفة، فتسهل عمليات النقل والتمويه وإيصال مختلف التجهيزات والأسلحة في الوقت والمكان المناسبين.

إتباع جيش التحرير هذه الإستراتيجية في تسليح وحداته كان غير مجدي، ونتائجه وخيمة على المجندين الجدد خاصة، فالكثير لقي مصرعه أثناء التنقل نحو الحدود، فهناك الكثير من المعارك التي شاركت فيها دوريات التسليح، مثل الدورية التي سقط فيها سبعون مجندا في معركة جبل مرغاد في 25 جوان 1957،⁽⁴²⁾ وهذه المعركة ما هي إلا فيض من غيض، حيث أن الكثير من المعارك التي سقط فيها عشرات الجنود من جيش التحرير، والسبب الأساسي عدم معرفتهم بشعاب المناطق التي يمرون عبرها، وليس لديهم أية معلومات حول مراكز وتحركات العدو هناك.

تبقى الكثير من العمليات العسكرية والمعارك والمناوشات بين جيش التحرير وقوات الاحتلال الفرنسي أحداثها غامضة إن لم ترق لتكون في شكل كتابات ومؤلفات تستفيد منها الأجيال، وتحافظ على الإرث الملحمي للمنطقة، فهناك الكثير من العمليات التي شهدتها الناحية الثالثة من المنطقة الأولى الولاية الأولى التاريخية أي الجنوب السطايفي، وفي القسمات الأربع لعدم وجود الوثائق الأصلية اللازمة أو التقارير الحربية التي تؤكد أو تفند ما جاء في الروايات الشفوية على غرار معركتي المطاريح وبوسكور، كانت الأولى في أكتوبر 1957 والثانية في 1960 خلفت العديد من القتلى في صفوف القوات الاستعمارية، جرت في ضواحي بلدية الرصفة المحاذية لمدينة صالح باي الجهة الجنوبية.⁽⁴³⁾

الخاتمة:

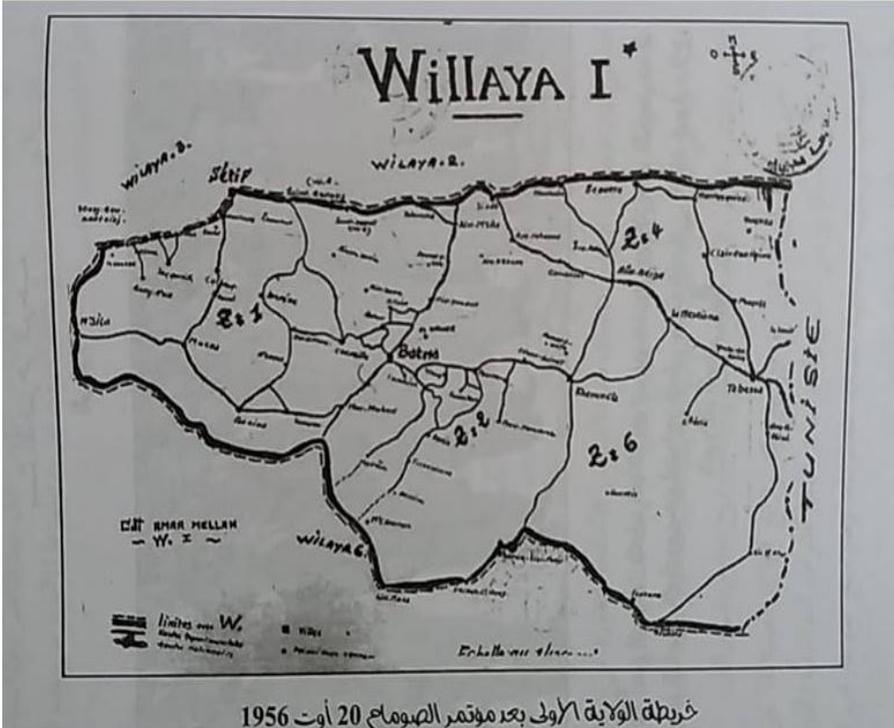
من خلال كتابتنا للتاريخ المحلي يتجلى للقارئ الكثير من القضايا المبهمة، ويتضح له عديد الأحداث الغامضة لذا فهي تكملة للتاريخ العام للوطن، وكإضافة للمكتبة التاريخية الأكاديمية، ومساهمة كذلك في التعريف بمجريات الأحداث المحلية للمنطقة لفترة تاريخية جد هامة وبموضوعية، ففترة الثورة التحريرية شكلت منعرجا هاما في تاريخ الجزائر، ففي الناحية الثالثة كان قادة الثورة قد اهتموا بجميع مناحي الحياة (الاجتماعية، الثقافية، الزراعية، الصحية...).

ركزت الثورة كذلك، من خلال التقارير اليومية على متابعة تحركات قوات العدو وعمليات التمشيط، إضافة إلى نتائج مختلف عمليات جيش التحرير العسكرية وما خلفته من خسائر أو غنم للأسلحة والتجهيزات العسكرية الفرنسية، فهاته التقارير الآن هي مصنفة في شكل وثائق أرشيفية، والتي اعتمدت عليها في بحثنا وبعض الشهادات الحية لمجندي جيش التحرير في الناحية.

إلا أننا نعتبر الأبحاث التي تعتمد على وجهة نظر واحدة غير مكتملة، خاصة عند افتقارنا لتقارير الجيش الفرنسي حول العمليات العسكرية التي جرت في المنطقة لمقارنة مضامينها مع شهادات من عايشوا الفترة، ومع ما تتضمنه كذلك تقارير جيش وجبهة التحرير الوطني، فالبعض من المختصين في التاريخ يجدون أن المذكرات الخاصة، والتي كتبت في حينها أصدق بكثير من تقارير جيش التحرير آنذاك، خاصة تلك الوثائق التي كان يراد بها التأثير على الرأي العام عبر ما ينشر في الصحف والجرائد من خلال تضخيم خسائر العدو لترهيبهم، ورفع معنويات أفراد الشعب وجنود جيش التحرير.

الملاحق:

الملحق رقم 01: توضح الوثيقة خريطة الولاية الأولى التاريخية بعد مؤتمر الصومام بما فيها الناحية الثالثة من المنطقة الأولى .



خريطة الولاية الأولى بعد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956

المصدر: عمار ملاح، مصدر سابق.

الملحق رقم 02: تقرير حول فئة المحاربين القدماء وما يتقاضونه من منح لتحديد لهم فيما بعد قيمة الإشتراك.

رقم ١٧ - تاريخ لجانته قدماء المحاربين - لشهر ديسمبر ١٩٦١ - ص ٤ -

الدرجة أو الترتيب	الاسم واللقب	الرقم	الساكن	الوصف الحالي	الرقم	الملاحظات
أ - محمد	محمد حمدان	٦٥	لحوضات	III		
ر	الصلح مروش	٦٥	ر	ر		
ر	رايم حمدان	٦٥	ر	ر		
ر	الصلح ر	٦٥	ر	ر		
ر	إبراهيم رمضان	٦١	أر حبل	ر	منتهى ٣٥٠٠ على ٣٠ أكتوبر -	
ر	محمد شحات	٧٠	ر	ر	ر	
ر	رفاع الصغير	٥٠	ر	ر	منتهى ٦٠٠٠ على ٦ نوفمبر -	
ر	المجاص يعقوب	٣٧	ر	ر	منتهى ٦٠٠٠ على ٦ أكتوبر -	
ر	خليل جبار	٤٣	ر	ر	ر	
ر	المدني لطف	٥٥	ر	ر	٦٠٠٠٠ جرف	
ر	عمار عبادو	٦٣	الحاء	ر	ر	
أ - موصلي	الجواب فاضل	٧٠	أر موصلي	ر	ر	
ر	السعيد ر	٧٨	ر	ر	٩٠٠٠٠ جرف	
ر	الإخوة كوامر	٥٥	ر	ر	ر	
ر	عيسى محمود	٥٣	ر	ر	ر	
ر	إبراهيم البار	٦٠	ر	ر	ر	
ر	رفعت جانت	٤٩	ر	ر	ر	
ر	القولان محمود	٥٥	ر	ر	ر	
ر	محمد مونتور	٥٠	نكستار	ر	ر	
ر	الصلح أنوم	٦٠	ر	ر	٥٠٠٠٠ جرف منتهى التدرج -	
ر	محمد رزق	٥٥	لاويك	ر	٥٠٠٠٠	
ر	الظاهر شحات	٤١	ر	ر	ر	
ر	الملك بوزيد	٦٠	ر	ر	١٦٠٠٠ جرف على ٣٠ أكتوبر -	
أ - أحمد	العربي جانت	٥٢	أر شحات	ر	١٩٢٨	
ر	السعيد سلطان	٦٠	ر	ر	١٣٠٠٠	
ر	رمضان عفا الله	٥٨	ر	ر	٣٠٠٠٠	
ر	رايم بوكندر	٦٥	ر	ر	٧٥٠٠٠	
ر	أحمد ر	٥٥	ر	ر	٦٠٠٠٠	
ر	الجنس ذويب	٤٠	أر شحات	ر	منتهى ٦٠٠٠	
أ - سليمان	الرفيع بلبل	٤٦	بلبل	ر	١٠٠٠٠٠	
ر	الرفيع ر	٤٠	بلبل	ر	١٧٠٠٠٠	
ر	المبروك جرام	٦٠	العيب	ر	١٣٠٠٠٠	
ر	علي ر	٦٠	ر	ر	٥٠٠٠٠	
ر	الفرحون جرام	٥٠	ر	ر	١٨٠٠٠٠	
ر	نحار وديح	٥٥	ر	ر	١٦٠٠٠٠	
ر	أحمد مونتور	٥٥	مدجاني	ر	٨٠٠٠٠	
ر	سليم جبار	٥٤	نور صيد	ر	١١٠٠٠٠	
ر	موس الياحي	٥٧	نفايح	ر	١٣٠٠٠٠	
ر	الصلح تلات	٥٥	زدي	ر	١٢٠٠٠٠	
ر	السعيد جمال	٦٠	ر	ر	ر	
ر	الجنس حساب	٥٠	ر	ر	ر	

المصدر: أرشيف خاص غير مصنف.

- الملحق رقم 03 :- الملحق رقم 04:

الجمهورية الجزائرية
جبهة وجيش التحرير الوطني
الولاية 1 المنطقة 1 الناحية 3
في 11/2/1922م
بيان
تسلمت من الاخ س الزواوي
بوداية رطل عسكري بالناحية
مبلغ من الثمن قدره مليون
وستة مئة ألف وثمان
وستون الف وثمان مائة
وخمسة وعشرون فيك
د.هـ 1343
عبد الحميد قارة

قسمه من ناحية المنطقة 1 ولاية
في 11/2/1922م
تفريغ
نرم المعيوف باي عبد
25.000 خمسة وعشرون الف فرنك
نحرفك النظام ولارسالك آبن
أخيتك إلى باسكال من
غير رخصة، ومن بعد أن
أشرف أن الترمسوع .
المشور الياس
للخدمة

<p>الوثيقة رقم 04 : غرامة مالية فرضها مسؤول القسمة 3 على المواطن باي المعيوف بسبب إرسال ابن أخيه إلى مدينة باسكال (صالح باي) دون رخصة.</p>	<p>الوثيقة رقم 03 : وصل استلام مبلغ من المال قدره 1662550 فرنك، سلمه الفدائي بوداية الزواوي إلى السيد عبد الحميد قارة.</p>
<p>المصدر: أرشيف خاص غير مصنف.</p>	<p>المصدر: أرشيف خاص غير مصنف.</p>

- الملحق رقم 05: تبين الوثيقة طلب تسليم 25 معطف و25 سروال و10 جزمات (صباط) صنع محلي للمجاهد لخضر حامي ليسلمها إلى نائب الناحية بوزراعي حسن.

الجمهورية الجزائرية
الولاية I المنطقة I الناحية I
في يوم 05/10/1971م
الى الأخ من الحسين كباب
تحية وطنية خالصة وبعد
يسرني أن نعلمك بأنني أرسلت برسائلكم الأخيرة
وكذلك المحفوظة. كنت بعثت لك رسالة
قبل هذه طلبتك فيها في 10 صباط جزمة
و25 سروال و25 فيسطة صنع محلي. إذ لم
أرسلت بك أرجوك أن تبعتهم لي في أقرب وقت
إلني سلمت الى راجح حليس رخصه ليقوم بزيارة
الأهالي. وهاتني أبعث لك رخصة الى الخفر حامي
وأرجوك أن تسلمها له ليقوم بزيارة الأهالي
عدة أيام.
هاتني أبعث لك الثمن لتشتري الكتان. وأرجوك أن
تشتري من الكتان الدقيق.
أما مسألة الكوردونية أرجوك
أن تستعمل الشبان الذين
كانوا يعملوا كجانيين حتى يتعلموا

المصدر: أرشيف خاص غير مصنف

الملحق رقم 07: صورة لمجموعة من المجاهدين في أولاد تبان في الناحية الثالثة المنطقة الأولى الولاية الأولى التاريخية بما فيهم السيد وزير المجاهدين سابقا محمد الشريف عباس .



- 1- قراب الخثير 2- رشيد رقيق 3- كباب الحسين 4- محمد الشريف عباس 5- سليمان ضيف الله
- 6- محمد الصالح بلعباس 7- رشيد 8- محمد الطيب فارح 9- صالح عبد السلام
- 10- عبد الرزاق فلاحي

المصدر: أرشيف خاص غير مصنف.

الملحق رقم 08: الصورة تبين عدد من قيادات جبهة التحرير في الناحية الثالثة أبرزهم القائد أحسن بوزراعة كما توضح الصورة.



المصدر: صفحة الفايسبوك لمديرية المجاهدين سطيف/

<https://www.facebook.com/Directiondesmoudjahidinessetif>

الهوامش والإحالات :

- 1- نبيل سليمان، "دراسة تصميم وتنفيذ مشروع نظام معلومات جغرافي SIG لتسيير المجال (حالة ولاية سطيف)"، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التهيئة الإقليمية، (إشراف) جمال رحام، قسم التهيئة العمرانية، فرع التهيئة الإقليمية، كلية علوم الأرض والجغرافيا والتهيئة العمرانية، جامعة منتوري قسنطينة، جوان 2009م، ص19.
- 2- صبحي لخضر، أولاد تيان، المؤلفات للنشر والتوزيع، المسيلة، ط1، 2016م، ص11.
- 3- عاطف صالح، "وضع خطة تنموية ضمن أبعادها البيئية بولاية سطيف"، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التهيئة العمرانية، (إشراف) علاوة بولحواش، قسم التهيئة العمرانية، كلية علوم الأرض، الجغرافيا والتهيئة العمرانية، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2005/2004، ص12.
- 4- كمال بيزم، "بلدية المسيلة المختلطة (دراسة اقتصادية واجتماعية بين 1884م - 1945م)"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارات البحر المتوسط (إشراف) حداد مصطفى، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2006/2005، ص21.
- 5- اللبمس هو الخط أو الحد الفاصل بين المناطق التي يسيطر عليها الرومان في بلاد المغرب قديما، والمناطق التي لازالت لم تستعمر بعد، حيث تغير موقعه على فترتين متباعدتين : الأولى خلال القرن الأول والثانية خلال القرن الثالث للميلاد، ويتكون خط اللبمس من ثلاثة عناصر أساسية : الخندق، والحصون المشيدة، وشبكة الطرقات الرئيسية والفرعية، وقد بدأ بناء هذه الحدود في القرن الأول للميلاد من طرف الإمبراطور "تراجان"، وفي عهد الإمبراطور "سبتيموس" توسعت حدود الإمبراطورية، إلى جنوب الأوراس لتمر جنوب سلسلة جبال الحضنة. عبد الفتاح خنيش، "التوسع الزراعي في إفريقيا القديمة خلال الفترة الرومانية"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص: تاريخ الريف والبلدية، (إشراف) عقون محمد العربي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، السنة الجامعية 2012/2013، ص146.
- 6- أبي القاسم بن حوقل النُصبي، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م، ص85.
- 7- هو أبو سالم عبد الله بن أبي بكر العياشي المالكي ولد بقبيلة آيت عياش قرب درعة بالمغرب الأقصى سنة 1628م، انتقل إلى المشرق طلبا للعلم سنة 1649م، ثم رجع لوطنه لكن عاد للمشرق مرتين، وفي سنة 1679م أصيب بوباء الطاعون حيث لقي حتفه، أهم مؤلفاته : ماء الموائد.
- 8- هو الشيخ الحسين بن محمد السعيد الورثاني، من قرية أنو في بني ورتلان شمال ولاية سطيف، من الرحلة الجزائر بين الذين أرخوا لرحلاتهم بالأخص نحو البقاع المقدسة، ألف كتابه بعنوان "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، والمشهور بالرحلة الورثانية سنة 1179هـ، واصفا طريق الحج في زمانه، مع ذكره للأعيان والصالحين في كل بلد.
- 9- عبد الرزاق قشوان، "السلطة المحلية في بابل قسنطينة (936-1253هـ / 1592-1837م)"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، تخصص الدولة والمجتمع في العصر الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2009م، ص45.
- 10- عبد الرزاق قشوان، المرجع نفسه، ص38.
- 11- الحسين بن محمد الورثاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، (المشهورة بالرحلة الورثانية)، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908م، ص85، ص85.
- 12- يحي بوعزيز، "المجهولون من زعماء المقاومة في الشرق الجزائري"، مجلة الأصالة، العدد 54-54، ص32.
- 13- برج الغدير من المفروض من المناطق التي تقع في محيط ربيعة الظهارة وليس لقبالة.
- 14- يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص35.
- 15- المرجع نفسه، ص36.

- 16- لخضر صبحي، مرجع سابق، ص 244.
- 17- جدوالي عيسى، "شهادة حية قام بها الصحفي عبد الرحمان حربي من إذاعة سطيف الجهوية"، أرشيف الإذاعة.
- 18- عمار ملاح، قادة جيش التحرير الوطني، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2013، ج4، ص45.
- 19- أحمد بلخير، "الثورة التحريرية في المنطقة الرابعة للولاية الخامسة (1956-1962)"، رسالة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية الجزائرية (1830-1962)، (إشراف) الطاهر جبلي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2015-2016م، ص 108.
- 20- تقرير خاص بالناحية الثالثة، المنطقة الأولى، الولاية الأولى، أرشيف خاص غير مصنف.
- 21- قراوي نادية، دور الريف في الغرب الجزائري في مسار الثورة التحريرية 1954-1958م، مذكرة تخرج لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف د سيفو فتيحة، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية، جامعة وهران، السنة الجامعية 2010-2011م، ص 88.
- 22- ولدت المجاهدة الطاوس مساهل زوجة الشهيد بلجرو الطيب، في 1937/12/28م، في منطقة تنزارت الواقعة جنوب سطيف بلدية صالح باي حاليا، وكانت من بين النساء اللواتي شاركن في الثورة التحريرية إلى جانب مجاهدي المنطقة، من خلال تقديم مختلف الخدمات للمجاهدين في مراكز جيش التحرير في قرية أفراط وتعتبر من المجاهدات المغمورات اللواتي لم ينلن حقهن في الكتابة بسبب غياب الكتابات التاريخية المحلية، وعزوف أهل التخصص في حوض غمار التاريخ المحلي، لأسباب عدة، وقد حالفنا الحظ أن تقدمنا وقمنا بحوار شخصي مع المجاهدة في شهادة حية حول ما قدمته من أعمال لجيش التحرير خلال الثورة التحريرية.
- 23- شعيب قماز؛ سلامة دربال، "كفاح المرأة السطايفية إبان الثورة التحريرية : المجاهدة مساهل الطاوس نموذجا"، مجلة العلوم الاجتماعية-المركز الديمقراطي العربي ألمانيا-برلين، العدد7، ديسمبر 2018، ص 488، 489.
- 24- خيرة حسيب، "شهادة المجاهدة الطاوس بلجرو"، مجلة أول نوفمبر، العدد 65، 1984، ص44.
- 25- لحماية الاقتصاد الفرنسي من السقوط قام ديغول بعدة إجراءات منها تكليف الخبير الاقتصادي "جاك دوف" ووزير المالية "أنطوان بياني" أن يضعوا الفرنك الفرنسي الثقيل بعد الحرب العالمية الثانية بشكل مواز لخفض قيمة التضخم ب17.5، ثم بمجيء "باسكال ماري" في نوفمبر 1958م ليصدر عملات وسندات حديثة في جانفي 1960، لتصدر بعدها العملة المعروفة الفرنك في عام 1963م.
- 26- غرامة مالية فُرضت على المدعو باي المعيوف، أرشيف خاص غير مصنف.
- 27- أمال شلي، "التنظيم العسكري في الثورة التحريرية الجزائرية، 1954-1956م"، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية 2005-2006، ص 171.
- 28- علية بن الطاهر، "الشهيد محمد عيكوس"، مجلة أول نوفمبر، العدد 66، 1984م، ص 54.
- 29- أرشيف خاص غير مصنف.
- 30- طاهر حليسي، "الثورة اندلعت من الأوراس وشهادات بعض المجاهدين مبالغ فيها"، جريدة الشروق، 2012/11/25، الموقع الإلكتروني : <https://www.echoroukonline.com>
- 31- مضمون الوثيقة ضمن الملحق رقم 06، التقرير مؤرخ بتاريخ شهري نوفمبر وديسمبر 1960م.
- 32- المصدر نفسه.
- 33- مديرية المجاهدين سطيف، صفحة الفايس بوك .

- 34- بوشارب بلقاسم، "الهجوم على مركز لاصاص"، بعين ولمان، مجلة أول نوفمبر، العدد 66، 1984، ص 26.
- 35- المصدر نفسه، ص 27.
- 36- علية عثمان بن الطاهر، "معركة جبل قديل"، مجلة أول نوفمبر، العدد 67، ص 22.
- 37- السعيد عباشة، شهادة حية قام بها الصحفي عبد الرحمان حربي من إذاعة سطيف الجهوية، أرشيف الإذاعة.
- 38- علية عثمان بن الطاهر، مرجع سابق، ص 22.
- 39- سمير مخربش، "روبرتاج حول معركة جبل قديل"، اولاد تبان، قناة الشروق TV، فيفري 2013م.
- 40- محمد شمبازي، "المحتشآت بولاية سطيف محتشد (بازر سكرة) نموذجا 1954-1962"، رسالة لنيل شهادة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، 2008، ص 49.
- 41- عمار كبير، شهادة حية للمجاهد بمعتقل قصر الطير (قصر الأبطال سطيف)، بتاريخ 25 جانفي 2018.
- 42- الزبير بوشلاغم، "معركة جبل مرغاد"، مجلة أول نوفمبر، العدد 78، 1986م، ص 46.
- 43- عبد الكريم بوصفصاف، موسوعة شهداء الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962م، (إشراف) محمد بن داس، مديرية ومنظمة المجاهدين، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، مارس 1980، ج 1، ص 154-150.

مساهمة المرأة في الثورة التحريرية بالولاية الأولى التاريخية (1954-1962)
المنطقة الأولى أنموذجا

د. عيسى ليتيم. جامعة باتنة - 1-
ط.د. هبة كلاش. جامعة باتنة-1-

الملخص

تهدف هذه الدراسة بالدرجة الأولى إلى تسليط الضوء على مدى مساهمة المرأة بالمنطقة الأولى من الولاية الأولى في الثورة التحريرية 1954-1962، خاصة مع توفر بعض الشهادات من طرف الفاعلين في الثورة، والتي بينت أن المرأة كانت عاملاً مهماً بفضل الخدمات المتنوعة التي قدمتها، والتي كانت في كثير من الأحيان تفوق قدراتها الجسمية.

إن مساهمة المرأة في الثورة بالمنطقة الأولى لم تكن تقتصر على القيام بشؤون البيت من تحضير للطعام وتربية للأبناء فحسب؛ بل قد تعدتها إلى القيام بعمليات فدائية والصعود إلى الجبال، وتقديم خدمات صحية متنوعة، والمشاركة في المظاهرات والإعلام والاتصال، فكانت المرأة بالفعل عنصراً فعالاً في الثورة لم يتمكن قادة الثورة من الاستغناء عنها رغم كل الظروف الصعبة التي مرت بها الثورة التحريرية، لذا سوف نحاول من خلال هذه الدراسة الوقوف على مدى مساهمة المرأة في الثورة التحريرية بالمنطقة الأولى من الولاية الأولى.

مقدمة

إن الحديث عن الثورة التحريرية المضفرة يقودنا مباشرة إلى الحديث عن الدور الذي لعبه الشعب الجزائري بمختلف شرائحه العمرية رجالاً ونساءً في أحداثها ومجرياتها، ولعل أهم فئة تثير انتباهنا هنا هي فئة النساء على اعتبار أن المرأة كان دورها سابقاً مقتصرًا على تربية أبنائها، والقيام على شؤون بيتها وعائلتها.

إن مشاركة المرأة الجزائرية في الكفاح المسلح إلى جنب شقيقها الرجل قد أخلط أوراق الإدارة الاستعمارية التي كان جنودها يتفاجؤون عندما يجدون نساءً بالزي العسكري في الجبال إلى جانب الرجال، الأمر الذي جعل المستعمر يراقب كل تحركاتها خاصة في المدن الكبرى،

وينزل بها أقصى وأشد أنواع العذاب، فلم تكن طبيعتها الضعيفة تشفع لها لدى السلطات الاستعمارية.

لعبت المرأة بالمنطقة الأولى من الولاية الأولى مثلها مثل باقي نظيراتها في المناطق الأخرى من الولاية الأولى، والولايات التاريخية الأخرى دوراً لا يستهان به في الثورة؛ فقد كانت مجاهدة وفداية ومسبلة، وشاركت في المظاهرات إلى جنب أخيها الرجل، وبذلك تمكنت من تحدي كل الصعاب التي كانت تعترضها، واستطاعت أن تسجل اسمها في سجل الخلود بما قدمته من تضحيات جسام في سبيل تخليص الوطن من الاستعمار الغاشم.

رغم الطبيعة المحافظة التي تتميز بها منطقة الأوراس اتجاه المرأة إلا أن المرأة الأوراسية قد تمكنت من كسر كل تلك القيود والحواجز، بل وتمردت على معتقدات المجتمع القبلي - العرش - وصعدت إلى الجبال وجاهدت بالنفس والنفيس، واستطاعت أن تُكسب نفسها مكانة مرموقة داخل أسرتها ومجتمعها.

إن الدراسات التي تتناول مساهمة المرأة في الثورة بالولاية الأولى التي كُتبت باللغة الوطنية قليلة مقارنة بدورها الكبير في الحدث المؤسس؛ لذا سوف نحاول من خلال هذه الدراسة وبواسطة المنهج التاريخي التحليلي الوقوف على مدى مساهمة المرأة في الثورة التحريرية بالمنطقة الأولى من الولاية الأولى.

تمحورت إشكالية هذه الدراسة حول طبيعة الأعمال والخدمات التي قامت بها المرأة الأوراسية بالولاية الأولى وبالتحديد المنطقة الأولى منها، ودواعي والأسباب التي دفعتها للانخراط في الثورة التحريرية والالتحاق بمعازل جيش التحرير الوطني في الجبال، وعن موقف المستعمر الفرنسي من مشاركتها في الثورة التحريرية؟

نطرح جملة من التساؤلات: ماهي الدوافع التي جعلت المرأة في المنطقة الأولى من الولاية الأولى تحتضن الثورة التحريرية وتنخرط فيها؟ ماهي أهم الأعمال والخدمات التي قدمتها المرأة الريفية في المنطقة الأولى للثورة التحريرية؟ ما طبيعة الخدمات التي كانت تقوم

بها المرأة في جبال المنطقة ضمن صفوف جيش التحرير؟ كيف كان موقف المستعمر من انضمام المرأة للثورة؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات قمنا بتقسيم هذه الدراسة إلى المحاور التالية:

أولاً: التعريف بالولاية الأولى التاريخية.

ثانياً: أسباب ودوافع انضمام المرأة للثورة.

ثالثاً: مساهمة المرأة في الثورة بالمنطقة الأولى من الولاية التاريخية الأولى.

أولاً: التعريف بالولاية الأولى التاريخية

تتفرد الولاية الأولى التاريخية (الأوراس النمامشة) المنطقة الأولى قبل انعقاد إجتماع الصومام 1956، بموقعها الاستراتيجي المهم جداً؛ فهي ذات أرض يصعب تطويقها بسبب حصانة جبالها وامتدادها، كما تمتاز بامتداد حدودها حتى القاعدة الخلفية للثورة من جهتها الشرقية (الحدود التونسية)، ومحاذاتها للولايات الثلاث (الثانية من الجهة الشمالية، والثالثة من الناحية الشمالية الغربية، والولاية السادسة على حدودها الجنوبية).⁽¹⁾ وفي بيان حدود الولاية يذكر "العقيد الحاج لخضر- قائد الولاية للأولى، من نوفمبر 1958 إلى جوان 1959- " بأنها في حدود سنة 1955، كانت قد بلغت حدودها النهائية، فهي كانت تتبع شمالاً خط السكة الحديدية القادمة من سوق أهراس إلى سطيف، وتنزل غرباً نحو برج بوعريريج المسيلة مع طريق بوسعادة، وتوازي شرقاً الحدود التونسية، وتمتد جنوباً إلى أطراف الصحراء الجزائرية الكبرى".⁽²⁾

كانت المنطقة التاريخية الأولى مقسمة إلى ستة مناطق، وكل منطقة إلى أربعة نواحي، ولكل ناحية أربعة أقسام:

المنطقة الأولى: باتنة، عين التوتة، سطيف وبريكة.

المنطقة الثانية: أريس، عين لقصر، شليه، كيمل،⁽³⁾ خنشلة.

المنطقة الثالثة: ⁽⁴⁾ مشونش، بسكره، بوسعادة، أولاد جلال، الهقار.

المنطقة الرابعة: عين مليلة، أم البواقي، عين البيضاء، مسكيانة.

المنطقة الخامسة: الوزنة، سدراتة، مداوروش، الكويش.⁽⁵⁾

المنطقة السادسة: تبسة، بئر العاتر، الشريعة، ششار.

أما مقر الولاية فقد كان بغابة لبراجه — كيمل — قبل 1958، وكان عبارة عن بيوت من القش، ثم تحول إلى مراكز عددها من 6 إلى 7 مزودة بكل الإمكانيات الضرورية المساعدة على الحياة، تتراوح مساحة كل واحد منها ما بين 7 إلى 10 متر مربع.⁽⁶⁾

وبالعودة إلى المنطقة الأولى، والتي هي محل دراستنا هذه فإنها تتكون من أربع نواحي، وبكل ناحية أربع قسمات:

الناحية الأولى: باتنة

القسم الأول: مركونده، حيدوسة، الشعبة، حملة، مروانة، سريانة، وادي الماء، قرقورت، السحاري.

القسم الثاني: سوق نعمان، بئر الشهداء، (لفسور)، زانة إلى التلاغمه.

القسم الثالث: سبت بن غزال، ركبة جمل إلى غاية بئر لحرش، من حدود الولاية الثانية حتى خط السكك الحديدية، العلمة، الطريق المعبدة حتى بيضاء برج⁽⁷⁾ إلى سبخة بوحداف.

القسم الرابع: الرحبات، تالخت، لمسيل، بيضا برج، التلة، شيدى، لقصر، أولاد امهنة.

الناحية الثانية: عين التوتة

القسم الأول: تاعنانت، لقصور، عين التوتة.

القسم الثاني: معافه، ومولية.

القسم الثالث: لبريكات، فاسرو.

القسم الرابع: بيطام، سقان.

الناحية الثالثة: سطيف

القسم الأول: عين أزال

القسم الثاني: عين ولمان

القسم الثالث: رأس الواد

القسم الرابع: برج غدير

الناحية الرابعة: بريكة:

القسمّة الأولى: نقاوس، أولاد رحاب، أولاد عوف، أولاد فاطمه، أولاد سي سليمان، بني مخلوف، سيفان، بومقر، أولاد علي بن عبد الله.

القسمّة الثانية: بريكة، القصبات، الجزائر الغربي والشرقي، المتكعوك.

القسمّة الثالثة: برهوم، مقره، عين الكلبة، سلمان، الطلبة والشرفة.

القسمّة الرابعة: لمعازيد، الزيتون، لمطارفه، مزير، مسيله، لبراكنيه، دوار السعيد، دوار بن سوشه، وادي سلمان.⁽⁸⁾

ثانياً: أسباب ودوافع انضمام المرأة للثورة

تعددت وتباينت الأسباب التي جعلت المرأة في المنطقة الأولى من الولاية الأولى تنخرط في صفوف الثورة التحريرية منها:

- الكثير من النساء في الولاية الأولى كن يعشن داخل أسر ثورية، فتشبعن بالأفكار الثورية التحريرية وحبّ الوطن، ومنهن على سبيل المثال لا الحصر "بوعبد الله حورية المدعوة مسعودة" والتي كان والدها منخرطاً في (جمعية العلماء المسلمين) ثم مناضلاً في صفوف جبهة التحرير؛ إذا نشأت داخل أسرة ثورية، وهو الأمر الذي شجعها على الانضمام لصفوف جبهة التحرير الوطني.⁽⁹⁾

- التأثير بالأفكار التحريرية التي كان ينادي بها التيار الإستقلالي من جهة، وشعارات (الحرية والمساواة والأخوة) الذي علّمه لهن أساتذتهن الفرنسيين من جهة أخرى، وهذا الشعار لم يكن يطبق على واقع الجزائريين في ذلك الوقت، ولما كانت الثورة تنادي بذلك الشعار انضمن إليها.⁽¹⁰⁾ ومنهن من كان يرى في معاملة أساتذتهن الفرنسيين لهن في المدارس بطرق تختلف عن أقرانهن من الفرنسيين دافعا مهما لالتحاق بالثورة.⁽¹¹⁾

- التأثير بقصص النساء اللواتي يستشهدن في الجبال، أو في المدن أو يزجبنهن في السجون، الأمر الذي شكل دافعا أساسيا ومهماً في تحفيز المرأة على الالتحاق بصفوف الثورة، وكسر عادات وتقاليد المجتمع التقليدي - كان يُسيره ويتحكم فيه العرش- الذي كان ينظر للمرأة

نظرة دونية، وبذلك تمكنت المرأة من تغيير نظرة المجتمع لها، واكتساب مكانة جديدة داخل الأسرة تختلف عن السابق؛ إذ كانت المرأة خاضعة لسلطة ذكورية بحتة متمثلة في سلطة الأب، وفي غياب الأب يعوضه الأخ أو الزوج، أو الابن المهم أن يكون ذكرا من العائلة؛ حيث تظهر هيمنة الأب على الأنثى في العائلة، والمجتمع والسلطة، فالأب كان مسيطرا على البنت في أبسط حقوقها مثلما يسيطر الأخ على الأخت حتى لو كانت أكبر منه سنا.⁽¹²⁾

- الخوف من الوقوع في الأسر، فزوجات وأمهات المجاهدين اللائي وقعن عدة مرات في قبضة السلطات الفرنسية إثر العمليات التي قام بها المجاهدون ضد المستعمر، وتلقين جراء ذلك أصنافا مختلفة من العذاب، فخوفا من أن يقعن مرة أخرى فريسة للمستعمر قررن مغادرة بيوتهن والالتحاق بذويهن في الجبال.⁽¹³⁾

- نتج عن إضراب الطلبة في 19 ماي 1956 التحاق عدد معتبر من تلميذات الثانويات والطالبات بصفوف جبهة وجيش التحرير الوطنيين؛ ففي الولاية الأولى مثلا أمدت ثانوية باتنة للبنات الثورة بعدد معتبر من التلميذات اللواتي كانت أعمارهن تتراوح ما بين 15 إلى 20 سنة، نذكر منهن على سبيل المثال لا الحصر: فتيحة بودراوي،⁽¹⁴⁾ وزميلتها حورية زرافي⁽¹⁵⁾ وحببية مداسي،⁽¹⁶⁾ اللواتي التحقن بمعازل جيش التحرير الوطني بالجبال.⁽¹⁷⁾

نلاحظ مما تقدم تباين وتنوع الأسباب التي أدت بالمرأة إلى الانضمام للثورة، غير أنها كلها تصب في هدف واحد، وهو المشاركة في تحرير الوطن، ثم إن أغلب النساء في المنطقة الأولى ترعرعن وسط أسر ثورية حتى النخاع، وبالتالي فإن استجابتهن لنداء الثورة لم يكن أمرا غريبا عليهن.

ثالثا: مساهمة المرأة في الثورة بالمنطقة الأولى

لقد كان انضمام المرأة للكفاح المسلح تدريجياً بما يتلاءم، وواقع المجتمع الجزائري الذي بدأ يتنازل تدريجيا عن بعض القيم والمبادئ التي كانت تحيط بالمرأة خاصة، وأن قادة الثورة عموما، وفي منطقة الأوراس خصوصا كانوا يتحفظون على انضمام المرأة للثورة، والتحاقها

بالجبل نظرا لطبيعة الحرب، وما يترتب عنها من نتائج،⁽¹⁸⁾ لذا فقد تم في البداية تجنيد زوجات المناضلين، ثم بعض الأرامل والمطلقات دون الفتيات والشابات الصغيرات نظرا للقيود المفروضة عليهن من قبل أسرهن، غير أن إقبال هذه الفئة المتزايد على التطوع أدى بالقادة السياسيين إلى إلغاء تلك القيود، وقبول كل النساء المتطوعات دون تفریق بينهن.⁽¹⁹⁾

إن المتتبع لدور المرأة في الثورة، فإنه يجدها تناضل في الأرياف، المدن والجبال كل واحدة حسب إمكانياتها والمسؤوليات الملقاة على عاتقها، وفيما يلي بعض الأعمال والخدمات التي قامت بها المرأة بالمنطقة الأولى من الولاية الأولى:

1/ المرأة الريفية

لقد كان الحس الثوري متغلغل في عروق المرأة الريفية الى النخاع، ولذا كانت المرأة الريفية في طليعة المشاركين في الثورة منذ انطلاقتها، فتحملت أعباء الاضطهاد والإهانة من المستعمر أكثر من نظيراتها في المدن.⁽²⁰⁾

كانت المرأة الريفية توفر المأوى والطعام للمجاهدين، فهي تستقبلهم عند وصولهم إلى القرية، أو مركز من مراكز (جيش التحرير الوطني) بالفرح والابتهاج،⁽²¹⁾ حيث تضمن لفرق الجيش المتنقلة الراحة، وتوفر للمجاهدين خلال أسفارهم المرهقة ما يحتاجون إليه من غذاء ونظافة ونوم وغسل للملابس.⁽²²⁾

تذكر المجاهدة "مباركي فاطمة زوجة عمار برحال" من حيدوسة "بأن منزلها كان مركزا لاستقبال فرق جيش التحرير الوطني؛ حيث تقوم رفقة نساء البيت بإعداد ما يلزم من طعام وشراب لهذه الفرق، كما كن يقمن بتنظيف وخطاطة ملابس الجنود".⁽²³⁾

عملت المرأة في الريف على نقل ما يلزم المجاهدين من طعام ولباس إلى الجبال خلال الحصار الذي كانت قوات المستعمر تفرضه عليهم، حيث تذكر المجاهدة "مباركي فاطمة" بأن شقيقة زوجها فاطمة برحال التي كانت تتميز بقوة شخصيتها، "كانت تقوم بنقل الطعام

والشراب، وكل ما يلزم المجاهدين من احتياجات إلى الجبل في نواحي عين توتة " (24)

لقد تحملت المرأة الريفية الكثير من المشاق والمتاعب حتى تساهم هي الأخرى في توفير المؤونة للمراكز التي أنشأها جيش التحرير الوطني؛ أين كانت تقوم بطحن الحبوب بواسطة المطاحن التقليدية، ثم تنقلها على ظهرها لهذه المراكز. (25) مع قيامها بالتبرع بكل ما تملك من مال وحلي لصالح الثورة. (26)

لقد كان غسل الصوف وتحضيرها من الأعمال الهامة التي كُلفت بها المرأة في الريف، وذلك حتى يتم توزيعها فيما بعد على العائلات من أجل نسج القشاشيب (لباس تقليدي) لكي يرتديه المجاهدون أثناء تنقلاتهم خاصة في فصل الشتاء الذي يتميز بشدة البرودة في المناطق الجبلية خاصة. (27)

عملت المرأة أيضا على ربط الاتصالات بين التنظيمات السياسية والعسكرية من المجاهدين واللجان الشعبية وال فدائيين والمسلمين، وجمع المعلومات والأخبار حول نشاط العدو، ونقلها إلى المعنيين بالأمر، إذ تذكر المسبلة "خديجة من الأوراس" أن مهمتها الأساسية كانت الاستطلاع على تموضع قوات العدو، وتزويد جيش التحرير بالمعلومات الدقيقة والكافية من حيث العدد وطبيعة الأسلحة الثقيلة أو الخفيفة، ومعرفة القدر المستطاع للمسالك التي يرغبون في أخذها، مما يسهل المهام على جيش التحرير لينصب الكمائن، التي يلحق بواسطتها خسائر بشرية ومادية معتبرة بالعدو". (28)

كما لعبت المرأة المتزوجة من ضباط في الجيش الفرنسي دورا لا يُستهان به في نقل المعلومات والأخبار لوحدات جيش التحرير الوطني حول تحركات العدو؛ فمثلا كانت "المسبلة ربيعة" في باتنة تحصل على معلومات من زوجها الذي كان ضابطا في الشرطة حول تحركات الجيش الفرنسي، والعناصر المستهدفة بالاعتقال، وتنقلها للمسؤولين الذين هم بدورهم يحذرون المعنيين بالأمر. (29)

إن حرص المرأة على توفير احتياجات المجاهدين وحمايتهم أثناء تواجدهم بمنزلها لم يكن أقل حرصا على نفسها وبيتها وشرفها خاصة؛ لذا كانت كلما حاول المستعمر النيل منها فإنها تصده بقوة وبكل شجاعة تصل في كثير من المرات إلى الفتك به، وهنا تحضرنا قصة المجاهدة " بوذن أم السعد" هذه المرأة الشجاعة التي قتلت جنديا فرنسا برتبة ملازم أراد الاعتداء على شرفها، حيث وجهت له ضربة بالشاقور (آلة حادة) فأردته قتيلًا بمنطقة "أقراذو" التابعة لبلدية مروانة، وجرت وقائع الحادثة في صيف 1961.⁽³⁰⁾

نلاحظ من خلال ما تقدم تنوع الأعمال التي كانت تقوم بها المرأة في الريف؛ فمن القيام على شؤون المنزل إلى توفير احتياجات المجاهدين والسهر على راحتهم؛ وهذا العمل كانت تقوم به المرأة الريفية بكل رحابة صدر، كما أن المرأة في الريف قد تحملت العديد من المشاق والمتاعب، وكانت عرضة للمخاطر؛ فكم من امرأة قُتلت وهي تحاول إخفاء أثر المجاهدين، أو أثر المخابئ (الكازمة) التي كانت توجد في بيتها، وكم من واحدة قتلت أيضا أو ألقى القبض عليها، وهي في طريقها إلى الجبل من أجل إيصال رسالة ما أو طعام ولباس للمجاهدين.

2/ المرأة الفدائية

إن ازدياد طلبات الانخراط في العمل الفدائي من قبل النساء الجزائريات جعلت المسؤولين في الثورة ينظرون لها بقلق شديد نظرا للحماس الذي كانت تبديه المرأة التي كانت دائما تطالب بتولي مهمات صعبة، مما سيؤثر سلبا على الطابع السري للثورة، لذا فقد عمل القادة على كبح جماح هذا الحماس بالتدرج، وذلك بتكليف المرأة بمهام بسيطة إلى أن يتأكدوا بأنها قد تعلمت كيف تصبر، وتتحكم في مشاعرها، وأنها أصبحت تتصف بالقوة والتصميم، ومن بين المهام المبدئية التي تُكلف بها المرأة قبل التحاقها بالعمل الفدائي:

- زيارة عائلات المجاهدين والمعتقلين ومواساتهم معنويا وماديا.
- نقل الرسائل والطرود والأسلحة من مكان إلى آخر.

- التعرف على مختلف أحياء المدن تمهيدا لمرحلة المشاركة في العمل المسلح مباشرة.⁽³¹⁾

تذكر المجاهدة "حورية زرافي" بأنها انضمت في البداية رفقة "فتيحة بودراوي" - التحقتا لاحقا بالمنطقة الثانية من الولاية الأولى- إلى خلية لجمع التبرعات، ونقل الرسائل والودائع داخل مدينة باتنة، ثم توسعت مهامها إلى إخفاء الأسلحة بعد كل عملية فدائية تجري داخل المدينة، وتضيف أن هذا العمل كان يتطلب منها الكثير من الحيلة والحذر لأن أعين الاستعمار كانت بالمرصاد لكل التحركات،⁽³²⁾ كما كانت حورية مداسي⁽³³⁾ في باتنة تقوم رفقة أختها حبيبة وأمها بإخفاء الأسلحة في منزلهم العائلي.⁽³⁴⁾

تميزت المرأة الفدائية بتنفيذ عملياتها في المدن بزيها المدني، فهي تعيش وسط السكان حتى لا تثير شكوك السلطات الاستعمارية، فتقوم بعمليات فدائية بالغة الأهمية تستهدف فيها مراكز العدو من ثكنات ومحافظات الشرطة ومراكز الدرك والملاهي والمقاهي وقاعات السينما وغيرها من الأماكن الحساسة.⁽³⁵⁾

لقد عرفت المنطقة الأولى من الولاية الأولى التاريخية بعضا من العمليات الفدائية التي قامت بها المرأة، نذكر منها ما قامت به المناضلة "ابن شادة الغالية" في عين التوتة؛ ففي 7 جويلية 1960 أُلقت المناضلة قبلة يدوية في مقهى لأحد المعمرين بعين التوتة يدعى "طاكوا"، وقد كان يتردد على هذا المقهى العديد من جنود العدو، مما أدى إلى قتل 5 جنود وجرح 8 منهم، فقامت السلطات الاستعمارية بتطويق المدينة في الحال بحثا عن منفذ العملية، ولكن دون جدوى.⁽³⁶⁾

أما العملية الثانية فقد كانت في 19 سبتمبر 1960؛ حيث أُلقت المناضلة "ابن شادة الغالية" قبلة يدوية على منزل أحد الخونة المسمى "شباحي"، والذي كان مساعدا كبيرا لضباط الشؤون المحلية بعين التوتة، وقد نتج عن هذه العملية موت شخص واحد من أسرة هذا الخائن، وتمكنت الفدائية بعدها من الانسحاب والالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني.⁽³⁷⁾

كما كانت المرأة تخاطر بحياتها بالتمويه تارة وبإغواء واستدراج بعض العساكر لتنفيذ العمليات الموكلة إليها تارة أخرى، ومثال ذلك ما قامت به إحدى الفدائيات من مدينة باتنة؛ حيث قامت باستدراج دركي (يدعى ماتيو) إلى منزلها، وهناك كان بانتظاره المجاهدان حسين بضياف (المدعو كعوش)، ومحمد عناية (المدعو محمد الباتني)، وحين دخل المنزل وجدهما أمامه، فلم يكن له من موقف إلا الاستسلام، وتسليم مسدسه عيار 9 ملم، وكان ذلك في 23 جويلية 1961.⁽³⁸⁾

قامت في مدينة باتنة الشهيذة "قيدومي فاطمة"،⁽³⁹⁾ باستدراج أحد الخونة من الحركى - قتل أكثر من 100 مواطن، وكان عندما يقتل أحد يأخذ أذنه، ويعلقها في حزامه، وقد نال شهادات عديدة من الجنرال بارلانج (Parlange) وغيره، وحاول الثوار أن يقضوا عليه فاستحال عليهم ذلك -، استدرجته إلى منزلها أين كان بعض الفدائيين في انتظاره، وبمجرد أن دخل إلى بيتها أتم القبض عليه ونقل إلى الجبل حيث تم إعدامه.⁽⁴⁰⁾

نلاحظ قلة العمليات الفدائية التي كانت تقوم بها المرأة في المنطقة الأولى مقارنة بنظيراتها في الولايات التاريخية الأخرى، وذلك يرجع للطابع الريفي الذي يُميّز الولاية الأولى التاريخية ككل من جهة، وإلى طبيعة الرجل بالمنطقة أيضا، والذي يفضل القيام بهذه العمليات بنفسه بدل تكليف النساء بها حفاظا على حياتهن، ولكن هذا لا يمنع من الإشادة بالعمليات الفدائية النوعية التي قامت بها المرأة في المنطقة.

3/ دور المرأة في الصحة

لابد من الإشارة إلى أن أغلب ممرضات الولاية الأولى هن تلميذات ثانوية باتنة اللواتي كانت أعمارهن تتراوح ما بين 15 و 20 سنة من أمثال: فتيحة بودراوي، حورية زرافي وحببية مداسي، وكذلك الممرضات اللواتي تخرجن من مدرسة الشبه الطبي لمدينة سطيف،⁽⁴¹⁾ ومن بينهن "تسعديت آيت سعيد (أصلها من عين الحمام من منطقة القبائل)، زكية بوضياف (سطيف)،⁽⁴²⁾ حورية مداسي (باتنة) وغيرهن.⁽⁴³⁾

تجدر الإشارة إلى أنه قبل التحاق الممرضة بمستشفيات جيش التحرير الوطني في الجبال والغابات، فإنها كانت تعمل تطبيقا لتعليمات قيادة الثورة داخل المستشفيات حتى تستطيع الوصول إلى أخبار

المجاهدين المساجين، وضحايا التعذيب والعناية بهم وسط فرق العاملين من الأطباء والممرضين الفرنسيين،⁽⁴⁴⁾ وتزود المجاهدين بمختلف الأدوية الحيوية من مخزن المستشفى مثل البنيسيلين، الضمادات الجراحية، وخيوط الجراحة لإيصالها إلى معازل الثورة إلى جانب توزيع المنشورات ومعالجة بعض جرحى المجاهدين.⁽⁴⁵⁾

تذكر زكية بوضياف، بأنها عملت بمستشفى سطيف إلى غاية 1956، وقد اغتنمت الفرصة خلال وجودها بالمستشفى كعاملة بتقديم المساعدات الضرورية للمجاهدين السجناء، وخاصة الذين يأتي بهم العدو إلى المستشفى للعلاج، حيث كانت ممرضة في الجناح المخصص لهم.⁽⁴⁶⁾

كما كانت حورية مداسي في باتنة تستقبل جرحى جيش التحرير الوطني في منزل والدها، فتقوم بمعالجتهم وتسهر على راحتهم رفقة أمها، وأختها "حبيبة" التي كانت تزود مسؤولي جيش التحرير بالأدوية التي كانت تحضرها حورية من مكان عملها، كما كانت حورية تنتقل إلى الجبل ليلا لمعالجة جرحى جيش التحرير، وسكان الريف الذين كانوا يعانون من السياسة القمعية الفرنسية.⁽⁴⁷⁾

بعد التحاق المرأة بصفوف جيش التحرير الوطني في الجبال فإنها تتلقى تكوينا في التمريض، فمثلا على مستوى الولاية الأولى التاريخية تكفل الدكتور "محمود عثمانية"⁽⁴⁸⁾ بالتكوين، وكان يساعده في ذلك الممرضات الحاملات لشهادة التمريض المتواجرات في الجبل على مستوى جبال شيلية، كما التحقت بهن ممرضات أخريات مثل زكية بوضياف، وزكية بن مكي، ورابحة هميس، وزهور قاوش (الجزائر)، وباية شيخي، لويزة فاضلي وغيرهن.⁽⁴⁹⁾

لقد كان في كل دوار مركز خاص بالمجاهدين تأوي إليه الممرضات أثناء زيارتهن للقرى لمعالجة المواطنين، وهذا بطبيعة الحال في فترات الهدوء والأمن، أما في فترات المعارك فكن يمكن في الجبال بلا أكل ولا شرب كبقية المجاهدين لمعالجة الجرحى منهم،⁽⁵⁰⁾ وقد كانت الوسائل التي تستخدم في العلاج، وإجراء العمليات بسيطة جدا منها: أمواس الحلاقة والملاقط والمقصات وغيرها.⁽⁵¹⁾

لقد تمكنت بعض الممرضات من إجراء بعض العمليات الجراحية البسيطة نذكر منها: العملية التي قامت بها "زكية بوضياف" والتمثلة في إخراج شظايا قنبلة من يد المجاهد "عبد الله صالح" المدعو "بورب"، كان قد أصيب بها في إحدى المعارك، وذلك بعد أن فتحت مكان الإصابة بموس الحلاقة، كما أجرت نفس العملية للمجاهد "عبد القادر شنافي"؛ حين أخرجت له شظايا قنبلة من ذراعه أصيب بها هو الآخر في إحدى المعارك.⁽⁵²⁾

لم يكن إجراء العمليات الجراحية البسيطة يقتصر على المجاهدين فقط بل كانت تُجرى حتى لسكان الأرياف والقرى حيث قامت "زكية بوضياف" أيضا بمساعدة زميلتها "تسعديت آيت السعيد" بعملية جراحية لامرأة حامل من منطقة "برج غدير" انكسرت ذراعها، ودخلت شظايا قنبلة في عيناها، وقد تمكنت من إخراج هذه الشظايا بواسطة ملقط.⁽⁵³⁾

كانت الممرضة تقوم إلى جانب التمريض بالتوجيه والإرشاد في الوسط النسوي في القرى والأرياف؛ فتقدم دروسا في التوعية السياسية؛ بحيث تشرح لهن أهمية الثورة، وأهدافها وحقيقة الاستعمار الفرنسي، وضرورة الكفاح المسلح، كما كانت تقدم دروسا في التربية الاجتماعية تتعلق بكيفية الاعتناء بالأطفال وتربيتهم وطريقة معالجتهم ونظافتهم، وكل ما يتعلق بالشؤون المنزلية والحياة الصحية لأفراد العائلة،⁽⁵⁴⁾ وغيرها من الإرشادات والتوجيهات، وهذا بهدف تجنيد المرأة في صفوف الثورة، والوقوف في وجه الحرب النفسية التي كانت تقودها الإدارة الاستعمارية ضد المرأة الريفية خاصة، لأنها أدركت أهميتها بالنسبة لجيش وجبهة التحرير الوطنيين في التموين والدعاية.

نذكر من الممرضات اللواتي كن بالمنطقة الأولى كل من: "آيت السعيد تسعديت (زوجة عمر أو عمران)، زكية خنيف (زوجة بوضياف)، وقد قدمت من سطيف كما سبقت الإشارة إلى ذلك، بن مكى زكية، حميس ربيحة (زوجة بخوش)، زهية كواشي وقدمن من الجزائر.⁽⁵⁵⁾

ما تجدر الاشارة اليه، فيما يتعلق بالممرضات في الولاية الأولى، هو قلة عددهن بصفة عامة، ويرجع ذلك إلى استشهاد البعض منهن، أما البعض الآخر فقد صدرت تعليمات من القيادة العليا للثورة في نهاية

1958، تقضي بأن يغادرن التراب الوطني، ويتجهن نحو القاعدة الخلفية للثورة بتونس أين عملن بمستشفيات الثورة هناك، ثم إن البعض منهن قد تم إرساله إلى مصر من أجل أن يتلقين تكويناً في التمريض، ويرجع السبب في ذلك إلى أن القيادة العليا أدركت أن الاستقلال آت لا محال، وأنه يجب عليها أن تهيئ كوادراً تعتمد عليهم في بناء جزائر ما بعد الاستقلال.⁽⁵⁶⁾

لقد كان للمرأة الممرضة دوراً مهماً في تقديم خدمات صحية متنوعة للمجاهدين وسكان الأرياف والقرى الذين استبشروا خيراً بها، فكانوا يلجؤون إليها لعلاج نساءهم وبناتهم، ثم إن الحملات التوعوية التحسيسية والإرشادية التي كانت تقوم بها الممرضة كان لها أثراً إيجابياً في توعية المرأة بأهمية الثورة والمشاركة فيها.

4/ المرأة في الجبل

تلتحق المرأة في الغالب بالجبل في حالة ما إذا أُكتشف النشاط الذي تقوم به في المدينة، حيث يصبح تواجدها في المدينة يشكل خطراً عليها، فتذكر المجاهدة حورية زرافي مثلاً أنه بعد القاء القبض على أحد الثوار الذين كانت تتعامل معه في مدينة باتنة، وخوفاً على حياتها أصدرت قيادة الثورة بالولاية التاريخية الأولى أمراً يقضي بمغادرتها المدينة رفقة زميلتها فتيحة بودراوي، والالتحاق بصوف المجاهدين أين التحقتا بجبل بوعريف بالمنطقة الثانية.⁽⁵⁷⁾ أو بعد أن تقوم بعمليات فدائية فتذكر المجاهدة "بدره عمامرة" في هذا الصدد أنها التحقت رفقة زميلتها "حبيبة مداسي" بالجبل مباشرة بعدما نصبتا فخاً لضابط برتبة عميد في الشرطة الفرنسية، وهو جزائري، واسمه "سوكحال" مع مجموعة من المجاهدين.⁽⁵⁸⁾

عند التحاق المرأة بصوف جيش التحرير الوطني، فإنها تنظم داخل أفواج على ألا يتجاوز الحد الأدنى لكل فوج ثلاث فتيات، وعلى رأس كل فوج مسؤول عسكري يلزم الفوج في كل تنقلاته ونشاطاته، تذكر المجاهدة "زكية بوضياف" بأنها كانت رفقة آيت السعيد تسعديت ومليكة براهيمي، يشكلن فوجاً تحت قيادة، وإشراف الحاج لخضر.⁽⁵⁹⁾

كما تزود كل امرأة بكيس لحمل أمتعتها بالإضافة إلى صندوق للأدوية ومسدس وقنبلة يدوية، وذلك للدفاع عن أنفسهم حين يصادفون جنود العدو بغتة، أو يقعون في كمين خلال تنقلاتهم الكثيرة في الدواوير والمشاتي والجبال، حيث كانت الحياة جد صعبة؛ فقد كانت المرأة مثلها مثل الرجل تبقى لعدة أيام دون أكل ولا شرب خاصة أثناء ضرب العدو حصارا على المنطقة، ناهيك عن تحملها للبرد القارس،⁽⁶⁰⁾ كما كانت تلبس الزي العسكري، وتعمل على تشجيع جنود جيش التحرير في المعارك التي كانوا يخوضونها، بالإضافة إلى معالجة المصابين منهم.⁽⁶¹⁾

تجدر الإشارة إلى أن النساء المتواجدات بالجبال في الولاية الأولى التاريخية بصفة عامة كن قليلات لأن قيادة الثورة كانت تتحفظ على التحاق المرأة بالجبال نظرا لصعوبة الحياة هناك.

5/ المشاركة في المظاهرات

لقد كان تنظيم المظاهرات والخروج فيها وسيلة من الوسائل التي اعتمدها قيادة الثورة لتجنيد القاعدة الشعبية لأجل المطالبة بالاستقلال، حيث لعبت المرأة دورا لا يُستهان به فيها من خلال المشاركة في التحضير والإعداد لها والخروج فيها، ومن المظاهرات التي شاركت المرأة فيها بالمنطقة الأولى نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- مظاهرات 5 جويلية 1961

قدمت المناضلة "بن يزة برقلاح" في 4 جويلية 1961 من الجبل بمروانة، وأبلغت المناضلات اللاتي كن بالمدينة منهن: "بيشة عائشة، قورداش ظريفة، ومزيان فاطمة (المدعوة الخنفوسية)" بأن يجتمعن في منزلها لكتابة المناشير التي سوف ترفع يوم المظاهرة، وبالفعل ففي ليلة الخامس من جويلية خرج الشباب المتعلم، وأخذ يكتب على الجدران، والنساء يلصقن المناشير، وفي الصباح بدأت المسيرة أمام مسجد العتيق بمدينة باتنة، وأخذ السكان يتجولون في الشوارع دون خوف.⁽⁶²⁾

قابل جنود المستعمر هذه المظاهرات بوحيشه مُطلقة، فأخذوا يطلقون الرصاص على المتظاهرين، ما أدى إلى استشهاد "مبروك فوخال" (المدعو الباهي) الذي كان يحمل العلم الوطني وأصيبت "ظريفة

قورداش " بجروح، والمواطن موسى دعيمي، كما أصيبت العجوز " خديجة بوعتام " في رجليها، وهذا بعدما صدمتها دبابة العدو بالطريق.⁽⁶³⁾

- مظاهرات أوت 1961

وقعت هذه المظاهرات بوادي الماء - حي بن علي عبد الله حاليا -، أولاد منعة دخلة بن كيال، بعدما جاء الأمر من جبهة التحرير الوطني برفع الأعلام الوطنية في المداشر المذكورة، واستجابة لنداء الجبهة رفع أبناء المنطقة العلم الوطني دون خوف من قوات العدو التي جن جنونها، وأخذت تضرب المواطنين بشدة، وقد قام الحركى بأعمال فظيعة في حق السكان: كاغتصاب الفتيات انتقاما منهن ومن ذويهم، وإضرار النيران في شعر البنات وملابسهن، وهذا بمركز التجميع - يحي علي عبد الله حاليا.⁽⁶⁴⁾

أما في قرية وادي الماء؛ فقد خرج العديد من النساء والأطفال إلى الشارع؛ حيث انطلقت المظاهرة من لبراكته إلى وادي الماء في الوسط، وقد كانت المناضلة "أعطية الخامسة" (المدعوة نونة) تحمل العلم الوطني، وكان المتظاهرون يهتفون بشعارات "نحيا الجزائر"، "يسقط ديغول"، وعند وصولهم إلى منزل المعمر (قامية) اعترضتهم قوات الاحتلال بإطلاق الرصاص، ورمي القنابل المسيلة للدموع، فقامت بتفريقهم وملاحقتهم، وقد حاولوا الوصول للعلم الوطني الذي كان بحوزة المناضلة، ولكنها أخفته في قربة الماء.⁽⁶⁵⁾

نتج عن هذه المظاهرة إصابة المناضلة "أعطية الخامسة" بطلقات نارية في رجليها اليمنى كما أصيبت "فاطمة حجار" (زوجة الصالح دواق بن أسعد) بجروح في رأسها، وأصيبت "عيدة عشي" (زوجة عمر عزاز) بطلقة نارية اخترقت يدها اليسرى، وأصيبت "نوارة تولميت" (زوجة عبد القادر زراد) بجروح في رأسها، بالموازة مع نهب أملاك الأهالي وأموالهم.⁽⁶⁶⁾

يضاف إلى ذلك المظاهرات التي وقعت في 1 نوفمبر 1961، ببيضاء برج بالقسمه الرابعة الناحية الأولى من المنطقة الأولى، حيث تجمع السكان في مشاتي: أولاد لبيتم، أولاد سلام، أولاد تامن، أولاد لكحل،

وذراع عبد السلام، وتيزوتين، وأولاد لمبارك، والتلة، وأولاد الداحس، حيث اعترضت قوات العدو سبيل المتظاهرين بالدبابات في المكان المسمى "المرجة"، ونظرا لخوف هذه القوات من العدد الهائل للمتظاهرين لجأت إلى الطائرات حتى تتمكن من تفريقهم؛ فحلقت إحدى الطائرات على ارتفاع منخفض، ما أدى إلى حصد رؤوس العديد من المتظاهرين خاصة النساء في منظر تقشعر منه الأبدان، ولكي يغطي المستعمر على فعلته قام بإضرام النيران في أجسام المتظاهرين وأشلائهم، ومن الشهداء اللائي سقطن في ميدان الشرف ذلك اليوم: ربيحة رزوق، ومن أسرة ليتيم كل من: ربيعة، النافجة وريدة، بريزة، العارم وعائشة، يضاف لهن: مباركة سلطان، مسعودة عولمي والعياصي ربيحة.⁽⁶⁷⁾

نستنتج من خلال ما سبق أهمية هذه المظاهرات التي أثبتت المرأة من خلال مشاركتها فيها عن مدى وعيها بقضيتها، فكانت في طليعة المتظاهرين تقودهم بكل حماس وشجاعة متحدية رصاص العدو الفرنسي الذي لم يزلها إلّا إصرارا وعزيمة.

الخاتمة:

وفي نهاية هذه الدراسة نخلص للنتائج الآتية:

- إن المرأة بالولاية الأولى واقتداء بنظيراتها عبر كافة أنحاء الوطن شاركت في الثورة مشاركة فعّالة؛ فكانت تسهر على توفير كل الحاجيات اللازمة والضرورية للمجاهدين من مأكّل وملبس ومأوي معرضة نفسها للكثير من المخاطر في سبيل حماية الثوار؛ لأنها كانت ترى فيهم الأمل من أجل التخلص من براثن المستعمر الغاشم، فقدمت النفس والنفيس في سبيل تحقيق الاستقلال.

- لقد كان للإضراب الذي شنه الطلبة في 19 ماي 1956، استجابة لنداء جبهة التحرير الوطني دورا مهماً في التحاق العديد من النساء المثقفات من تلميذات وممرضات حاصلات على شهادات في التمريض بمعازل جيش التحرير الوطني في الجبال بالمنطقة الأولى من الولاية الأولى، أين قدمن خدمات متنوعة ومهمّة جدا لصالح الثورة التحريرية، وسكان القرى والمداشر من تمريض، وإرشاد توعية والقيام بأعمال إدارية متنوعة.

- لعبت المرأة بالمنطقة الأولى دوراً فعالاً في المنظومة الصحية إبان الثورة التحريرية، فكانت عنصراً مهماً جداً من خلال الخدمات الصحية المتنوعة التي كانت تقدمها للثورة سواء قبل التحاقها بمعقل الثورة في الجبال أو بعد التحاقها بصفوف جيش التحرير؛ حيث عملت على تزويد جيش التحرير بمختلف الأدوات والوسائل الطبية الضرورية والمتنوعة، وعلاج الجرحى والمصابين من جنود جيش التحرير، وكذلك علاج سكان الأرياف والقرى والمداشر وخاصة النساء منهم. كما كانت مرشدة اجتماعية تقوم بحملات توعوية وتحسيسية وسط سكان الأرياف والقرى والمناطق المحرمة بهدف توعية السكان بحقيقة الثورة، وتعبئتهم لصالحها، وتعليمهم سبل الوقاية من مختلف الأمراض والأوبئة التي كانت منتشرة في تلك الحقبة، بالإضافة إلى حثهم على نظافة أجسامهم ومحيطهم، وتحريضهم ضد الإدارة الاستعمارية.
- تمكنت المرأة من كسر كل الحواجز والقيود التي كانت تعترضها، وانضمت للثورة فكانت مجاهدة ومسبلة وفدائية، فتركت حضن الآباء والأمهات والأزواج، والتحقّت بالجبال فعانت من قسوة الطبيعة، ومن مرارة العيش، وهذا كله من أجل أن تثبت للرجل على أنها أهل لأن تشارك إلى جانبه من أجل تحرير الوطن، وبالفعل لقد نجحت في مهمتها، وحققت أهدافها واستطاعت أن تثبت وجودها، وأن ترفع من مكانتها في المجتمع، وأن تتقاسم مع الرجل فرحة الحرية والنصر كيف لا وهي التي أعطت للثورة دفعا قويا ونفسا جديدا بانضمامها إليها.

الهوامش والإحالات

- (1) - المنظمة الوطنية للمجاهدين : التقرير الولائي لأحداث الثورة التحريرية : السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية للفترة ما بين جانفي 1959 - 1962، ولاية باتنة، الملتقى الجهوي للولاية الأولى المنعقد يومي 20 و 21 أفريل 1997، ص 65.
- (2) - الحاج لخضر: "الولاية الأولى في معركة التحرر"، جريدة المجاهد، العدد 42، بتاريخ: 18 / 5 / 1958، ص 8.
- (3) - يقع كيمل ضمن جبال الأوراس، ويحتل السفوح الشرقية لجبال السراء، يحده شرقا غابة بني ملول، ومن الشمال الشرقي لمصارة، ومن الغرب والشمال الغربي كل من زلاطو وإينوغيين، ومن الجنوب والجنوب الغربي كل من زربية الوادي وتاجموت. للمزيد من المعلومات ينظر: عمر تابلت: عاجل عجول أحد قادة الأوراس التاريخيين حياته، جهاده، محتته، ط2، مطابع عمار قرفي وشركائه، باتنة، 2010/2011، ص 8.
- (4) - أصبحت قاعدة للولاية السادسة بعد إنشائها في الجنوب.
- (5) - هي حاليا دائرة من دوائر ولاية تيسة، تبعد بمسافة 30 كم عن عاصمة الولاية، تمتاز باحتوائها على ثروة طبيعية هامة من بينها معدن الفوسفات والحديد، مما جعلها قطب صناعي هام أيام الاستعمار الفرنسي. ينظر: الموسوعة الحرة.
- (6) - للمزيد من التفاصيل ينظر: التقرير الولائي لأحداث الثورة التحريرية ...، مصدر سابق، ص 65 - 70.
- (7) - ببيضاء برج هي إحدى بلديات ولاية سطيف حاليا تقع في الجنوب الشرقي للولاية.
- (8) - التقرير الولائي لأحداث الثورة التحريرية ...، مصدر سابق، ص 67-68.
- (9) - بو عبد الله حورية المدعوة مسعودة (26 نوفمبر 1942) ولدت في أسرة ثورية؛ حيث كان والدها مناضلا في جمعية العلماء المسلمين، فحزب الشعب الجزائري، ثم مناضلا في جبهة التحرير الوطني؛ إذ كان منزلهم مركزا للإطعام وتموين المجاهدين في باتنة. شاركت في العديد من المظاهرات على مستوى مدينة باتنة، سجنت وتعرضت لأصناف مختلفة من التعذيب. للمزيد العودة لشهادة سمعية وبصرية مسجلة لها ولأمها متوفرة على مستوى متحف المجاهد باتنة، بتاريخ: 2007/02/12.
- (10) - جمعية رواد مسيرة الثورة في منطقة الأوراس: شهداء منطقة الأوراس 1954-1962، دط، دار الهدى، عين مليلة، ج4، 2008، ص 483.
- (11) - بو عبد الله حورية، شهادة، مصدر سابق.
- (12) - فرانز قانون : العام الخامس للثورة الجزائرية، (ترجمة) : ذوقان قرقوط، مراجعة: عبد القادر بوزيدة، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2004، ص 112.
- (13) - أنيسة بركات: محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، دط، منشورات ANEP، الجزائر، دون سنة نشر. ص 111.
- (14) - فتيحة بودراوي (زوجة جودي): ولدت بباتنة في 4 جويلية 1940، وهي إحدى تلميذات ثانوية باتنة للبنات، التحقت بالثورة وعمرها لم يتجاوز 16 سنة، حيث كانت رفقة المجاهدة حورية زرافي تعمل في خلية من خلايا الثورة في المدينة، تحت قيادة المجاهد مصطفى سفوحي وابنه في جمع التبرعات للثورة، نقل الرسائل، إلى جانب نقل وإخفاء السلاح إلى غاية إلقاء القبض على أحد المجاهدين الذين كانت تتعامل معهم، فصدرت الأوامر لها بالالتحاق بالجبل رفقة زميلتها حورية زرافي، أين التحقتا بصغوف جيش التحرير الوطني في جبال بو عريف، وهناك التقت بالمجاهدة بدره عامرة، لوزيرة فاضلي وبهية شيخي، وفي الجبل كانت تقوم بأعمال مختلفة منها: التمريض والتوعية في القرى والأرياف والمداسر إلى جانب الإشراف على شؤون السكرتارية، وبقيت في الجبال إلى غاية 1960 أين صدرت الأوامر بمغادرة المجاهدات نحو بتونس، ومن تونس التحقت بإحدى ثانويات القاهرة بمصر، بعد الاستقلال تخصصت كأستاذة في علم الأرطوفونيا. للمزيد من المعلومات ينظر: نواره سعديّة جعفر: الوفاء "سلسلة حوارات ولقاءات مع مجموعة من مجاهدات ثورة نوفمبر 1954 الخالدة"، دط، دار الهدى، الجزائر، 2012، ص 129-132.

- (15) - حورية زوافي : ولدت في 20 أبريل 1944 بمدينة باتنة، تلميذة بثانوية باتنة للبنات، التحقت بالثورة سنة 1957، حيث عملت خلية من خلايا الثورة في المدينة رفقة زميلاتها فتيحة بودراوي إلى غاية لقاء القبض على أحد المجاهدين الذين كانت تتعامل معهم، فصدرت الأوامر لها بالالتحاق بالجبل رفقة زميلتها، أين التحقتا بصقوف جيش التحرير الوطني في جبال بوعريف، وفي الجبل كانت تقوم بأعمال مختلفة منها: التمريض والتوعية في القرى والأرياف والمدامر إلى جانب الإشراف على شؤون السكرتارية، وبقيت في الجبال إلى غاية 1960 أين صدرت الأوامر بمغادرة المجاهدات نحو بتونس، ومن تونس التحقت بأحدى ثانويات الإسكندرية بمصر، بعد ذلك التحقت بوزارة الخارجية في الحكومة المؤقتة، بعد الاستقلال عُينت موظفة بوزارة الدفاع، ثم التحقت بالسلك الدبلوماسي بسفارة الجزائر بالقاهرة عندما كان الأخضر الإبراهيمي سفيراً هناك، بعدها ابتعدت عن الساحة السياسية، وتفرغت لأسرتها. ينظر: نوار سعدية جعفر، المرجع السابق، ص 62-65.
- (16) - حبيبة مداسي: وهي شقيقة حورية مداسي، التحقت بمعامل جيش التحرير الوطني رفقة ست تلميذات، بالمنطقة الثانية من الولاية الأولى، تدرت في التمريض على يدي الدكتور محمود عثمانة، التحقت بعدها بتونس بعد صدور القرار الذي يقضي بمغادرة كل النساء الموجودات بالجبال نحو قواعد الإسناد، وفي تونس التقت بشقيقتها حورية. ينظر:
- Mostéfa Khiaï : Dictionnaire biographique du corps de la santé (1954-1962), Editions ANEP, Alger, 2011, P231.
- (17) - Messaouda Yahiaoui ; Ibrahim Abes et Abdelkader Karilil : Le rôle de la femme Algérienne dans la révolution 1954-1962, Centre National et la révolution du 1^{er} Novembre 1954, 2007, p 39-40.
- (18) - Mohammed Harbi ; Gilbert Meynier : Le FLN Documents et histoire 1954-1962, Casbah Editions ,Alger, 2004, p 606.
- (19) - فرانس فانون، العام الخامس ...، مصدر سابق، ص 40 - 42.
- (20) - علي كافي : مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946 - 1962، دط، دار القصة للنشر، الجزائر، 2011، ص 198-199.
- (21) - عمار ملاح : المرحلة الانتقالية للثورة الجزائرية من 19 مارس إلى سبتمبر 1962، دط، دار الهدى، عين مليلة، 2005. ص 243.
- (22) - جريدة المقاومة الجزائرية، العدد 16، بتاريخ 3 جوان 1957. ص c.
- (23) - مباركي فاطمة، مقابلة شخصية معها بمنزلها، بتاريخ 12/09/2019، على الساعة العاشرة صباحاً.
- (24) - المصدر نفسه.
- (25) - عمار ملاح : المرحلة الانتقالية ...، مرجع سابق، ص 244.
- (26) - مباركي فاطمة : شهادة، مصدر سابق.
- (27) - يُنظر عمار ملاح : المرحلة الانتقالية ...، مرجع سابق، ص 244. وأيضاً: التقرير الجهوي للولاية الأولى، مصدر سابق، ص 108.
- (28) - يحيوي مسعودة وآخرون : دور المرأة في الثورة التحريرية، ط خ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، وزارة المجاهدين، 2007، ص 34.
- (29) - المرجع نفسه.
- (30) - صالح سعودي: "الأوراسية التي قتلت عسكرياً فرنسياً دفاعاً عن الشرف"، جريدة الشروق، بتاريخ 2015/03/08.
- (31) - محمد عباس : مثقفون في ركاب الثورة "في كواليس التاريخ 2، دط دار هومة، الجزائر، 2004، ص 147 - 148.
- (32) - نوار سعدية جعفر : مرجع سابق، ص 62.
- (33) - حورية مداسي (زوجة السعيد عبيد): ولدت في 25 أكتوبر 1936 بالمعذر ولاية باتنة، التحقت بمدرسة التمريض بسطيف، وتخرجت منها سنة 1955 كمرضة متخصصة، عادت بعدها إلى باتنة، وعملت كمرضة في المستشفى، حيث كانت تعمل على نقل الأدوية وعلاج المجاهدين المصابين بالليل، وفي النهار تلتحق بعملها بالمستشفى، بعد اكتشاف نشاطها، التحقت بجيش التحرير الوطني في المنطقة الأولى،

- وبالضبط بمنطقة الشعبة، وخلال وجودها في الجبل عملت كمرضة ومرشدة، ثم انتقلت إلى تونس وهناك درست كقابلة، لكي تنتقل بعدها إلى القاهرة في سنة 1958، للتدريب على الإسعافات الأولية، ثم عادت إلى تونس، بعد الاستقلال عملت كمرضة، صدر لها مؤخرا كتاب بعنوان رحلة امرأة حرة (Envoy d'une femme libre)، وهو عبارة عن مذكرات تروي فيها قصة حياتها. ينظر: المسار الثوري للمجاهدة حورية عبيد Biographie de Houria MadaciAbid، تاريخ النشر
- <https://www.youtube.com/watch?v=wwbMmcRNTrM.2020/04/10>
- Messaouda Yahiaoui, et d'autres, le rôle de la femme..., Op,Cit, p 39-40. (34)
- (35) - بركات أنيسة درّار: نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 51.
- (36) - التقرير الولائي لأحداث الثورة التحريرية ..، مصدر سابق، ص 281.
- (37) - المصدر نفسه، ص 282.
- (38) - المصدر نفسه، ص 288.
- (39) - فطيمة قيومي: التحقت بالجبل في الولاية الأولى خلال الثلاثي الأخير من عام 1956 رفقة مجموعة من فتيات باتنة خشلة تبسة وعين البيضاء، استشهدت في 1959، وهي تحاول الدفاع عن الجرحى والمرضى الذين كانت تشرف عليهم. ينظر: مصطفى خياطي: المآزر البيضاء خلال الثورة التحريرية الجزائرية، دط، (ترجمة): نسبية غربي، منشورات ANEP، الجزائر، 2013، ص 514.
- (40) - المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية: كفاح المرأة الجزائرية (دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة)، ط2، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 438.
- (41) - أول مدرسة للتدريب خاصة بالجزائريات بسطيف، افتتحت عام 1947 من قبل الإدارة الاستعمارية أمدت الولايات (1، 2، 3) بالعديد من الممرضات، تظن المستعمر لدور هذه المدرسة في إمداد الثورة بالعديد من الكوادر في مجال التمريض، لذا كان يطلق عليها اسم مدرسة الفلاحة. ينظر: أنيسة وعلي: حوار مع المجاهدة يمينة شراد، مجلة أول نوفمبر، المنظمة الوطنية للمجاهدين، العدد 180، محرر/نوفمبر 2015/1437، ص 89-90.
- (42) - زكية خنف زوجة "عبد الرحمان بوضياف" من مواليد 1935 بسطيف، واصلت تعليمها إلى غاية السنة الثانية ثانوي قبل أن تلتحق بمدرسة التمريض في سطيف 1952، أين تخرجت عام 1954، عملت في مستشفى سطيف حتى عام 1956، ثم التحقت بالجبل في الولاية الأولى في نوفمبر 1956 برفقة زميلاتها "تسعديت آيت سعيد" إلى غاية 1958، أين عملت كملحة إدارية في مصالح الحكومة المؤقتة. ينظر:
- MostéfaKhiati : Dictionnaire ..., Op, Cit, P210.
- (43) - Messaouda Yahiaoui, et d'autres, le rôle de la femme..., Op,Cit,p39.
- (44) - المركز الوطني: كفاح المرأة الجزائرية...، مرجع سابق، ص 352.
- (45) - أنيسة وعلي: حوار مع المجاهدة يمينة شراد، مصدر سابق، ص 90.
- (46) - لقاء مع مجاهدين: زكية بوضياف، مجلة أول نوفمبر، مرجع سابق، العدد 61، بتاريخ 1983، ص 92.
- (47) - Messaouda Yahiaoui, et d'autres, le rôle de la femme..., Op,Cit,p40.
- (48) - محمود عثمانة: ينتمي الدكتور عثمانة إلى عائلة ثورية ومجاهدة بامتياز، حيث كان إخوته الأربعة (محمد، مصطفى، مولود وعلي) ضمن صفوف جبهة التحرير الوطني، ولد في 3 نوفمبر 1926 ببانتة، تحصل على شهادة البكالوريا في 1948، التحق بفرنسا بكلية (Montpellier) للطب، أين واصل دراسته، وفي نفس الوقت كان يلعب كحارس مرمى ضمن صفوف فريق كرة القدم لقرنوبل (Grenoble)، حيث نال لقب بطل فرنسا للطلاب، التحق رفقة بشير منتوري بعد إضراب الطلبة في ماي 1956، بتونس بمستشفى سوسة، ومن هناك التحق بالولاية الأولى، فكان الطبيب الوحيد على مستوى الولاية، حيث عين مسؤولا على مصلحة الصحة بها، وبقي هناك إلى غاية 1960، أين غادر الولاية نحو تونس، ثم الرباط، وهناك واصل دراسته في الطب، وتخصص في مجال المسالك البولية، وبعد الاستقلال تحصل على شهادة الدكتوراه في الطب سنة 1963 من جامعة الجزائر، وفي سنة 1967 عين رئيسا لمصلحة الجهاز البولي بقسنطينة. ينظر: Mostéfa Khiati Dictionnaire ..., Op, Cit, p28-29.

- (49) - مصطفى خياطي : المآزر البيضاء ...، مرجع سابق، ص513 . وينظر أيضا: علي العياشي : "مصلحة الصحة بالولاية الأولى"، مجلة أول نوفمبر، مرجع سابق، العددان 103/102، مارس/أفريل 1989، ص 16-17. وينظر أيضا: Messaouda Yahiaoui, et d'autres :le rôle de la femme..., Op, Cit,p42.
- (50) - لقاء مع مجاهدين: زكية بوضياف، مصدر سابق، ص93 .
- (51) - حول المنظومة الصحية بالولاية الأولى ينظر: علي العياشي : مرجع سابق، ص 9-19.
- (52) - لقاء مع مجاهدين: مصدر سابق، ص 93.
- (53) - المصدر نفسه.
- (54) - المصدر نفسه .
- (55) - Messaouda Yahiaoui, et d'autres , Op,Cit, p 41.
- (56) - للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع. ينظر: عمار قرام : الجبهة الخارجية (قصة كفاح من الجزائر إلى تونس، ليبيا ومصر)، دط (تحرير): مونيا ساكر، دار المنتهي، الجزائر، 2016. ص 54 - 57.
- (57) - نوارة سعدية جعفر: مرجع سابق، ص 63.
- (58) - المركز الوطني للحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 481 .
- (59) - لقاء مع مجاهدين: زكية بوضياف، مصدر سابق، ص 92 .
- (60) - المصدر نفسه.
- (61) - نوارة سعدية جعفر: مرجع سابق، ص 64.
- (62) - التقرير الولائي لأحداث الثورة التحريرية ...، مصدر سابق، ص 44-45 .
- (63) - المصدر نفسه.
- (64) - المصدر نفسه، ص 45.
- (65) - المصدر نفسه، ص 45.
- (66) - المصدر نفسه.
- (67) - جمعية رواد مسيرة الثورة في منطقة الأوراس: شهداء منطقة الأوراس، مرجع سابق، ص 476-478.

تحقيقات قيادة الولاية الأولى حول المشبوهين في عملية الزرق (la bleuite) شهادة المجاهد محمد الصالح بن طامة من المنطقة الأولى انموذجا

د. مختار هواري

جامعة باتنة-1

مقدمة

واجهت الثورة التحريرية في مسارها الحافل بالأحداث، ليس فقط جيشا فرنسيا مدربا واحترافيا مدجج بآليات عسكرية متطورة ومدعم من القوى الغربية، شركاء فرنسا في الحلف الأطلسي، بل واجهت أيضا حرب جوسسة مصحوبة بأساليب نفسية لأجل إفشالها، وإدخال الشكوك في أوساط ثوارها، فلا يخفى على أحد تمكن الاستخبارات الفرنسية من الإيقاع بالقائد الكبير للثورة في الولاية الأولى، مصطفى بن بولعيد، بحادثة الراديو التي أدت لاستشهاده، وكذا تمكن الجنود المظليين الفرنسيين في معركة الجزائر من القضاء على تنظيم المنطقة الخاصة في العاصمة، والقبض على شبكة الفدائيين، استعمال عملاء مزدوجين. وعملية الطائر الأزرق التي جهزت فيها فرق من الجنود الجزائريين بالأسلحة، وأرسلتهم إلى منطقة القبائل لاختراق الثورة، ووظف جهاز المخابرات الفرنسي بعض من الجزائريين وورطهم في قضية كوبيس وبلونيس، وقد تمكنت الثورة من تجاوز هذه المحن، لكن أخطر ما تعرضت له الثورة في مسارها كان، ولا شك ما عُرف بقضية الـ (la bleuite).

فالإحاطة بحيثياتها ومعرفة الكيفية التي تعاملت معها الولاية الأولى، وخاصة المنطقة الأولى منها؛ هي قضية بالغة الأهمية تسمح بالبحث في حقيقتها وانعكاساتها، لذلك سأحاول في هذه الورقة البحثية التطرق إلى هذه القضية، وما مدى تأثيرها على الولاية الأولى؟ وخاصة المنطقة الأولى منها؟ ونتعرف على بعض من التحقيقات التي قامت بها قيادة الولاية، ونستعرض شهادة مهمة للمجاهد محمد صالح بن طامة الذي كان من ضحايا شكوك عملية الزرق، إذ تعرض لتحقيقات قاسية ضمنها في مذكراته غير المنشورة والموسومة بـ: "مذكرات الميت الحي أو جانب من قضية لابلويت،" والتي سأستعرضها محاولا الإحاطة

بما لحق بالمجاهدين وقادة الثورة من متاعب نتيجة هذه القضية، وهل تمكنت الثورة من تجاوز هذه المحنة؟

وقد اتبعت الخطة الآتية للإجابة على الإشكالية وهي: - مقدمة 1- قضية عملية الزرق، 2- الولاية الأولى وقضية الزرق، 3- المنطقة الأولى من الولاية الأولى وقضية الزرق وأخيرا خاتمة ضمنها إستنتاجات متعلقة بالورقة البحثية.

1. قضية عملية الزرق

قدمت معركة الجزائر فرصة نادرة للإستخبارات الفرنسية من خلال تعذيب الموقوفين من مناضلي جبهة التحرير وجرهم تحت ضغط التعذيب ليكونوا عملاء مزدوجين،⁽¹⁾ فعملية الجنود الزرق هي عملية قام بها المكتب الخامس للعمل البسيكولوجي، وهو من بين أخطر المكاتب التي وضعها الجيش الفرنسي لاختراق الثوار وتحطيم معنوياتهم، والتأثير على نفسية السكان وحماية معنويات الجيش الفرنسي،⁽²⁾ وقد لعب النقيب ليجي "léger"⁽³⁾ دورا كبيرا في تشكيل عملاء مسلمين، يتميزون بكفاءة عالية، ودون علمهم انقلبوا إلى عملاء بعد العمليات القسرية المختلفة في مراكز الاستجواب.⁽⁴⁾

حاول ليجي تسخير بعض المتعاونين، وعلى رأسهم إلياس صافي قنديرش ومحمد هاني المدعو عمار، وهما مجاهدان تم إلقاء القبض عليهما، وتم إغرائهما للعمل لصالح ليجي، وشرعا في نشاطهما السري المضاد للثورة في نهاية 1957، وفي بداية 1958 استطاعا توظيف أحمد صابري الذي كان مكلفا بالاستعلامات والاتصال،⁽⁵⁾ وساعد ليجي ذراعه الأيمن الخائن عبد العزيز عبد الحميد، والذي أصبح يدعو بالسرطان شركوف، وانظم اليهما سعيدون السعيد، وخواص بوعلام النائب الأول لياسف سعدي، ثم غنديرش احسن الذي أصبح هو الآخر عميل مزدوج،⁽⁶⁾ وكانت الشابة اورحية السمرء "ourhia la brune" أو حورية السمرء"، وهي التي تعاملت مع ليجي لحماية صديقتها، وكان زوجها يعمل مع جبهة التحرير، وخانت زوجها، وقد كانت تعمل كمسبلة تنقل رسائل المجاهدين، وهو ما مكن الفرنسيين من معرفة تنظيم الجبهة خاصة، وأن صافي لوبير (le Pur) (الخالص كنية) الذي يعرف بصافي قنديرش، وهو

المسؤول عن المنطقة الشرقية للعاصمة، كان قد استمر عمله مع ياسف سعدي، وفي الوقت نفسه يتخابر مع الفرنسيين، وقاد المظليين لاماكن عديدة لإلقاء القبض على شبكة الجبهة في القصبة، وبعد اكتشاف التنظيم قررت قيادة الجبهة في تونس إعادة تنظيم المنطقة، وأمرت عميروش بجمع ماتبقى من الأشخاص لإعادة هيكلة التنظيم، وكان من سوء الحظ أن عميروش ربط الإتصال بصافي الذي كان عميلا مزدوجا، وكانت فرصة ليجي كبيرة ليحقق انتصاراته،⁽⁷⁾ بعد إخفاقات الجوسسة الفرنسية في عمليات الطائر الأزرق وبلونيس وغيرها.

لقدحاول الضابط ليجي استغلال المدعوة: تاجر زهرة الملقبة باسم (روزة)، وكانت وفيه لجبهة التحرير فحينما حاول الجيش الفرنسي القبض عليها فرت إلى الجبل بنواحي برج منايل، وجرحت في إحدى المعارك وأسرت من طرف القوات الفرنسية، واعتبروها غنيمة مهمة لاستعمالها في الحرب النفسية واختراق الثورة، لكن رفضت محاولات ليجي الذي وظف المدعو قنديرش لإقناعها، وقد اعلمها بأن كل رفاقها في برج منايل عملاء للاستخبارات، وأظهر لها رسالة مختومة من أحد مسؤولي جبهة التحرير تؤكد تعامله مع قنديرش، وهو ما تعجبت منه، وقررت العودة بنفسها إلى برج منايل لتتأكد،⁽⁸⁾ وكان ليجي وبفضل المعلومات الاستخبارتية قد تمكن من ضرب قيادة الثورة في الصميم فتمكن بنفسه من تدمير والسيطرة على مقر قيادة المنطقة في برج منايل، وتفجير مصنع القنابل والاستيلاء على مستودع الأسلحة.⁽⁹⁾

كان ليجي قدأطلق سراح روزة، ورافقها إلى برج منايل لكنها راوغته والتحقت بالجبل، غير أن أخبارها بلغت النقيب أحسن محيوز بأنها كانت مع ليجي، فأمر باعتقالها واستنطاقها، وكان محيوز لديه تصور أن كل الفتيات القادمات من العاصمة جاسوسات ومُخبرات، وأكد للعقيد عميروش ذلك، وفي تحقيقه صاحت في وجهه قائلة: "بدل أن تتهمني أنا ينبغي أن تعلم أن كل المحيطين بك جواسيس لصالح ليجي"،⁽¹⁰⁾ وتعرضت روزة لتعذيب شديد وتم قطع رأسها، وحضر قدور للبحث عنها، وتم إلقاء القبض عليه وعذب، واعترف لمحيوز على خطط ليجي، وبذلك أصبح قادة الولاية الثالثة أمام هاجس المثقفين، فتم استنطاق

حوالي 3000 شخصا من المشبوهين، سارع العقيد عميروش، وربما دون تحر ولا تعمق بإقامة محاكمات استعجاليه، وكانت النتيجة أن أعدم 1800 شخصا أغلبهم من المثقفين.⁽¹¹⁾

هكذا بدا الجو محمومًا بالشكوك بين المجاهدين، وقد تم تصفية العديد من المجاهدين والمثقفين الذين التحقوا بالثورة عقب إضراب 19ماي 1956، خاصة في الولاية الثالثة والولاية الرابعة ولم تسلم باقي المناطق منها غير أنها كانت متفاوتة من حيث الخطورة.

1. الولاية الأولى التاريخية وقضية الزرق

قبل الحديث عن قضية الزرق في الولاية الأولى، لا بد أن نعرف الظروف المحاطة بظهور هذه القضية، فالولاية الأولى بعد استشهاد مصطفى بن بولعيد واجهت مشكلة القيادة في ظل رغبة مجموعة من المجاهدين تولي القيادة خلفا للقائد التاريخي للأوراس، لدواعٍ عشائرية أو لاعتقادها أن رصيدها الثوري يؤهلها لتوليها، وزاد الأمر سوءً انعقاد اجتماع الصومام في غياب الأوراس عن حضوره، وخرج المؤتمر بقرارات زادت الشرخ بين قيادات الأوراس، بإنقسامهم بين مؤيد للتنظيم الذي انبثق عنه، ورافض له، ورغم محاولة العقيد عميروش الوافد من لجنة التنسيق والتنفيذ لحل مشكلة القيادة بالأوراس، إلا أن محاولاته زادت من تعقيد الوضع فيها، خاصة بعد حادثة عاجل عجول،⁽¹²⁾ وشهد الأوراس بروز المعارضين لمقررات الصومام والمعروفين (بالمشوشين)، والذين حامت حول بعضهم الشكوك، خاصة في التواصل مع الإدارة الاستعمارية مثل المدعو صالح ثابتي.

لقد كانت المنطقة الثانية من الولاية الأولى بحكم موقعها الأكثر أهمية، لتقاسمها الحدود الجغرافية مع الولاية الثالثة والولاية الثانية والولاية السادسة، والتي أصبحت ممرا مهما لقوافل الأسلحة، وبالتالي فهي أكثر مناطق الأوراس تأثرا بقضايا الولايات المجاورة كقضية المصاليين في الولاية السادسة، أو قضية الزرق التي شهدتها الولاية الثالثة، كما أن الوضع العام كان معقدا في أواخر 1958 بسبب الحصار الشديد الذي أفرزه قيام الخط المكهرب (موريس وشال)، والخلافات بين أعضاء القيادة العليا وبين لجنة العمليات العسكرية (C.O.M)، ثم حدوث محاولة لعموري في 15 نوفمبر 1958 للتمرد على القيادة - كما كانت

تراها الحكومة المؤقتة،⁽¹³⁾ واعادة الأمور إلى نصابها كما كان يراها لعموري ورفاقه (عواشرية، ومصطفى لكحل ونواورة) وغيرهم، اعتقاداً منهم أن الثورة انحرفت على مسارها؛ هذه الأحداث انعكست بشكل مباشر على الولاية الأولى بشكل عام، وعلى قيادتها بشكل خاص، ولذلك لا بد من فهم الظروف التي كان الحاج لخضر يعيشها، فهو محكوم عليه أن يسير هذه الولاية المهمة، بقدر أهميتها في مسار الثورة، وبقدر عمق مشاكلها، كما أن مسؤولية الحاج لخضر كعقيد ميداني في الداخل كان يحسب على العسكريين، وله إلتزام مع القيادة السياسية التي عينته كمسؤول على الولاية الأولى، ما زاد عله ثقل المسؤولية.

كان على الحاج لخضر اعبيدي التواصل مع عقداً الداخل الذين كانوا فعلاً يعيشون المشاكل الميدانية أكثر من غيرهم، خاصة ما تعلق بالإمداد بالسلاح والمؤن والتكفل بإعالة عائلات المجاهدين والشهداء، ومواجهة مؤامرات الاستعمار اليومية، في ظل هذه الظروف انعقد بتاريخ 6 إلى 12 ديسمبر عام 1958 اجتماع العقداً ضم قادة الولايات بالداخل، وكان من بينهم العقيد سي امحمد بوقرة عن الولاية الرابعة، والعقيد سي الحواس عن الولاية السادسة، والعقيد الحاج لخضر عن الولاية الأولى، والعقيد عميروش عن الولاية الثالثة، والأمين خان عن الولاية الثانية التي قاطعت الاجتماع، ومن بين قرارات الاجتماع ضرورة تنفيذ الإعدام في كل من تثبت خيانتها للثورة، أو تغلغل في صفوفها.⁽¹⁴⁾ ويذكر الحاج لخضر ان الاجتماع كان بين 2 و 12 ديسمبر 1958، ولم يذكر الأمين خان من الولاية الثانية بل نائب علي كافي رويح حسين،⁽¹⁵⁾ ذكر مصطفى مرادة المدعو بن النوي انه في اجتماع الحاج لخضر مع عميروش في أولاد عسكر كانوا قد درسوا قضية المشبوهين، وتم اعداد قوائم بأسمائهم في كل الولايات، ومنها الولاية الأولى، ولما عاد الحاج لخضر إلى مقر القيادة في الولاية الأولى بكيمل كانت معه قائمة المشبوهين،⁽¹⁶⁾ وهو ما يجعلنا نتساءل من أين استقى المجتمعون قائمة المشبوهين؟ وهل التحقيقات كانت جماعية أم فردية من عميروش؟

غير أن الوثائق الأرشيفية تبين أن قضية المشبوهين كانت قبل هذا الاجتماع، إذ عثرت على رسالة موجهة من الحاج لخضر للنقيب عشي عمار بتاريخ 4-9-1958 جاء فيها: "لقد سبق وتكلمت معك على

الأفراد الذين أرسلوا من العاصمة، كجواسيس لمصلحة الحركة الوطنية الجزائرية (المصاليين)، وقد أشرت لك بالفعل أنه تم ارسال شخص يدعى عبد المجيد كجاسوس للكولونيل كودار، اطلب منك أن تأخذ هذا الشخص الذي بلا شك عبد المجيد دباش، احرص على اتخاذ الاحتياطات اللازمة، لأنه قد يهرب ولا بد أن يكون تحت الحراسة المشددة من جنود موثوق فيهم، وسوف تضعه في السجن الذي لا يستطيع الفرار منه، لأنه لا يمكن محاكمته خشية أن يصل الأمر إلى آذان الطرف المعني"⁽¹⁷⁾

هذه الرسالة تبين بلا شك أن قضية المشبوهين كانت تشغل بال العقيد الحاج لخضر، وربما زادت مخاوفه أكثر بعد اجتماعه في أولاد عسكر مع العقيد عميروش الذي كان صارما مع قضية المشبوهين خاصة الشباب المثقف، ويذكر منصور رحال في كتابه "«les maquisards»» حول قضية الزرق أن الحاج لخضر بعد عودته في بداية 1959 قدم له الضابط يوسف لعلاوي الوضعية العامة، خاصة بعد اكتشاف جثة المظلي الذي كانت بها وثائق تشير إلى اتصالات وقعت بين بعض مقاتلي الجبهة في الولاية الأولى، ومكتب لصاص، وقد استدعي (رشيد. زي....)، و(علي. در...) لتفتيشيهما وفحص وثائقهم، ومن محض الصدفة أن تزامنت عملية التحقيق مع عملية قبيلة مركز القيادة من الطيران الفرنسي، فأضطر الحاج لخضر إلى تغيير المركز، واشتبكت على الحاج لخضر وقيادته قضية الزرق مع قضية المشوشين، واخذ الحاج لخضر قضية المشبوهين بجدية كبيرة.⁽¹⁸⁾

انتابت الحاج لخضر الشكوك، ويبدو ذلك جليا من خلال الرسالة التي بعث بها إلى الرائد بن النوي، يشرح له فيها كيفية استنطاق المشبوهين، نقتطف بعض منها، وهي متوفرة في مذكرات الرائد مصطفى مرادة: "بعد استنطاقهم بكل وسيلة، تفهموهم (كذا) بأنهم خُدعوا، وبعد ماتفرحُوهم بأن الحاج يرفق فيهم، وأنه الحنون وغير ذلك من الأساليب، لنيل الغاية، وتقولوا لهم بأننا لا نريد أن نضيع شبابا مثلهم، بل نستحفظ عليكم لأن الوطن يحتاجكم، وكل من يلقي عليه منوه بهذه الصفة حتى تناولوا المقصود. كما تبحثوا عن تاريخ المؤامرة فحينئذاك يقدم من يستحق الاعدام وموهم (والمهم) تدرس قضيته، إياكم والشفقة عن

الخونة واعملوا بسرعة، وكما (التأكد) أيضا من قصة هاته المؤامرة، وهل يريدون الاستسلام... ويجب التحقيق في كل نقطة وبعد اتمام البحث تجمعوه كل وتقدموه أمامه وتستنطقوهم كي يكون الاطمئنان، وتقرأوا كل تقاريرهم أمام الكتائب المجتمعة، وكل نقطة تكون عن طريق (المجابهة)، ويعترفوا بكل الوقائع أمام الجنود دون ضغط بهم..."⁽¹⁹⁾ ويشير منصور رحال أن الفريق الذي اشتغل على ملف المشبوهين تلقى مساعدة من ضابط من الولاية الثالثة- لم يذكر اسمه- لإجراء تحقيقات لاعتقال المشبوهين،⁽²⁰⁾ و يذكر بن النوي مرارداً أن الحاج لخضر بعد العودة من اجتماع أولاد عسكري، أمره بالقيام بمهمة التحقيق رفقة حمومة قادري، وقد وصلتهم رسالة خطية من الحاج لخضر بتاريخ 2 فيفري 1959 لمباشرة العملية.⁽²¹⁾

يذهب منصور رحال - وهو أحد المسؤولين في الولاية الأولى على الجهاز اللاسلكي، وعاش الأحداث- أن من بين الأشخاص المستدعين كانت ستة حالات بدت تهمتهم مقنعة بأنهم خونة، وأدينوا وحكم عليهم بالإعدام، غير أن مسؤول الولاية تردد، وأرسلهم لتنفيذ الحكم خارج تراب الولاية إلى القيادة في تونس، وكلف الضابط حليس موسى بقيادتهم مع فرقة من الجنود، ولم يستطيعوا عبور الخط المكهرب لتسليمهم للقيادة في تونس،⁽²²⁾ وهكذا رجع موسى حليس بمعيتهم إلى مقر الولاية، فاتصل العقيد الحاج لخضر بمحمدي السعيدالمسؤول عن لجنة العمليات العسكرية، والذي كان متواجدا بتونس، وأستفسره عن ما سيفعله بهم، فطلب منه تنفيذ حكم الإعدام فيهم، وفي من ثبتت خيانتهم، وتم إعدام الستة،⁽²³⁾ كما أشار منصور رحال أن التحقيق شمل في نفس الوقت عشرين مقاتلا كانوا رهن الانتظار لمحاكمتهم،⁽²⁴⁾ وهناك بعض من الأسماء التي أوقفت في المنطقة الأولى من الولاية الأولى ذكرها أحد ضحايا لابلويت محمد الصالح بن طامة في مذكرته غير المنشورة "الميت الحي"؛ وهم عبد الحميد بورزق، الذوايدي عبريني، جمال حفيظ، عمر حجي وأحمد مصمودي المدعو للتحقيق، والذي استشهد وهو في الطريق إليهم، كما ذكر محمد الوهراني، ولخضر زياني، والحاج محمد، وعبد الهادي سويسي من برج غدير ، وموسى بعلي من بريكة، وعمر زواق.⁽²⁵⁾

ذكر العقيد علي كافي أن الولاية الأولى أرسلت إلى الولاية الثانية، ثلاثة مسؤولين تدّعي أنهم متهمين- عناصر مدسوسة- وهم عبد السلام مرجان، وشنوف، وبكوش، تم إصالحهم إلى أولاد عسكر غير أن صالح بوبنيدر تعرف عليهم، وعرف أنهم من المناضلين الصادقين فعين عبد السلام مرجان نائبا لمسؤول ناحية، وبكوش نائبا لمسؤول ناحية عنابة، وشنوف في ناحية الميلية.⁽²⁶⁾ كما ذكر قضيتهم الملازم الثاني محمد الصغير عبد الصمد، والذي كلفه يوسف لعلاوي بترأس هيئة المحاكمة، والتي تشكلت من محمد حابة، وعلي رابح، ومحمد الشريف جارالله، ومن الذين كانوا محل التهمة: محمد شنوف، ومصطفى بكوش هذا الأخير اتهم برفض أوامر الحاج لخضر، وأما عبد السلام مرجان الذي ألصقت به تهمة الخيانة في اتصاله بالزرق. وجرت المحاكمة في جوف مخابأ بناحية كيمل، وكان أيضا سي عبد المجيد عبد الصمد معنيا بهذه المحاكمة.⁽²⁷⁾

ويذكر أن مصطفى بكوش كان رجلا متزنا وهادئا رزيئا ومثقفا، ذكر في دفاعه عن نفسه حادثة خلافية بسيطة بينه، وبين العقيد الحاج لخضر حيث صرح: "لما كنا في جبل وستيلي كانت بين يدي آلة رغن ترغن باللغة العربية تسلمتها من المجاهد الطاهر نويشي، ونظرا لطرارها الرفيع، فقد كانت تحفة من التحف النادرة، ولما زارنا العقيد الحاج لخضر، وقع بصره عليها، وأعجب بها فطلبها مني، فأعذرت له، وأشرت عليه في أدب يليق بمقامه، أن يطلبها من مالكها الطاهر نويشي، ولم أكن أدري أن هذا الجواب سيفتح عليّ أبواب جهنم...ومنذ ذلك الحين أصبحت مذموما عنده"، ولكن المحاكمة برأتهم وخيرتهم عن أية وجهة يرغبون الذهاب إليها، فأختاروا الذهاب بسلاحهم للولاية الثانية.⁽²⁸⁾

إن تبرير بكوش تبدو معقولة، ولكن لا تحمل الحجة الدامغة، ذلك أن الحاج لخضر بمسؤولياته كان بإمكانه التدخل وتنفيذ الإعدام بطريقة، أو بأخرى في حقه، ولكنه تم تبرئته، فالظروف العامة جعلت الكثير من المشبوهين وهم مجاهدين شرفاء يتعرضون للتحقيقات والتعنيف، غير أن معظمهم تم إطلاق سراحهم، لكنهم أحسوا بالظلم وقلة احترام.

أورد الرائد بن النوي مراردة في هذا الشأن شهادة مهمة: "أن مسألة الخيانة غير واردة بعد التحقيقات، بل كل ما في الأمر أن هناك محاولات التكتل ضد الحاج لخضر، وهذا لا يعتبر خيانة للثورة بقدر ما هو نوع من التكتل العنصري، أو لأسباب انضباطية اتخذت في حقهم من طرف مسؤوليهم، ويواصل بن النوي أن هناك واحد فقط من ثبتت خيانتة، وهو بالتحديد عمر حجي"⁽²⁹⁾، ولكن شهادة بن نوي لم تقدم لنا دليل إدانة، بل أورد فقط مشكلة عدم الطاعة، وعدم تحمل المسؤولية، غير أن ما عثرنا عليه في الوثائق الأرشيفية تفيد أن عمر حجي كان في اجتماع 1957/9/19 قد انتقد العلاقة بين الضباط المسؤولين والجنود، وطالب بأن تكون العلاقة أساسها الأخوة الجهادية، وانتقد عدم قيام بعض المسؤولين في المنطقة الأولى بدوريات المقررة تنظيمياً، وربما يكون هذا الأمر قد جلب له المكائد⁽³⁰⁾ كما أن هناك تقرير أرسله حجي عمار لمسؤول المنطقة عمار عشي حول وضعية الناحية الرابعة من المنطقة الأولى، يشكو فيها من العنصرية التي ينتهجها -حسبه- بن النوي مصطفى، وأتباعه في الناحية الرابعة مع الجنود، وقد طلبه بالتدخل⁽³¹⁾ وهو ما يجعلنا نستبعد حكم مصطفى بن نوي في حق عمر حجي لوجود خلافات بينهما، خاصة وأن حجي عمر كان يعرض خدماته على عمار لتسيير الناحية الرابعة ويتهم بن النوي بإبعاد عبد المجيد دباش، ولكن ما توفره لنا الوثائق الأرشيفية توضح أن إبعاد المساعد دباش عبد المجيد كان بأمر من الحاج لخضر كما سبق ذكره.⁽³²⁾

ذهب منصور رحال في اتجاه إبعاد شبهة التواطؤ عن المشتبه فيهم حيث يقول: "أن ليس هناك أي عامل موضوعي وجدي يدعم فكرة المؤامرة والتواطؤ في الولاية الأولى مع العدو، ومع ذلك كانت هناك شكوك أوجدها الوضع العام للثورة"⁽³³⁾.

وصلت شبهة التواطؤ مع العدو فمست حتى بعض القادة، فيندهش الباحث حينما يقرأ أن الشبهة لحقت حتى الشهيد البطل الفذ عبد المجيد عبد الصمد، الذي لم يُسلم من اتهام خطير، لُفق له بسبب مؤامرة قام به العدو الفرنسي، حينما أطلق الفرنسيون جثة مشبوهة، ومعها محفظة بها رسالة تدعي أن عبد المجيد عبد الصمد له اتصال مع لصاص، وكان غرض العدو بث البلبلة في صفوف المجاهدين، وقد أبلغ الحاج لخضر من

طرف الشيخ يوسف يعلاوي المكلف بمكتب الولاية، وأبلغ كذلك عبد الباقي بن عباس وإبراهيم مازوزي ومحمد الشريف جار الله، وفعلاً أوقف عبد المجيد عبد الصمد، ويؤكد بن النوي أنه وبعد التحريات لم يثبت ضده أي شيء، بل أن أعضاء لجنة التحقيق رفضوا حتى كتابة تقارير فردية ضد سي عبد المجيد عبد الصمد، وتم تبرئته بتقرير جماعي، وأطلق سراحه ورقي مسؤولاً عن منطقة تبسة⁽³⁴⁾، غير أن منصور رحال يورد رواية يقول فيها: "أن وحدات الجيش القادمة من المنطقة الثانية، والتي كانت غاضبة من اعتقال عبد الصمد هي التي أجبرت اللجنة على إطلاق سراحه، وقد انجر عن توقيف عبد الصمد أن شكلت على الفور مجموعة من المعارضين لقيادة الولاية وهم ضباط المنطقة السادسة: عيسى بخوش وسماعيل شعباني وسي دوحة، واتجهوا نحو تونس لرفع شكاوي ضد قيادة الولاية الأولى للقيادة في تونس".⁽³⁵⁾

يورد الملازم الثاني محمد الصغير عبد الصمد الذي ترأس المحاكمة أن سبب محاكمة سي عبد المجيد تعود لرسالة مشبوهة من مسؤول الجيش الفرنسي بأفراقصو (بوحمامة)، لا يعلم كيف حدثت، ويذكر أن عبد المجيد عبد الصمد كان له خلاف مع الحاج لخضر بسبب أمر هذا الأخير له بقص اللحية تبعاً لأوامر انضباطية تخص المنتميين إلى الجيش، غير أن هذا الأخير رفض، وهو ما أزعج الخلاف بينهما، ويذكر لنا أطوار المحاكمة التي حضرها ثلاثة شهود تحمسوا للإدلاء بشهادتهم ضد سي عبد المجيد عبد الصمد وهم: العايش حصروري، محمد بن مسوس، عبد الباقي بن عباس، غير أن حصروري تراجع عن كل أقواله، وأنكر كل ما تداوله خارج المحكمة، أما شهادة بن مسوس فابتعدت عن قضية الرسالة المشبوهة، وذهبت للحديث عن انفراد الشهيد عبد المجيد عبد الصمد في اتخاذ القرارات بعيداً عن المشاركة والمشاورة، وبدا أنه يرنو من وراء كلامه إزاحة سي عبد المجيد من منصبه لتتفرغ له الساحة، وقد تمكن سي عبد المجيد من الرد عليه رداً مضحماً فشنع بن مسوس بالخزي، أما عبد الباقي بن عباس لم ينطق إلا بكلمات قليلة وأجهش بالبكاء، وقد برأت المحكمة المتهمين الأربعة وقضت بتوصية لمحاكمة الشاهدين - محمد بن مسوس وعبد الباقي بن عباس - اللذين قبلاً للتقدم للشهادة زوراً ضد عبد المجيد عبد الصمد، وقد تجلت المكيدة

بعد أن سار بن مسوس وحيدا وهو فاشل في مسعاه إلى مركز الجيش الفرنسي مستسلما ومسلم نفسه للقوات الفرنسية.⁽³⁶⁾

يبدو أن قضية الزرق التي وإن لم تكن ذات تأثير بالغ في الولاية الأولى أوراس- النمامشة، إلا أنها كانت فرصة للبعض لتصفية الحسابات والانتقام من الخصوم، وهو ما يذهب إليه بعض من كانوا ضحايا لها، خاصة الذين اكدوا على معاناتهم أثناء عملية التحقيقات والتي يعتقدون أنها عمليات كيدية من خصومهم، أو قد يكون لسبب واه؛ لأجل تجريد الشخص من بندقية حربية مميزة مثلا قد تكون محل طمع أحد المسؤولين فيها، أو رغبة في إزاحتهم من مناصبهم.

إن الثورة الجزائرية بقدر عظمتها، هي في الواقع ثورة شعبية واجتهاد بشري تحمل أحيانا في بعض جنباتها مأس وآلام نتيجة ميول وأهواء البشر، وكان هناك ضحايا أبرياء، ولعل الشهادة التي قدمها المجاهد محمد الصالح بن طامة، والذي كان أحد ضحايا هذه التحقيقات، والذي بقي رهن الحبس لمدة 100 يوما وليلة في شبهة قضية الزرق، تبرز بجلاء حجم المعاناة التي لحقت بهؤلاء المثقفين والذين تركوا شهاداتهم العلمية جانبا، والتحقوا بالثورة لتلبية الواجب الوطني، ووجدوا أنفسهم تحت رحمة تعذيب أبناء جلدتهم، ونحن هنا لسنا بصدد إثارة الجراح بقدر رغبتنا في معرفة إحدى الفصول الخفية في الثورة، لنستفيد منها كتجربة إنسانية يمكن أن تكرر في أية فترة من فترات تاريخ الأمة، وقد قدم لنا المجاهد محمد الصالح بن طامة سانحة من خلال شهادته حول ما تعرض له ورفاقه في عملية التحقيق في شبهة خيانة الثورة لصالح المستعمر، فمن هو محمد الصالح بن طامة؟

2. المنطقة الأولى من الولاية الأولى وقضية الزرق

كانت علاقة هذه المنطقة وطيدة مع ما جاورها من الولايات التاريخية خاصة الولاية الثالثة التاريخية، خاصة العقيد عميروش الذي كان أحد الداعين لعملية تطهير الجيش من اختراق المشبوهين، لذلك شهدت هذه المنطقة كثير من عمليات التحقيق لعل من بينها قضية المجاهد محمد الصالح بن طامة، فمن هو هذا المجاهد؟

2- 1- نبذة عن حياة المجاهد محمد الصالح بن طامة: هو محمد الصالح بن طامة، ابن عمر وزهيرة بوحملة، ولد بقرية قطار العيش بالخروب ولاية قسنطينة بتاريخ 8 نوفمبر 1931، حفظ القرآن الكريم درس بمعهد ابن باديس بمدينة قسنطينة من سنة 1947 إلى غاية 1950، ثم سافر إلى تونس، وتحصل على شهادة التحصيل من جامع الزيتونة، وفي عام 1952 وبعد تخرجه عين معلما بندرومة بتلمسان، ثم درس في مدرستي الفتح بسطيف التابعة لجمعية العلماء، وإحياء العلوم الإسلامية بالعلمة من 1953 إلى 1956، انضم إلى الثورة في 1956 مع خلية التموين التي كانت تعمل ناحية بريكة، وكان مسؤولها عبد العزيز عباوي ولخضر بلقاضي والمدني حلفاية، وبعد حادثة إلقاء قنبلة بتاريخ 25 ديسمبر 1956 في مقهى يرتاده ضباط فرنسيين، وما أعقبه من انتقام للجيش الفرنسي جعله يلتحق بالجبل.⁽³⁷⁾

التحق محمد الصالح بجبل بوطالب بتاريخ جانفي 1957، وكان أن استقبله سقاي سقاي بمسكنه في عين الخضراء بالمسيلة، ثم بقرية لقطاطشة ببرهوم، وفي مركز الشيخ الطاهر في أولاد تبان بمركز العفريت ببونصرون، وبعد التدريب على السلاح انتقل إلى التدريب السياسي مع المحافظ السياسي العمري داود بالقسم الثالث من الناحية الثالثة، وقد كُلف بمساعدة المسؤولين في إعداد التقارير، وكتابة الرسائل وتحسيس الشعب، وعُين محمد الصالح بن طامة مسؤولا سياسيا برتبة عريف أول في قسمة عين ولمان لمدة ستة أشهر، ثم انتقل إلى قسمة عين أزال، وفي ماي 1958 عُين مسؤولا على مدينة سطيف، ثم التحق بمكتب الولاية في 1959، وانتقل نهاية 1959 إلى تونس أين تحمل مسؤولية قواعد تموينية.⁽³⁸⁾

تؤكد الوثائق الأرشيفية التعينات الممضاة بتاريخ 18 جويلية 1958 في جلسة ترأسها يوسف لعلاوي، والكاتب محمد الصالح يحياوي، والتي تُرقي محمد الصالح طامة الحامل لرتبة عريف أول لرتبة مساعد وتعيينه في مدينة سطيف التابعة للمنطقة الأولى من الولاية التاريخية الأولى، وذكر في هذه التعيينات محمد بودوخة وعبد الله عبد السلام.⁽³⁹⁾

وقد تذكر الشخصيتين في مذكرات بن باطة، وذكر أنه عُين مسؤولاً على مدينة سطيف منتصف 1958، وكانت الهيئة مشتركة بين الولايتين الأولى والثالثة فكان المشرف هو بلقاسم سماتي يساعده عمار جمعاوي، وفضل تيرقو من الولاية الثالثة، ومن الولاية الأولى بن طامة وعبد الله عبد السلام ومحمد بودوخة (كباينا) ، وهذا يتوافق تماما وما ورد في مذكرته.⁽⁴⁰⁾

2-2- مذكرات الميت الحي - فصل من فصول معاناة المشبوهين في قضية الزرق: تقدم لنا مذكرة محمد الصالح بن طامة مرحلة حساسة من تاريخ ثورتنا وحيثياته مجهولة في عمومها خاصة في الولاية الأولى. التعريف بالمذكرة : هذه المذكرة معنونة بـ: مذكرات الميت الحي أو جانب من قضية لابلويت حجمها 52 صفحة من حجم 21/27 مكتوبة بلغة عربية سليمة، وراقية تتم عن تمكن كاتبها، والخط ليس يدوي بل مكتوب بالحاسوب، وهنا يبدو أن هذه المذكرة أعيد كتابتها مرة أخرى لأن صاحبها وضع في آخر المذكرة أنه كتبها في قلعة سنان بتاريخ 26 أوت 1960، وفي تلك الفترة تتوفر فقط الآلة الراقنة أو خط اليد، كما تحوي المذكرة على هوامش مفيدة توضح بعض الأماكن والأشخاص، ويبدو أنها وضعت لاحقا لأجل الإيضاح، ويتجلى ذلك أن كاتبها يقر في المقدمة: "قد تلحظ غموضا في الصياغة، وتعمية عن الأشخاص والأماكن... وهذا مقصودا حقا لأن كتابتها كان في ظروف لا يمكن التصريح بما وقع إلّا لقلّة من الأصدقاء فقط" لذلك جاءت الملاحق لاحقا، وهي مفيدة للباحث بما فيها من معلومات، وقد كتب محمد الصالح بخط يده الجميل في صفحة المقدمة: "هدية إلى ابنتي راضية لترى مدى الألم الذي قاسه أبوها في ثورة التحرير ممضاة بتاريخ 9 / 12 / 2005"، وهي بدورها تكرمت بتسليمها لي (هواري مختار) عن طريق الصديق نجل بالنوي مراردة عبد الحميد، لا لشيء إلّا لأجل الحقيقة التاريخية، ولإنصاف الرجال، وهي مشكورة لأنها قدمت للباحثين شهادة نادرة.

أما من حيث المضمون: فإن كثيرا مما ورد فيها لا يتعارض، وما ذكره بعض المجاهدين الذين كتبوا مذكراتهم مثل بن النوي، ومنصور رحال أو الحاج لخضر أو عبد الصمد والوثائق الأرشيفية، كما أن الشخصيات الواردة في هذه المذكرة هم شخصيات حقيقية كانت في

المنطقة الأولى من الولاية الأولى التاريخية، وحتى أن السجن الذي عذب فيه يمكن التأكد منه، رغم أنه كان يقول نواحي سفيان، وهو يقع بومقر في مكان يدعى بويذبيرن، كما أن لغة وأسلوب الكاتب لم يتغير من المقدمة إلى النهاية، والعبارات المستعملة قوية تنم على أحاسيس صادقة، فكثير منها حوارات داخلية تبرز الهواجس والعواطف النفسية، والتي لا يمكن أن يتصورها إلّا الذي عاش المشهد حقيقة، مع محافظته على نفس الأسلوب خلال كل صفحات المذكرات.

و الآن سنحاول استعراض أهم ما ورد فيها :

بدأ المجاهد مذكرته بمقدمة مؤثرة كتب: "هذه ذكريات أليمة من أيام الدماء والدموع والنضال ... وقد تبدو لك غريبة أن يصدر هذا الفعل من أشقاء جمعهم الجهاد والكفاح وأخوة السلاح ولكن ما وقع وقع ... و تلك سنة الحياة".⁽⁴¹⁾

قدم محمد الصالح في مذكرته نبذة مصغرة عن مساره المهني، وكيف التحق بالثورة والمناصب التي تقلدها، وما واجهه في مساره النضالي والانجازات التي حققها ورفاقه في التعبئة والمواجهة، ولكن سأحاول التركيز على موضوعنا المتمثل في قضية شبهة الخيانة فما عرف بقضية الزرق في المنطقة الأولى من الولاية الأولى التي الصقت به فيقول: " في أول سنة 1959 بدأنا نسمع نغمة نكرة نشاز تنتشر في الأوساط أن هناك يدا عدوة تعمل بيننا وتستتر بزيناها وتعمل لفائدة العدو، فأعلنت حالة طوارئ مستعجلة، وفرضت الرقابة على الجميع المشبوه فيهم ...".⁽⁴²⁾

بدأت القضية حينما تم استدعاء عمر حجي، وألقي القبض على عبد الحميد بوزرق وجمال، وتم إخبارهم بضرورة الكتمان، غير أن أخبارهم بدأت في الانتشار، وكان من قاموا بهذا العمل ينتظرون من باقي الباقين أن يلجأوا للعدو حتى يكون موقفهم مبرر، غير أن ذلك لم يحدث، ثم جاء الاستدعاء لمحمد الصالح بن طامة، لكنه كان يحمل أسبابا أخرى بدعوى عقد اجتماع يوم 21 . 03 . 1959 بغيران بوطالب، وقد هيا التقارير اللازمة وحسبه أنه عرف أن دوره قد وصل- بسبب الوشاة الذين كان في ما سبق ينشرون الدعايات والأخبار الكاذبة حوله، وقد التقى بالمدعو عبد الحميد بلوط، الذي زوده بمعلومات تطهير الجيش من

الخونة، وفي الطريق تم خوض معركة استشهد أحد هؤلاء المستدعين وهو أحمد مصمودي وجرح آخرون، وقد وصلت إلى مكان الاجتماع في نفس التاريخ يقول محمد الصالح بن طامة: "وصلت إلى المكان، والتقيت بنواب ملك الموت (يقصد المحققين)، وحضرت عدة جلسات من الاجتماع، ومن يوم أن قدمت وأنا محروس، ولكن خفية... غير أن الشرير تظهر نواياه كما يقول المثل...". وقد قص عليهم نبأ استشهاد أحمد مصمودي إلا أنهم لم يترحموا عليه وأكتفوا بقولهم استراح - تهنى - وهذا يدل أن الأحكام كانت مسبقة حتى قبل التحقيق،⁽⁴³⁾ وهو ما يؤكد خطر الدعاية الفرنسية على الصفوف المتراصة للثوار.

انتهى الاجتماع ... وسار بن طامة تحت الحراسة إلى مكان لا يعلمه وقد طال السفر، وحسبه أن عددهم كان كبيرا وساروا في بطاء، وهم صامتون لا حديث ولا كلام، وقد وصلوا المكان بتاريخ 24 مارس 1959 حيث ناموا قليلا، ويردف أنهم كانوا تحت الحراسة وبعد الغذاء أخلت الغرفة من كل المدنيين، ويقول: "وقفنا على شكل دائرة فتوسطنا ذلك الضابط حسن بوزراعة، وبعد الاستعداد أخذ يسرد جملا مفهومة في ميناها ومعناها أنه تلقى تعليمات فيما يخصني أنا ورفيقي" محمد الوهراني "تقتضي بنزع السلاح منا، وإرسالنا مخفورين إلى مكتب المنطقة الموجودة بقرية سفيان بعرض اولاد سلطان حيث السجن والتعذيب وسكت...".⁽⁴⁴⁾

لقد كان موقفا مؤلما أن يجرد المجاهد المخلص من سلاحه، وبدأ يستعيد ذكرياته مع الرجال الصادقين مع كل زوايا هذه الأرض الطاهرة جبالها ووهادها، لقد قدم سلاحه وسلاح المحارب هو جزء من جسمه خاصة، وأن هذا السلاح كان قد انتزعه من يد العدو قسرا، لقد أخذوا السلاح منه بفرحة، وأذن له بالجلوس، واستفسر بن طامة عن معنى كل هذا، ولكن اعتذر المحقق عن الكلام، وانصرف وتركهما تحت الحراسة، ثم ساروا بهما بدعوى الذهاب لأحد الكبار (مسؤول) الذي رفض رؤيتهما، بل أمر أن يُنزع كل ما يحملان من أغراض، استدعي بن طامة ورفيقه إلى بيت متطرف، وقد جاءهما من خلفه في منصبه، وبدأ يقدم الأعذار لمحمد الصالح، وبأنه مأمور بأن يقيدهما (يكتفهما) ليرسلهما إلى

المصير المشؤوم؛ وغلّت يديهما من خلف وبحبل متين وغطت رأسهما بشاش سميك ثم وضع فوقه برنس، وهذا تحت مرأى جنود الحراسة، والذين كانوا يتميزون بطيبة القلب، حتى أن أحدهم أجهد بالبكاء كطفل صغير لحالهما، لقد سارا ولم يدري أطال الوقت أم قصر، لأن سيرهما كما يقول كان فيه لف ودوران للتظليل، أو كما كان يظن بن طامة، وحين وصلا إلى المكان أمرا بالنزول من أعلى البغل الذي ركباه، فنزلا ثم أمرا أن يزحفا على بطنيهما، أيديهما مربوطة للخلف وبرنس وشاش مكور على الرأس وعينين معصوبتين ... وعند توسطهما المدخل الضيق طلب منهما أن يقضا، فوقضا ونزعت عنهما الغشاوة، أبصر محمد الصالح بن طامة بابا صغيرا ثم فُتح الباب لهما؛ وقيل: تفضلوا وتفضلوا بالدخول إلى غرفة الموت، وهكذا وجدا أنفسهما في عالم ما تحت الأرض، وتهاطلت على بن طامة مجموعة الأسئلة في حوار ذاتي في شكلها الايجابي والسلبي.⁽⁴⁵⁾

مر بن طامة بمرحلة صعبة، تهاوت عليه مجموعة الأسئلة في شكلها الايجابي والسلبي، فحاور نفسه بقوله أن الضعيف ضعيف سواء كان ثائرا على الظلم أم قانعا به، كما أنه وحتى في النوم كانت تختلط عليه الأحلام، فيرى نفسه حيناً بين عائلته، وأحياناً بين جنوده وأحياناً أخرى في فيافي تطارده قوات العدو، هذه الحالة النفسية التي يصفها في ليلته الأولى في الغرفة السوداء التي تقع تحت الأرض، وقد وصفها وصفا دقيقا، وقد كان هذا في شهر رمضان، ونظرا لشدة البرد لم يستطع الصيام، لقد وُضع في غرفة سوداء تقع تحت سطح الأرض سقفها مبطن بالألواح وجوانبها مبنية بالحجارة والإسمنت، وفي واحد منها باب من لوح متين ذو قفلين مزدوجين، وقد بقيا في هذا المكان 4 أيام، ثم اخبروه بنقله إلى مكان ابعدهم إلى السجن قرب قرية سفیان، لقد صور لنا كيف عمل وصديقه بعد إخراجهما من السجن لينقلا إلى مكان آخر، فعصبت عيناها وشدت أيديهم معا برابط واحد فركبا فوق البغل وسارا، وهم يجتازون الوادي، وصاحب بن طامة يردد كلمة الشهادة، وقد همس الحراس لهما أن هذا هو مكان اللقاء، وبين طامة وصديقه معصوبا العينين، وقد طالبا من الحراس نزعها عنهما في الطريق لكن دون جدوى، لكن هنا بعد وصولهما تم ازاحتها، وفك القيد عنهما بقدوم الجماعة التي

سترافقتهم، وقد سارا مع الحراس دون أن يسمح لهما بأي اتصال خارجي لقد وصف بن طامة وضعيته: "ورغم مظاهر الجمال الطبيعي المتمثلة في كل مكان، وخاصة تلك القرية الهادئة الحاملة التي تتراى لهما من بعيد كالأمل... بالنظر إلى نفوسهما الكثيبة وأعصابهما المرهقة ومعنوياتهما المنحطة... أضف إلى ذلك منظر الإهمال والوسخ وعدم قص الشعر لعدة أيام، يقول الكاتب أنها: "جعلتنا نشبه لحد كبير قردين ممسوخين لا أكثر ولا أقل".⁽⁴⁶⁾

لقد جاءهم الضابط المكلف بالتحقيق وهو المدعو: الحسين عبد السلام (بولحية)، وقد وصفه بأنه كان يحمل نجمتان وله شنب طويل ولحية كثة مرسله ونظاراتان سميكتان وأنف طويل، وقد أمر بإطفاء النار والتفريق بين بن طامة وصاحبه، وقد حوّل بن طامة إلى بيت كان مبيتا للحيوانات، وبقي صاحبه الذي أُستنطق بطريقة مهذبة حسب ما علم لاحقا، ثم نودي على بن طامة الذي قاده الحارس إلى غرفة الاستنطاق، وقد وجد الحسين عبد السلام، ومعه شخص آخر بدين، وهو أحمد قادري حمومة، وبجنبه كاتب وبجانب الشخص الآخر كاتب ثان، وقد بدأ التحقيق بالسؤال عن اسمه ولقبه وتاريخ ميلاده وموجز حياته وتاريخ دخوله إلى الجيش والوظائف التي شغلها، ثم يسمع بأنه خائن، ولا يعلم هو بهذه التهمة... ثم تلاحقه الأسئلة بدون تنسيق، وحين طالب مواجهة متهمه رفض طلبه وقال له: أن الأمر لا ينقضه إلا أمر آخر، ومعنى هذا بالحرف العريض الكبير أن أمرا صدر من الحاج لخضر العبيدي بأنه خائن، ولا يكون بريئا إلا إذا جاء أمر يغير الأول، وعرض على بن طامة نص الأمر، وقد طلب من متهمه حسبه إيضاحا آخر عن التهم وعن البيان، فأعيد عليه نفس الجواب، فاحتسب أمره وعمره لله ويقول: "ورفضت الإجابة عن كل شيء وعلمت أنا وصاحبي أننا في حالة إيقاف وأنا سنودع السجن حتى تتم الإجراءات".⁽⁴⁷⁾

ويسترسل صاحب الشهادة بالقول، لقد وضعا في مغارة التي تطل على قرية - يعتقد بن طامة أنها قرية جبلية تقع بين نقاوس وسفيان، ويسمح لهما الموقع رؤية السيارات التي تتجه من عين التوتة إلى بريكة، وكان المقام فيها مؤقتا، واخبرهم الحارس أنهما ذاهبان إلى السجن، وهو

مكان سري لا يطلع عليه أحد، ولهذا يرجو منهما وضع غطاء (عصابة) على أعينهما وأطاعا الأمر، واركبوهما على بغلتين، وسار الحراس بهما، وأنزلوهما وساقوهما كل واحد وحده، ويقول أنه أعانه الحراس على السير، وطلباً منه النزول، وأنه تزلزل على تلك الصخرة الكبيرة حتى دخل غرفة كبيرة فيها نور، وتنزل من سقفها قطرات ماء، وحسبه أنه وجد نزلاء هناك حيث قال: " ورأيت أشباحاً... صفر الوجوه نحاف الأجسام جش الأصوات يتكلمون بلهجة خاصة لا أعرف منها إلّا القليل... فرحبوا بي وأجلسونا على صخرة باردة، وقد جاء الكاتب وسجل اسمي ولقبي ومسقط رأسي وسألني لماذا أتيت إلى هنا، ونفس الشيء حدث مع زميلي، ثم قيل لهما اتبعونا." (48)

ويسرد بن طامة انهم هبطوا منحدرًا ثم ساروا في ممر ضيق، مرة يقفون وأخرى يرحضون وثالثة يحبون... حتى وصلوا إلى باب حصين ومنظر رهيب... وسار بهم الحارس إلى غرفة تقع في الطابق الثالث تحت الأرض، وفي هذه الغرفة يوجد نزلاء وجوهم ذابلة وصافحوا الجماعة، يقول بعد أن أعطانا الدليل كسرة خبز يابسة ذهب وأغلق الباب، وهنا تعرف بن طامة على أصدقاء جدد منهم: موسى بعلي، لخضر زيانى، الحاج محمد وشخص آخر رمز له بـ (م.أ)، كانت حياة قاسية صورها أحسن تصوير، كما أشار بن باطة أن هناك سجناء بالغرفة المقابلة لهم لم يتعرف عليهم، واستمروا العيش في هذه الظروف إلى غاية يوم 8 أفريل 1959، حيث أخبروا بأنه عيد الفطر، وقد غير مكانهم نحو غرفة مركزية أخرى في الأسفل في الطابق الرابع تحت الأرض. (49)

يذكر بن طامة أن صاحبه الذي رافقه منذ البداية هو محمد الوهراني الذي كان من ضحايا مصائب مارس 1959، وقد ذكر بن طامة أنه جئء بالمدعو: عبد الهادي السويسي، وهو من برج غددير، وقد كان من ضحايا مارس 1959، وقد عانى من التعذيب استنطق وعذب وجئء به إلى هؤلاء السجناء، وحسب بن طامة انه خرج من السجن، واستشهد لاحقاً، كما أشار بن طامة إلى احد النزلاء معه وهو المدعو موسى بعلي من بريكة، والذي كان من المتهمين، وكان شابا في العشرين من عمره يجيد العربية والفرنسية، عمل في الصيدلية والتحق بالثورة، واشتغل ممرضا

في الجيش، وحلت عليه لعنة مارس 1959، كما يسرد جانب مما حل به وبرفيقيه عبد الهادي سنوسي وموسى بعلي؛ ففي 26 أبريل 1959 نودي عليهم، ووضعت العصابة على أعينهم، ثم أُخرجوا من تحت الأرض واركبهم على البغال، وساروا بهم من دوار إلى آخر إلى أن نزلوا في إحدى المنازل، وبعد أن جاء لهم بالطعام واللبن واللحم أتاهم المستنطق (الحسين عبد السلام بولحية عضو المنطقة الأولى)، وسألهم هل عندهم ما يقولونه فأجابوه بالنفي، فأمر الحراس بأخذهم تحت حراسة مشددة وعصبوا أعينهم.⁽⁵⁰⁾

قادوا بن طامة إلى كوخ حقيير ضيق وسقفه من طين، ورفعت العصابة على عينه، ورأى رجلين يشدان حبلا متينا إلى السقف، وانتصب حارس على الباب ليمنع كل داخل، ثم جاء المستنطق وقال لهم الأمر أن ترفعوه، وتقدم اثنان ورفعوه على أكتافهما حتى قرب من السقف، ثم أدخلوا يده اليمنى ورجله اليسرى في طيات الحبل، ليبقى متأرجحا في وضع مائل وبدأ ضغط الحبل حتى شلت، وشعر بألم حاد حسبه، وكانت أدنى حركة تؤلمه وكانت يده اليسرى ورجله اليمنى مشدودتان بحبل للأسفل، لتستحيل الحركة عليه، وكان المستنطق يدخل ويخرج ويطلب قول الحقيقة، ويقول بن طامة أنه يجيبه بقوله أية حقيقة؟ فيجيبه المستنطق الأمر ينسخه الأمر، والكاغط يكذبه الكاغط، وانقضت الساعات الأربعة، وهو في هذا الوضع، جاء المستنطق وبدأ يوكل له تهم، وهو ينقضها، وحين انتهى من تهم سكت وانصرف، وبقي بن باطامة معلقا حتى رجع المحقق، وعاد بتقديم التهم ولم يجبه بن طامة، وانقضت الساعة الخامسة، وكان الحبل قد اضر بأطرافه فأصبح يلعنه، ومع قرب طلوع الفجر تم انزاله من الأرجوحة، وهو نصف ميت، ولكنه يقول لمعذبه افعل ما تريد، ورفُع مثل باقي رفاقه ووضع على بغلة وأرجعوه ورفاقه إلى المخبأ، لقد كان تعذيبهما قاس وكان تأثيره على نفسية بن طامة أعظم.⁽⁵¹⁾

طلب الحراس مرة أخرى بن طامة وموسى بعلي مع الغروب الصعود من الحجرة الملساء وقد غطى الحراس الأربعة أعينهم، وسارت القافلة بهم في نفس الطريق للوصول لمكان الاستنطاق، لقد قاد الحراس بن طامة إلى الأرجوحة، ووضعت أطرافه الأربعة داخل الحبل، وهو معصوب العينين،

ودخل عليه المستنطق ليقول له ماذا تفعل هنا؟ وهو يضحك منه، وقد وقف اثنان يسألوه عن قول الحقيقة، وتكررت الأسئلة، وبقي جواب بن طامة ماهي الحقيقة المطلوبة؟ واستمر وضعه معلقا لمدة خمسة ساعات، ثم أُرجع إلى السجن، وأعيد بنفس العملية معه ليلتين أخريين، وجئ له بشاهد متهم انطقه عذاب الحبيل، رغم عنه فكال له تهما ملفقة، وحسب بن طامة أن هذا التعذيب جعله نصف ميت، أطرافه مشلولة، ولا يستطيع القيام ولا المشي، وفي الغرفة السوداء جحيم البرد واستمر هذا الوضع، ففي كل ليلة يخرج واحد أو اثنين ولا يرجعون، وفي ليلة 11 ماي 1959 تم اخراج موسى بعلي إلى المجهول، ثم لا يرجع حسبه.⁽⁵²⁾

يذكر بن طامة أنه في 8 جويلية 1959، حدث أن جاءهم في سجنهم الدكتور محمود عثمانة طبيب الولاية الأولى، فزرع في نفوسهم الأمل، وعدهم بالتدخل وقال لهم أنه سيفرج عليهم قريبا وسينقلون إلى مكان ما وأشار لأحد رفاقهم بأنه سيخرج الأول بعد سبعة أيام، ولم يتحقق وعده إلا جزئيا بإطلاق سراح واحد منهم في جويلية، وهو المدعو عبد الهادي سويسي وبقي ثلاثتهم، لقد رفعوا الاحتجاجات دون جدوى، ولكن المعاملة تحسنت تجاههم، وفي ليلة من ليالي شهر جويلية 1959 جاءهم حسين عبد السلام زائرا ومستفسرا عن حالهم، واستدعاهم للقاءه فرادى، وصعد بن طامة إليه وتحادثا مطولا ولاحظ تغييرا في لهجته معه، وطلب بن طامة منه المحاكمة، لكنه لم يجبه على طلباته وحسب ما يعتقد بن طامة انه لم ينقض شهر جويلية إنا وخرج الوهراني ولخضر زياني من السجن، وبقي هو وحيدا لكن سرعان ما وفد عليه سجناء جدد ذكر منهم احد معارفه المدعو عمار زواق، والذي أخبره عن رفاقه عد له عشر قد قتلوا... لقد بقي بن طامة إلى نوفمبر، وهو يأمل ان أول نوفمبر 1959 يمكن تسريحه فيه، ولكن مر أسبوعه الأول لم يكن فيه شيء، لكن تغيرت الأمور في الأسبوع الثاني من ذات الشهر.⁽⁵³⁾

بقي بن طامة 100 يوما وهو في السجن بين التعذيب والتحقيق والإيقاف، وفي 9 نوفمبر 1959 هاجم جنود الاحتلال هذا السجن؛ حيث أزاحوا باب المغارة ودخلوها، وقد انسحب الحارسان والمحبوسون - كان في هذا السجن أربعة أشخاص حسب بن طامة وهم: بن طامة، عمار زواق،

والحارسان- من غرفتهم نحو الأسفل ليدخلوا تحت الشقوق وتسترهم الحجارة، وقد بلغوا نهاية المغارة ودخل الجيش المغارة، ولكنه لم يستطع الوصول إلى نهاية المغارة، فقد انسحب الجيش الفرنسي ولكنهم وضع جنوده مضخة للغاز السام في فم المغارة، وبدأت المضخة تصدر أصواتا وحسبه وصلتهم رائحة كريهة، واشتدت حرارة أجسامهم والتهبت عيونهم وذرفت دموعهم، وكانت ظروف صعبة عاشوها لليوم الثاني، غير ان نسمة باردة هبت عليهم وقاموا بجولة في المغارة، ووجدوا سحب الغاز قد انسحبت، وقرروا الخروج في اليوم الموالي من المغارة، وهنا وصلت أصوات خافتة، وكم كانت مفرحة، لأنها من جنود جيش التحرير، والذين سلموا عليهم ومنحهم قطرات من ماء كولونيا، وجرعات من السمن، وحرموهم من الماء، وخرجوا من المغارة، وساروا تحت أعين الناس التي تنظر إليهم لأنهم معجزة لما بقوا أحياء.⁽⁵⁴⁾

انتهت مأساة بن طامة بعد أن جاء حسين بن عبد الباقي ليراهما، وقد دخل عليهم الذي كان يستجوبهما، فقال له أن الأمر صدر بتسريحه منذ أسبوع، لكنه لم يقدر على تنفيذه، وقد طلب من بن طامة كتابة تقرير عما عاشوه في المغارة، حين حاصرهم الجيش الفرنسي حتى يورط الحارسين، غير أنه لم يقم بذلك بدعوى عدم قدرة يده عن الكتابة، وطلب بن باطة أن يعرض على طبيب، وقد سلمه حسين عبد السلام امرأ مكتوبا ورخصة الذهاب إلى مقر الولاية حيث التقى بمصطفى بن النوي قائد الولاية بالنيابة، الذي طلب منه البقاء معه إلا أن بن طامة طلب الذهاب للمستشفى للعلاج، وقد ذهب والتقى بالدكتور محمود ومحمد الصالح الصفاقسي، والدكتور عبد السلام بن باديس، وبقي بمقر الولاية مدة شهر، أو يزيد ثم رحل في الدورية نحو تونس، وخلالها التقى بمسؤول المنطقة السادسة محمد الصالح يحيياوي، وعبد المجيد عبد الصمد، وكان مع بن طامة ابراهيم مزوزي، وقد قطع الخط المكهرب نحو تونس في 8 أفريل 1960.⁽⁵⁵⁾

أورد لنا بن طامة شهادة لا تقل أهمية عن قضية الزرق، وقد شهدتها الولاية الأولى التاريخية إنها قضية ما يعرف بالتشويش أيضا، فقدم لنا شهادة كان قد عايشها في فيضري ومارس 1957 ويقول بأنه كان مرافقا

للشهاد حياحي المكي مسؤول المنطقة الأولى، وزميله المدني وعواع - المحسوبين على التنظيم الجديد الذي اقره إجتماع الصومام- وبينما هم بمركز البردعة بجبل بوطالب داهمهم جيش كثيف بقيادة تبارني، وعبد الحفيظ طورش- المحسوبين عن القيادة السابقة (الجيش قبل الصومام)- فاخفى حياحي المكي والمدني، واضطر بن طامة السير مع جيش عبد الحفيظ طورش الذي يقوده الشهيد تبارني، وكان عائدا من الأوراس لتثبيت النظام المختل، وقد تقابل الجيشان في خرزة بوطالب أين كان يتمركز جيش عزيز عبد الرحمان، وبدوره أرسل عبد الحفيظ طورش بن طامة وحمله رسائل لناحيتين الثالثة والرابعة يدعوها للتفاهم بالحسنى، وأولى هذه الرسائل كانت موجهة إلى عبد الرحمان عزيز، الذي حسب بن طامة أنه أبى أن يستقبله وأسمعه كلام وتهديد، ثم فتح رسالة التي حملها له، فأمر لجيش عبد الحفيظ بالمؤونة على أن يرفعوها وينصرفوا وفعلا كان ذلك.⁽⁵⁶⁾

سار بن طامة مع الجيش الأوراسي إلى مركز واد قبالة، لكن تم حصارهم بجيش الناحية الثالثة، وجرت مفاوضات تغلب فيه العقل وحصل الاتفاق على مغادرة الأوراسيين الجهة، وهدأت العاصفة، وقد قامت حركة تصحيحية أنهت وجود الأوراسيين، وتأسست لجنة لتسيير الناحية تتكون من السعيد بوخريصة أحمد رواج، لخضر بلحاج، عمار دهان والعمري داود وبقيت تعمل إلى أن جاءت بعثة الولاية الأولى التي كان يترأسها الحاج علي، واشرف على تنظيم العملية الشهيد صالح نزار، وربما تكون هذه قضية حمله لرسالة عبد الحفيظ طورش إحدى الأسباب التي جعلت خصومه يكيدون له، بالإضافة إلى أنه محسوب على المثقفين، أو ربما لبندقيته، فقد روى أنه التقى قاضي الولاية الأولى التاريخية سعد بن سديرة حينما أطلق سراحه، وكان بمقر الولاية وقد التفت إليه مبتسما، وأظهر له رشاشة ماط 49 كانت لبن طامة قبل تجريده منها، وقال له هذه رشاشتك، وقد قامت بعملها خير قيام، ويقول بن طامة: "وقد حز في نفسي هذا الكلام المؤذي فأجيبته ببداهة: "إنها أصيلة".⁽⁵⁷⁾

لقد سمحت لنا هذه المذكرة من معرفة جوانب من قضية محاولة اختراق الثورة، والبلبله التي أحدثتها الاستعلامات الفرنسية في صفوف

المجاهدين، وما صاحب ذلك من وجود ضغائن ورغبة في الانتقام بين المجاهدين، وربما لأسباب واهية، ولكن الثورة الشعبية الصادقة كانت أقوى من يعكر صفوها نفس مريضة، أو تدركها يد مأكرة استعمارية، بفضل انضباط الرجال وتضحيتهم الجسام، وتحملهم للمظالم وعدم استسلامهم للعدو مهما كان الثمن حتى على حساب أرواحهم.

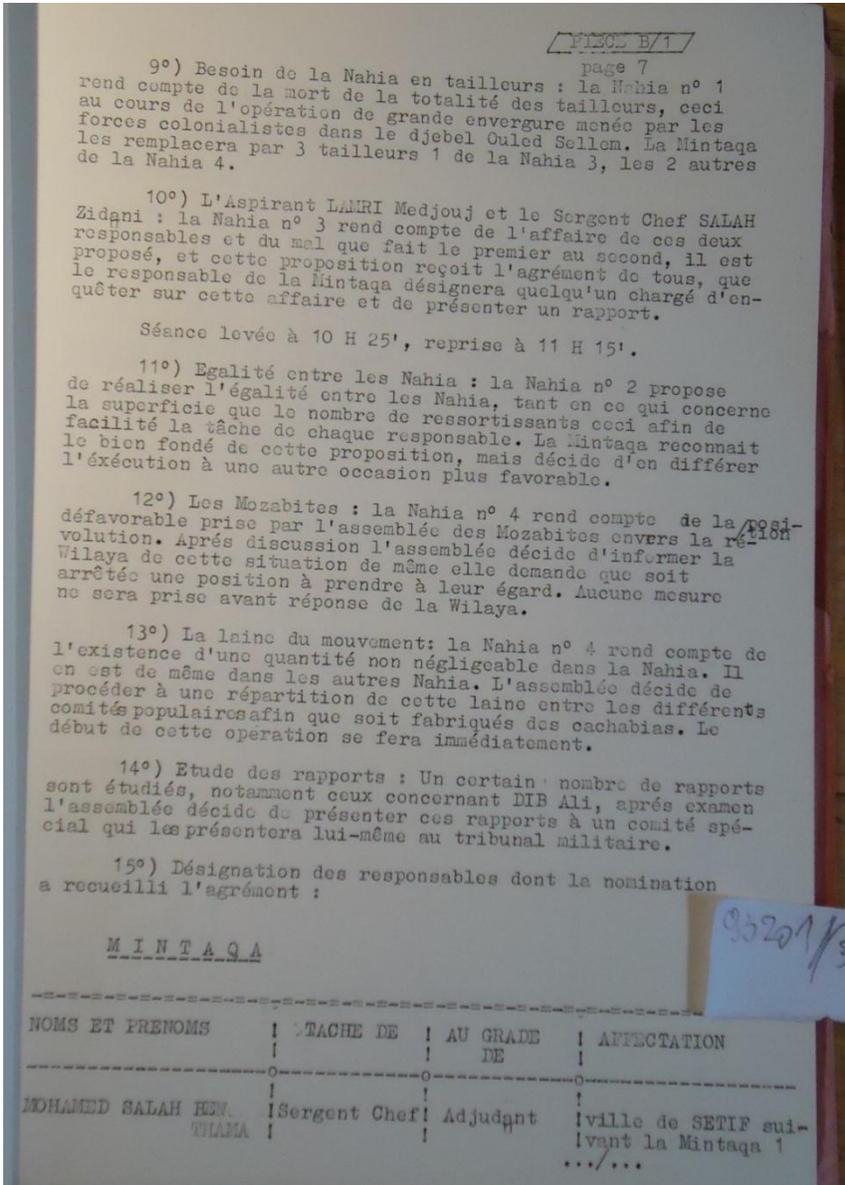
الخاتمة:

تقدم عملية الزرق للباحث إحدى المظاهر البارزة في السياسة الاستعمارية، والتي تركز على الحرب النفسية وزرع الشكوك في صفوف المناوئين لسياستها، إنها تستعمل أساليب الترغيب والترهيب بالتعذيب المفرط حتى ينهار الضحية، وهي الوسائل التي كان يقوم بها النقيب في الجيش الفرنسي (ليجي) مع ضحاياه، لقد هزت هذه العملية معاقل الثوار خاصة في الولاية الثالثة والرابعة، ومست هذه العملية الولاية الأولى بشكل جزئي، ولكن رغم ذلك زاد من مشاكلها التي كانت تعيشها خاصة بعدد تطبيق قرارات اجتماع الصومام.

إن هذه العملية ربما أعطت الفرصة لبعض المسؤولين من الإنتقام من خصومهم أو الاندفاع نحو البحث عن الحقيقة في ظل قلة الوسائل وضعف طرق التحقيق، كما حدث مع محمد الصالح بن طامة، إن الوضع الثوري كان يحتاج إلى الحزم، والذي قد يؤدي إلى بعض المظالم، إن العينة التي أخذناها للدراسة هي لشخص مسؤول ومثقف- محمد الصالح بن طامة، ومكنتنا مذكراته وشهادته من معرفة طرائق التحقيق ووضح لنا أساليب التعذيب والظروف النفسية التي كانت تصاحب المشتبه به أثناء التحقيق، خاصة في المنطقة الأولى من الولاية الأولى، وقدم لنا نموذج لسمود الرجال على المظالم، وعدم استسلامهم للعدو، إن زرع الشكوك في صفوف الخصوم هو إحدى الوسائل التي حُسمت بها معظم الحروب، غير أن الثورة تجاوزت هذا الضخ (عملية الزرق) بتدخل العقلاء، ومحاولة احتواء الوضع، وإدراك حقيقة هذه العملية، وما إن حلت سنة 1960 حتى بدت قضية الزرق من الماضي، وأعدت الثورة تنظيم نفسها لتستفيد من جميع مقدراتها لمواجهة السياسة الديغولية.

الملاحق:

الملحق رقم 1 تعيين بن طامة في سطيف (58)



- 11- شوقي عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص. 174.
- 12- صالح لغور، إضاءات في التاريخ الداخلي للولاية الأولى الأوراس-التماشية دار الخلدونية الجزائر، 2019، ص.208.
- 13- Ferhat Abbas, Autopsie d'une guerre, p. 247
- 14- شوقي عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص. 185-189
- 15- الحاج لخضر H عبيدي، قيسات، ص ص. 164، 165
- 16- مصطفى مراد ابن النوي، مذكرات الرائد مصطفى مرادة "ابن النوي"، (إعداد): مسعود فلوسي، دار الهدى، عين مليلة - لجزائر، ص ص. 106، 107
- 17- C.A.N.O .M ,93201 //31
- 18- Mansour Rahal , les Maquisards- pages du maquis des Aurés durant la guerre de la libération, Ech- chourouk, Alger , 2000,p182
- 19- مصطفى مرادة ابن النوي، المصدر السابق، ص ص . 113، 114
- 20- Mansour Rahal, Op.cit,pp.184,185.
- 21- مصطفى مرادة ابن النوي، المصدر السابق، ص ص . 110
- 22- Mansour Rahal, Op.cit,pp.184,185.
- 23- مصطفى مرادة ابن النوي، المصدر السابق، ص ص. 111.
- 24- Mansour Rahal, Op.cit,pp.184,185.
- 25- محمد الصالح بن طامة، مذكرات الميت الحي- أو جانب من قصة لابلويت، مذكرة غير منشورة
- 26- علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946- 1962، ط2، دار القصة، الجزائر، 2011، ص، 160.
- 27- محمد الصغير عبد الصمد، بنقبة من جبل بو عريف- مذكرات الملازم الثاني المجاهد محمد الصغير عبد الصمد، تحرير لمباركية نوار، مؤسسة المختار للطباعة والنشر، د . ب. ن، بلتنة، ص. 243.
- 28- مصدر نفسه، ص. 245.
- 29- مصطفى مرادة ابن النوي، المصدر السابق، ص ص. 111
- 30- C.A.N.O.M ,Op.cit,93201/31 .
- 31- وثيقة أرشيفية، تقرير عمر حجي لعشي عمار ، مسلمة من مرادة عبد الحميد.
- 32- C.A.N.O .M ,Op.cit,93201/31 .
- 33- Mansour Rahal, Op.cit,p.185.
- 34- مصطفى مرادة ابن النوي، المصدر السابق، ص ص. 108، 109.
- 35- Mansour Rahal, Op.cit,p.185.
- 36- محمد الصغير عبد الصمد، المصدر السابق، ص ص. 244-248
- 37- قتماة الكشافة الإسلامية الجزائرية - فوج أولاد تبان، موجز حياة المرابي المجاهد والإعلامي محمد الصالح بن طامة
- 38- المرجع نفسه.
- 39- C.A.N.O .M ,93201/31 .
- 40- محمد الصالح بن طامة، المصدر السابق، ينظر الملحق
- 41- المصدر نفسه، ص.1.
- 42- المصدر نفسه، ص. 10.
- 43- نفسه.
- 44- المصدر نفسه، ص. 11.
- 45- المصدر نفسه، ص ص، 11، 12
- 46- المصدر نفسه، ص. 17.
- 47- المصدر نفسه، ص. 19.
- 48- نفسه.
- 49- المصدر نفسه، ص. 29.
- 50- المصدر نفسه، ص. 31.
- 51- المصدر نفسه، ص ص. 30، 31
- 52- المصدر نفسه، ص. 34.
- 53- المصدر نفسه، ص ص. 37، 38
- 54- المصدر نفسه، ص ص. 38-40.
- 55- المصدر نفسه، ص ص. 43-45
- 56- المصدر نفسه، ص. 49.
- 57- نفسه
- 58- Op.cit, C.A.N.O .M93201/31 .
- 59- ibid.

اسهامات المجاهد العقيد الحاج لخضر عبيد في الثورة بالمنطقة الاولى

ط.د. قيروود عمراوي

جامعة باتنة - 1-

الملخص

نحاول في هذه المداخلة التعرف على شخصية تاريخية، لها قيمتها النضالية، إنه الحاج لخضر عبيد، ودوره في الثورة التحريرية في المنطقة الاولى، ونهدف من خلال تناول هذا الموضوع التعرف على هذه الشخصية التاريخية وانجازاتها الثورية وخاصة في جانبها القيادي، سواء في المرحلة الأولى من عمر الثورة بالأوراس أو ما بعد اجتماع الصومام، حيث تبين أن الحاج لخضر لعب دورا كبيرا في هذه المرحلة، خاصة في جانبها التنظيمي والهيكلية، وقدرته على القيادة، وادارة الاحداث التي عاشتها الثورة بالولاية التاريخية الاولى عامة، والمنطقة الاولى على وجه الخصوص.

مقدمة

يعتبر الحاج لخضر من ابناء الجزائر البررة، الذين اخذوا على عاتقهم الدفاع عن الجزائر في سبيل نيل حريتها، وقدموا الكثير من التضحيات من أجل كرامة شعبها، ورفع الظلم والاستبداد الذي تسبب فيه الاستعمار الفرنسي منذ دخوله ارض الجزائر، فقرروا أن يضعوا حدا لهذه المعاناة بقوة السلاح، حتى النصر أو الشهادة .

تكمن أهمية الموضوع في ابراز شخصية العقيد محمد الطاهر عبيدي المدعو الحاج لخضر، ومسيرته النضالية، باعتباره مناضل من الرعيل الاول الذي التحق بالثورة، وساهم مساهمة فعالة وأساسية في تفجيرها في منطقة الاوراس، والعمل على انتشارها في بقية المناطق، رفقة أخوانه من المجاهدين بقيادة الشهيد الرمز مصطفى بن بولعيد، فكيف كان المسار النضالي للحاج لخضر في المنطقة الاولى، وما هي اهم العمليات التي خاضها، واهم المعارك التي قادها، أو شارك فيها ؟

للإجابة على ثانيا هذه الإشكالية يجدر بنا التطرق الى المحاور التالية:

- 1- مولد الحاج لخضر ونشأته.
- 2- نضاله السياسي بمنطقة الاوراس.
- 3- دوره في التحضير للثورة.
- 4- نشاطه العسكري خلال الثورة التحريرية.
- 5- موقف السلطات الاستعمارية من نشاط الحاج لخضر.

1- مولده ونشأته ونضاله السياسي: محمد الطاهر عبيدي المدعو الحاج لخضر ولد سنة 1914 بقرية أولاد شليح، حكم ولاية باتنة، من عائلة فقيرة، لكنها متشعبة بالقيم الدينية والوطنية، ولد من ابوين كريمين هما: عبيدي محمد، وفاطمة عبيدي،⁽¹⁾ وكانا يمثلان له رمز العمل الدائم المتواصل لتربيته، واسعاده غير ان عملهما لم يثمر، ولم يعط نتيجة للحصول على ادنى معيشة، مما اضطره الى الهجرة الى فرنسا طلبا للعمل للحصول على لقمة العيش، واسعاد والديه.⁽²⁾

غادر الحاج لخضر أرض الوطن سنة 1936، وعمره لا يتجاوز العشرين سنة، ويقول الحاج لخضر في هذا الصدد: "غادرت وفي نفسي حزن، وفي قلبي تضرر تجاه المستعمر الفرنسي وكلي تفكير في البحث عن طريقة للتخلص منه"، وبعد وصوله الى فرنسا، استقر في مدينة تراون،⁽³⁾ واشتغل لدى مقاول فرنسي يملك شركة للأسلاك الكهربائية، في اثناء عمله بفرنسا بدأ يشعر بالفرق بين المجتمع الجزائري والمجتمع الفرنسي، ويقارن بين رخاء فرنسا ورفاه مواطنيها، وحرمان الجزائريين في وطنهم.⁽⁴⁾

اقام الحاج لخضر اثناء تواجده بفرنسا علاقات مع اخوانه من العمال الجزائريين، ومنهم السيد احمد من الغرب الجزائري، الذي كان عضوا في الحركة النقابية بفرنسا، يدافع عن حقوق العمال الجزائريين، ويذكر الحاج لخضر انه كان يلتقى بهم باستمرار، وغالبا ما كانت هذه اللقاءات تتناول المشاكل التي يعاني منها الجزائريين، والوضع في

الجزائر، وكذلك تدارس الاحداث على الصعيد العالمي،بالإضافة الى الحديث عن الاهل والاقارب من خلال الرسائل التي ترد اليهم.⁽⁵⁾

2. **العودة الى ارض الوطن:** بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية واضطراب الاحوال الاقتصادية، وانعكس ذلك على عالم الشغل، والحياة في جميع نواحيها، وبدأ الجزائريون يعودون الى الجزائر، وكان الحاج لخضر من الذين عادوا من المهجر حاملا معه رصيда من المال والافكار الوطنية، وكان من الذين احسنوا توظيفها في مساره النضالي،⁽⁶⁾ لبث الروح الوطنية، واطهار مساوئ المستعمر، وفضح اعماله الاجرامية في حق الجزائريين، وبعد عودته من فرنسا استقر الحاج لخضر في مدينة عين التوتة، ومن ثمة بدأ نضاله السياسي.

3. **نضاله السياسي:** بعد عودته من فرنسا سنة 1939، واصل الحاج لخضر نضاله السياسي في الحركة الوطنية، حيث قام بتأسيس الخلايا السرية بمدينة باتنة سنة 1939، وكانت هذه الخلايا تعقد اجتماعات المناضلين في مدينة باتنة في دار مزياني لحلاوجي، ودار براهيم العدوي، وكانت هذه الاجتماعات تتناول اوضاع المناضلين التابعين لحزب الشعب، وكان من بين المناضلين البارزين في الخلية الحزبية بمنطقة باتنة: الحاج لخضر، علي النمر، محمد حرسوس، عبد الصمد عبد الحفيظ ...، واستمر العمل هكذا طيلة ثلاثة سنوات، وفي سنة 1941 سلم لهم مصطفى بن بولعيد برنامجا وطنيا جديدا⁽⁷⁾ يتضمن ما يلي:

- توسيع الخلايا السرية.
- التركيز على العناصر الحية عند طلب الانخراط.
- تقسيم المواطنين المنخرطين في الحركة الى: محبين، مشتركين ومناضلين، حسب الاقدمية والنشاط
- جمع التبرعات والاشتراكات.
- بث الروح الوطنية، ونشر افكارها بين الناس.
- مساعدة عائلات المسجونين لدى الاستعمار الفرنسي .⁽⁸⁾

ومن ذلك الحين استمر الحاج لخضر في تكوين الخلايا السرية مثل خلية عين التوتة سنة 1942، حيث كانت الاجتماعات تعقد على انفراد، وبصفة دورية مع المحبين والمشاركين والمناضلين، في سرية تامة، وشهدت هذه المرحلة ارتفاعا في عدد الخلايا السرية، وارتفع بالمقابل عدد المناضلين، حيث بلغ المائة مناضل في مدينة باتنة وحدها.⁽⁹⁾

والى جانب تكوين الخلايا السرية، كلف الحاج لخضر من طرف مصطفى بن بولعيد باستقبال المناضلين القادمين من شمال قسنطينة اثناء عبورهم، فكان يستقبلهم عند مدخلها بمنطقة كاسرو، التي تبعد عن مدينة باتنة بـ 20 كلم، اين يوجد منزل مصطفى ابن النوي، قبل ان يتم نقلهم الى أريس بواسطة مسعود بن عقون، وكان يتم ذلك في كنف السرية التامة،⁽¹⁰⁾ لأن الاستعمار كان يراقب حركة المناضلين، ويبت عيونه في كل مكان، سواء في المدينة أو ما جاورها من قرى ومدامر.⁽¹¹⁾

وبعد الازمة التي عرفها حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1953-1954، تقرر انشاء تنظيما ثالثا لا ينتمي الى أي طرف من الاطراف المتصارعة، وهي اللجنة الثورية للوحدة والعمل في 23 مارس 1954، والتي اخذت على عاتقها التحضير الفعلي⁽¹²⁾ للثورة التحريرية من خلال القيام بما يلي:

- إحصاء عدد المناضلين الملتزمين والمؤيدين للثورة.
 - إحصاء عدد الاسلحة التي يملكها المناضلين، وأفراد الشعب من بنادق الصيد.
 - شراء اللباس العسكري ومستلزماته.
 - إنجاز خرائط وقائمة بأماكن المخابئ في الجبال، ومراكز العدو الفرنسي، من شرطة ودرك وحراس الغابات،⁽¹³⁾ كان ذلك في بداية سنة 1953، وفي هذا الصدد يذكر الحاج لخضر ان الاوامر قد صدرت من القيادة المركزية الى كل مناضل بشراء السلاح من جيبه الخاص، وينتظر الاوامر للإتحاف بصفوف الثورة.⁽¹⁴⁾
4. دوره في هجومات ليلة أول نوفمبر 1954: ولغرض وضع اللمسات الاخيرة لتفجير الثورة المباركة شارك الحاج لخضر بفعالية في الاجتماعات التي سبقت انطلاق العمل المسلح في منطقة الاوراس، وكان من اهمها :

- إجتماع ليلة أول نوفمبر 1954: الذي عقد في ليلة أول نوفمبر 1954 في المكانين، دشرة أولاد موسى بدار علي بن شائبة، وفي خنقة لحدادة بدار بولقواس، حيث وصل إليهما المجاهدين تبعاً ليلة 29 أكتوبر 1954،⁽¹⁵⁾ وتوالى وصول الأفواج حيث بلغ عددهم ما يقارب 300 مجاهد، وفي هذه النقطة يسرد الحاج لخضر "إنه تنظيم رائع، وهذه الدار لها شرف كبير لأنها الدار التي عقد فيها الاجتماع الأول الذي رفع لواء الجهاد في سبيل الله"،⁽¹⁶⁾ وهو يقصد بذلك دار بولقواس، ونفس الشئ بالنسبة لدشرة أولاد موسى ودار بن شايبة، حيث قام المجاهدين بفرز الأسلحة الصالحة وغير الصالحة، وتنظيمها، سواء في المكان الأول أو الثاني.⁽¹⁷⁾

وقد انتظر الوافدون القائد مصطفى بن بولعيد ونائبه شبحاني بشير، وحسب شهادة المجاهد لخضر وصيفي فإن: "مصطفى بن بولعيد كان يرتدي لباساً بين العسكري والمدني، وكان يتحدث مع جيش التحرير، وهو من سلم السلاح بيده"⁽¹⁸⁾ وخطب في الجميع، ومما جاء في قوله: "إن الأمور التنظيمية قد انتهت، وجاء وقت تنفيذ الأوامر"⁽¹⁹⁾.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن العمل الثوري، والكفاح المسلح أصبح حقيقة لا مفر منها، وعلى الأفواج القيام بالعمليات في الأماكن المحددة"، وهذا الاجتماع حسب المجاهد محمد بيوش، بمثابة وقفة عهد بين الأخوة بالكفاح حتى النصر أو الشهادة.⁽²⁰⁾

5- دوره في هجومات ليلة أول نوفمبر 1954: بعدما انتهت التحضيرات، وحددت مناطق العمليات العسكرية، وأماكن الهجوم في ليلة 31 أكتوبر 1954، وكانت أفواج المجاهدين قد تجمعت في أولاد موسى وخنقة لحدادة، حيث وزع السلاح على أفواج المجاهدين، وكان من بينها فوج باتنة الذي يتكون من ثلاث مجموعات، بإجمالي 60 رجلاً بقيادة كل من الحاج لخضر وعلي بعزي⁽²¹⁾ ومحمد الشريف بن عكشة، إضافة إلى قرين بلقاسم، عمر العايب وغمراس الطاهر "النويشي"، وحصل أعضاء الفوج على السلاح من قرية الحجاج، كما كلف البعض منهم بشرائه سابقاً، أي بمال المناضلين الخاص، وكان فوج الحاج لخضر أكثر الأفواج عدداً،⁽²²⁾ حيث بلغ تعداده 25 مجاهداً، وكانت وجهته نحو الثكنة المركزية التي تحتوي على مخزن الأسلحة، ومقر الدائرة ومكاتب الدرك ومخزن الأسلحة العسكرية ومحطة البنزين، ومحطة تجمع السيارات الفرنسية.⁽²³⁾

اما الطاهر نويشي، فقد توجه بفوجه نحو تازولت للهجوم على السجن المركزي، فخرج الفوجان على الساعة العاشرة ليلا، وبعد ان وصل الحاج لخضر الى مدينة باتنة، توجه الى منزله بحي " الكا " لجلب الفؤوس والاستعانة بها في إحداث ثقب بجدار الثكنة، وبعد تطويق الثكنة، أمر الحاج لخضر بالهجوم، الذي اسفر عن مقتل الجندي الحارس بالخنجر، وتمكن الحاج لخضر من الدخول الى مخزن الاسلحة، فوجدها مربوطة مع بعضها بالسلاسل حيث صعب عليه افتكاكها، وعلى اثر حركة المجاهدين لفتت انتباه الحراس، وبعد مغادرته الثكنة تمكن الحاج لخضر من رمي قنبلة وسط الثكنة احدثت هلعا وذعرا في وسط العدو، وتمكن المجاهدين من الفرار، والخروج من العملية - التي دامت ساعة ونصف - ورجعوا الى قواعدهم سالمين.⁽²⁴⁾

ومن العمليات التي قام بها الحاج لخضر، هي الهجوم على القطار المحمل بالسلع المتجه الى بسكرة مرورا بباتنة، ومنذ تلك العملية اصبح العدو يحتاط للأمر، ولم يعد القطار يشحن كل البضائع كما قام الحاج لخضر بالهجوم على ضيعة المعمر "بوزو" الذي يملك المطحنة والمواشي بسريانة، غير ان هذه العملية فشلت، وكانت نتيجتها سقوط اول شهيد بالمنطقة، وهو الشهيد "عمر اقروور"، وما يجدر ذكره هنا هو ان الحاج لخضر لم يذكر من قاد هذه العملية؟ هل قادها قرين بلقاسم لوحده، أم أنه كان على راس فوج تابع للحاج لخضر، وما هو توقيتها بالضبط؟⁽²⁵⁾

6- نشاطه العسكري في المنطقة الأولى: في أوائل شهر فيفري سنة 1955، وقبل مغادرة مصطفى بن بولعيد الى ليبيا لجلب الاسلحة، قام بتعيينات رسمت قادة الافواج في أماكنها، وأعطتها دفعا قويا نحو العمل العسكري، ومن بينها فوج الحاج لخضر، الذي توجه الى باتنة وضواحيها حيث كان ينشط منذ اول نوفمبر 1954، ويمتد الى غاية خط السكة الحديدية، وهو الحد الذي يفصل بين الولاية الاولى والثانية والثالثة، فشمّل قطاعه زيادة على باتنة، كل من عين مليلة، بيضاء برج، ومروانة والعلمة، وانطلاقا من هذا التعيين راح كل قائد يعمل في مجاله الذي حدد له، ومن هذا المنطلق قام الحاج لخضر بعدة عمليات عسكرية استهدفت مراكز العدو، ومن أهم هذه العمليات نذكر:

1- اغتيال المعمر فياما: يعتبر من أكبر المعمرين في المنطقة، ولما أحس بالخوف من المجاهدين، أعد قائمة بأسماء شباب واعيان منطقة أولاد شليح، وأوصى بإعدامهم في حالت ما إذا تعرض للاغتيال من طرف المجاهدين، وفي يوم 14

جوان 1955 تمت تصفيته في كمين نصبه له الحاج لحاج لخضر، وإثر ذلك قامت السلطات الاستعمارية بالانتقام لهذا المعمر، فقامت بإعدام خيرة شباب المنطقة، وهم الاخوة خزار، وآخرين بطريقة بشعة في المكان الذي قتل فيه المعمر فياما" بدشرة اعمارة، أولاد شليح.⁽²⁶⁾

2- **كمين كوند ورسى:** من العمليات البطولية التي قام بها الحاج لخضر في شهر ديسمبر 1955، هي نصب كمين لدورية عسكرية فرنسية، كانت تقوم بعملية تمشيط بالقرية، وفي اثناء عودتها، تعرضت للكمين الذي الحق بها خسائر معتبرة، وتمكن الحاج لخضر ورفاقه في هذه العملية من غنم بعض الاسلحة والذخيرة، وبعض الحقايب المحمولة على الظهر.⁽²⁷⁾

3- **عملية الهجوم على ثكنة الدرك بسريانة:** تعتبر من العمليات الناجحة بفضل التخطيط المحكم، والتنفيذ الدقيق للعملية، وكان صاحب فكرة الهجوم على الثكنة هو المجاهد أحمد الجدارمي، (الذي كان مجند في صفوف الدرك الفرنسي قبل ان يلتحق بالثورة)، وذلك من خلال الاتصال بالحاج لخضر، وتم ذلك بواسطة المناضل مسعود بن عمارة، وتم في يوم 29 مارس 1957، وبعد موافقة الحاج لخضر على تنفيذ العملية اصدر الامر بتكليف المجاهد محمد حجار المسؤول العسكري بالناحية الاولى، باختيار مجموعة فدائية تتميز بالقوة الجسدية وخفة الحركة، وبعد الانتهاء من الترتيبات وتحديد المهام والاهداف، توجهت المجموعة في يوم 03 /04 /1957 في شهر رمضان الى الثكنة في حدود الساعة منتصف الليل، وبعد اللقاء مع احمد الجدارمي، تم توزيع الفدائيين على غرف الثكنة، وبدأ الهجوم على الثكنة، الذي كبد فيه العدو خسائر فادحة تمثلت في مقتل خمسة من افراد الثكنة ذبحا، وغنم كمية لا بأس بها من الاسلحة والذخيرة.⁽²⁸⁾

استمر الحاج لخضر في مقاومة الجيوش الفرنسية المتمركزة في المنطقة، وعلى الرغم من قلة الامكانيات من أسلحة وذخيرة، فقد خاض المجاهدون عدة معارك بطولية ضد الاهداف الاستعمارية، ومن أهم هذه المعارك نذكر ما يلي:

4- **معركة أم عشرة بقم الطوب:** حضر الحاج لخضر هذه المعركة التي وقعت بتاريخ 02 نوفمبر 1954 الى جانب ثمانين مجاهدا، بقيادة المجاهد ناجي نجاي، بمساعدة فروجي محمد المدعو (بولملح)، وحضرها كل قادة الثورة بالأوراس،

مثل رؤساء الأفواج: العايش بادس، بن زحاف محمد، طورش الورد، خلافة محمد، بعزي علي، الطاهر غمراس المدعو (النويشي) الصادق شبشوب وآخرين، في مواجهة قوات العدو التي تتكون من أفراد الطابور المغربي وفرق اللفياف الأجنبي، وأسفرت هذه المعركة عن خسائر كبيرة في صفوف افراد العدو، تمثلت في مقتل سبعين عسكريا، وغنم كمية لا بأس بها من الأسلحة والذخيرة، أما من جانب المجاهدين فقد سقط في هذه المعركة 12 شهيدا، وجرح ثلاثة آخرين منهم قائد المعركة ناجي نجاوي، وبن المجاهد عائشة عبد الحفيظ.⁽²⁹⁾

5- **معركة خنقة أمعاش:** وقعت هذه المعركة في 8 نوفمبر 1954، حيث خاض المجاهدون بقيادة ناجي نجاوي، معركة ضارية ضد العدو الفرنسي، شاركت فيها عدة أفواج من جيش التحرير الوطني مثل، فوج الحاج لخضر، عباس لغرور، محمد الشريف بن عكشة، محمد نجاوي، محمد فروجي، الطاهر النويشي والصادق شبشوب في مواجهة قوات جرارة من طرف العدو، لكن بفضل صمود وإرادة المجاهدين جعلته يتكبد خسارة كبيرة في الأرواح والعتاد، تمثلت في سقوط 150 جندي بين قتيل وجريح، وإسقاط طائرة عسكرية كشافية، أما من جانب المجاهدين فقد استشهد 12 مجاهد، وعدد من الجرحى من بينهم قائد المعركة ناجي نجاوي الذي فقد إحدى عينيه في هذه المعركة.⁽³⁰⁾

ولم تكن المجموعة التي يشرف عليها الحاج لخضر مستقرة في مكان واحد، فحسب رواية مصطفى مراردة (بن النوي) فإنها كانت دائمة الحركة، بين القرى والمداشر، تجمع التموين والسلاح، وكان الحاج لخضر حريصا على تماسك المجتمع، فقد عمل على حل كل الخلافات والمشاكل التي كانت تنشأ بين العائلات، أو بين الأعراس بالطرق الودية الاخوية، وكان حريصا على مقاطعة الاستعمار بعدم اللجوء الى محاكمه، وعدم دفع الضرائب للإدارة الاستعمارية، وانما اللجوء الى نظام الثورة التحريرية.⁽³¹⁾

7- **نشاطه بعد استشهاد القائد مصطفى بن بولعيد:** بعد استشهاد القائد مصطفى بن بولعيد عقد قادة الأوراس اجتماع في المكان المسمى "تبيحيرين" للتشاور حول إيجاد قيادة جديدة للأوراس، ولما تعذر اختيار قائد للمنطقة اكتفى المجتمعون بتشكيل مجلس للأعيان يتكون من " مصطفى بوسته، مسعود بلعقون، مدور مور وغيرهم، واستمر العمل في النواحي في غياب قيادة عامة للأوراس، وكان الحاج لخضر مكلف بقيادة الناحية الأولى باتنة،⁽³²⁾ واستمرت الخلافات في القيادة الى ما بعد

اجتماع الصومام، حيث كلف عميروش بزيارة الأوراس لتبليغ قرارات الصومام، وإيجاد حل لمشكلة القيادة بمنطقة الأوراس بعد استشهاد مصطفى بن بولعيد.

رغم الخلافات بين القادة الأوراس إلا أن الحاج لخضر بذل كل ما في وسعه من جهود بغية رتب الصدع، وذلك لما يتحلى به روح وطنية ومصادقية لدى رفقائه من القادة، وبعد عدة لقاءات تشاورية مع عميروش شكلت بعض القيادات في بعض المناطق وكانت على النحو التالي:

المنطقة الأولى : تحت قيادة محمد لعموري

المنطقة الثانية : بقيادة محمد بوعزة

المنطقة الثالثة : بقيادة احمد بن عبد الرزاق آيت حمودة " سي الحواس "

وفي غياب بقية المناطق أجل حسم الخلاف الى وقت لاحق.⁽³³⁾

وللإشارة فإن قيادة المنطقة الأولى، كانت قد عرضت على الحاج لخضر ولكن لحكمته وذكائه فقد فضل التنازل عليها لمحمد لعموري لأنه كان بفضل اعطاء المسؤولية للإطارات المثقفة القادرة على تسيير الثورة في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها الولاية الأولى.

وعلى اثر هذه التعيينات قرر محمد لعموري نقل مقر القيادة الى جبل بلزمة غرب مدينة باتنة، وكان نائبه العسكري الحاج لخضر، وحيحي المكي نائب سياسي، ويوسف اليعلاوي للأخبار والاتصال.⁽³⁴⁾

8- قيادته للولاية الأولى: استمر الحاج لخضر في مهامه كقائد عسكري في المنطقة الأولى الى غاية 1958، وبعد انتقال محمد لعموري الى تونس خلفه الحاج لخضر بأمر من لجنة التنسيق والتنفيذ، وكان الحاج لخضر قد تردد في الموافقة على هذه المهمة، غير أن محمد لعموري ألح عليه، لأنه يرى فيه الرجل الأنسب لقيادة الولاية الأولى، وكان ذلك في نوفمبر من عام 1958.⁽³⁵⁾

وبمجرد أن تولى قيادة الولاية التاريخية الأولى، اتخذ الحاج لخضر عدة إجراءات في مركز القيادة تمثلت فيما يلي:

- إعداد التحصينات الضرورية لمقر القيادة.
- تحصين مراكز الحراسة.

- تحصين الجهاز اللاسلكي.
- تحصين المستشفى.
- تحصين أماكن تخزين التموين.
- تحصين للسلاح والذخيرة.
- تحصين خاص للمعاقبين.

وبذلك جعل الحاج لخضر من مقر الولاية غرفة للعمليات الكبيرة والصغيرة، والتحكم في كل الولاية بمناطقها ونواحيها وقسماتها، وبعد استدعائه الى تونس لحضور اجتماع العقداء العشرة استخلفه مصطفى مرادة "ابن النوي" لمدة سنة على رأس الولاية قبل ان يتم تعيين علي سوايعي، ثم الطاهر زبيري الذي تولى تسييرها الى غاية الاستقلال.⁽³⁶⁾

9- مشاركته في اجتماع قادة ولايات الثورة بالداخل: في الوقت الذي كانت فيه قيادة الثورة تعاني من الانقسام فيما بينها، بسبب الصراع على السلطة، كانت الثورة في الداخل قد توسعت رقعتها وبلغت أوجها مع المستعمر فشملت كل جهات الوطن، مما جعلها في حاجة ماسة إلى تمويل بالسلاح والذخيرة .

وكان العدو قد فرض حصارا شديدا على تمويل الثورة من الجهة الشرقية لتونس، بواسطة الأسلاك الشائكة المكهربة.⁽³⁷⁾

وابتداء من سنة 1958 أصبحت هذه الخطوط المكهربة تشكل حاجزا منيعا تسبب في مشاكل للثورة، وأوقع خسائر كبيرة في صفوف المجاهدين، مما ترتب عنه تراكم كبير لدوريات عسكرية كانت متوجهة من الداخل إلى الخارج لجلب الأسلحة، ولم تتمكن من الرجوع.⁽³⁸⁾

ومع فشل الحكومة المؤقتة في إدخال السلاح إلى الولاية الأولى وباقي الولايات الأخرى، قرر قادة ولايات الداخل عقد اجتماع فيما بينهم للنظر في الأوضاع التي تعاني منها كل ولاية.

عقد هذا الاجتماع ما بين 6 و12 ديسمبر 1958، بمبادرة من العقيد عميروش، بضواحي جيجل وحضره إلى جانب عميروش كلاً من الحاج لخضر قائد الولاية الأولى، سي محمد بوقرة⁽³⁹⁾ قائد الولاية الرابعة، العقيد سي الحواس قائد الولاية السادسة، وغاب عن الحضور كلا من علي كافي عن الولاية الثانية، والعقيد لطفي⁽⁴⁰⁾ عن الولاية الخامسة، لأن الأول كان مواليا لبن طوبال، والثاني

موالي لصوص حسب ما تشير إليه أغلب الأدبيات والدراسات التي تناولت فكرة غياب عقيدتي الولايتين الثانية والخامسة.⁽⁴¹⁾

وتم الاتفاق على موعد الاجتماع الذي كان بين 6 نوفمبر إلى 12 من سنة 1958،⁽⁴²⁾ وانصب جدول أعمال هذا الاجتماع في دراسة أوضاع الثورة بكل ولايات الداخل، وقدم القادة المشاركون تقارير مفصلاً عن المشاكل العامة مثل ندرة السلاح والمشاكل الخاصة المتعلقة بظاهرة المشوشين بالولاية التاريخية الأولى، بالإضافة إلى التدهور الحاد في ميزانية الولاية، وهو ما دفع الولاية الأولى إلى إلغاء المنح التي كانت تقدم للجنود.⁽⁴³⁾

ومن النقاط المشتركة التي كشف عنها هذا الاجتماع، نقص التموين بالذخيرة والسلاح والدواء، وارتقاء الحكومة المؤقتة في الاهتمام بالكفاح المسلح في الداخل ضد قوات الاستعمار، وتركيز جهودها على العمل الديبلوماسي.⁽⁴⁴⁾

كما تطرق الحاضرون في هذا الاجتماع إلى مسألة العلاقة بين الداخل والخارج، كما تحفظوا على وجود الحكومة بالخارج، وعارضوا وجود هيئة أركان خارج ميدان المعركة، كما كان تعيين شخصية فرحات عباس محل انتقاد من العقيد عميروش الذي كان يطالب بحكومة ثورية.⁽⁴⁵⁾ وهو ما يتوافق مع ما ذكره الطاهر زبيري، كما أثار الحاج لخضر مشكل المشوشين، حيث تقرر إرسال كتائب من الولايتين الثالثة والرابعة لمعالجة هذه القضية في الولاية الأولى⁽⁴⁶⁾ وهو ما يتوافق مع ما ذكره العقيد على كافي.⁽⁴⁷⁾

ومن أهم القرارات التي خرج بها هذا الاجتماع الذي دام عشرة أيام هي ما

يلي:

- إنشاء شبه هيئة أركان في الداخل باسم " لجنة المراقبة والتنفيذ "
- المطالبة بدخول الحكومة والإبقاء على ممثلين لها في الخارج.⁽⁴⁸⁾
- ضرورة حضر ممرات بين الحدود التونسية الجزائرية لتمير السلاح عبرها إلى الداخل.
- ضرورة توحيد القيادة العامة وجعلها جماعية.

- وضع خطة استراتيجية للقضاء على مشاريع العدو ومخططاته⁽⁴⁹⁾ التي تهدف إلى تشتيت الثورة وتفتيتها وعزلها عن قواعدها الخلفية بالخارج وفصلها عن القاعدة الشعبية بالداخل.⁽⁵⁰⁾
 - إرسال وحدات إلى الولاية الأولى على الحدود للعمل على تخريب خط موريس، وتكون الأعمال منسقة حتى ولو تطلب الأمر طلب الحكومة المساعدة من الخارج.⁽⁵¹⁾
 - إلزام القيادة في الخارج على إرسال الأسلحة والذخيرة الحربية إلى الداخل.⁽⁵²⁾
 - العمل على جلب السلاح بأية وسيلة حتى تستمر الثورة.
 - ضرورة التحاق وزير الدفاع والأخبار المتواجدين بتونس بساحة المعركة واللذين يرأسهما كريم بلقاسم وعبد الحفيظ بوصوف.⁽⁵³⁾
- وبعد الانتهاء من الاجتماع، صادق العقداء على محضر الجلسات، ثم قرروا تكليف الرائد عمر أوصديق بحمله إلى أعضاء الحكومة المؤقتة،⁽⁵⁴⁾ وفي نفس السياق قرر مسؤولوا الثورة بالخارج استدعاء قادة كل من: الولاية الأولى، الثالثة، الرابعة والسادسة إلى تونس،⁽⁵⁵⁾ لمعرفة النوايا الحقيقية من هذا الاجتماع،⁽⁵⁶⁾ غير أن العقيد الحاج لخضر قال " أن النوايا كانت طيبة والعمل كان الهدف منه تطوير أساليب الثورة وإعطائها دفعا جديدا في ميدان التكتيك الحربي".⁽⁵⁷⁾
- التحق في منتصف شهر مارس عميروش بسي الحواس في تراب الولاية السادسة، وشرع في جولة تفقدية بغرض تنشيط المقاتلين ورفع معنويات السكان، وتشاء الأقدار أن يعثر عليهما العدو في جبل ثامر، ويستشهدا في يوم 28 مارس 1959،⁽⁵⁸⁾ وبعد ذلك بأسابيع قليلة سقط أحمد بوقرة قائد الولاية الرابعة شهيدا،⁽⁵⁹⁾ وبذلك يكون قد تعذر تبليغ هذه القرارات إلى المسؤولين على الثورة في الخارج.⁽⁶⁰⁾
- 10- مشاركته في معارك الولاية الأولى: شارك الحاج لخضر وقاد عدة معارك ضد قوات المستعمر الفرنسي، من أهم هذه المعارك نذكر:
- معركة الرفاعة: وقعت هذه المعركة بتاريخ 19 سبتمبر 1958، وتعتبر من المعارك الكبرى في الولاية الأولى التاريخية، وتعد تحولا جديدا في مسار الثورة،

حيث اعتمد فيها العدو على النجديات من كل قواعده، مقابل عدد قليل من المجاهدين في أرض المعركة، فكانت بذلك أم المعارك، وقد صادف وقوع هذه المعركة اجتماع النواحي التابعة للمنطقة الأولى بقيادة عمار عشي⁽⁶¹⁾ مسؤول المنطقة ونوابه، فقام العدو بإنزال قوات كبيرة متجهة نحو المجتمعين، وقام بمحاصرتهم من كل الجهات، ولم يستطيعوا الانسحاب، ولم يعد أمامهم سوى الاستماتة في القتال، فنشبت معركة ضارية شارك فيها 100 مجاهد، بدأت على الثامنة صباحاً، استخدم فيها العدو سلاح الطيران لقبلة مواقع المجاهدين، وعندما حان وقت الانسحاب شن المجاهدين عملية هجومية تمكنوا خلالها من الخروج من وسط المعركة وتكبيد العدو خسائر كبيرة من القتلى والجرحى، وإعطائه درسا عمليا في البطولة تركته في حيرة من أمره.⁽⁶²⁾ وأشار العقيد الحاج لخضر أن العدو عزز قواته بالدبابات والمدفعية الثقيلة، والقصف بالطيران، وبمختلف الأسلحة مما اضطر المجاهدين إلى الانسحاب من المعركة،⁽⁶³⁾ إلا أن العقيد الحاج لخضر لم يذكر نتائج المعركة واكتفى بوصف مجرياتها، وهو ما يتوافق مع ما ذكره المجاهد خرشوش بلقاسم في مقابلة معه، وذكر ان هذه المعركة جرت تحت قيادة الشريف جار الله،⁽⁶⁴⁾ وفي نفس السياق يذكر المجاهد لحسن دماغ أنه حضر هذه المعركة حينما كان متواجداً في الكتيبة التي يقودها محمد الصالح بن عباس، ويضيف ان هذه المعركة دامت ثلاثة أيام سقط خلالها 43 شهيد، وتكبد العدو خسائر فادحة في الارواح والعتاد.⁽⁶⁵⁾

11- **الحاج لخضر وقضية المشوشين:** عرفت الثورة في منطقة الأوراس أخطر مشكل، أثر سلباً على مسار الثورة في الولاية الأولى، وهو مشكل ما يعرف (بالمشوشين) نتج عن الصراع على القيادة⁽⁶⁶⁾ بعد اعتقال القائد مصطفى بن بولعيد في فيفري 1955، إلا أن فراره من السجن في نوفمبر من نفس السنة، والتحاقه بالثورة من جديد هدأ الأمور مؤقتاً إلى حين استشهاده في مارس 1956، تازمت الأوضاع بشكل عنيف خاصة بعد اغتيال نائبه شبحاني بشير في ظروف غامضة،⁽⁶⁷⁾ وهذا الخلاف ليس على المسؤولية بقدر ما هو تهرب منها لثقلها، وأصبحت الثورة بدون قيادة موحدة، وهي في أوج قوتها وانتصاراتها،⁽⁶⁸⁾ ونتيجة لهذا الفراغ في القيادة، والخلاف بين القادة ظهرت المجموعات الانفصالية التي عرفت خلال الثورة بـ "المشوشين".

تسارعت وتيرة هذه الخلافات بعد إجتماع الصومام في 20 أوت 1956، حيث رفضت قيادة الولاية التاريخية قراراته جراء غياب ممثليها عن الحضور، ويذكر الرائد مصطفى مراردة أن بعض قيادات المناطق من الولاية الأولى لم يكونوا يعترفون بقرارات إجتماع الصومام، وأن هذه القيادات لم تستطيع أن تتوحد حول قيادة واحدة لأنها تفتقد إلى شخصية تجمع حولها الأراء، وأن الشخصيات التي كان يمكن أن تتبوأ مركز القيادة كانت محل إتهام بقتل شيحاني بشير، ومصطفى بن بولعيد، إضافة إلى أنهم كانوا مسؤولي أفواج وأصبحوا بفعل نشاطهم قياديين.⁽⁶⁹⁾

وعلى الرغم من تمردهم إلا أنهم لم يتخلفوا عن مواجهة قوات العدو الاستعمارية، ولم يصل بهم الأمر إلى درجة الخيانة والعمالة مع العدو الفرنسي على الرغم من أنهم ظلوا يُشكّلون خطرا داهما على قيادة الولاية الأولى والقيادة العليا للثورة في الخارج.⁽⁷⁰⁾

وبتعيين العقيد محمود الشريف قائدا للولاية الأولى بتونس في منتصف عام 1957، لم يتمكن من تسوية مشكلة المشوشين الذين زاد عددهم عن 700 شخص،⁽⁷¹⁾ بسبب اللجوء إلى استعمال القوة في معالجة مشكلة التمردات في الأوراس والمنطقة الشرقية، وما زاد في تأزم العلاقة بين قادة الأوراس والقيادة في الخارج هو اعتراضهم على تعيين محمود الشريف قائدا للأوراس كتعبير علني عن رفض الهيئات المنبثقة عن الصومام.⁽⁷²⁾

وبعد تولي العقيد الحاج لخضر قيادة الولاية الأولى، قام بدور كبير يحسب له في تسوية قضية المشوشين، خاصة وأنه ابن المنطقة، ومن الرعيل الاول الذي فجر الثورة في الأوراس، ويعرف كيف يتعامل مع ابنائها، ولذلك قام بالاتصال بقادة المنشقين مستعملا في ذلك إجراءات توفيقية لاسترجاعهم للشرعية الثورية، وتمثلت هذه الاجراءات في دفع منح عائلية ومساعدات عينية إلى عائلات المنشقين، ونجح بذلك الحاج لخضر في استرجاع عدد لا بأس به منهم، قدر بحوالي خمسمائة منشق إلى الشرعية كان قد توجه حوالي مائة منهم إلى الولاية السادسة، وطلب بعضهم منهم التعيين في مناطق المعارك لقتال العدو، وانتشرت البقية في مناطق الولاية، في حين استعمل الحاج لخضر مع بقية المتمردين- الذين رفضوا الحوار- الأسلوب العسكري حيث جند كامل قوته، ونجح في محاصرتهم وتفريقهم، ولتهدئة الأوضاع عرض الحاج لخضر الترقية على

قائدهم لكنه رفض، وذلك لوقوعه تحت تأثير المشوشين، واستمر حتى نهاية التشويش في منطقة الأوراس.⁽⁷³⁾

يذكر في السياق نفسه الرائد مصطفى مراردة ان الحاج لخضر حاول القضاء على مشكل المشوشين، وذلك بالاستعانة بكتائب من الولاية الثالثة، وهي عبارة عن فيلق متكون من ثلاثة كتائب، وشرعوا فور وصولهم في معالجة هذه القضية،⁽⁷⁴⁾ وبعد استدعاء الحاج لخضر إلى تونس بادر هذا الأخير بإقامة هُدنة مع قادة المشوشين، واستخلف نائبه مصطفى مراردة الذي استطاع في وقت لاحق أن ينهي قضية المشوشين في المنطقة، مستعملا نفس طريقة الحاج لخضر التي اثبتت فعاليتها، والتي تتمثل في الجمع بين أسلوب المواجهة والحوار،⁽⁷⁵⁾ وبذلك يكون الحاج لخضر قد تمكن بحنكته وذكائه وحبه واخلاصه لوطنه، من حل اخطر مشكلة واجهتها الثورة في المنطقة.

12- مشاركته في اجتماع العقلاء العشرة بتونس 1959 ومؤتمر طرابلس ديسمبر 1959 جانفي 1960: شهدت الولاية الأولى التاريخية خلال عامي 1958-1959، تدهورا خطيرا بسبب مخططات ديغول العسكرية للقضاء على الثورة، مستعملا في ذلك كل الوسائل المتاحة العسكرية منها والاقتصادية التي تركت آثارا سلبية أرهقت الثورة كثيرا في المنطقة.

فقد كشف ديغول عن استراتيجيته التي تحمل مزيجا من المخططات، منها الاقتصادية لإغراء السكان، وأخرى عسكرية قمعية لضرب الثورة، وتمثلت هذه الأخيرة في سلسلة من العمليات العسكرية أُطلقت عليها تسميات مختلفة، منها عملية الشرارة في الأوراس التي حاول من خلالها القضاء على الثورة وإضعاف جيش التحرير في الولاية الأولى أوراس النمامشة.⁽⁷⁶⁾

ومن بين المشاكل التي كانت تعاني منها الولاية الأولى في هذه الفترة:

- نقص حاد في التموين بالمؤونة واللباس.
- نقص السلاح والذخيرة الحربية.
- انطلاق العمليات العسكرية الكبرى للجيش الفرنسي في المنطقة.
- صعوبة الاتصال فيما بين مناطق الولاية.
- عدم إنهاء مشكلة المشوشين.⁽⁷⁷⁾

وفي هذا السياق يصف علي كافي هذه الأوضاع بالمقلقة والمخيفة، أين كان جيش التحرير الوطني معزول بحسبه ومهمل، ولكنه كان يقاوم بكل شجاعة جعلته يستعيد زمام المبادرة شيئاً فشيئاً.⁽⁷⁸⁾ في الوقت الذي كانت فيه الحكومة المؤقتة تتخبط في أزمة إثر استقالة لمين دباغين، ولذلك توصلت القيادة الثلاثية (الباءات الثلاثة) لتنظيم اجتماع العقداء العشرة لإعادة الشرعية لمؤسسات الثورة والتحكم في الخلافات الداخلية.⁽⁷⁹⁾

خلال هذه الأوضاع أُستدعي الحاج لخضر قائد الولاية الأولى التاريخية لحضور اجتماع قادة الأركان شرق وغرب وعقداء الولايات بالحدود التونسية الجزائرية، وذلك لدراسة المشاكل التي تعاني منها الثورة بالداخل وتقديم تقرير عن الأوضاع بالولاية، وقبل مغادرته كلف مصطفى مرادة بتولي قيادة الولاية مكانه، وفعلاً تمكن الحاج لخضر من العبور إلى تونس والمشاركة في الاجتماع.⁽⁸⁰⁾

ويعلق الطاهر زبيري على التحاق الحاج لخضر بالأراضي التونسية بقوله: "عندما وصل الحاج لخضر، فإن سي ناصر (قائد أركان الشرق) قال لنا: "لقد قدم عليكم اليوم شخص من أرض الجنة، يجب علينا جميعاً أن نذهب لاستقباله" وكان في استقباله موسى حواسنية، ومحمد آيتسي.⁽⁸¹⁾

غير ان بعض المصادر ذكرت أن استدعاء الحاج لخضر كان بغرض محاكمته على خلفية مؤتمر عقداء الداخل، إلا أنه بعد استشهاده عميروش وسي الحواس و امحمد بوقرة تم طي القضية.⁽⁸²⁾

قبل عقد الاجتماع شكّلت لجنّتان: الأولى لوضع مشروع برنامج، والثانية لإعداد قوانين أساسية للجبهة، وبعد أخذ ورد اتفق الباءات الثلاثة على مشاركة عشرة عقداء وهم: الوزراء الثلاثة (كريم وبوصوف وبن طوبال)، وقائدا هيئتي الأركان الشرقية والغربية، "محمدي السعيد، وهواري بومدين"،⁽⁸³⁾ وممثلا الولايات الخمس وهم: الحاج لخضر عبيدي (الأولى)، وعلي كافي (الثانية)، وسي السعيد يازوران (الثالثة)، وسليمان دهيليس (الرابعة)، والعقيد لطفى (الخامسة)،⁽⁸⁴⁾ ومن هؤلاء العشرة قَدِمَ إثنان فقط من الداخل، وهما الحاج لخضر وعلي كافي⁽⁸⁵⁾ وهي نفس التشكيلة التي ذكرها علي كافي في مذكراته،⁽⁸⁶⁾ والملاحظ في هذا الاجتماع هو غياب وفد الولاية السادسة.⁽⁸⁷⁾

أعتبرت هذه الصيغة بأنها الأنسب لتحقيق المساواة بين الولايات، واحداث التوازن في الاجتماع المقبل⁽⁸⁸⁾ بتونس في 11 أوت 1959، وكان فرصة لكريم بلقاسم ليعبر عن طموحه لتقمص الرقم الأول في قيادة الثورة، نظرا لاعتبارات تاريخية،⁽⁸⁹⁾ ورغم ذلك تجاوز العقء الأزمة الحكومية الشائكة، والتمهيد لاجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية، بإعداد جملة من المقترحات التي أعطت للثورة دفعة قوية ونفسا جديدا.⁽⁹⁰⁾

13. موقف الاستعمار الفرنسي من نشاط الحاج لخضر: استعملت الإدارة الاستعمارية الفرنسية كل الطرق السياسية والعسكرية، والحرب النفسية والدعائية بغية القضاء على الثورة في مهدها، والقضاء على مفجريها، ومن أبرز هذه الوسائل هي إنشاء فرق الاستخبارات، ومراكز الشؤون الادارية المتخصصة SAS، والتي كانت تقوم بالبحث والتحري عن قادة الثورة، ومحاصرتهم في المناطق الجبلية، ومن بينهم الحاج لخضر وعلي النمر، وكان ذلك في الفترة الممتدة من 1955 - 1958، حيث أقامت فرنسا العشرات من مراكز الشؤون الادارية المتخصصة في منطقتي الاوراس، ومنها مراكز اشمول، بوحمامة، باتنة، أريس، مروانة تيمقاد وثنية العابد، وغيرها من المراكز.⁽⁹¹⁾

ومن الاجراءات التي قامت بها السلطات الاستعمارية هي تكثيف العمليات العسكرية، وتمشيط المناطق الجبلية وقنبلة القرى والمداشر، والبحث عن المجاهدين والمتعاونين مع جيش وجبهة التحرير الوطني، وقامت باعتقالات واسعة شملت مجموعة من المناضلين والمجاهدين.⁽⁹²⁾

واعتمدت السلطات الاستعمارية على الحرب السيكلوجية وتجنيد العملاء، وانشاء فرق الحركي، باعتبارهم اكثر معرفة بالسكان، وبعناصر جيش وجبهة التحرير الوطني ومجاهدي الثورة التحريرية.⁽⁹³⁾

بالرغم من كل ما قامت به السلطات الاستعمارية، من استراتيجيات للقضاء على الثورة ومحاصرتها في منطقة الاوراس، إلا انها فشلت في ذلك، واستمرت الثورة بقيادة رموزها من المجاهدين أمثال الحاج لخضر، في مجابهة العدو الفرنسي، والحاقه المزيد من الخسائر والهزائم في العديد من المواقع في اثناء مسار الثورة المباركة، وتقديم الكثير من التضحيات في سبيل استقلال الجزائر.

الختامة:

ينتمي الحاج لخضر الى منطقة الاوراس، نشأ في اسرة فقيرة عايشت الحرمان والمعاناة كبقية الجزائريين، بسبب الاستعمار الفرنسي، مما جعله يتأثر بالفكر التحرري لحزب الشعب الجزائري، ويخوض غمار النضال السياسي في صفوف الحركة الوطنية بمنطقة الاوراس، ويصبح واحدا من ابرز عناصرها ويبدل كل جهوده في التحضير للثورة المسلحة في المنطقة، والعمل بكل جهد وتفاني على انجاحها.

يعتبر الحاج لخضر من القادة التاريخيين الذين يتميزون بصفات اخلاقية رفيعة، جعلتهم يكونون محل ثقة واحترام من كل افراد الشعب، فقد كان الحاج لخضر مواطنا صالحا، ومناضلا مخلصا في سبيل قضيته الوطنية، وكان رجلا مؤمنا صادقا وشهما، كريما متواضعا، وكان من الاوائل الذين شاركوا في عمليات ليلية اول نوفمبر المجيدة.

ساهم الحاج لخضر بكل صبر وثبات في حل الخلافات القائمة بين الاخوة القادة في الاوراس، لما كان يتمتع به من ثقة ومصداقية واحترام، وبفضل إيمانه القوي وإخلاصه لدينه ووطنه وحنكته السياسية العسكرية، شارك في عدة عمليات عسكرية ومعارك ضارية، دارت رحاها في المنطقة الاولى ضد قوة العدو العسكرية المتفوقة عددا وعتادا، والحقوا بها خسائر كبيرة وهزائم نكراء في العديد من المواقع.

شارك الحاج لخضر بكل فعالية بصفته قائدا للولاية الاولى التاريخية في كل المناسبات والاجتماعات، والمساهمة بكل فعالية الى جانب إخوانه من القادة في ايجاد الحلول للمشاكل التي تعاني منها الثورة، والعمل بكل جهد على استمراريتها، سواء في الداخل او في الخارج.

رغم كل ما قامت به من مخططات عسكرية، وممارسات قمعية، فقد فشلت السلطات العسكرية في القضاء على الثورة، في منطقة الاوراس، وذلك بفضل عزيمة وقوة الرجال من امثال الحاج لخضر ورفاقه، الذين استماتوا في الدفاع عن الجزائر، وتقديم التضحيات الجسام من اجل استقلال الجزائر.

الهوامش:

1. تابلت عمر؛ وين فليس صالح، العقيد الحاج لخضر قائد الولاية الأولى التاريخية في الجهاديين، مطبعة عمار قرفي وشركائه، باتنة، الجزائر، 2012، ص، 100.
2. الطاهر حليس، قيسات من ثورة نوفمبر 1954 كما عايشها العقيد الحاج لخضر قائد الولاية الأولى، شركة الشهاب للطباعة والنشر، الجزائر، ص، 15.
3. مدينة فرنسية تبعد عن باريس بحوالي 100 كلم
4. الطاهر حليس، المصدر نفسه، ص، 16.
5. المصدر نفسه، ص، 19.
6. تابلت عمر؛ بن فليس صالح، المرجع السابق، ص، 10.
7. بن زروال جمعة، "النضال العسكري للمجاهد الحاج لخضر في مدينة باتنة وجبال الأوراس 1954-1956"، مداخلة في الندوة التاريخية عن المجاهد، محمد الطاهر عبيدي- الحاج لخضر- كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة 1، 2018.
8. تابلت عمر؛ بن فليس صالح، المرجع السابق ص 11.
9. الطاهر حليس، المصدر السابق، ص، 22.
10. نفسه، ص، 29.
11. عمر تابلت؛ بن فليس صالح، المرجع السابق، ص، 12.
12. جمعة بن زروال، المرجع السابق، ص، 4.
13. عمر تابلت، الأوفياء يذكرونك يا عباس، مطبعة عمار قرفي وشركائه، باتنة، 2011، ص، 24.
14. الطاهر حليس، المصدر السابق، ص، 38.
15. نفسه، ص، 55.
16. عمر تابلت؛ الصالح بن فليس، العقيد الحاج لخضر قائد الولاية الأولى التاريخية في الجهاديين، مطبعة قرفي، باتنة، الجزائر، 2012، ص، 22.
17. عبد الوهاب عثمان، "التحضير للثورة وتكوين الأفواج"، معالم بارزة في ثورة نوفمبر 1954م، الملتقى الوطني للثورة الأولى بباتنة 1989م، قرفي للطباعة، باتنة، الجزائر، ص، 1992، ص، 91.
18. لخضر وصيفي، شهادة مسجلة في قرص مضغوط، تم الاستماع تاريخ 22 فيفري 2016، المتحف الوطني للمجاهد، باتنة.
19. عمر تابلت؛ الصالح بن فليس، المرجع السابق، ص، 23.
20. للمجاهد محمد بيوش، شهادة شفهوية مسجلة في قرص مضغوط: تم الاستماع لها يوم 12 فيفري 1017، المتحف الوطني للمجاهد، باتنة.
21. ولد في 14 جانفي 1926 بإشمول، حفظ القرآن الكريم، دخل السجن بسبب اكتشاف الأسلحة في بيته، خرج من السجن وعمل مسبل مع عثمان مزيطي، ألقى عليه القبض وعذب أشد العذاب وأعدم بدوفانة على يد الحركة سنة 1958م. ينظر، شهداء منطقة الأوراس، ج4، جمعية رواد مسيرة الثورة في الأوراس، باتنة، 2008، ص، 66.
22. بن زروال جمعة، المرجع السابق، ص، 6.
23. محمد العربي مداسي، المرجع السابق، ص، 17.
24. تابلت عمر؛ بن فليس صالح، المرجع السابق، ص، 25.
25. تابلت عمر، المرجع السابق، ص، 27.
26. نفسه، ص، 33.
27. نفسه، ص، 34.
28. الطاهر حليس، المصدر السابق، ص، 101.

29. متحف المجاهد باتنة، ملخص لبعض المعارك بالولاية الأولى التاريخية، 1954-1962، اللجنة الوطنية لإحياء الأعياد والأيام الوطنية لولاية باتنة، (د.د.ط) (د.ب.س) الجزائر، ص، 1.
30. عمار ملاح، المصدر السابق، ص، 177.
31. مصطفى مرادة، شهادات ومواقف من مسيرة الثورة في الولاية الأولى، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص، 43.
32. مصطفى مرادة، المصدر السابق، ص، 58.
33. نفسه، ص، 58.
34. تابليت عمر؛ بن فليس صالح، المرجع السابق، ص، 88.
35. تابليت عمر، المرجع نفسه، ص، 99.
36. الطاهر حليس، المصدر السابق، ص، 159-163.
37. المصدر نفسه، ص، 164.
38. الطاهر زبيري، المصدر السابق، ص، 211.
39. مصطفى مرادة، المصدر السابق، ص، 101.
40. ولد في 05 ماي 1929م بمدينة تلمسان، انخرط في صفوف الثورة في 1955م، وفي 1957 عين قائدا للولاية الخامسة، شارك في اجتماع العقدة العشرة في 1959، أسستهد في 27 مارس 1960، ينظر: يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، (د، ط) دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2008، ص- ص : 163، 177.
41. محمد شبوب، اجتماع العقدة العشرة من 11 أوت إلى 16 ديسمبر 1959م ظروفه، اسبابه وانعكاساته على مسار الثورة، (ط1)، دار نزار أنفو للنشر والتوزيع ن اب الزوار، الجزائر، 2013، ص 45.
42. الطاهر حليس، المصدر السابق، ص، 164.
43. محمد عباس، الثورة الجزائرية نصر بلا ثمن، المرجع السابق، ص- ص : 468-469.
44. جمال قنديل، خط موريس وشال على الحدود الجزائرية التونسية والمغربية، وتأثيرهما على الثورة الجزائرية 1957-1962، (ط، 1)، دار الضياء للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص، 100.
45. محمد عباس، المرجع نفسه، ص، 469.
46. الطاهر زبيري، المصدر السابق، ص، 211.
47. علي كافي، مذكرات الرئيس على كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري، 1946-1962م، (د، ط) دار القصبه للنشر، الجزائر، ص، 140.
48. محمد عباس، المرجع السابق، ص- ص : 469-470.
49. المرجع نفسه، ص، 4.
50. جمال قنديل، المرجع السابق، ص، 101.
51. علي كافي، المصدر السابق، ص، 140.
52. محمد زروال، المرجع السابق، ص، 358.
53. الطاهر حليس، المصدر السابق، ص، 165.
54. محمد شبوب، المرجع السابق، ص، 47.

55. محمد زروال، المرجع السابق، ص، 361.
56. مصطفى بن عمر، المصدر السابق، 233.
57. الحاج لخضر، المصدر السابق، ص، 167.
58. مصطفى بن عمر، المصدر نفسه، ص، 234.
59. محمد زروال، المرجع نفسه، ص، 361.
60. نفسه، ص، 164.
61. ولد في 19 مارس 1930، حفظ القرآن الكريم في الكتاب، تأثر بمجاز 8 ماي 1945، إنخرط في صفوف ح، ح، إ، ح، د، ف، من سجن الجرف سنة 1955 وانضم إلى الثورة، خاض عدة معارك ضد العدو الفرنسي، خلف علي النمر في قيادة الولاية بالنيابة، أستشهد في معركة عالي الناس في أكتوبر سنة 1959م، ينظر: المتحف الوطني للمجاهد، من أمجاد الجزائر، المرجع السابق، ص 1.
62. عمر تابليت ؛ صالح بن فليس، المرجع السابق، ص- ص : 50-51.
63. العقيد الحاج لخضر، المصدر السابق، ص، 102، 103.
64. المجاهد بلقاسم خرشوش، في مقابلة اجريت معه في بيته بمروانة، في افريل 2017.
65. شهادة المجاهد لحسن دماغ، " شهادات مجاهدين من عاصمة الاوراس، "تحقيقات، موقع يومية النصر الاخبارية، على الرابط: <https://www.annasronline.com/index.php/2014-08-09-10-34-22/2015-02-28-10-46-25/99291-56> تاريخ الزيارة 2020/03/31، على الساعة 01:06
66. الصالح بن أحمد، مذكرات المجاهد السعيد بن احمد "المدعو الحاج لخضر ج"، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2017، ص، 94.
67. علي مزوز، المصدر السابق، ص، 89.
68. محمد الطاهر عزوي، المرجع السابق، ص، 50.
69. مصطفى مرادة، المصدر السابق، ص- ص : 72-73.
70. عبد النور خيثر، المرجع السابق، ص، 245.
71. محمد زروال، المرجع السابق، ص، 344.
72. عبد النور خيثر، المرجع نفسه، ص، 249.
73. محمد العربي مداسي، المصدر السابق، ص، 256.
74. مصطفى مرادة، المصدر السابق، ص، 102-103.
75. محمد عباس، المرجع السابق، ص، 498.
76. مصطفى بن عمر، المصدر نفسه، ص، 237.
77. مصطفى مرادة، المصدر السابق، ص- ص : 112-113.
78. علي كافي، المصدر السابق، ص، 257.
79. السعيد بلخرشوش، المصدر السابق، ص، 447.
80. عمر تابليت ؛ صالح بن فليس، المرجع السابق، ص، 134.
81. محمد زروال، المرجع السابق، ص، 362.
82. عبد النور خيثر، المرجع السابق، ص، 254.

83. صالح بلحاج، تاريخ الثورة الجزائرية، (دط) دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2008، ص، 644.
84. محمد عباس، المرجع السابق، ص، 475.
85. صالح بلحاج، المرجع السابق، ص، 644.
86. على كافي، المصدر السابق، ص، 253.
87. محمد زروال ، إشكالية القيادة في الثورة، المرجع السابق، ص، 413.
88. المرجع نفسه، ص، 467.
89. محمد عباس، المرجع نفسه، ص، 477.
90. محمد عباس، نصر بلائمن، المرجع السابق، ص، 477.
91. جمعة بن زروال، المرجع السابق، ص، 10.
92. تابليت عمر؛ بن فليس صالح، المرجع السابق، ص، 29.
93. عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، ط1، ج2، دار البعث، الجزائر، ص 110.

شخصية الشهيد حيحي المكي من خلال إدارته وقيادته
للمنطقة الأولى بالولاية الأولى التاريخية

ط.د. صالح دراجي
جامعة عنابة

مقدمة

اندلعت الثورة الجزائرية، أو ثورة المليون ونصف المليون شهيد في أول نوفمبر 1954 ضد المستعمر الفرنسي، ودامت 7 سنوات ونصف، لقد كان هدف هذه الثورة هو الاستقلال التام والحرية والانعقاد من عبودية المستعمر، وليس هدفه إجراء إصلاحات، أو تحسين الأوضاع الاجتماعية أو المطالبة بالمساواة مع الفرنسيين في الحقوق والواجبات، إن انطلاق الثورة جاء تتويجا لعشرات السنين من النضال السياسي بعد أن اتضح جليا وتبلورت الفكرة في أذهان الشعب الجزائري من أنه لا جدوى من المطالبة بالاستقلال عن طريق السياسة، وأن فرنسا مصممة على اعتبار الجزائر جزء من ترابها، وخير دليل على ذلك تلك المجازر التي ارتكبتها في حق الجزائريين في مظاهرات الثامن ماي 1945، في غمرة الاحتفالات بانتصار الحلفاء على النازية، لتضاف إلى سجلها الحافل بالجرائم البشعة ضد الإنسانية، والتي اقترفها سفاحوها ضد الشعب الجزائري.

لقد صدقت مقولة الشهيد العربي بن مهيدي يوم أن قال كلمته التاريخية "أرموا بالثورة إلى الشارع وسيحتضنها الشعب"، فهب الشعب الجزائري إلى احتضان الثورة بمجرد أن علم باندلاعها.

سارعت قوافل من الأرياف والمدن إلى تلبية نداء الواجب، ومن مختلف الأطياف من الفلاحين، ومن العمال أصحاب الحرف البسيطة، ومن معلمي القران والطلبة بمختلف مستوياتهم وغيرهم إلى التجنيد وحمل السلاح، وغالبيتهم الغالبة لا دراية لهم لا بضنون الحرب ولا بقواعد التنظيم العسكري، فالقليل منهم من أدى الخدمة العسكرية الإجبارية، أو شارك في الحرب العالمية الثانية أو في حرب الهند الصينية.

ففي هذا الموضوع؛ ونحن نتكلم على مختلف الفئات التي لبت نداء الفاتح من نوفمبر 1954 نتطرق إلى دراسة شخصية تنتمي إلى طائفة لا يستهان بها، وبدورها الفعال الذي قدمته للثورة، إنها شريحة الطلبة الذين تجسدت لديهم فكرة التحرر من الاستعمار، وترعرعت في أذهانهم قبل اندلاع الثورة المباركة أي أيام الحركة الوطنية، هذه الشخصية هي الشهيد حيحي المكي أحد قادة المنطقة الأولى من الولاية الأولى التاريخية الأوراس-الناماشة-

تتجلى أهمية الموضوع في أن هذه الشخصية لم تتعرض إلى الدراسة، وظلت مجهولة ولا تعرف إلّا بالاسم فقط، فأغلب الكتابات التاريخية المتعلقة بموضوع الثورة الجزائرية إذا تعرضت إلى هذه الشخصية فإنها تكتفي بالإشارة إليها بذكر تاريخ الميلاد وتاريخ الاستشهاد، مصحوبة ببعض العبارات والجمل العامة، والتي ألفت استعمالها في التعريف بجميع الشهداء والمجاهدين.

تهدف هذه الدراسة أيضا إلى تصحيح بعض ما نشر حول هذه الشخصية من أخطاء ناجمة عن عدم التعمق في البحث، فإذا كان الخطأ يطال مثل هذه الشخصية فما بالك ببقية المجاهدين والشهداء الذين لم يتبؤوا مسؤوليات ولا يعرف عنهم سوى كونهم مجاهدين بسطاء في الكتائب والأفواج.

كما يهدف هذا البحث إلى تدعيم الباحثين والطلبة بموضوع اعتمد في انجازه على المصادر الأولية، وبالخصوص شهادات أولئك الذين عرفوا الشهيد حيحي المكي عن قرب، وكذا ما تم جمعه حول منطقتة من وثائق استحوذ عليها الجيش الفرنسي عقب استشهاد.

إن الإشكالية التي نطرحها في هذا الموضوع هي معرفة مدى تأثير الثقافة الواسعة للشهيد في تنظيم وتسيير المنطقة الأولى من الولاية الأولى التي كان عضوا سياسيا بها ثم قائدا لها برتبة نقيب، وللإلمام بدراسة الشخصية الثورية للشهيد حيحي المكي فقد ارتأينا أن نتناوله وفقا للمحاور التالية:

المحور الأول: التعريف بهوية الشهيد وعائلته ومساره الدراسي، ونشاطه الوطني ضمن الوسط الطلابي، وظروف اعتقاله وهروبه من معتقل الجرف، وأخيرا التحاقه بجيش التحرير الوطني إلى غاية استشهاده.

المحور الثاني: دراسة شخصية الشهيد من خلال وثائقه، والتي تبرز المساهمة الهامة في تنظيم وتأطير وتسيير المنطقة الأولى من الولاية التاريخية الأولى.

المحور الثالث: شهادات بعض المجاهدين الذين عملوا بالقرب من الشهيد وتحت إمرته.

1. المولد والنشأة:

ولد الشهيد حيحي المكي في 25 أكتوبر 1932 بعين البيضاء ولاية أم البواقي "حاليا"، من أبوين هما لمين Lamine (شهيد سقط في مظاهرات 8 ماي 1945 بسوق الاثنين ببجاية وكان عاملا في البريد ولا يعلم له قبر إلى اليوم)، ولوصيف حدة (توفيت في جويلية 2007).

و للشهيد حيحي المكي أربعة إخوة هم جمال، محمد، بشير وعبد المجيد.

فأما أخوه عبد المجيد فهو شهيد، مولود بتاريخ 25 أوت 1936 بعين البيضاء، مناضل في خلايا جبهة التحرير الوطني بقسنطينة عندما كان طالبا في ثانوية أومال Lycée d'Aumale، التي تحمل اليوم اسم Lycée Rédha Houhou، تجند في 10 مارس 1956 رفقة عبد العزيز قارة (مسؤول مركز الزيتون بتونس خلال الثورة ودبلوماسي لاحقا) وعبد العزيز زرداني (وزير سابق للعمل والشؤون الاجتماعية)، وعمل الثلاثة رفقاء "حيحي عبد المجيد وعبد العزيز قارة وعبد العزيز زرداني" في إدارة الولاية الأولى تحت قيادة المرحوم عاجل عجول، وسقط عبد المجيد شهيدا بين يدي صديقه زرداني في معركة ضد الجيش الفرنسي بنواحي بلدية قايس في ماي 1956، بينما تحول الصديقان الآخران فيما بعد إلى مقرات قيادة الثورة بتونس.

أما الأخ الرابع حيحي بشير، فهو مجاهد من مواليد 1934 بعين البيضاء زاول دراسته في الثانوية المذكورة، وهو أيضا مناضل في جبهة

التحرير الوطني ضمن الخلايا الطلابية، التحق بالثورة في صفوف جيش التحرير الوطني بالولاية التاريخية الأولى عقب إضراب الطلبة في 19 ماي 1956، وهو أيضا من المثقفين، وأحد كتاب المجاهد المرحوم عبد الله بلهوشات (عضو مجلس الولاية الأولى ولواء متقاعد، توفي في 16 سبتمبر 2003). بعد الاستقلال شغل مدير جهوي لسونلغاز، ولا يزال على قيد الحياة، ويقيم حاليا بالجزائر العاصمة.⁽¹⁾

تربى الطفل حيحي المكي وسط أسرة متواضعة بمدينة عين البيضاء، وبها حفظ ما تيسر له من القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية ثم انتقل إلى مدرسة قسنطينية ((La médersa de Constantine والتي تحول اسمها في سنة 1951 إلى اسم الثانوية الفرونكو — إسلامية Lycée F ranco-Musulman de Constantine، وتحمل اليوم اسمه، وبها نال شهادة البكالوريا، وهي شهادة عالية في ذلك الوقت اعتبارا للظروف القاسية التي كانت عليها غالبية العائلات الجزائرية، وحرمان أبنائها من حقهم في التعليم .

2. نضاله في الحركة الوطنية ضمن صفوف الطلبة

عمل الشهيد في نفس الثانوية كمراقب للداخلي maître d'internat، ففي شهادة لأحد أصدقائه ورفاقه في الدراسة الثانوية الأستاذ علي بدوحن⁽²⁾ المقيم حاليا بجيجل يقول : "أن حيحي المكي اتخذ من الثانوية منطلقا لنشر الأفكار الوطنية والنضالية بين صفوف الطلبة لكونه كان مناضلا ومنضويا في خلايا الـ MTL، ثم بعدها في المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني، وقد تشبع بهذه الأفكار، والتي استمدتها من احد كبار الحركة الوطنية وابن بلدته المجاهد المرحوم بلقاسم زيناوي، المعروف بالشيخ بلقاسم البيضاءوي".

ويقول نفس الشاهد: "إننا كنا نتابع الأحداث وما يدور في الساحة السياسية من أخبار وبالخصوص ما يتعلق بوضعنا السياسي فنتبادل الأفكار والآراء، ونستمع إلى ما يصلنا من أخبار من مدننا بحكم أننا من مدن مختلفة بالشرق الجزائري وموزعين عبر مدارس قسنطينية (الثانويات، معهد بن باديس، الكتانية)، ولهذا فان تجمعاتنا هذه غالبا ما تتم في مقاهي معينة ألف الطلبة على التردد عليها، فكانت مجمعا لنا

وخاصة أيام العطلة الأسبوعية، أو خلال حصول الطلبة الداخليين على إجازة للخروج، وهذه اللقاءات يختتمها المكي دائما بتوجيهات إلى الطلبة الثانويين بضرورة الالتزام، والالتفاف حول القضية الوطنية المتمثلة في تحريرنا من عبودية الاستعمار واسترجاع سيادتنا وحریتنا".

أما المجاهد عبد الرزاق بوحارة،⁽³⁾ فيشيد في مذكراته منابح التحرير، Les viviers de la libération، بالدور الفعال لحيحي المكي في الوسط الطلابي منذ دخوله إلى المرحلة الثانوية، غير ان نشاطه برز أكثر من ذي قبل انطلاقا من سنة 1953، والذي توج بتأسيس جمعية طلابية في سنة 1954 هي : جمعية الشبيبة الطلابية الإسلامية بقسنطينة (A.J.E.M.C)، وتسمى بالفرنسية بـ :

L'Association de la Jeunesse Etudiantine Musulmane Constantinoise وهذه الجمعية مع نظيرتها بالعاصمة (A.J.E.M.A)، والتي كانت تضمان الثانويات والمعاهد هي الأكثر حماسا من غيرها من التنظيمات الطلابية المتواجدة في ذلك الحين، والتي تتنازعها الايديولوجيا بحددة، ولهذا فان لهاتين الجمعيتين الفضل فيما بعد في أن تكونا أصلا ونواة لتأسيس الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين- الايجيما UGEMA- الذي تأسس بتاريخ 14 جويلية 1955.

تم اعتماد الجمعية المذكورة من قبل السلطات الاستعمارية على شرط أن تكون جمعية غير سياسية، وكان يشرف عليها كل من حيحي المكي، وعلي عبد اللاوي (سفير سابق)، علي لحضاري (سفير سابق) وفضيلة سعدان (استشهدت في 17 جوان 1960 بقسنطينة)، وعبد الحق قويسم (استشهد في 16 مارس 1960 بنواحي الزويت بولاية سكيكدة)، وأصدرت الجمعية نشرية سمتها المسار الطلابي (L'essor Etudiantin)، ولم تكن تعرف مصالح الأمن أن هذه الحركة هي من مبادرة الـ MTLD. وبالرغم من أن هذا التنظيم لم يعمر طويلا إلا انه استطاع أن يفرس الأفكار الوطنية في الوسط الطلابي.⁽⁴⁾

وباندلاع الثورة تكون هذه الأفكار قد عرفت انتشارا واسعا، فأصبح الطالب عندما يخاطب زميله بكلمة "راني خوك"، فيرد عليه الآخر "خوك

في الجبل" بمعنى أن الأخوة الحقيقية في الجبال مع جيش التحرير الوطني ALN .

تحرك في خريف سنة 1955 الوسط الطلابي بقسنطينة، وعلى رأسهم حيحي المكي باتخاذ مواقف جذرية لا رجعة فيها، كان ذلك بمناسبة الدخول المدرسي عقب المجازر الرهيبة التي ارتكبتها الاستعمار في حق المواطنين العزل، وما صاحبه من تقتيل جماعي وحرق للمداشر والقرى، وبالخصوص تلك الحشود التي جمعها الجيش الفرنسي وحولها إلى مجزرة في ملعب سكيكدة انتقاما وردا عنيضا على انتفاضة 20 أوت 1955 بالشمال القسنطيني .

أدى التصعيد والغليان الطلابي هذا بالسلطات الفرنسية إلى تشديد رقابتها على الطلبة بل إلى انتهاج أسلوب القمع والمداهمات المختلفة الأشكال، وما تلاها من عمليات الاعتقال والاستنطاقات المصحوبة بمختلف أصناف التعذيب (ومثاله اعتقال الطالب محمد رشيد عمارة بتاريخ 7 ديسمبر 1955، الطالب بلقاسم زور بتاريخ 06 نوفمبر 1955 بوهران، والذي تم العثور على جثته مقتولا بمدينة الجزائر والقائمة طويلة)، ثم الرمي بهم في غياهب السجون والمعتقلات،⁽⁵⁾ وهو ما حدث للطلاب حيحي المكي حيث تم اعتقاله في 15 نوفمبر 1955 بتهمة تهديد الأمن والنظام العمومي، وزج به في معتقل الجرف بالمسيلة.

وهكذا التحق الكثير من الطلبة بالجبال، واستمر الآخرون في النضال الطلابي إلى أن جاء النداء العام الذي وجهته جبهة التحرير الوطني إلى الطلبة في 19 ماي 1956 الداعي إلى الإضراب العام ومقاطعة الدروس والامتحانات وشل حركة الجامعات، وإن كان البيان يحمل أيضا في طياته الدعوة إلى ضرورة ترك مقاعد الدراسة وركب قطار الكفاح المسلح.

وقد كان للشعار "إن الشهادة (الدبلوم) لا تجعل منا جثثا ممتازة" «Avec un diplômé en plus nous ne ferons pas de meilleurs cadavres» الصحوب مع هذا النداء صدى عميقا واستجابة واسعة في صفوف الطلبة، وبالتالي فقد رفض الطلبة الحصول على شهادات من قبل الاستعمار على كاهل جثث الأبرياء من الجزائريين.⁽⁶⁾

والنتيجة انه إذا كانت السلطات الاستعمارية تهدف من وراء فتح مؤسسات التعليم أمام أقلية من الجزائريين لإيهام الرأي العام العالمي بأنها تساوي بين الأهالي والفرنسيين في حق التعليم، فإنها في الحقيقة كانت ترمي إلى الاستحواذ على عقول الطلبة الشباب وإبعادهم عن الأفكار الوطنية خدمة لمصالحها، وهو ما أحبطه وأفشله الشهيد حيحي المكي، وغيره من المناضلين المخلصين، وقد تجلى ذلك فيما بعد بتجنيد الأغلبية الغالبة من الطلبة والذين أصبحوا سندا للثورة ومن إداراتها الكفئة، وهنا يجب التذكير بحقيقة تاريخية وتعتمدها الكثير من المصادر، وهي أن الانخراط في جيش التحرير الوطني كان يلاحظ بين صفوف الطلبة الثانويين أكثر منه من طلبة الجامعات، وقد بدأ انخراطهم قبل إعلامهم ببناء 19 ماي 1956.⁽⁷⁾

3. ظروف اعتقال وإيداع حيحي في معتقل الجرف

بتاريخ 15 نوفمبر 1955 تم إلقاء القبض على الشهيد حيحي المكي عقب النشاطات المكثفة التي ذكرناها في الفقرة السابقة، وبعد استجوابات مطولة مع عناصر الشرطة تقرر نقله من قسنطينة وإيداعه بمعتقل الجرف بالمسيلة لعزله وإبعاده عن الوسط الطلابي.⁽⁸⁾

غير أن إيداعه المعتقل لم يكن له أي تأثير على الأفكار التي تبناها، وأصبحت مبدأ قائما في شخصيته، بل بالعكس فهو يرى انه دخل مدرسة جديدة للنضال، ولكنها من نوع خاص.

ففي شهادة حية لأحد رفاقه في المعتقل، وهو المجاهد مزوز مبارك المدعو بالة زغاد،⁽⁹⁾ يقول: "ان حبسه في معتقل الجرف لم ينقص من قوة عزيمته في شيء بل زاد في إيمانه بقضية وطنه، ولم تشبه الظروف القاسية عن النهج الذي انتهجه في النضال، ولكونه يحسن اللغتين فقد تم انتخابه من طرف المعتقلين ليكون عضوا في المندوبية La délégationou le comité الممثلة للمعتقلين أمام إدارة المعتقل، فكان أحد عناصرها البارزين، وأصبح همزة وصل بين المعتقلين والإدارة متكفلا بانشغالاتهم وبصحتهم وببريدهم، وبتمثيلهم وطرح قضاياهم أمام الإدارة".

لقد كانت السلطات الاستعمارية تهدف من إنشائها للمعتقلات إلى عزل المناضلين الجزائريين، وكل من يشكل خطرا على أمنها

واستقرارها، ولكنها كانت تجهل أن هذه المعتقلات تحولت إلى مدارس لتكوين وطنيين جدد ومركز التقاء الأحرار.

التقى حيحي المكي في معتقل الجرف بمجموعة أخرى من المثقفين أغلبهم من مناضلي الحركة الوطنية، على غرار الشاعر المجاهد محمد بن عبد الله الشبايكي المدعو محمد الشبوكي⁽¹⁰⁾ صاحب رائعة " جزائرنا يا بلاد الجدود"، والطالب محمد الطاهر عرباوي⁽¹¹⁾.

تحول المعتقل إلى رمز للتلاحم والعمل النضالي في مواجهة ما يقوم به ضباط الدعاية الفرنسية، فيقول المجاهد محمد الطاهر عرباوي: "من بين القائمين على إدارة هذه المراكز (المعتقلات) المكلفين بالنشاط النفسي، من ذلك انه في معتقل الجرف عرفنا رائدا فرنسيا من أصل لبناني ويتكلم اللغة العربية بطلاقة ودبلوماسي جيد، فهو لا يمل في محاولاته للاستيلاء على قلوب المعتقلين، غير أن لجنتنا من جانبها كانت بالمرصاد وتواجه ذلك بتدعيم الحس الوطني بسرية تامة"⁽¹²⁾

يقول شاعر الثورة المجاهد محمد الشبوكي الذي القي عليه القبض في فيفري 1956 وأودع بمعتقل الجرف: "تعرضنا في المعتقلات إلى أنواع كثيرة من الممارسات اللاإنسانية، ورغم الموانع التي تفرضها حراسة المعتقل، إلّا أننا كنّا نُؤدي مهمة التعليم بطريقة محكمة وجاءت بنتائجها الطيبة، واستطعنا بذلك أن نُكوّن حركة ثقافية توجيهية قوية، فكانت مرحلة من أتمن مراحل حياتنا في المعتقلات"⁽¹³⁾.

لقد نجح حيحي المكي وهؤلاء المثقفين في تعليم المعتقلين الأميين ونشر الأفكار الثورية والتحريرية عن طريق التوعية السياسية والتحسيسية، والدليل على ذلك أن كل الفارين، أو الذين أفرج عنهم فيما بعد التحقوا مباشرة بجيش التحرير الوطني في الجبال.

4- الفرار من معتقل الجرف

نظرا للظروف القاسية التي تتميز بها المعتقلات عموما، وما يعانيه المعتقلون من تعذيب نفسي وجسدي وانتشارا للأمراض والأوبئة، وغياب ملامح واضحة حول مصيرهم، فقد كانت هذه العوامل محفزا قويا للتخطيط للفرار.

ولكون المعتقل يظم الكثير من المعتقلين من نواحي مختلفة من ربوع الوطن، وبالتالي فإن اختيار من يصلح للفرار عملية صعبة جدا تتطلب التحري والدقة حتى لا تنكشف الخطة.

ففي شهادة موثقة للمجاهد المرحوم يوسف لعلاوي المعروف بالشيخ يوسف يعلاوي،⁽¹⁴⁾ (ضابط جيش التحرير الوطني في الولاية الأولى وأمين عام سابق لمنظمة المجاهدين) يقول: "أن الشهيد حيحي المكي استطاع أن يختار من يراه فعلا مخلصا ومؤهلا للفرار، وذلك باللجوء إلى اختبار المعتقلين بالاعتماد على عدة عوامل من بينها البحث عن أسباب اعتقالهم وتصرفاتهم داخل المعتقل".

وبالتالي فبفضل حنكته وذكائه تمكن من التعرف على شخصية المعتقلين واتجاهاتهم وميولاتهم وعواطفهم، فمنهم من هو من الجواسيس الخونة المخبرين التابعين للعدو ومندس ضمن المعتقلين وهم قلة، ومنهم من هو منساق وراء الدعاية الاستعمارية، ومنهم من لا يهمه الأمر، ومنهم من هو مستعد للتضحية من أجل الوطن مهما كلفه الثمن وهم الأغلبية".⁽¹⁵⁾

فلما أصبحت الظروف مهيأة ومواتية، تقرر تنفيذ عملية فرار جماعية جريئة ومنظمة، لتهريب 50 مناضلا في ثلاثة مواعيد مختلفة، وعلى ثلاثة أفواج (الفوج الأول في جانفي 1956، والفوج الثاني في افريل 1956 والفوج الثالث في جويلية 1956).

كان الشهيد ضمن الفوج الثاني، حيث فر من المعتقل في افريل 1956 رفقة العديد من المعتقلين، من بينهم المجاهدين بوليلة الحاج وسعدان صولي، والتحق بإخوانه المجاهدين في جيش التحرير الوطني في ناحية بوطالب قبل أن تتحول هذه الناحية بعد اجتماع الصومام في 20 أوت 1956 إلى منطقة من مناطق الولاية الأولى التاريخية.⁽¹⁶⁾

تجدد الإشارة هنا الى أن المجاهد عمار ملاح قد جانبه الصواب عندما أدلى بإحدى شهادته إلى مجلة "الجزائر كوم" في عددها الصادر في 04 نوفمبر 2009، حيث أكد: "أن الشهيد حيحي المكي كان من

ضمن الجماعة التي حملت ووزعت نداء الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في 19 ماي 1956، والذي وجهته جبهة التحرير الوطني إلى الطلبة تدعوهم فيه إلى الإضراب العام، ومقاطعة الدروس والامتحانات والالتحاق بركب الثورة، لأن الشهيد حيحي المكي لم يكن في تلك الفترة في الثانوية بل كان محبوسا في معتقل الجرف منذ 15 نوفمبر 1955، بل أكثر من ذلك فقد ورد اسمه في النداء التاريخي المذكور، واشير اليه بعبارة الطالب المنفي،⁽¹⁷⁾ وهذا يدل على المكانة التي يتصدرها في النشاط الطلابي.

يقول عن فراره زميله في المعتقل الأستاذ محمد الطاهر عرباوي: "بخصوص عمليات الفرار مع كل ما تحمله من مخاطر وشجاعة مطلوبة، فإن الفرار الناجح للفقيه حيحي المكي الطالب الثانوي السابق والمشع بالهدوء والغني بالمزاح، الذي دبر عملية فراره سريا، ويبدو أنها ناتجة عن ربطه لعلاقات في سوق المسيلة كونه كان مكلفا بالمشتريات للمعتقل".⁽¹⁸⁾

للعلم فإن المعتقل شهد عمليات فرار متعددة سواء فردية، أو ضمن مجموعات صغيرة سبقت هذا التخطيط ومثالها فرار المجاهد مازوز مبارك المذكور سابقا هو بنفسه رفقة خمسة مجاهدين آخرين، هم، المجاهد احمد بودوحة، صالح دلاندة، برورة عبدالله، عتاسي ابراهيم وبحرية بومعروف.⁽¹⁹⁾

5- التحاقه بجيش التحرير الوطني

في افريل 1956 فرَّ الشهيد حيحي المكي من معتقل الجرف ليلتحق بصفوف جيش التحرير الوطني بنواحي بوطالب، وبصفته كان مناضلا في المنظمة المدنية لجبهة التحرير وبما يتوفر عليه من مستوى تعليمي راق باللغتين العربية والفرنسية، فقد تدرج في عدة مسؤوليات بدأها ككاتب مكلف بالكتابة والتحرير لكونه يحسن اللغة العربية، وهي اللغة المستعملة في الولاية التاريخية الأولى، زيادة على ثقافته باللغة الفرنسية، وعند هيكلة المنطقة الأولى بتعيين محمد عموري المدعو لعموري⁽²⁰⁾ قائدا لها، تم تعيين حيحي المكي عضوا بها كمسؤول سياسي

برتبة ضابط أول، رفقة الحاج لخضر كمسؤول عسكري ويوسف يعلاوي كمسؤول للأخبار والاتصال.⁽²¹⁾

عند التحاق محمد عموري بتونس في بداية سنة 1957 عين مكانه بالنيابة كل من حيحي المكي والحاج لخضر لتسيير أمور المنطقة، إلى غاية أن تمت الموافقة على ترسيم حيحي المكي على رأس المنطقة الأولى بالولاية الأولى التاريخية - أوراس النمامشة - من طرف لجنة التنسيق والتنفيذ بتاريخ 07 ماي 1957 وبرتبة ضابط ثاني (نقيب) جيش التحرير الوطني،⁽²²⁾ وهذه المنطقة تتكون من أربعة نواحي هي: الناحية الأولى باتنة، الناحية الثانية عين التوتة، الناحية الثالثة سطيف والناحية الرابعة بريكة.

عرفت المنطقة الأولى بنواحيها الأربعة نشاطات مكثفة وكثيرة لكتائب جيش التحرير الوطني من معارك وكمان وهجومات واقتحامات واشتباكات وتحطيم للمنشآت الحيوية الفرنسية، هذه العمليات تم تدوينها وتسجيلها في التقارير الخاصة بكتابة تاريخ الثورة بالولاية الأولى خلال الملتقيات التي نظمها الحزب خلال ثمانينات القرن الماضي.⁽²³⁾

كما عرفت المنطقة أيضا أواخر سنة 1956 وأوائل 1957، إعادة تنظيم جيش التحرير الوطني بإنشاء أربعة فيالق يتوزعون على النواحي الأربعة، وتم إنشاء هياكل ومصالح للتموين والعتاد والصحة، وطبع كراسات ودفاتر صغيرة لقواعد النظام الذي يسير المنطقة، كل ذلك تحت إشراف قائدها الشهيد حيحي المكي، والمحاط بضباط ملتزمين وميدانيين من أمثال محمد الطاهر عبيدي المدعو الحاج لخضر، وبإطارات لها باع طويل في الميدان العسكري وذات كفاءة عالية من أمثال المسؤول العسكري للمنطقة الضابط الأول سي صالح نزار الفار من الجيش الفرنسي،⁽²⁴⁾ بشهادة ضباط مجاهدين عملوا تحت إمرة الشهيد حيحي المكي.⁽²⁵⁾

كان الشهيد حيحي المكي من الذين حضروا اجتماع تبيحين (اجتماع ابلقو) بنواحي بني فضالة الذي اعقب استشهاد سي مصطفى بن

بولعيد مباشرة لدراسة الأوضاع، وإيجاد خليفة للقائد التاريخي لمنطقة الأوراس.⁽²⁶⁾

التقى الشهيد حيحي المكي مع العقيد عميروش في أكتوبر 1956، لما جاء إلى الأوراس لتبليغ مقررات إجتماع الصومام، وإجراء الصلح بين القادة المتنازعين وإنهاء الخلافات القائمة بينهم بنواحي سيدي علي بالمنطقة الثانية من الولاية الأولى،⁽²⁷⁾ كما التقاه مرة ثانية، وكان من بين الحضور المرحوم العقيد عمر او عمران بمناسبة نزول وفدا من الأوراس بقيادة محمد عموري في ضيافة مجاهدي الولاية الثالثة بقلعة بني عباس (بلدية ايغيل علي حاليا)، في أواخر شهر ديسمبر 1956،⁽²⁸⁾ مثلما تبينه العديد من الصور المنشورة، والتي تم أخذها كذكرى لتخليد هذا اللقاء الهام الذي عرف سلسلة من الاجتماعات امتدت من 28 ديسمبر 1956 الى 05 جانفي 1957، ترأسها العقيد محمدي السعيد، وتناول الكثير من النقاط الحساسة بالإضافة إلى التعاون المشترك بين الولايتين الأولى والثالثة، واختتم برفع جملة من الاقتراحات إلى لجنة التنسيق والتنفيذ.⁽²⁹⁾

6- استشهاده

نظمت المنطقة الأولى احتفالا كبيرا في أول نوفمبر 1957، بمناسبة الذكرى الثالثة لاندلاع الثورة التحريرية في المكان المسمى البعاطيش بمنطقة بوطالب بحضور كل ضباط المنطقة والكثير من المجاهدين والمواطنين، وفي 22 نوفمبر 1957، عقد آخر اجتماع له مع القادة التابعين له، فأعطى لهم تعليمات ووزع عليهم المهام وأعلمهم بسفره إلى تونس تلبية لاستدعائه من طرف القيادة لحضور اجتماع هام.

بعد هذا الاجتماع افترق الجميع، وبدأ حيحي رحلته، غير أن العدو تظنن إلى هذا التحرك اثر وشاية في بداية الرحلة، فنصب له ولرفاقه في الرحلة كميناً تحول إلى معركة حامية الوطيس، حيث طوقت المنطقة من جميع الجهات بمختلف العساكر ليستقط على إثرها حيحي المكي شهيدا يوم 30 نوفمبر 1957، بمنطقة الخليج شمال شرق مدينة بركة، ويسقط بجانبه الشهيد الضابط الأول صالح عبد الصمد عضو قيادة المنطقة مسؤول الأخبار والاتصال والشهيد سعدان حفاوي المسؤول

السياسي لناحية بريكة،⁽³⁰⁾ والشهيد الطاهر لجودان من برج بوعريريج، وتمكن كل من قادري احمد المدعو احمومة عسكري المنطقة وكتابه من الانسحاب والنجاة، وألقي القبض على أحمد دعاس ومجاهد آخر يدعى الكادوس، وادخلا السجن وهما من أولاد تبان كانا مكلفين بالحراسة.

عندما تم التعرف على الجثة الطاهرة للشهيد حيحي المكي، قدمت له التحية العسكرية من قبل مفرزة فرنسية، ودفن بنواحي بوطالب، وبعد الاستقلال نقلت رفاتة إلى مقبرة الشهداء بمدينة عين البيضاء ولاية أم البواقي.⁽³¹⁾

7- شخصية الشهيد حيحي المكي من خلال الوثائق

نقصد بالوثائق مراسلات الشهيد وبريده ووثائق تسيير المنطقة التي كان على رأسها، والوثائق التي بحوزتنا اغلبها من الأرشيف الفرنسي، هذه الوثائق وقعت بين أيدي القوات الفرنسية عند استشهاده ووجدت في محفظته، والبعض الآخر منها تم جمعه من جهات أخرى وبأساليب مختلفة، وللعلم هذه الوثائق قد تم إرسالها في ذلك الوقت إلى الدائرة المركزية للاتصال والاستغلال بباتنة (CLEC)، والتي بدورها حولتها إلى مركز الاتصال والاستغلال القطاعي (CLES) بعين لقصر (بلدية المعذر ولاية باتنة حاليا)، وتتعلق بوثائق الفترة من أوت 1957 إلى أكتوبر 1958، وقد تم أرشفتها في مقر الأرشيف الوطني لما وراء البحار باكس أونبرفانس في العلبة رقم FR ANOM93201/31 .

تتمثل هذه الوثائق بالخصوص في محاضر الاجتماعات التي دون فيها ما دار من مناقشات واقتراحات، وما تمخض عنها من قرارات وتوجيهات، وهي كذا البريد والمراسلات المتبادلة بين الشهيد وبين قادة النواحي التابعين له، وأيضا تلك الصادرة من وإلى مجلس قيادة الولاية الأولى.⁽³²⁾ وأخيرا الوثائق المتعلقة بقواعد النظام الداخلي الذي يسيير المنطقة بما في ذلك البرنامج اليومي للمجاهد، والتي صادق عليها الشهيد بنفسه، وتم تحريرها وكتابتها على شكل كتيبات وكراسات صغيرة.⁽³³⁾

من خلال القراءة المتمعنة للوثائق المذكورة، ترسم لنا ملامح الشخصية التي نحن بصدد دراستها، إنها شخصية قوية تجتمع فيها

مجموعة من الصفات والسمات الإنسانية والقيادية نتعرض لإبرازها على النحو التالي:

— الذكاء الحاد والحكمة: فهو ماهر في التواصل مع إخوانه المجاهدين، فهو مستمع جيد، ومحاور متمكن، ومقنع ويعرف كيف يغرس الحماس في نفوسهم لتحقيق انتصارات أخرى، وفي نفس الوقت يعرف كيف يغرس في جنوده العزيمة، وعدم اليأس أثناء الهزيمة، فهو يعرف كيف يواجه المواقف الصعبة، ويعرف كيف يفوض ومتى يفوض ومن يفوض، فيعطي المهام للأشخاص القادرين على إنجازها ولا يكلف جنوده بأكثر من طاقته، ففي محضر الاجتماع المنعقد بتاريخ 18 سبتمبر 1957، تقدم المجاهد يوسف يعلاوي باقتراح عدم منح مناصب المسؤولية للملتحقين الجدد بجيش التحرير، غير أن حيحي المكي عارض الفكرة وطرحها موضحاً رأيه فيها، بل وعارض فكرة بقاء مناصب المسؤولية حكراً على القدامى من المجاهدين ودعا إلى تخطي هذه النظرة بإعطاء المسؤولية وفقاً للقادر عليها ممن يكتسب مهارات عسكرية وقدرة بدنية قوية.⁽³⁴⁾

— الثقة في القدرات: صفة مكنته من السيطرة على المشاكل والمواقف الصعبة فكان محل استشارة دائماً، من ذلك أن قادة النواحي التابعين له، أو نوابه كلما يلبس، أو يصعب عليهم أمراً ما يسارعون إلى طرحه عليه لإيجاد الحل المناسب، كما انه يتصدى لمعالجة الخلافات التي تنشأ بين المسؤولين.⁽³⁵⁾

— روح الحوار : عُرف عنه أنه محاور جيد، ويتقبل اقتراحات مرؤوسيه بصدر رحب، فان رآها جديّة اخذ بها، وإن كانت تتطلب مناقشتها فيطرحها للنقاش في الاجتماعات الدورية التي تضم مسؤولي المنطقة، كما تدل عليه رسالة الشهيد الضابط الأول صالح نزار المسؤول العسكري للمنطقة، والذي أعد مجموعة من الاقتراحات الخاصة بالتنظيم العسكري لمناقشتها في اجتماع مجلس المنطقة.

أما القرارات الهامة التي يتخذها الضباط الموضوعين تحت تصرفه فكان يدرسها بتمعن وتفكير، فان رآها صائبة وافق عليها، وباركها كتابياً مثلما تدل عليه الرسالة المؤرخة أيضاً في 1957/09/05، وإن رآها غير ذلك أمر بإلغائها أو تعديلها.⁽³⁶⁾

— الصرامة: وكانت تظهر صرامته في القرارات التي يتخذها فهو لا يتخذ قرارا إلا بعد تفكير وتدبر ولا يتراجع عنه إلا إذا تغيرت المعطيات، فكان يتخذ القرار المناسب وفي الوقت المناسب.⁽³⁷⁾

— الانضباط: كان يتميز بالانضباط ويظهر انضباطه العسكري من خلال التعليمات الصادرة منه التي يحث فيها على وجوب التحلي بالانضباط والطاعة والتطبيق الصارم للتعليمات من طرف كل المجاهدين، كل على حسب موقعه ومهامه ورتبته في السلم العسكري، وتتجلى معالم هذا الانضباط أكثر في النظام الداخلي لجيش التحرير الذي يحكم تسيير المنطقة، والذي يسهر شخصيا على وجوب التقيد بما جاء فيه واحترام مبادئ الثورة والالتزام بها.⁽³⁸⁾

— الصراحة: كان يحب المجاهد الصريح ويمقت الكذب، فكان يتصدى بصراحة للأخبار الخاطئة، أو الكاذبة الواردة من المخبرين عندما لا يتحرون في صحتها، أو أنها مفتعلة بقصد الإضرار بغيرهم، لهذا كان يدعو إلى التثبت من صحة الأخبار والمعلومات حتى لا يتخذ قرارا بناء على أخبار مغلوطة فتكون له عواقب وخيمة، فتضر بالمجاهدين أو بالمواطنين، ولا يتوانى في معاقبة المجرم الحقيقي.⁽³⁹⁾

— الإيمان بمبادئ الثورة: كان الشهيد حيي المكي كثيرا ما يردد في خطبه أن ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة، ويقول بان قبولنا وإيماننا بثورتنا وشرعيتها هو سبب وجودنا في هذه الجبال بعيدين عن أهلنا وذوينا ومتحملين الإرهاق والجوع والبرد والبؤس والحرمان، وصدورنا صباحا مساء في مواجهة الرصاص، شعارنا جميعا هو الانتصار أو الاستشهاد، هذا الإيمان غرس في شخصيته عدم التسامح مع الخونة والحركى، فهو يراهم أندالا باعوا ضمائرهم للعدو، وبالتالي فجزائهم لن يكون إلا بأقسى وبأقصى العقوبات.

ذكر في هذا الصدد المجاهد يوسف يعلاوي أن أحد المسبلين خان الثورة والتحق بالقومية، ودل الجيش الفرنسي على أماكن تواجد المجاهدين، وأرعب وأرهب السكان الموالين للثورة، وتشاء الأقدار أن يتم أسر هذا الخائن في إحدى المعارك بمنطقة "حرزت أولاد براهيم"، فعند استنطاقه اعترف بما نسب إليه وحكم عليه بالإعدام، وعند تقديمه أمام

قائد المنطقة حيحي المكي، سأله كم أطلقت من رصاصات على المجاهدين، فلم يستطع الإجابة، وتعلمت لسانه ثم نطق فقال ثلاثة رصاصات عندئذ قال له المكي إذن فاستعد لتموت بثلاث رصاصات قصاصا، ولتسمى طلقاتك بطلقات الخيانة، وطلقاتنا بطلقات التطهير، واستئصال جذور الخيانة.⁽⁴⁰⁾

— التحفيز: كان يحفز المجاهدين ويشكرهم على الأعمال الناجحة والمجهودات التي يبذلونها، فيوجه لهم رسائل الشكر والتقدير، وخاصة أولئك الذين يقومون بالمهام الهامة والاستثنائية على أكمل وجه، ويتضح ذلك من خلال الرسالة المؤرخة في 22 أوت 1957، الموجهة إلى قائد الكتيبة الثالثة بالناحية الأولى الشهيد احمد امرزوقن المدعو سي احمد الجدارمي،⁽⁴¹⁾ حيث عبر له فيها عن سعادته، ويهنئه بنجاح عملية جلب السلاح من تونس، وعودة قافلته إلى قاعدتها سالمة غانمة، وفي رسالة أخرى يشيد كتابة بخصال وبتفاني وحسن السلوك لأحد مساعديه، وهو الضابط الأول صالح نزار عقب تحويل هذا الأخير إلى تونس.⁽⁴²⁾

— التواضع: من خصاله وصفاته أيضا التواضع، ومن مظاهر تواضعه أنه يسند ترأس جلسات واجتماعات قيادات المنطقة إلى المسؤولين الأقدم منه في الالتحاق بالثورة، بالرغم من انه هو الأعلى رتبة عسكرية (ضابط ثاني Capitaine)، وهو ما يشهد عليه المحضرين المؤرخين في 11 نوفمبر 1957 و 21 نوفمبر 1957، حيث أسند رئاسة الجلسة إلى الضابط الأول (Lieutenant) الحاج لخضر.⁽⁴³⁾

— الأخوة: كان إنسانيا إلى أقصى الحدود ويدعو دائما إلى الأخوة، ويعتبر أن كل المجاهدين إخوة وهدفهم واحد هو تحرير الجزائر من براثن الاستعمار، لهذا كان يعاملهم معاملة واحدة وعادلة وينصف الجميع، ويسهر على تحسين أوضاعهم بما أوتي من إمكانيات، ولا يتوانى في تسخيرها لفائدتهم جميعا ولا يميز بينهم، وكان يدعو إلى الوحدة ونبذ النزاعات الجهوية أو العشائرية، كما أن الغالب في مراسلاته أنه يبدأها بعبارة "إلى الأخ في الكفاح" (Aufrère de lutte).⁽⁴⁴⁾

— التكافل: كان يتكفل أيضا بمجاهدي الولايات الأخرى العابرين لمنطقته (بالخصوص قوافل السلاح)، على أساس أن كل المجاهدين

الجزائريين كتلة واحدة وهدفهم وغايتهم واحدة، ففي مذكرة له هي عبارة عن تعليمات موجهة إلى جنوده note de service مؤرخة في 20 أوت 1957، يعلمهم أن قوافل تابعة للولاية السادسة ستعبر هذه المنطقة من الشرق إلى الغرب، ومن الغرب إلى الشرق، أي ذهابا وإيابا فيطلب منهم أن يبينوا لهم سمات الوحدة والأخوة والتآزر السائد وسط المجاهدين حتى يكونوا عبرة لإخوانهم ويأخذوا بانضباطهم، و يطلب منهم ضرورة توفير المؤونة اللازمة، وأن يسهروا على أمنهم وراحتهم بتخصيص فرقة لذلك مدعمة بدليل un guide يعرف جيدا المسالك الجبلية ومسالك المرور، وذلك طيلة تواجدهم على كامل تراب المنطقة حتى يمروا بسلام، وإلى غاية أن تتكفل بهم المنطقة الموالية لرحلتهم.

مع العلم أن المنطقة الأولى منطقة استراتيجية ومحطة عبور هامة لقوافل الولايات الأخرى، ففي وثيقة وجدت في محفظة الشهيد احمد امرزوقن المدعو احمد الجدارمي، التي تم الاستحواذ عليها من طرف الجيش الفرنسي في معركة فوغالة في 23 فيفري 1958، والمستخرجة من الأرشيف الفرنسي، تشير إلى أن عدد المجاهدين الذين تكفلت بهم الكتيبة الثالثة التي يقودها سي احمد الجدارمي بلغت أكثر من 1600 مجاهد عبروا قطاعه secteur الى تونس ذهابا وإيابا.⁽⁴⁵⁾

وقد أشاد المجاهد المرحوم عبد الحفيظ أمقران (ضابط ج ت و، في الولاية الثالثة ووزير سابق) فيقول عنه في كتابه "مذكرات من مسيرة النضال والجهاد:" انه تعرف على الشهيد حيحي المكي في دوار القطاطشة باولاد تبان في منطقة بوطالب، ولمس فيه الأخوة الحقيقية والاستعداد الكامل والدائم في مساعدة الدوريات العابرة لمنطقته وتأمين مسارها والتكفل بتموينها.⁽⁴⁶⁾

— الرحمة والشفقة: كان رحيمًا واجتماعيًا ذلك انه يتأثر بما تعانیه العائلات، وخاصة في المداشر، من بؤس وحرمان ومن قساوة المعيشة، ومن الاضطهاد اليومي المسلط عليهم من قبل الإدارة والجيش الاستعماري، وبالخصوص عائلات المجاهدين والشهداء، لهذا كان يسهر على التكفل بعائلات الشهداء (مثال ذلك أبناء مصطفى بن بولعيد،

المحضر المؤرخ في 17 نوفمبر 1957) بل حتى أفراد الشعب المعوزين، كما كان سندا للجمعيع بالمؤازرة المعنوية والتخفيف من حدة المعاناة، وحل النزاعات التي تثور بين هؤلاء الأفراد وبالطرق الودية.⁽⁴⁷⁾

- الثقافة الواسعة: تستشف ثقافته الواسعة أيضا من خلال وثائقه الإدارية التي تدل على إلمامه بالعمل الإداري، فهو يميل إلى التركيز على أن تكون الكتابة المنظمة هي الأساس وخاصة في الأمور ذات الأهمية، وتتجلى بالخصوص في تدوين محاضر الاجتماعات، وما تمخض عنها من تعليمات وتوجيهات وقرارات. كذلك الوثائق المحاسبية التي تتعلق بالتسيير المالي للمنطقة، ومثالها رسالته المؤرخة في 1957/09/05 التي بعث بها إلى الضابط الأول Lieutenant صالح نزار يخبره عن تحويله إلى تونس في مركز قيادة العمليات فيحثه على أن يكون تبادل التوصيات ((La passation de consigne بدقة حاثا على تقديم وتسليم كل التقارير، وكل ما يتعلق بنشاط المنطقة إلى المستخلف وهو الضابط الأول الحاج لخضر (الذي تدرج في المسؤوليات حتى أصبح عقيدا على الولاية الأولى التاريخية) ليتسنى له مواصلة المهام.⁽⁴⁸⁾

وقد صرح المجاهد مسعود بن عبيد، وهو أحد رفقاء السلاح للشهيد حيحي المكي، أن الشهيد ترك نماذج لطرق العمل الإداري بوصفه مثقفا في تلك الحقبة من الزمن، ومنها نماذجا لكيفية إعداد التقارير المالية، والتي عمل بها أيضا القادة الذين جاؤوا من بعده.⁽⁴⁹⁾

أما في مجال التنظيم والتسيير سواء تعلق الأمر بالجانب السياسي أو العسكري أو الاستخباراتي، نستشف الثقافة الواسعة للشهيد حيحي في نظام جيش التحرير الوطني (Le règlement de l'ALN)،⁽⁵⁰⁾ الذي وضعه مع ضباطه ومساعديه وصادق عليه ويسهر على تطبيقه بالرغم من انه لم يكن خريج كلية حربية ولم يؤدي الخدمة العسكرية الإجبارية.

يلزم في المجال السياسي جميع المسؤولين السياسيين كل في إقليم اختصاصه بضرورة تقديم تقارير كتابية عن الدعاية الاستعمارية، وكيف تم الرد عليها، وذكر الأسلوب والطرق التي استعملت لمجابهة هذه الدعاية، وان يشيروا في تقاريرهم هذه إلى مدى نجاعة الدعاية المضادة ومدى تأثيرها، وأن يقدموا على ذلك شواهد وأدلة، كما

يخاطب هؤلاء السياسيين بأن الدعاية بمثابة داء في جسم المريض، فالمرشد أو القائم بالدعاية يجب أن يكون طبيبا للأفكار.⁽⁵¹⁾

أما في المجال العسكري، فيلزم المسؤولين العسكريين على ضرورة تقديم تقارير كتابية إثر كل عملية حربية، فيذكر فيها الطريقة المستعملة إذا حصل فيها النجاح، أما إذا حصل عكس ذلك فيلج على تدوين مكامن الخلل وأسبابه، هل في جيش المجاهدين، أو في الموقع الجغرافي غير المناسب؟ أو غير ذلك من الأسباب ليكون هذا درسا للمستقبل لإصلاح الخلل وتفادي الوقوع فيه مرة أخرى.

كما يلزمهم أيضا ببث روح الحماس في الجنود عن طريق الخطب والكلام المناسب، وأن يدرسوا التقارير أو الشكاوي الواردة إليهم من جنودهم وأن يردوا عليها، وأن يحرصوا على التوزيع العادل للأسلحة وتقسيم الأفراد والجنود بإنصاف على الأفواج والفرق والكتائب.⁽⁵²⁾

وفي المجال الاستخباراتي ولكون الأخبار والمعلومات من أقوى الأسلحة في الحروب فيلزم المسؤولين المكلفين بالأخبار والاستعلامات والاتصال بالدقة والتحري في المعلومات التي تصل إليهم، ويكلفهم بإعداد تقارير عن أسباب ودواعي انخراط بعض المواطنين في كتائب القومية (Les goumiers)، هل بسبب الخوف أو الفقر أو الجهل بالقضية الجزائرية، أو لتأثير دعاية العدو التي نالت من عقول البسطاء من المواطنين، أو لأسباب عشائرية أو غيرها .

كما يلح على المتابعة المستمرة والاستغلال الجيد للأخبار الواردة عن الأماكن التي يجتمع فيها الخونة والمدافعين عن الاستعمار، مع الحرص أن تكون هذه الأخبار مدققة ومفصلة لكي تستغل بنجاح من طرف جيش التحرير وتكفل عملياته بالفوز المستحق، ومن جهة أخرى يلزمهم أيضا بالاطلاع بأنفسهم، وبغير واسطة على معنويات الجنود، وهذا باللقاءات مع مختلف الكتائب، ويمنع منعاً باتاً تعيين جواسيس في وسط الجنود تفادياً لإضعاف معنوياتهم وخلق جو عدم الثقة وتفشي البلبلة، أما المخبرين المدنيين فيفرض عليهم أن يشاركوا المسؤولين السياسيين في عملهم، وبالخصوص في مجابهة دعاية العدو ونشر وتوزيع المنشير ومراقبة المدارس.⁽⁵³⁾

كما تتجلى أيضا مظاهر الثقافة العالية للشهيد حيحي المكي في المجال التأديبي والعقابي، والتي جسدها على شكل كتيب (كراسة) لقانون العقوبات، واعتمدت في النظام الداخلي لجيش التحرير بمقتضى المحضر المؤرخ في 1957/11/17، فيقول أن القصد من العقوبات تأديب الجندي وتهذيب أخلاقه، وتحذير غيره من الوقوع فيما وقع فيه أخوه المعاقب، والعقوبة أعظم فائدة من العفو، لأنها موعظة للمعاقب وعبرة لغيره، أما العفو فكثيرا ما يكون بابا للفوضى والاستهانة بالأوامر واللامبالاة بالتعدي على الحدود، وخاصة ونحن في حرب طاحنة تتطلب الوثائم والوحدة والنظام.⁽⁵⁴⁾ ولهذا فهو لا يتسامح مع من يستهين بعمله أو يقصر في أداء مهامه أو يتلاعب مع مبادئ الثورة .

8- بعض الشهادات حول شخصية الشهيد حيحي المكي

8-1 شهادة المجاهد المرحوم الرائد مصطفى مرادة، المدعو مصطفى بن النوي:

يشيد المجاهد المرحوم الرائد مصطفى مرادة المدعو مصطفى بن النوي⁽⁵⁵⁾ احد قادة الولاية الأولى التاريخية في مذكراته بالخصال الحميدة للشهيد حيحي المكي فيقول عنه: "انه مقاتل رائع، ومسلح بثقافة قوية ووعي وطني حاد يربطه بعمق مع الشعب، وجعله في منأى عن التعصب للرأي، وقد تميزت منطقته بدقة التنظيم وبراعة التسيير، وأن بعض نصوص ولوائح النظام التي صدرت تحت إشرافه اعتمدها اجتماع الصومام،⁽⁵⁶⁾ وهي تبرز المساهمة التي لا تقدر بثمن للمثقفين الشباب الذي شاركوا بأجسادهم وأرواحهم في الثورة وأسهموا في ترجمتها عمليا في ميدان المعركة".⁽⁵⁷⁾

8-2 شهادة المجاهد المرحوم يوسف لعلاوي المعروف باسم الشيخ يوسف يعلاوي:

يقول المجاهد المرحوم يوسف يعلاوي، وهو أيضا احد رفقاءه بشأن الشهيد حيحي المكي ما يلي: "قلما تجتمع في إنسان صفات الرجولة مقرونة بالنبوغ والدهاء والفضانة مكللة بمكارم الأخلاق، وحسن السلوك مثلما اجتمعت في أخينا الشهيد حيحي المكي، فقد توافرت فيه شروط المثالية، وبرزت فيه مقاييس المسؤولية التي من علاماتها علو همة

صاحبها ووقاره وتأثيره على غيره وجلب القلوب لاحترامه، من خلال انضباطه وحسن قيادته وكفاءته في التسيير والتنظيم وبحكمته كمسؤول وحسن معاملته لزملائه الضباط وصف الضباط وسائر المجاهدين".⁽⁵⁸⁾

8-3- شهادة المجاهد عبد السلام مرجان:

المجاهد عبد السلام مرجان،⁽⁵⁹⁾ ضابط جيش التحرير الوطني، وأحد الرفقاء الذين عملوا تحت إمرة الشهيد حيحي المكي، يقول عنه: "أنه من طينة الرجال المخلصين لوطنهم وأنكل صفات القائد تتوفر فيه بفضل الثقافة الواسعة التي يمتلكها باللغتين العربية والفرنسية، بالإضافة إلى اتصافه بالأخلاق الحميدة وإيمانه العميق بان الكفاح المسلح هو الوسيلة الناجعة لنيل الاستقلال والحرية، وكان دائماً يطالب بضم الصفوف والتآخي والتآزر والوحدة بين جميع المجاهدين مهما كان موقعهم، وتتجلى مظاهر هذه الأخوة أنه ربط علاقات ممتازة ومتينة بين المجاهدين، وامتدت لتشمل نواحي الولاية الثالثة المجاورة لحدود منطقته".⁽⁶⁰⁾

8-4- شهادة المجاهد مزوز مبارك:

أما المجاهد مزوز مبارك، وهو مجاهد من الرعيل الأول للثورة حيث تجند في 08 نوفمبر 1954، وجمعه القدر مع الشهيد حيحي المكي في معتقل الجرف ثم التقاه مرة أخرى في عملية اتصال فيقول عنه: "إنني مبهور بأخلاقه العالية وبوقاره وثقافته الواسعة وذكائه الحاد وإخلاصه لوطنه وللمبادئ الثورية، وإنني لا زلت أتذكر تلك الدروس التي كان يلقيها علينا في المعتقل، وذلك الحماس الفياض الذي غرسه فينا، وكان يقول لنا دائماً أن كل شبر من أرض الجزائر صالح لخوض المعركة ضد الاستعمار الفرنسي ولا يجب أن نتركه ينال باطمئنان".⁽⁶¹⁾

8-5- شهادة المجاهد بشير حيحي:

يقول المجاهد بشير حيحي، وهو الأخ الشقيق للشهيد، أن من الوصايا التي كان ينفها الشهيد حيحي المكي إلى الشباب في الاجتماعات، تذكروا أن أول لفظ للقرآن الكريم نزل هو "اقرأ"، فيقول لهم اقرأ وزد

اقرأ : فمن المستحيل أن ننال الحرية دون القراءة، كما كان يوصي خيرا بالمرأة وبحسن معاملتها.⁽⁶²⁾

8-6- شهادة المجاهدة فطيمة عياش:

أشادت المجاهدة فطيمة عياش،⁽⁶³⁾ التي اشتغلت كمرمضة بناحية عين التوتة بالمنطقة الأولى، بالخصال الحميدة للشهيد حيحي المكي، وبحسن معاملته للمرأة وبأخلاقه العالية وحنكته في التسيير والتنظيم، كانت لها هذه الشهادة بمناسبة تكريمها بمدينة عين التوتة بولاية باتنة يوم 26 مارس 2016، وروت أنها عند التحاقها بجيش التحرير الوطني بتاريخ 25 مارس 1957 رفض الحاج لخضر تجنيدها بسبب الظروف الصعبة بالمنطقة وصغر سنها، وأصر على إعادتها إلى منزلها العائلي، لكن الشهيد حيحي المكي أقنعه بقبول تجنيدها للقيام بأعمال التمريض إلى جانب زميلاتها زينة (زوجة أحمد قادة) رقية، راضية، حبيبة وأختها حورية مداسي (زوجة السعيد عبيد)، فتيحة بدرابي (زوجة عبد الحميد جوادي) وزكية (زوجة المجاهد عبد الرحمان بوضياف)، تسعديت ايت السعيد (زوجة العقيد عمار او عمران) ومليكة براهيمي (زوجة الممثل سيد علي كويرات)، وغيرهن من المجاهدات، وظلت تمارس مهامها بالناحية إلى غاية أن شددت القوات الاستعمارية حصارها على المنطقة، وما صاحبه من حرق للقرى والمداشر، ومعه اكتشاف بعض مراكز جيش التحرير، فقررت قيادة الثورة تحويل هؤلاء النسوة المجاهدات نحو تونس في بداية عام 1958.

نصل في خاتمة هذا الموضوع، الى أن الشهيد حيحي المكي كان متشعبا بالأفكار التحريرية التي ارتوى منها أيام الحركة الوطنية، وكان يتمتع بأخلاق عالية ولدت فيه جميع صفات القائد المحنك ذو الثقافة العالية، هذه الثقافة التي سخرها في خدمة الثورة تجلب آثارها في مساهمته في إرساء قواعد متينة في تنظيم وتأيير المنطقة الأولى من الولاية الأولى، ومكنته أيضا من الحفاظ على استقرارها وتماسكها ووحدة قيادة وقاعدة، لقد كان لكل هذا الأثر البالغ في ضرب معاقل العدو، وتكبيده الخسائر الجسيمة في العدة والعتاد، باعتراف وبشهادة من عايشوه وعملوا تحت إمرته أيام الثورة، والذين تقلدوا

مناصب سامية في الدولة بعد الاستقلال، وبما تثبته أيضا تلك الوثائق التي تم استخراجها من الأرشيف الفرنسي المتعلقة بالمنطقة الأولى التي كانت تحت قيادته.

وتخليدا لروح الشهيد تمت إعادة تسمية الثانوية الضرانكو إسلامية بقسنطينة باسم ثانوية الشهيد حيحي المكي، كما تم تسمية حي سكني بمدينة أم البواقي باسم الشهيد حيحي المكي.

وحفاظا على الذاكرة وفي إطار الاحتفالات المخلدة لذكرى مظاهرات 11 ديسمبر 1960، وعلى هامش الملتقى الخاص بالإبادة الكيميائية خلال الثورة، المنعقد بأولاد تبان بولاية سطيف، واعترافا بمآثر الشهيد حيحي المكي تم تكريم عائلته من قبل قدماء الكشافة الإسلامية الجزائرية - فوج الحرية - بأولاد تبان، وذلك يوم 2018/12/15.

الهوامش:

1. شهادة حية للمجاهد حيحي بشير بأولاد تبان بولاية سطيف خلال تكريم عائلة الشهيد حيحي المكي بتاريخ 15 ديسمبر 2018.
2. علي بودوحان ولد بتاريخ 08 ماي 1933 بجيجل، أستاذ ومدير ثانوية سابقا وباحث في الأدب والتاريخ والثقافة، من أصدقاء الشهيد حيحي المكي أيام الدراسة الثانوية بقسنطينة.
3. المجاهد عبد الرزاق بوحارة من مواليد سنة 1934 بمدينة القل ولاية سكيكدة، زاول تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه ثم انتقل إلى ثانوية اوما بقسنطينة شعبة رياضات، كانت له بها نشاطات طلابية رفيعة زملائه إلى أن قاطع الدراسة والتحق بجيش التحرير الوطني بالولاية الأولى عقب إضراب الطلبة. تدرج في المسؤوليات آخرها تعيينه قائدا للفيلق التاسع والثلاثون في المنطقة الشمالية بالحدود الشرقية. بعد الاستقلال واصل مهامه ضمن الجيش الوطني الشعبي ثم بعدها تولى مسؤوليات إدارية ودبلوماسية وسياسية. توفي بالجزائر العاصمة بتاريخ 10 فيفري 2013.
4. عبد الرزاق بوحارة، منابع التحرير أجيال في مواجهة القدر، دار القصة، طبعة 2001، ص 80.
5. عبد الله حمادي، الحركة الطلابية الجزائرية 1871-1962، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طبعة سنة 1995، ص 58.
6. عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص 62.
7. عمار هلال، نشاط الطلبة الجزائريين خلال حرب التحرير، دار هومة، الجزائر، الطبعة الخامسة، 2012، ص 57.
8. يوسف يعلاوي، مجلة اول نوفمبر، العدد الثامن، شهر نوفمبر 1974، ص 32.
9. المجاهد مزور مبارك المدعو بالة زغام من مواليد 07 أوت 1934 بيبايوس ولاية خنشلة مناضل في الـ MTLD، التحق بصوف جيش التحرير الوطني بتاريخ 08 نوفمبر 1954، جاهد بالمنطقة الأولى لمدة قصيرة بعد هروبه من معتقل الجرف غير أن نشاطه الهام كان في المنطقة الثانية ثم انتقل إلى غار الديماو بالحدود الجزائرية التونسية وهو صاحب كتاب "حقائق وشهادات عن الثورة الجزائرية".
10. المجاهد محمد الشيوكي من مواليد سنة 1916 بمنطقة تليجان بالشريرة ولاية تبسة، القي عليه القبض في فيفري 1956 بسبب نشاطه الثوري وأفرج عنه يوم 13 مارس 1962، توفي في 13 جوان 2005.
11. المجاهد محمد الطاهر عرباوي من مواليد 1926، رفيق الدراسة للشهيد حيحي المكي ورفيقه أيضا في معتقل الجرف، مفتش سابق للتعليم العام، ورئيس بلدية قسنطينة سابق من 1975 إلى 1984.

12. شهادة المجاهد محمد الطاهر عرباوي بتاريخ 12 أوت 2012 والموثقة في المدونة الاللكترونية للمؤرخ الفرنسي Bernard Deschamps والمنشورة في مدونته على موقعه : <http://www.bernard-deschamps.net/>
13. <https://ar.wikipedia.org/wiki/> المجاهد محمد الشبوكي على موقع ويكيبيديا : محمد_الشبوكي
14. المجاهد يوسف لعلاوي المعروف بالشيخ يوسف يعلاوي من مواليد سنة 1918 بقرية الشريعة بلدية قنزات بولاية سطيف، تلقى تعليمه الأولي في بني يعلى ثم انتقل إلى معهد ابن باديس بقسنطينة، وبعد تخرجه تفرغ إلى الدعوة والإصلاح والعلم بقريته وبمنطقة بني معوش، وبعد التضيق عليه من طرف الاستعمار وعملائه انتقل إلى مدينة عين أزال ومارس نفس المهام، ومن هذه المدينة التحق بجيش التحرير الوطني عام 1955 بمنطقة بوطالب (الولاية الأولى) وجاهد بجانب الشهيد حيحي المكي مكافا بالنشاط السياسي قبل أن يتم تحويله إلى المنطقة الأولى بالولاية الثالثة التاريخية، وقد تدرج في مسؤوليات كثيرة نظرا لثقافته وقدرته على الإقناع . بعد الاستقلال شغل أمينا عاما لمنظمة المجاهدين لعدة عهديات، توفي في 23 نوفمبر 1994 بالجزائر العاصمة.
15. يوسف يعلاوي، المرجع السابق، ص 32.
16. المرجع السابق، ص 30
17. ينظر نداء الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في 19 ماي 1956، وأيضا عمار هلال، المرجع السابق، ص 37.
18. محمد الطاهر عرباوي، نفس المرجع السابق.
19. مزون مبارك، حقائق وشهادات عن الثورة الجزائرية، مطبعة عمار قرفي، باتنة، 2014، ص 31.
20. أحد قادة الولاية الأولى التاريخية فيما بعد من مواليد سنة بعين ياقوت ولاية باتنة من طلبة معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس ومن مناضلي الحركة الوطنية التحق بجيش التحرير الوطني في اوائل سنة 1955، اتهم بمحاولة الانقلاب ضد الحكومة المؤقتة في الحادثة المعروفة باسم مؤامرة العقءاء وحكم عليه بالاعدام بنونس رفقة احمد نواورة، محمد عواشيرة وسعيد جموعي المدعو مصطفى لكلل، حيث نصبت لهم محكمة عسكرية ترأسها العقيد هواري بومدين.
21. محمد زروال، اشكالية القيادة في الثورة الجزائرية - الولاية الاولى نمونجا - منشورات وزارة المجاهدين، د.س.ن، ص 303 . وأيضا، مصطفى مرادة، المرجع السابق، ص 63.
22. يوسف يعلاوي، المرجع السابق، ص 34.
23. التقرير الجهوي للولاية الاولى المقدم للملتقى الوطي الثالث لتسجيل احداث الثورة التحريرية - من 20 اوت 1956 الى 31 ديسمبر 1958، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، 1984.
24. الشهيد صالح نزار كان مجندا في الجيش الفرنسي برتبة رقيب أول، رتب مع المجاهد المرحوم صالح زيداني عملية الهجوم على المركز الفرنسي بمعاقة ليلة 30 ماي 1956، وتمت بنجاح حيث احرق المركز عن آخره وفرار عدة جنود والتحقوا بجيش التحرير الوطني محملين بالأسلحة الحربية والعتاد والنخيرة . نظرا لحنكته العسكرية عين عضوا في المنطقة الأولى بالولاية الأولى برتبة ضابط أول المسؤول العسكري للمنطقة . يعود له الفضل في إنشاء فيالق المنطقة . استشهد وهو في طريقه الى تونس أواخر سنة 1957.
25. مصطفى مرادة، مذكرات الزائد مصطفى مرادة " ابن النوي "، شهادات ومواقف من مسيرة الثورة في الولاية الأولى، دار الهدى عين مليلة، طبعة 2009، ص 62.
26. عمر تالليت، الأوفياء يذكرونك يا عباس لغرور، دار الالعية للنشر والتوزيع بقسنطينة، 2012، ص 163 .
27. محمد العربي مداسي، مغربلوا الرمال، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، طبعة 2001، ص 289.
28. محمد زروال، المرجع السابق، ص 303 ؛ أيضا مصطفى مرادة، المرجع السابق، ص 305.
29. محمد زروال، المرجع نفسه، ص 303 ؛ أيضا مصطفى مرادة، المرجع السابق، ص 306.
30. يوسف يعلاوي، المرجع السابق، ص 36.
31. مصطفى مرادة، المرجع السابق، ص 63.
32. مجموعة كبيرة من الوثائق الأرشيفية مستخرجة منالأرشيف الوطني لما وراء البحار باكس اونيروفونس بفرنسا تخص المنطقة الأولى بالولاية الأولى التاريخية أوراس النمامشة محتواة في العلبة رقم FR ANOM 93201/31.

33. انظر الملاحق الواردة في كتاب مصطفى مرادة، المرجع السابق، ص 262 وما يليها.
34. محضر اجتماع بتاريخ 18 سبتمبر 1957 ضمن نفس العلية الأرشيفية السابقة.
35. المحضر المؤرخ في 13 أكتوبر 1957، نفس العلية الأرشيفية السابقة.
36. رسالة مؤرخة في 05/09/1957 ضمن نفس العلية الأرشيفية السابقة.
37. مجموعة من الوثائق التي تلح على الانضباط منها المحضر المؤرخ في 18 سبتمبر 1957، نفس العلية الأرشيفية السابقة.
38. المحضر المؤرخ في 17 نوفمبر 1957، نفس العلية الأرشيفية السابقة.
39. المحضر المؤرخ في 17 نوفمبر 1957، نفس العلية الأرشيفية السابقة.
40. يوسف يعلاوي، المرجع السابق، ص 34.
41. الشهيد احمد امرزوقن المدعو سي احمد الجدارمي من مواليد 17 جويلية 1932 بتيزي وزو تجند في صفوف الجندرية الفرنسية وعين في مدينة بسكرة ثم في مدينة سريانة، رتب عملية فراره مع مسؤولي الناحية الأولى بالمنطقة الأولى في 03 أبريل 1957، فتم اقتحام الثكنة التي يعمل بها وتم القضاء على افراد الجندرية الفرنسيين الذين اهربوا وأرعوا الأهالي، والتحق بجيش التحرير رفقة المقتحمين وهم محملين بكية معتبرة من الأسلحة الأوتوماتكية والقنابل اليدوية والذخيرة وقوائم الخونة الذين كانوا يتعاملون مع الاستعمار . سقط شهيدا في معركة فوغالة بجبل وستيلي في 23 فيفري 1958.
42. رسالة مؤرخة في 05 سبتمبر 1957، نفس العلية الأرشيفية السابقة.
43. المحضر المؤرخ في 11 نوفمبر 1957 والمحضر المؤرخ في 21 نوفمبر 1957، نفس العلية الأرشيفية السابقة.
44. مجموعة من الرسائل المرسلة من الشهيد الى رفاقه في الكفاح، نفس العلية الأرشيفية السابقة.
45. تقارير الشهيد سي احمد الجدارمي، نفس العلية الأرشيفية السابقة.
46. عبد الحفيظ أمقران، مسيرة النضال والكفاح، دار الأمة الجزائر، طبعة 2012، ص 71.
47. تعليمات وتوصيات مدونة في المحضر المؤرخ في 17 نوفمبر 1957، نفس العلية الأرشيفية السابقة.
48. رسالة مؤرخة في 05/09/1957، نفس العلية الأرشيفية السابقة.
49. نبذة عن حياة المجاهد مسعود بن عبيمن إعداد مديرية المجاهدين لولاية بسكرة بتاريخ 15 جويلية 2018.
50. انظر الملاحق الواردة في كتاب مصطفى مرادة، المرجع السابق، ص 262 وما يليها.
51. ينظر واجبات المسؤول السياسي فيملاحق كتاب مصطفى مرادة، المرجع السابق، ص 272 وما بعدها.
52. ينظر واجبات المسؤول العسكري في ملاحق كتاب مصطفى مرادة، المرجع السابق، ص 270 وما بعدها.
53. ينظر واجبات مسؤول الاخبار والاتصال في ملاحق كتاب مصطفى مرادة، المرجع السابق، ص 274 وما بعدها.
54. انظر نسخة من قانون العقوبات في ملاحق كتاب مصطفى مرادة، المرجع السابق، ص 262.
55. المجاهد المرحوم الرائد مصطفى مرادة المدعو مصطفى بن النوي من مواليد 21 أوت 1928 بدوار أولاد شليح بولاية باتنة، كان بيت عائلته مركزا للثورة منذ 14 نوفمبر 1954، التحق بالجنرال بجيش التحرير الوطني في ماي 1955 عقب اكتشاف خلية الفدائيين التي كان ينشط فيها، تدرج في العديد من المسؤوليات من عضو في الناحية الرابعة إلى قائد لها ثم عضوا في مجلس المنطقة الأولى للولاية الأولى أواسط سنة 1958 ومحفظا في نفس الوقت بقيادة الناحية الرابعة. بعدها عين مسؤولا على المنطقة الثانية (أريس) بداية سنة 1959، ثم قائدا للولاية الأولى بالنيابة بعد خروج الحاج لخضر إلى تونس بداية من افريل 1959 إلى افريل 1960. وبعد تجديد مجلس الولاية الأولى في ديسمبر 1959، عين عضوا بها مكلفا بالأخبار والاتصال، وعضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية. بعد الاستقلال تولى العديد من المهام العسكرية والسياسية . توفي بتاريخ 18 ماي 2007 بباتنة .
56. يجب التوضيح ان الرائد مصطفى مرادقفي مذكراته اورد في الصفحة 63 العبارة التالية : " ان بعض نصوص ولوائح النظام التي صدرت تحت إشراف حيحي المكي اعتمدها مؤتمر الصومام "، والأصح ليس اعتمدها من طرف مؤتمر الصومام (لان المؤتمر انعقد قبل تولي حيحي المكي لمسؤولية المنطقة) والصحيح انه تم الاعتماد عليها والاستلها منها من طرف لجنة التنسيق والتنفيذ عند اعدادها لقانون النظام

- العام والتشريع القضائي العسكري الصادر بتاريخ 12 أبريل 1958 والممضي نيابة عن اللجنة من طرف العقيد كريم بلقاسم (مسؤول دائرة الشؤون العسكرية في لجنة التنسيق والتنفيذ).
57. مصطفى مرادة، المرجع السابق، ص 63.
58. يوسف يعلاوي، المرجع السابق، ص 30.
59. المجاهد عبد السلام مرجان ضابط جيش التحرير الوطني، من مواليد 1934 بحسين داي بالعاصمة، التحق بالثورة في ماي 1955 بالعاصمة ثم حول إلى الولاية الأولى ثم إلى الولاية الثانية، تدرج في المسؤولية إلى أن أصبح عضواً في المنطقة الرابعة - ايدوغ - عنابة وما جاورها، وقبلها عمل مسؤولاً لقسمه راس الوادي ثم عضواً سياسياً للناحية الثالثة سطيف تحت إمرة الشهيد حيحي المكي.
60. لقاء مع المجاهد عبد السلام مرجان بمقر سكنه بعنابة بتاريخ 20 ماي 2019.
61. لقاء مع مزور مبارك بمتحف المجاهد لولاية باتنة بتاريخ 15 افريل 2019
62. شهادة حية للمجاهد حيحي بشير بأولاد تبان بولاية سطيف خلال تكريم عائلة الشهيد حيحي المكي بتاريخ 15 ديسمبر 2018.
63. المجاهدة فاطمة عياش من مواليد سنة 1941 بمدينة القنطرة، التحقت بالثورة بقرية بريش بناحية عين التوتة وعمرها لا يتجاوز 16 سنة، كان ذلك يوم 25 مارس 1957، وفي بداية سنة 1958 حولت إلى تونس مع رفيقاتها بأمر من قيادة الثورة، ثم أرسلت إلى القاهرة لإجراء تريض في ميدان التمرريض ثم العودة إلى تونس. وبعد الاستقلال واصلت دراستها إلى أن نالت شهادة الليسانس في البيولوجيا، لتمتحن التعليم في ثانوية الأمير عبد القادر بالعاصمة إلى غاية إحالتها على التقاعد.

نشاط الشهيد العقيد محمد عموري "المدعو لعموري"
في الحركة الوطنية والثورة التحريرية 1929-1959

ط.د. رحيمة بوخاتم

جامعة باتنة - 1-

مقدمة

تعد دراسة الشخصيات التاريخية من بين الدراسات الأكاديمية المهمة لكونها تسلط الضوء على شخصيات مؤثرة ومهمة كان لها دور فاعل في صناعة الأحداث في فترة معينة، فضلا عن كونها تعطينا تصورا واضحا عن طبيعة الأحداث السياسية والعسكرية التي عاصرتها.

وقع من هذا المنطلق اختيارنا على شخصية العقيد محمد عموري (لعموري)، الذي يعد من بين أهم الشخصيات القيادية التي عرفتها الثورة التحريرية الجزائرية خاصة في الولاية الأولى التاريخية (أوراس-الناماشة)، حيث كان له مساهمات فاعلة فيها فضلا عن إشرافه على مؤسسات الثورة، وقد كانت له مواقف شجاعة كانت السبب المباشر في إحالته للمحاكمة وإعدامه مع رفقائه في مارس 1959.

سنحاول من خلال بحثنا هذا التركيز على نشأة هذه الشخصية التاريخية ونشاطها السياسي في الحركة الوطنية ودورها العسكري القيادي وتدرجه في المناصب أثناء الثورة التحريرية.

أولا: التعريف بمحمد العموري: الشهيد محمد لعموري، احد رواد الثورة التحريرية استشهد في سبيل تحرير الجزائر بعدما بذل جهدا جبارا في تحريرها إلى جانب قادتها من أمثال: مصطفى بن بولعيد، عباس لغرور، شريط لزهري، طالب العربي، المجاهدين الحاج لخضر ومصطفى بن النوي مراردة وغيرهم من قادة الثورة في المنطقة الأولى (أوراس النمامشة).

كان الشهيد سياسيا محنكا تخرج من مدرسة حزب الشعب الجزائري، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان بطلا عسكريا صقلت مواهبه خلايا المنظمة الخاصة ففي صفوفها تدرّب على استعمال السلاح، وقيادة العمليات العسكرية.

ترعرع محمد لعموري في بيئة ثائرة على القوى الاستعمارية التي كانت تضطهد الجزائريين فعرف أبعادها وعمقها فتربى على المواجه والتصدي للضلع الاستعماري، وقد رضع حليب المقاومة في مناخ مجاهد، وفي مدينة كانت حلقة وصل بين منطقة الاوراس الثائرة ومنطقة الشمال القسنطيني المجاهدة، فانبعثت فيه روح المقاومة والجهاد فرافق العظماء، وأخذ عليهم وتمرس على أيديهم من أمثال بن بولعيد.

ذاك هو محمد لعموري ابن أحمد بن فرحات، وأمه بن عماري حيزية بنت صحراوي من مواليد 14 جوان 1929 بدوار أولاد سي علي عين ياقوت بلدية عين لقصر المختلطة، ولاية باتنة حاليا، ينتمي الى أسرة متوسطة الحال تمتهن الفلاحة والتجارة، توفي والده وتركه صغيرا فقامت والدته برعايته، حفظ القرآن الكريم مثل أترابه وزاول دراسته الابتدائية بمسقط رأسه بين سنوات 1935 و1939، ثم نهل من بحر العلوم في معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة بين سنوات 1948 و1951، ساقه القدر مع نهاية الحرب العالمية الثانية إلى الهجرة للمغرب الشقيق، ونظرا لنشاطاته الوطنية قامت السلطات الفرنسية بطرده فعاد إلى مسقط رأسه لمزاولة نشاطه الفلاحي ككل الجزائريين ومواصلة نشاطه السياسي المعتاد.

حين اندلعت الثورة التحريرية انضم إلى صفوفها مبكرا مجاهدا بالسلاح والكلمة، قائدا عسكريا محنكا ومحافظا سياسيا بارعا، فقاد المعارك ونصب الكمائن ونظم قواعد التموين ونسج شبكة التسليح وجمع الأموال للثورة، ومكنته قدراته على قيادة الرجال، فاكسب احترامهم وتبجيلهم فصار احد قادة المنطقة الأولى في وقت مبكر، ثم تدرج ليصبح عضوا بارزا في قيادة لجنة العمليات العسكرية وهيئة أركان الشرق الجزائري لجيش التحرير الوطني، وبفضل جهوده تلك استحق أن يكون من كبار أعلام الجزائر المعاصرة، وبحكم إعفائه من الخدمة العسكرية الاجبارية امتتن الفلاحة والتجارة كغيره من شباب المنطقة ثم تاجر في بيع اللحوم، جزارا ثم اهتم بتعليم شباب القرية، وهو متأثر بوضع الجزائريين في ظل الاستعمار.

ثانيا: نشاطه السياسي في الحركة الوطنية:⁽¹⁾ لم يتحمل لعموري الاستبداد الاستعماري، فغادر الجزائر نحو المغرب في نهاية الحرب العالمية الثانية، ولكنه لم ينج من متابعة الشرطة الفرنسية التي سرعان ما أعادته إلى

الجزائر، ومنعته من ربط الاتصالات مع الشباب المغربي وعاد ليستقر في مسقط رأسه ومارس الفلاحة والتجارة والتعليم الحر باللغة العربية.

دفعه طموحه الوطني والعلمي إلى الانتساب لمعهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة بين سنوات 1948 و1951، وفي قسنطينة توسعت معارفه مع نشطاء حركة الانتصار للحريات الديمقراطية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وصار له نفوذ بين شباب الحركة الوطنية.⁽²⁾

كما انتشر صيته بين شباب قريته التي أسس بها خلية لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وقاد حملتها الانتخابية سنة 1951، وكثر أنصاره من شباب الحركة، وجمعية العلماء.

تعرف على ابرز مناضلي الحركة الوطنية، السيد زرقين السعيد وروج لأفكاره المناوئة للاستعمار الفرنسي، واغتمت لعموري مناسبة تجمع الشعب في عيد الفطر وخطب فيهم منتقدا السياسة الاستعمارية، ونذكر من بين تصريحاته قوله: (لقد نالت ليبيا استقلالها بينما إخواننا أعضاء حزب الشعب الجزائري يعانون في السجون، وصار لا بد من مساندتهم وان تكافح مثلهم والذهاب إلى السجون إذا اقتضى الأمر ذلك).⁽³⁾

لم تكن السلطات الاستعمارية غافلة عن نشاطه، وسرعان ما أُلقت عليه القبض وقدمته للمحكمة التي حكمت عليه في 09 نوفمبر 1951 بثلاثة أشهر سجنًا لعدم وجود الأدلة بتهمة المساس بأمن الدولة الخارجي، وفي تلك السنة غادر الجزائر إلى باريس، واستقر بضواحيها بمنطقة (افري-سير-سان) Ivry-sur-seine. ومكث بها حتى سنة 1952 حسب ما أكدته التقارير الفرنسية.⁽⁴⁾

واصل نشاطه السياسي بين المهاجرين الجزائريين في صفوف الحركة الوطنية، ثم عاد إلى الجزائر سنة 1952، ليستمر في نشاطه السياسي في قريته بعين ياقوت التي صار له بها أنصار كثير، ونفوذ واسع في الأوساط الشبابية من العلماء والوطنيين الجزائريين العاملين على استقلال الجزائر وربطته علاقة نضال مع القائدين مصطفى بن بولعيد وبشير شيهاني، وقام بتوزيع منشور الحركة الوطنية.⁽⁵⁾

ثالثاً: نشاطه عشية الثورة: كان محمد لعموري من بين الذين انضموا للثورة في بداية اندلاعها كما ساهم في نشر الثورة والدعوة الى الانضمام لها، لكونه كان سياسياً محنكاً تمكن من مراقبة الوضع وتوسيع دائرة اتصالاته وحث السكان على احتضان الثورة، وقد تمكن من التدرج في مراتب المسؤولية والقيادة بسرعة، ونال اهتمام الجميع فاسندت له سنة 1956 مهمة قائد سياسي-عسكري للمنطقة الاولى (عين التوتة) من الولاية الاولى التاريخية.

أُنيط بمهمة في بلاد القبائل رفقة المجاهد احمد قادة، لإبلاغهم عن رغبة القائد بن بولعيد في عقد مؤتمر وطني يجمع قادة المناطق وتقييم تطور الثورة،⁽⁶⁾ وبعد عودته من القبائل شارك في ضبط أمور المنطقة لمواجهة حملات العدو الشرسة لإضعاف الثورة، وذلك بالنظر لقدرة على التعبئة والتنظيم والقيادة في الأوقات الصعبة.

لقد مرت الولاية الأولى بالعديد من الأحداث العسيرة خاصة بعد استشهاد القائد بشير شيحاني في أكتوبر 1955 على يد رفاقه مما سبب في تدهور الوضع في المنطقة الأولى التي دخلت في أزمة جديدة اثر استشهاد مصطفى بن بولعيد في مارس 1956، وسرعان ما دخلت في صراعات مع قادة اجتماع الصومام الذين أرادوا فرض مواثيقه على قادة الأوراس على الرغم من أنهم لم يستدعوا لحضور أشغاله، إذ أرسل الرائد عميروش لتبليغهم قرارات اجتماع الصومام.

وفي جانفي 1957 عقدت سلسلة من الاجتماعات بالولاية الثالثة التاريخية لدراسة الوضع في الأوراس، ونتج عن هذه الاجتماعات تعيين محمد العموري ممثلاً للأوراس في تونس.⁽⁷⁾

وفي أفريل 1957 ووفقاً للوثائق التي حجزتها المصالح الفرنسية خلال شهر ماي 1957 تم تعيين محمود الشريف على رأس الولاية الأولى، وعين محمد العموري برتبة صاغ أول - أي رائد- نائبا سياسياً للولاية، وأقام لعموري في مركز قيادته بمدينة تاجروين التونسية، ومن هناك توجه إلى القاهرة للمشاركة في أشغال اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية المنعقد بين 20 و28 أوت 1957، وأصبح عضواً دائماً في المجلس الوطني للثورة الجزائرية مما زاده قوة ونفواذاً.

وفي شهر أفريل من عام 1958 رقي العموري إلى رتبة صاغ ثاني -عقيد، ليتم تعيينه في سبتمبر من نفس السنة على رأس الولاية الأولى خلفا لمحمود الشريف الذي أصبح وزيرا للتموين والتسليح.⁽⁸⁾

رابعا: نشاط محمد العموري كقائد للولاية: كان لعموري على دراية تامة بوضع الولاية، وعلى الرغم من قصر فترة قيادته لها، فقد عرفت تطورا ملحوظا، اذ عمل على إعادتها الى مكانتها التاريخية من حيث التنظيم والهيكلية والتسليح، وقد سجل في عهده إدخال عدة قوافل أسلحة إلى الولاية الأولى، وخص المنطقة الأولى التي كان يشرف عليها حيحي المكي والحاج لخضر بجهاز إرسال سلكي، سهل له من مهمة التواصل مع مركز القيادة.

كما حافظ لعموري على مجلس الولاية القديم، واستعان بإطارات مشهود لها بالحكمة والإخلاص، وبذل جهودا معتبرة لتنظيم الولاية وتزويدها بالسلاح والمثونة، واهتم بالاطلاع على الأوضاع في الميدان وأرسل دورية مكونة من أحمد نواورة وعبد الله بلهوشات بغرض معالجة المسائل المطروحة، وأهمها موقف المناوئين لقرارات اجتماع الصومام.⁽⁹⁾

شغل العقيد العموري منصبا قياديا رفقة كل من محمدي السعيد، عمارة بوقلاز وعمار بن عودة في لجنة العمليات العسكرية، التي تأسست في أفريل 1958.

خامسا: خلافه في لجنة العمليات العسكرية وخروجه من الجزائر: ذكرنا أن لعموري قد رقي في أفريل إلى رتبة عقيد ليمثل الولاية الأولى في ما عرف بلجنة أو مجلس العمليات العسكرية *comite ou conseil des operations militaire*، والمتتبع لمسار الأحداث بالولاية الأولى التاريخية مع بدايات عام 1958، سيجد أن نصف أعضاء لجنة العمليات العسكرية، خاصة العقيدين محمد العموري وعمارة بوقلاز قائد القاعدة الشرقية لم يكونوا على انسجام منذ البداية مع لجنة التنسيق والتنفيذ؛ واعتبرا أن تعيينهما في لجنة العمليات العسكرية بذلك الشكل يعني تهميش وتصغير لدورهما، ومن ثمة فإن وجودهما في هذه اللجنة حسب رأيهما كان عملا مقصودا استهدف قادة الولاية الأولى والقاعدة الشرقية معا، فضلا عن أن تعيين العقيد محمدي السعيد على رأس لجنة العمليات لم يكن بالخبر السار بالنسبة لقادة

الأوراس، حيث أن محمدي السعيد كان قد جلب إطارات غير مرغوب فيها إلى القاعدة الشرقية وكون منها محيطا خاصا به.⁽¹⁰⁾

لقد كانت نشأة الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في 19 سبتمبر 1958، هي النقطة التي أفاضت الكأس، كونها لم تنل مشروعيتها من المجلس الوطني للثورة الذي تجاوزته، ولم تدع إلى انعقاده في أوت 1958.⁽¹¹⁾

كان لعموري يرى أن لجنة التنسيق والتنفيذ التي حولت نفسها إلى حكومة لم تضع الولاية الأولى في مكانها الريادي المستحق، وامتنع من نشأة الحكومة دون المرور على المجلس الوطني، وانتقد لعموري قيادة الثورة بشدة وخاصة اعتماد كريم بلقاسم على فكرة ضمه لضباط فرنسا وحمله مسؤولية وضعهم في صفوف الثورة.⁽¹²⁾

نتيجة ذلك، أصدرت الحكومة المؤقتة قرارا في نهاية سبتمبر 1958، يقضي بحل لجنة العمليات العسكرية بعد أقل من أشهر على إنشائها، وقد رافق هذا الحل مجموعة من العقوبات على بعض أعضائها.

أقرت الحكومة المؤقتة عقوبات على مجموعة من القادة العسكريين الكبار في الولاية الأولى أوراس النمامشة، وعلى وجه الخصوص العقيد محمد لعموري قائد الولاية الأولى، وكل من كان في صفه، وهذا بعد احتجاجاته المتكررة، ورفضه لعدة نقاط رفضا ثوريا.

وقد كانت التهم الموجهة له، إثارة الشقاق والنزعة الجهوية، فكانت عقوبته تنزيل رتبته من عقيد إلى نقيب مع الإقامة الإيجابية بالسعودية.

سادسا: نشاطه في القاهرة - بعد إبعاده من الولاية الأولى: بعد العقوبات المسلطة على محمد العموري، رفض تنفيذ الأوامر بأن يذهب إلى السعودية واستقر بالقاهرة، وقد أبدى سخطه الشديد من قرار كريم بلقاسم الذي كان ميالا إلى محمدي السعيد، إذ حافظ على رتبة عقيد، واقتصرت عقوبته على البقاء في القاهرة لمدة شهر، واعتبرت تلك مكافأة بخلاف لعموري المتضرر الوحيد من بين جميع العقداء، عمارة بوقلاز وعمار بن عودة، وبالتالي فقد قرر لعموري رفض العقوبة وعدم الذهاب إلى السعودية، واتهم كريم بلقاسم بالجهوية.

أثناء فترة تواجده في القاهرة، طالب لعموري الحكومة المؤقتة مرارا بمحاكمته محاكمة علنية ثورية، مبديا استعداداه التام لتحمل كافة العواقب المترتبة إذا ثبتت إدانته فعلا، إلّا أن كريم بلقاسم راوغ في الاستجابة لطلبه، وحاول إبعاده قسرا إلى السعودية، وقد استغل لعموري تواجده هناك بالتخطيط للانقلاب على خصومه، حيث أصبح يتردد مرارا على عدة عناصر وطنية مكلفة بمهام في القاهرة، منها: الشيخ عبد الرحمان مهري، الشيخ عمر دردور وظل محمد العموري على اتصال مستمر بقيادة الولايات الشرقية الذين ناصروه في موقفه وتحينوا الفرصة للتخلص من الوزراء العسكريين كلهم.⁽¹³⁾

الجدير بالذكر أن العقيد محمد العموري قد كسب في صفه أثناء فترة تواجده بمصر قيادة القاعدة الشرقية بقيادة الرائد محمد الطاهر عواشرية، وكسب أيضا قيادة الولاية الأولى تحت مسؤولية العقيد أحمد نواورة، الذي شارك العموري نفس الآراء والأفكار؛ ثم دعم أنصار العموري بشخص مهم، وهو الرائد مصطفى لكحل الذي كان طالبا بالقاهرة، وأصبح من أكبر أعوانه.

لقد طلب العموري المساعدة من الحكومة المصرية للإطاحة بالحكومة المؤقتة، وظل العقيد يتصل بفتحي الديب لتنفيذ مخططاته كما كان قد اتصل بالمجاهدين، الوردى قتال وعمر البوقصي ليساعده على تنفيذ مخططه ضد جماعة الحكومة المؤقتة، فرفض البوقصي وقبل قتال على أساس التنسيق سرا مع فتحي الديب وكتمان السر، وعدم إعلام الجميع وتنظيم السفر جوا، ولكن لعموري اخبر الكثيرين وفضل السفر برا ووصل الى تونس قادما من ليبيا بمعية سائق معروف لدى أعضاء الحكومة، وهو عمار قرام.⁽¹⁴⁾

وصل لعموري الى مدينة الكاف التونسية، حيث التقى بقيادة الولاية الأولى ممثلة في العقيد احمد نواورة، ومن معه من مجاهدين وقيادة القاعدة الشرقية ممثلة في الرائد محمد الطاهر عواشرية، ومن معه من مجاهدين كانوا كلهم متذمرين من تصرفان أعضاء الحكومة وخاصة العسكريين الذين يتهمونهم بالانحراف عن مسار الثورة ومبادئها الأساسية

وتصفيتهم لأبرز قادة الولاية الأولى وسوء تصرفهم في أموال الثورة واستغلالها لأموارهم الشخصية.

تقرر عقد الاجتماع في 12 نوفمبر 1958، بمقر القيادة بمدينة الكاف تحت رئاسة العموري، وبحضور ممثلي الولاية الأولى والقاعدة الشرقية.⁽¹⁵⁾

وقد كان من المقرر أن يسير الاجتماع وفق جدول الأعمال التالي:

- 1- عدم الاعتراف بالحكومة المؤقتة.
- 2 - حجز الوزراء وسجنهم بعيدا عن الجزائر.
- 3- السيطرة على القواعد الحدودية ووضعها في أيدي الولاية الأولى والقاعدة الشرقية بالقوة.
- 4- تعيين لجنة مراقبة مكلفة بالسهر على التسيير الحسن للأموال الخارجية.

لم يكد الاجتماع ينطلق حتى تدخل الحرس التونسي بقيادة النقيب محجوب بن علي وإلقاء القبض على الحاضرين باستثناء دراية احمد وصالح السوفي اللذين تمكنا من الفرار، وكان الطرف التونسي يعلم بناء على المعلومات الاستخبارية بالتمرد داخل صفوف الثورة الجزائرية يقوده كل من العقيد لعموري والرائد عبدالله بلهوشات، بهدف توحيد الولاية الأولى والقاعدة الشرقية، وعرفت هذه الحركة باسم حركة الإطارات. 'mouvement des cadre'.⁽¹⁶⁾

لقد جاء التدخل بأمر من الحكومة المؤقتة بحجة محاولة الانقلاب على الرئيس بورقيبة بالتنسيق مع المخابرات المصرية، أما عن كيفية كشف الاجتماع فقد تعددت الروايات، حيث أرجعها مصطفى مرادة إلى عمار قرام الذي أقل لعموري إلى الكاف، حيث اعترف للحكومة المؤقتة بذلك مجبرا، وقد أرجعها علي كافي إلى سالم شلبك الليبي الذي كان يحسن اللهجة الشاوية، وأخبر القيادة بما قاله لعموري أمامه، وأكد التونسيون ان فكرة الانقلاب على الرئيس بورقيبة لم تكن سوى حيلة من القيادة الجزائرية، فسلموا المعتقلين لها لتتم محاكمتهم.

سابعاً: المحاكمة ونهاية حركة لعموري: قامت الحكومة المؤقتة بتشكيل محكمة عسكرية بموجب قرار منها وذلك في 20 جانفي 1959، ترأسها العقيد

هواري بومدين قائد أركان الغرب للنظر في قضية محمد العموري ورفاقه، وقد كانت المحكمة متكونة من:

الرائد سليمان، قاضيا، علي مشيش، عبد العزيز زرداني كمحلفين.

أحمد روايح: كاتب ضبط — علي منجلي: وكيلًا للجمهورية.

سليمان دهيليس وقايد أحمد: قاضيين ومستشارين لرئيس المحكمة.

وبعد شهر كاملا من التحقيق، تلتها المحاكمة التي دامت أسبوعا

كاملا، وقد كانت تهم العموري أثناء محاكمته كثيرة منها:

- التخابر مع دولة أجنبية، مصر والتعامل معها ضد الثورة.
- اتهامه بإثارة الشقاق والنعرات الجهوية داخل صفوف جيش وجبهة التحرير.
- إشاعته لأقوال غير مؤكدة ضد مسؤولين سامين بغرض الإساءة إلى سمعتهم.
- عدم طاعته لأوامر الحكومة المؤقتة ورفض القيام بمهمة سفير للثورة لدى السعودية.
- استغلاله لثقة السلطات على مستوى الولاية لترسل إليه مبلغا هاما من الأموال بطريقة غير شرعية.
- إضافة إلى التلبس بجريمة التآمر على الثورة ومحاولة تحطيم السلطة الشرعية الثورية بوسائل القوة..

أما البقية فقد اختلفت تهمهم من شخص لأخر، وقد كانت في مجملها المشاركة في محاولة الانقلاب على الحكومة المؤقتة.

امتدت الجلسات والمرافعات على طول خمسة عشر يوما، وبعد سماع المتهمين وسماع قرار محافظ الحكومة وهيئة الدفاع بعد مداوات الهيئة القضائية، وفي آخر جلسة بتاريخ 28 فيفري 1959، أعلن رئيس المحكمة هواري بومدين انتهاء المحاكمة، ورفع الجلسات وصدر الحكم في آخر جلسة، حيث قررت المحكمة القضائية العليا قرارات متفاوتة في حق المتهمين، وقد كانت كالتالي:

قضت المحكمة الثورية بنزع الرتبة العسكرية من كافة المتهمين، مع إعدام كل من العقيد محمد لعموري، العقيد أحمد نواورة، الرائد محمد عواشيرية والرائد مصطفى الأكل، أما بقية المتهمين فقد

تراوحت أحكامهم بين التجريد من الرتبة العسكرية إلى السجن بين سنة وسنتين.

وقد تم تنفيذ حكم الإعدام في 16 مارس 1959 بمدينة الكاف بتونس، وهكذا كانت نهاية العقيد الأوراسي الذي كان يردد دائما كلمات الشاعر المتنبى: عش عزيزا، أو مت وأنت كريما، ليتم في 24 أكتوبر 1984 إعادة الإعتبار له من طرف السيد رئيس الجمهورية الشاذلي بن جديد، عشية الاحتفالات بالذكرى الثلاثين لاندلاع الثورة، وإعادة دفنه في جنازة رسمية ومنح لقب وسام الشهيد العقيد.⁽¹⁷⁾

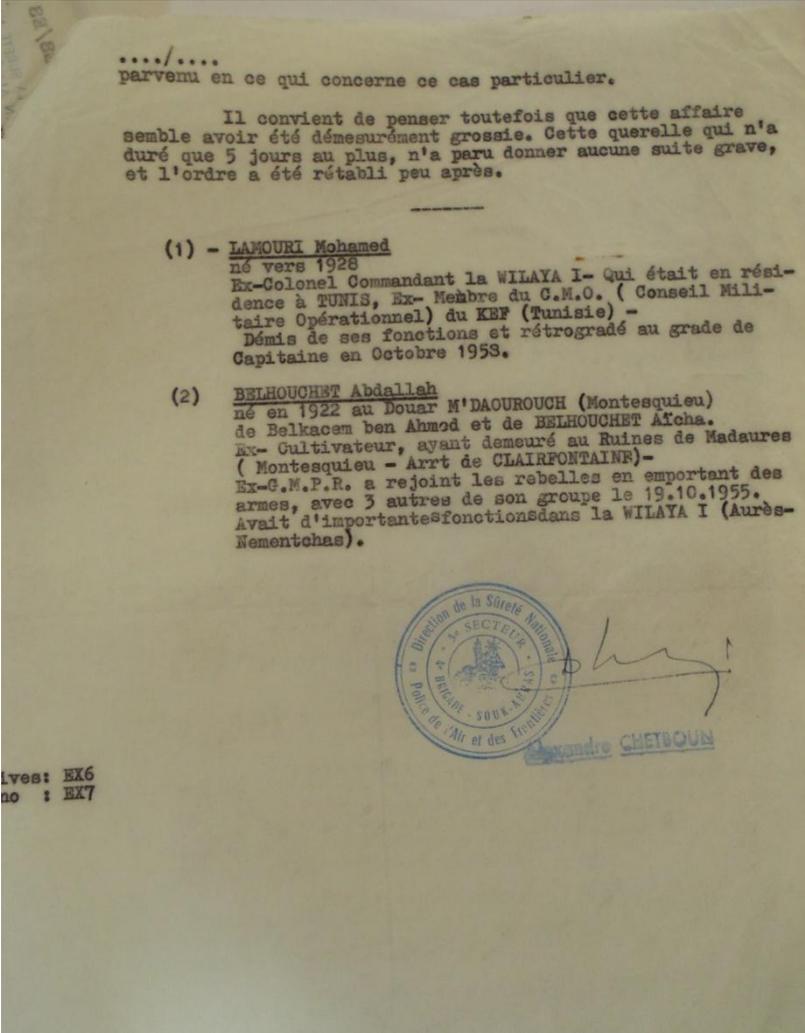
الخاتمة:

في نهاية هذا البحث الذي أردنا من خلاله تسليط الضوء على نشاط العقيد محمد العموري، احد قيادات الثورة في الولاية الأولى أوراس النمامشة، وأحد القياديين في المنطقة الأولى من الولاية الأولى والتي هي المحور الأساسي لهذا الملتقى، إذ يعتبر محمدالعموري أحد روادالرعيل الأول للثورة التحريرية، ومن المساهمين في التحضير لها في صفوف الحركة الوطنية، فنشط منذ نهاية الحرب العالمية الثانية في صفوف حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وحين انفجرت الثورة كان من بين الذين انضموا إليها في بداية ميلادها في المنطقة الأولى.

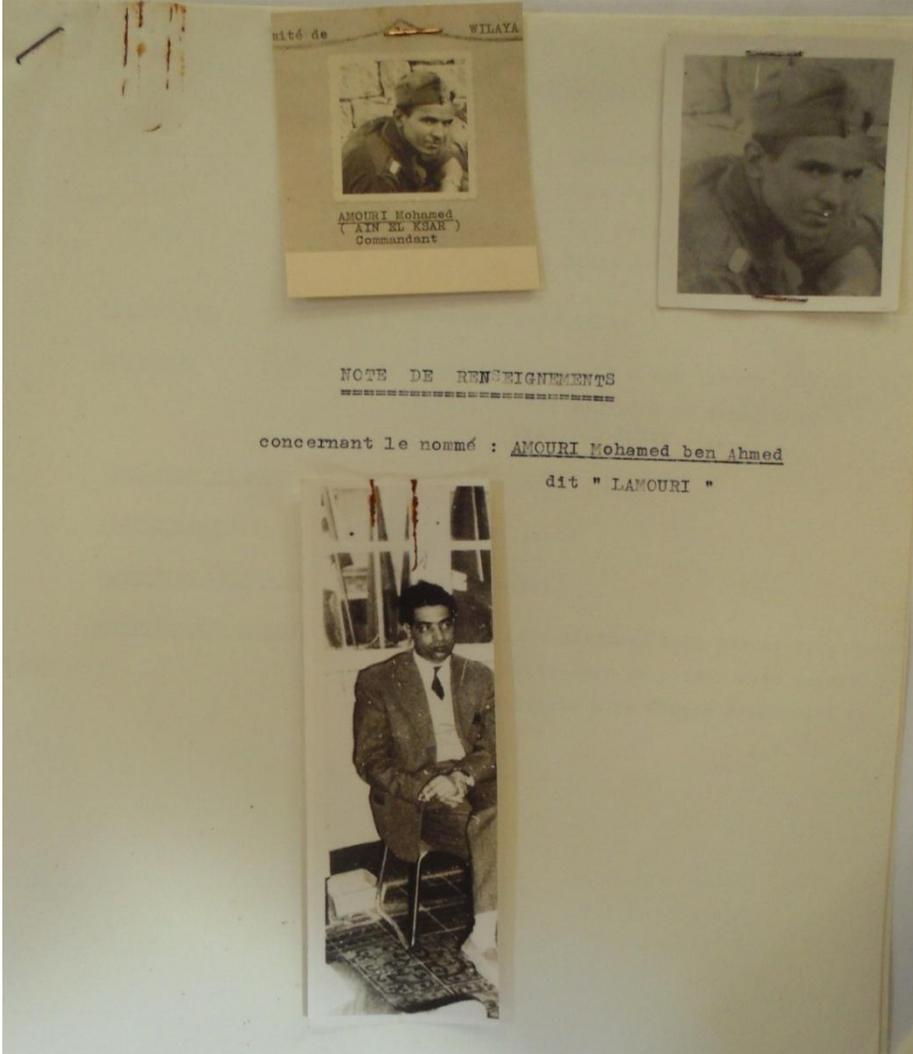
وتدرج العموري في المناصب في الولاية الأولى التاريخية شيئا فشيئا حتى تسلم قيادتها وأشرف على العديد من مؤسسات الثورة الأخرى، وبذلك يكون لعموري قد أسهم بدور فعال في الحركة الوطنية، وقيادةالولاية الأولى، وتمثيلها تمثيلا مشرفا داخل مختلف مؤسسات الثورة.

لقد كان لعموري متشعبا بمبادئ الثورة ولم يخش لومة لائم في الدفاع عنها، مما جعل قيادة الثورة تبعده وتسيء إليه ثم أعدمته ورفاقه، وهكذا ضحى لعموري بنفسه دفاعا عن المبادئ الأساسية للثورة.

الملحق الاول: التعريف بالشهيد محمد العموري والمجاهد عبد الله بلهوشات من تقرير الشرطة الفرنسية أثناء حادثة العموري



الملحق الثاني: صور للشهيد العموري باللباس العسكري برتبة رائد
وصورة باللباس المدني في القاهرة قبل المحاكمة



الملحق الثالث: معلومات عن هوية العموري من وضع الشرطة الفرنسية

- RENSEIGNEMENTS D'IDENTITE -

ETAT-CIVIL : A N O U R I Mohamed , né le 14 Juin 1929
au Douar OULED SI ALI (C.M. d'AIN - EL -
KSAR) de feu Ahmed ben Farhat et de
BENANNARI Hizia bent Sahraoui

PROFESSION : Boucher, puis Taleb

DOMICILE : Douar OULED SI ALI - AIN YAGOUT (C.M. AIN EL
KSAR)
Aurait résidé fin 1951 et début 1952 à
IVRY SUR SEINE

SITUATION DE FAMILLE : Célibataire

INSTRUCTION : Lettré en arabe

SITUATION MILITAIRE : n'a pas servi

ANTÉCÉDENTS JUDICIAIRES : Condamné le 9 Novembre 1951 par le T.C. de
BATNA à trois mois de prison avec sursis,
pour " Atteinte à la sûreté extérieure de
l'Etat ".

الملحق الرابع: معلومات أرشيفية عن مسار الشهيد العموري

- RENSEIGNEMENTS D'ARCHIVES -

Originaire du Douar Ouled Si Ali de la C.M. d'AIN EL KSAR, AMOURI Mohamed suit les cours de la Médersa Oulama de CONSTANTINE, de 1948 à 1951.

Depuis 1948, à chacun de ses séjours dans la région d'AIN-YAGOUT, il fait preuve d'une grande activité séparatiste. Au moments des élections législatives de 1951, il fait campagne en faveur du M.T.L.D.-P.P.A.

Le 5 Juillet 1951, il est inculpé d'atteinte à la Sécurité extérieure de l'Etat pour avoir approuvé publiquement les propositions par le nommé ZERGUINE Saïd qui critique l'oeuvre de la France devant les fidèles assemblés à l'occasion de l'Aïd-Seghir. A ce sujet, il déclare notamment : " La LYBIE a obtenu son indépendance. Nos frères P.P.A. souffrent dans les prisons. Il faut les aider, lutter comme eux et aller en prison si besoin est " .

Après sa condamnation à trois mois de prison avec sursis, AMOURI quitte l'Algérie pour la Métropole, où il est signalé à IVRY-SUR-SEINE au début de l'année 1952.

De retour en Algérie après les événements de Novembre 1954, il rejoint le maquis de l'Aurès.

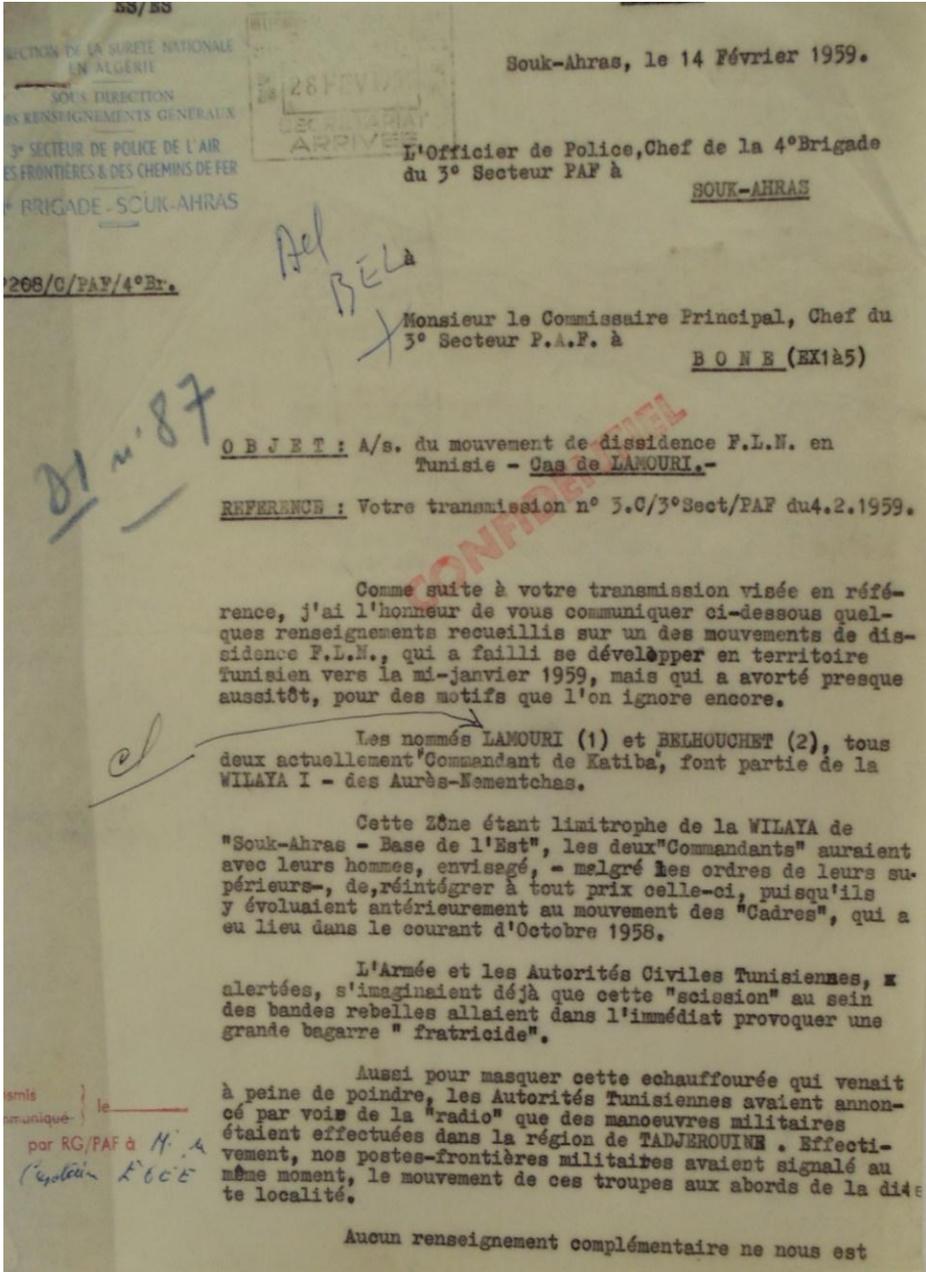
Dés lors, AMOURI prend rapidement de l'importance et devient en 1956 chef politico-militaire de la Zone I (AIN-TOUTA) des Aurès.

En Mai 1957, à la suite de la saisie de lettres et documents, il s'avère que les chefs F.L.N. de TUNIS ont mis en place une organisation et un commandement d'ensemble de la Wilaya I. Dans le cadre de cette organisation, AMOURI Mohamed devient Adjoint au Chef de la Wilaya I CHERIF Mahmoud, avec le grade de "COMMANDANT". AMOURI se tient dès lors en permanence à TADJEROUINE (TUNISIE) où se trouve le P.C. de la Wilaya I.

Au mois d'Août 1957, AMOURI se rend au CAIRE et participe entre le 20 et le 28 Août aux travaux de la réunion ordinaire du C.N.R.A. de l'année 1957.

Il devient ~~alors~~ membre titulaire du C.N.R.A.

الملحق الخامس: معلومات جمعتها الشرطة الفرنسية حول خلافات بين الشهيد العموري وقيادة الثورة.



الهوامش:

1. ارشيف ما وراء البحار اكس ان بروفانس علبة 4136/93 تقرير الشرطة باتنة في 4 ماي 1957) كذلك محمد علوي قادة ولايات الثورة الجزائرية 1954-1962 دار بن زيد للطباعة والنشر 2013.
2. نفس المصدر السابق.
3. المصدر السابق استعلامات أرشيفية واستعلامات هوية تقارير الشرطة العامة قسنطينة افريل 1957.
4. المصدر السابق بطاقة استعلامات صادرة عن الحكومة العامة الجزائر في 10 افريل 1957.
5. المصدر السابق تقرير الشرطة بباتنة في 04 ماي 1957). وكذلك محمد علوي المرجع السابق، ص 46.
6. المصدر السابق استعلامات أرشيفية) - وكذلك شهادة المجاهد دراجي لعموري نقلا عن عمار ملاح جيش التحرير الوطني الولاية الاولى الجزائر دار الهدى للنشر والتوزيع الجزء 32012 ص 90- وكذلك صالح قوجيل (مصطفى بن بولعيد شعلة فكر واداء متميز)، مجلة اول نوفمبر المنظمة الوطنية للمجاهدين العدد 183 مارس 2017، ص 18.
7. شهداء منطقة الاوراس 1954-1962، جمعية رواد الثورة في منطقة الاوراس بباتنة الجزائر دار الهدى للطباعة والنشر 2002، ص 38.
8. ارشيف اكس المصدر السابق استعلامات أرشيفية، وكذلك صالح بلحاج: جنور السلطة في الجزائر الأزمات الداخلية لجبهة التحرير الوطني 1956-1965، الجزائر مطبعة بن مرابط دت. ص 50.
- وأیضا، عبد الله مقلاتي "محمد لعموري ومؤامرة العقداء - محاولة إعادة قراءة منعرج حاسم في تاريخ الثورة الجزائرية" مجلة افكار وافاق المجلد 4 العدد 52015 ص 76-78.
9. الطاهر جبلي دور القاعدة الشريفة في الثورة الجزائرية 1954-1962 الجزائر 2014 ص 206-207
10. محمد حربي، "مؤامرة لعموري (ترجمة) محمد هناء مجلة الدراسات العقد الاجتماعي العدد 14-15 الجزائر 2001 ص 15-16.
11. علي كافي، مذكرات من المناضل السياسي الى القائد العسكري 1946-1962 الجزائر دار القصبه 1999 ص 230، وكذلك عثمان بن مسعود الثورة التحريرية أمام الرهان الصعب الجزائر دار الهدى للنشر والتوزيع 2012 ص 397
12. لونيبي ابراهيم، "المحاكمات العسكرية أثناء الثورة دراسة لبعض النماذج " الملتقى الوطني حول القضاء إبان الثورة جامعة الأمير عبد القادر 16-17 مارس 2005 الجزائر 2007 ص 149
13. الوردي قتال، مذكرات المجاهد القائد الميداني الوردي قتال عراسة الجزائر دار كنوز، 2017 ص 154.
14. نذكر هنا القادة المجتمعين ومنهم أحمد نواورة، عبد الله بلهوشات، صالح قوجيل، عمار العقون، صالح السوفي، محمد الشريف مساعدي، دراية احمد، شويشيا العيساني، بودوغ محمد الصغير، عباس غزيل، محمد صالح، لخضر بلحاج، عمار معاش، عبد الحميد زنتي، حمودي زنتي، محمود الواعي، رايح مضوي، أحمد بودوغ، محمد صالح بن فيالة، السعيد مشلق، السعيد عبيد، عبد الكريم حمروش.
15. ارشيف اكس ان بروفانس المصدر السابق تقرير الشرطة الفرنسية سوق اهراس في 14 فيفري 1959
16. حربي محمد، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، (ترجمة): كميل قيصر داغر، مؤسسة الأبحاث العربية، دار الكلمة للنشر، بيروت لبنان، 1983. ص 189.

الكفاح الثوري للعقيد محمد الصالح يحيياوي 1956-1962

من خلال الروايات الشفوية

أ.د. جمال بلفردى

المركز الجامعي. بريكة

مقدمة

تندرج هذه المحاولة في سياق تقديم كتابه تاريخية موضوعية لشخصية أماطت اللثام عن نفسها بنفسها، كيف لا والرجل منذ سنة 1962 تبوء مناصب قيادية خلال السنة الأخيرة من الثورة التحريرية" عضو في آخر مجلس للولاية التاريخية الأولى" إلى عقيد على الناحية العسكرية الثالثة "بشار" سنة 1963، وعضوا باللجنة المركزية للحزب بعد اجتماع جبهة التحرير الوطني 16- 22 /04/1964، وعضوا في مجلس الثورة الذي ترأسه العقيد هواري بومدين بعد حركة 19/06/1965، ثم عهد إليه إدارة الأكاديمية العسكرية لمختلف الأسلحة بشرشال في سنة 1969، ولمدة فاقت تسع سنوات، وخلال سنة 1977 تم تنصيب العقيد يحيياوي كمسؤول تنفيذي على رأس جهاز جبهة التحرير الوطني إلى ما بعد تعيين الرئيس الشاذلي بن جديد على رأس الجمهورية الجزائرية.

بالرغم من هذا المسار التصاعدي وحضوره القوي في أجهزة الدولة الجزائرية العسكرية منها والسياسية خلال فترة حكم الرئيس هواري بومدين، وظهوره الإعلامي اللافت فإن ما استوقفنا هو عدم وجود مادة علمية تتناول شخصي العقيد محمد الصالح يحيياوي باستثناء خطباته التي نشرتها أمانة جبهة التحرير الوطني، وخلال إشرافي على طلبه الماستر موسم 2016- 2017 وجهت الطالبة -الأستاذة بوجلال آمنة إلى دراسة جوانب من شخصية محمد الصالح يحيياوي، وهو ما حصل، رغم علمي المسبق بشح المعلومات إن لم أقل انعدام المادة العلمية حوله، ما جعلها تحت الخطى للحصول على الروايات الشفوية لزملاء وأصدقاء محمد الصالح في درب الكفاح والنضال رغم علمنا أنها تنحوا إلى طابع " الغالب والمغلوب" لتبرير الحادثة التاريخية، ومجرياتهما من أجل أغراض

ومصالح ظرفية لا تخدم سيرورة الحادثة التاريخية، ولا البناء المعرفي فيها .

خلال عملية الإشراف على تلك المذكرة المميزة، والتي انطلقت من العدم من حيث المادة العلمية، كنت ألحّ على الطالبة/ الأستاذة أن تمدني بالروايات الشفوية التي تسجلها مع المجاهدين، وهي مشكورة على ذلك منها خاصة روايات المجاهدين عبد السلام يحيايوي شقيق محمد الصالح، وشهادة لحسن رنان، وشهادة المجاهد أحمد قادة، وشهادة المجاهد عبد الرحمان قتال، وشهادة المجاهد مصطفى بن عبيد، وشهادة المجاهد عبد الصمد، وشهادة المجاهد والفدائي محمد بن صيب، كروايات شكلت في مجموعها الحجر الأساس للمادة العلمية التي تمحورت عليها هذه المحاولة المعرفية.

وبالموازاة مع عملية القراءة لتلك الروايات تبين لي أنه يستحيل التصديق بكل ما طُرح فيها من آراء، لذا حاولت قدر الإمكان تصفيفها تمحيصا ونقدا على الرغم ما تحمله من معلومات قد تفيد الباحث في نسج الملامح الأولى للكتابة التاريخية السليمة، فإن بعضا منها أعاقني في عملية المقارنة من حيث الأحداث التاريخية واختلاف الأماكن، وزمن الاشتباكات والمعارك ...، وغيرها كثير.

وبين هذا وذاك كانت الرغبة الشخصية الدافع في تناول المواضيع المتعلقة بالثورة مما جعلني أيمم شطر مسح الغبار على شخصية قدمت النفس والنفيس للثورة التحريرية في ربوع الولاية التاريخية الأولى رائدة الكفاح المسلح إبان الثورة التحريرية على وجه العموم، وللمنطقة الأولى على وجه الخصوص؛ شخصية آثرت الوطنية والعمل المسلح على مسار العلم الذي كرس له سنوات من زهرة عمره، قد تميّط أسطر هذه الفسحة العلمية زوايا خفية، وغير معروفة عن الشخصية الغامضة في عيون الكثيرين من الباحثين والطلبة، وما المميز في هذه الشخصية حتى تتقلد المسؤوليات في نفس السنة التي التحق فيها بالثورة، وتدرج عبر مستوياتها المختلفة إلى غاية وصوله إلى عضوية آخر مجلس الولاية التاريخية الأولى عارفا بشؤون التنظيم السياسي والعسكري للثورة في المنطقتين الأولى والثانية من الولاية التاريخية الأولى.

بقدر ما وفرته لي الروايات التاريخية المتضاربة والمتباينة في معلوماتها من جهة، وضغط العمل البيداغوجي من جانب ثاني، ومسؤوليتي اتجاه منطقتي وولايتي التاريخية أن أساهم ولو بنزر قليل في سبيل تحرير أسطر قد تشفي غليلي العلمي حول شخصية رأيت فيها الرمز الذي لا يغيب طيف شمسه عن فعاليات هذا اليوم الدراسي.

من هذا المنطلق؛ ومن باب استنباط بعض التحويلات حول رمزية وشخصية محمد الصالح يحيواوي النضالية والكفاحية، حاولت تفكيك ثنايا الإشكال: ما الظروف التي جعلت الطالب محمد الصالح يترك مقاعد الدراسة في المعهد الباديسي، ويلتحق بالثورة؟ وكيف كان مساره الثوري؟ ولفهم سياق المحاولة مع ما توفر لي من الروايات الشفوية التي كانت السند لي في تحرير أسطر الورقة التاريخية لتفسير متنها الذي قسمته إلى محطتين رئيسيتين، تناولت في الأولى المولد والنشأة وكيفية التحاقه بالثورة وأهم المعارك التي خاضها او التي شارك فيها ضد العدو في المنطقة الأولى، وبعض مناطق الولاية التاريخية الأولى الأخرى.

1- المولد والنشأة والالتحاق بالثورة

ولد العقيد محمد الصالح يحيواوي بتاريخ 09/3/ 1937 بعين الخضراء بإقليم الحضنة، ونشأ في عائلة مثقفة حافظة لكتاب الله، والده الشيخ عيسى يحيواوي صاحب العلامة رائد النهضة الجزائرية المعاصرة الشيخ عبد الحميد بن باديس، وقد درس الطفل محمد مرحلة الابتدائي في مدينة بريكة بالمدرسة الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وانتقل إلى كتاتيب جنوب شرق الاوراس، ليعود إلى منطقة بريكة بين 1947-1951، وقد كان كثير التردد على زوايا وكتاتيب الزاب الغربي خاصة في منطقة طولقة.⁽¹⁾

كان الطفل محمد صالح على قدر كبير من الذكاء والفتنة والحكمة منذ صغره بحكم مرافقته لوالده الدائمة لمجاس العلم والاحتكاك بالعلماء وطلاب العلم، ومع هذه الملازمة العلمية كسب محمد الصالح التلميذ رجاحة عقل وفتنة وذكاء علمي أهله لأن يكون من أنشط وأعقل من بين أقرانه.⁽²⁾

مع بلوغه سن الرابعة عشر من عمره، انتقل الطالب محمد الصالح يحيياوي إلى المعهد الإسلامي عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، ليكمل تعليمه ليحقق أمله في مواصلة تعليمه في المشرق العربي بحسب شهادة أخيه السالفة الذكر.

إن الوطنية التي كانت تتأجج في صدور أجيال من الجزائريين خاصة بعد الحرب العالمية الثانية كانت من الأسباب التي أرشدت الطالب محمد الصالح يحيياوي إلى اختيار الطريق الثوري، وآثاره على استكمال تحقيق حلمه الدراسي، وتؤكد له ذلك جليا بعد غلق السلطات الفرنسية للمعهد الحر ابن باديس بقسنطينة سنة 1956، وهي السنة التي قام فيها محمد الصالح بالاتصال بالرعيل الأول من مجاهدي الثورة بالمنطقة التاريخية الأولى خاصة عبد الحفيظ طورش الذي عينه مسؤول الناحية الثانية وكاتبا للكتيبة. وأمين عام لها.⁽³⁾

تقلد بعدها محمد الصالح يحيياوي رتبة ضابط سياسي نظير مستواه العلمي والثقافي، وكان يقوم بدوره التوعوي والتوجيهي للشعب الجزائري، وفي نهاية سنة 1956 عين مسؤولا سياسيا للناحية الأولى بالمنطقة الأولى التاريخية نظير ما كان يتمتع به من فصاحة اللسان وبراعة أسلوب الإقناع في الأوساط الشعبية والثورية.⁽⁴⁾

تعدى النشاط الثوري لمحمد الصالح الثوري المنطقة الأولى من الولاية التاريخية الأولى، وفي هذا الصدد وخلال عام 1957 اجتمع بعض القادة السياسيين للولاية التاريخية الأولى بمنطقة أولاد تبان بالناحية الثالثة "سطيف" تحت إشراف سي المكي حيحي، وكان من الحاضرين محمد الصالح يحيياوي، وخرج الاجتماع بتحضير لوثيقة أطلق عليها "دستور الولاية التاريخية الأولى" شمل جميع النواحي والميادين السياسية والعسكرية والمدنية التي تخص جيش وجبهة التحرير الوطني، وعلاقتها بالشعب الجزائري الحاضنة الأساسية والقاعدة المتينة للثورة الجزائرية.⁽⁵⁾

وتشير بعض الشهادات التاريخية أن محمد الصالح يحيياوي كان كثير التنقل بين النواحي المنطقة الأولى بالولاية الأولى التاريخية كدليل على تفانيه في عمله الجهادي بالدرجة الأولى وإخلاصه في أداء

واجبه الثوري والنضالي، ومع مرور الأيام الثورية أصبح محمد الصالح المجاهد على قدر كبير من المسؤولية التاريخية اتجاه وطنه.⁽⁶⁾

إن المهام التي كانت من صميم عمل المسؤول السياسي هي توعية الشعب بضرورة الالتحاق بالثورة، وإطلاع الشعب على انتصارات جيش التحرير الوطني على العدو الفرنسي رغم قلة إمكاناته وخلال التجمعات كان يدفع المنح للمجاهدين وأبناء الشهداء والأرامل، في الوقت ذاته يشجع على رفع من قيمة ما يدفع من المستحقات لصالح جيش التحرير الوطني من زكاة، وعشور، والاشتراكات المتعلقة بالجهة.

ولعلنا هنا نذكر ما كان يقوم به محمد الصالح يحيايوي في نشاطه اليومي خلال تنقلاته إلى نواحي المنطقة الأولى من الولاية الأولى التاريخية، ومن ميزات التنظيمية التي كان يستعين بها أنه ومع نهاية كل اجتماع سواء مع المجاهدين أو الخاصة بالتجمعات الشعبية يخبرهم فيها بوجهته التي سوف يقصدها ليس تأكيدا، وإنما تضليلا واستدرجا لبعض الخونة اللذين كانوا يحضرون تجمعاته الشعبية، وإسقاطهم في الفخ بعدها.⁽⁷⁾

مع تعيين العقيد الطاهر زبيري قائدا على الولاية التاريخية الأولى في أكتوبر 1960، باشر في إعادة تنظيم الولاية بتعين محمد الصالح يحيايوي مسؤولا سياسيا على المنطقة السادسة من الولاية التاريخية الأولى برتبة صاغ أول.⁽⁸⁾

مع بداية العد التنازلي لمفاوضات إيبيان في مارس 1962، ترقى محمد الصالح يحيايوي إلى رتبة رائد، وأصبح عضوا في قيادة الولاية التاريخية الأولى مع الرواد: اسماعيل محفوظ والرائد عمار ملاح، كنواب للعقيد الطاهر الزبيري كأخر مجلس للولاية التاريخية الأولى.

2. مشاركاته في المعارك بالمنطقة الأولى وبعض مناطق الولاية التاريخية الأولى الأخرى:

إن أولى المعارك التي خاضها العقيد محمد الصالح يحيايوي، كانت في جبل بوطالب بالحامة التي كانت تابعة للمنطقة الأولى من الولاية التاريخية الأولى في شهر أوت 1956 برفقة 36 مجاهدا، وبقيادة المجاهد مصطفى تبارني، وفيها بحسب الشهادات التاريخية وقع اشتباك بين

المجاهدين وقوات العدو، وخرج فيها جنود التحرير بأخف الأضرار رغم ضراوة الحصار الفرنسي.⁽⁹⁾

وخلال شهر أكتوبر من سنة 1957، وقعت معركة بالناحية الثانية بالمنطقة الثانية بالولاية التاريخية الأولى، والتي نقل إليها محمد الصالح يحيايوي نتيجة نقص الإطار الثوري فيها، وجرت وقائعها بجبل تيجروين على الحدود التونسية تحت قيادة السعيد عوفي بمعية محمد الصالح يحيايوي، وبصحبتها 200 مجاهد مسلحين بأسلحة خفيفة أوتوماتيكية مقابل قوة عسكرية فرنسية تجاوز عددها ثلاثة الآلاف عسكري مدعّمين بسلاح الطيران، واثنى عشر مدفعا عيار 105 ملم، ومع الحصار الذي فرضه العدو ليوم كامل أسفرت المعركة عن استشهاد مئة مجاهد وجرح 15 آخرين، في الوقت الذي بلغت خسائر العدو سقوط 15 من جنوده كقتلى وإسقاط طائرة استكشافية.⁽¹⁰⁾

في بداية جانفي 1958 اندلعت معركة في جبل مستاوة التابعة للمنطقة الأولى من الولاية التاريخية الأولى، وسببها انتشار خبر قدوم مجموعة من المجاهدين من منطقة أولاد سلام، وجرت المعركة تحت قيادة محمد الصالح يحيايوي، والسعيد عوفي ومحمد بن صيب، ومحمد الصالح بلعباس، وكان من نتائج تلك المعركة استشهاد ثلاث مجاهدين وجرح ستين منهم، بالمقابل أسفرت عن مقتل أكثر من 120 جندي فرنسي، وبحسب شهادة محمد بن صيب فإنه كان لمحمد الصالح يحيايوي الفضل في نتائج المعركة، والذي كان يأمر جنوده بالسير مسافة 25 متر منبطحين للخروج من المعركة بأقل وأخف الأضرار، وبعد ثلاثة أيام اجتمعت الكتيبة في جبل تالمات قرب واد الماء من أجل تقييم نتائج المعركة.⁽¹¹⁾

بعد فترة ليست بالطويلة، قامت معركة بجبل الرفاعة بالاوراس الغربي تحت قيادة محمد الصالح يحيايوي، حسين عبدالسلام المدعو بولحية بمعية 300 مجاهد، في الوقت الذي حشدت فيه القوات الفرنسية أكثر من اثني عشر ألف جندي وسبعون طائرة منها 36 هيلوكبتر، ومئة مدرعة ودبابة لتطويق المكان، ودامت المعركة يومين كاملين خسر فيها العدو الفرنسي أكثر من 200 ما بين قتيل وجريح، وقد كانت

للخطابات التحفيزية التي كان يرددتها محمد الصالح يحيايوي وقعا ايجابيا على نفسية جيش التحرير الذين تيقنوا من محاصرة العدو لهم، واستبسلوا في المعركة وشعارهم "إما الشهادة أو النصر".⁽¹²⁾

وبحسب شهادة محمد بن صيب التي أفادتنا كثيرا في هذه المحاولة البحثية ذكر أن الضابط محمد الصالح يحيايوي شارك في معركة السلانيس بالمنطقة السادسة في جويلية 1959 بصفته قائدا للمعركة، وعلى رأس كتيبة بلغ عدد أفرادها 55 جندي ضد قوات العدو التي فاقت 250 عسكري ومعززا بأليات منها: 40 شاحنة، و15 دبابة، و05 طائرات، ودامت المعركة يوما كاملا فقد خلالها العدو 10 جنود، وجرح أكثر من 20 جندي وإسقاط طائرة، ولجأ العدو إلى المدنيين للانتقام لقتلاه، وحرق ممتلكاتهم.⁽¹³⁾

وبعد مرور حوالي شهر على هذه المعركة من نفس السنة 1959، وقع اشتباك بين العساكر الفرنسيين والمجاهدين بمرج إذمانم بناحية ثنية العابد بالمنطقة الثانية بالولاية التاريخية الأولى، وكان ممن حضر فيها الضابط محمد الصالح يحيايوي كمسؤول على المنطقة الثانية برفقة العديد من المجاهدين ضد قوات ضخمة من العدو، ودامت المعركة يوما كاملا سقط خلالها بحسب الدراسات التاريخية أكثر من 100 عسكري فرنسي قتيلا، منهم ضباط برتبة نقيب مع ما غنمه المجاهدين من الأسلحة، وإصابة المجاهد الكبير محمد حابة بجروح.⁽¹⁴⁾

طوق بجبل شلعلع وخلال شهر جويلية 1960 العدو المكان بنواحي مروانة (بين الشعبة وحملة مطل على مروانة) بقوة قدرت بستة الآلاف مدعمة بكل الأسلحة والمدرعات، وأسفرت المعركة عن استشهاد 22 مجاهد، وإصابة محمد الصالح يحيايوي بجروح، في الوقت الذي فقد فيه العدو 200 عسكري.⁽¹⁵⁾

جرت في غابة بني ملول بشيليا معركة أخرى خلال شهر فيفري 1961، بقيادة الرائد على سوايعي الذي كان قائدا بالنيابة للولاية التاريخية الأولى في غابة بني ملول أين يتواجد مقر الولاية التاريخية، وكان من الحاضرين في المعركة محمد الصالح يحيايوي ومصطفى مراردة المدعو بن النوي ومحمد الصالح بلعباس، استشهد فيها 96 مجاهد

من أصل 160 حضروا وقائع المعركة، وسقوط 100 جندي من قوات العدو، واستشهد فيها القائد بالنيابة للولاية التاريخية الأولى على سوايعي، وإصابة القائد الطاهر الزبيري بجروح.⁽¹⁶⁾

بعد أيام قليلة وقع اشتباك بين القوات الفرنسية ومجموعة من المجاهدين يتقدمهم محمد صالح يحياوي وأحمد حبة، ورغم استخدام فرنسا للقنابل المحرمة دولياً، وقد أحدثت تلك القنابل انفجاراً مهولاً وتطايرت شظاياها إلى المناطق القريبة من موقع المجاهدين استقرت أجزاء منها في محفظة محمد صالح يحياوي التي تلازمه ليلاً ونهاراً، كما يذكر ذلك منصور رحال في مذكراته من أن محمد الصالح يحياوي جرح في ذلك الاشتباك، وهو ما توضحه الصورة التذكارية التي تبين معالجة الطبيب الرائد محفوظ إسماعيل لقائد المنطقة الثانية، وهو مستلقي على سرير خشبي.⁽¹⁷⁾

نصب العدو كميناً في شهر فيفري 1962 قرب قرية علويجي بأمر الرخاء ببوزينة بالناحية الأولى بمنطقة أريس، سقط خلالها 10 مجاهدين منهم ضباط على رأسهم مسؤول المنطقة الثانية المجاهد محمد الصالح يحياوي، الذي تأثر بالجروح البليغة التي ألحقت به، وتحول الاشتباك إلى معركة عنيفة بين الطرفين دامت نصف ساعة انتهت بخروج المجاهدين بصعوبة كبيرة لإسعاف المجاهد محمد الصالح يحياوي، ونقله على جناح السرعة إلى مستشفى مقر الولاية التاريخية بكيمل لتلقي العلاج من طرف لحسن يخلف وعلي سرار، ومما ساعد المجاهدين على الخروج من جحيم الفخ والمعركة، الإمداد السريع الذي تم من طرف كتيبة مسلحة كانت قريبة من موقع المعركة ساعدت كتيبة محمد الصالح يحياوي للخروج من طوق العدو.⁽¹⁸⁾

تلقى يحياوي مع وصوله إلى مقر المصحة الخاصة بمقر الولاية التاريخية الأولى علاجاً مكثفاً من الطبيب الرائد إسماعيل محفوظ، ومساعدته لخضر الشريف اللذين حاولا إعادة العظم وجبره إلى مكانه غير أن المحاولة باءت بالفشل، وبقي العقيد محمد الصالح بهذه العاهة إلى غاية ما بعد الاستقلال، وإعانة نفسه بعضاً كان يتكأ عليها.⁽¹⁹⁾

الخاتمة:

من خلال الروايات الشفوية التاريخية التي تمحصنا جوانب منها، فإن المجاهد محمد الصالح يحيايوي رحمه الله يحمل في جسمه ثمانية عشر إصابة جعلته يلقب بالشهيد الحي، ويسجل له التاريخ أنه كان مسؤولاً منذ الشهور الأولى لالتحاقه بالثورة، ورغم ذلك فقد كان في الصفوف الأولى في قيادة المعارك وتوجيه المجاهدين، ورفع معنوياتهم في عز المعارك بفضل ذكائه وحسن قراءته لخطط العدو، ولا يبالي بنفسه في الكثير من المواطن الحربية محققاً في ذلك ما جاء في بيان أول نوفمبر 1954 إما النصر، وهو ما تحقق للوطن الغالي في صيف 1962، أو الشهادة التي أقتحم ميدانها في الكثير من المواطن، وكتب له القدر بأن يكون من بناء الوطن بعد الاستقلال وبزغ اسمه كقائد ومسؤول على العديد من مؤسسات الدولة الجزائرية في عهد الرئيس هواري بومدين.

الهوامش والإحالات:

- 1- شهادة عبد السلام يحيايوي مع الأستاذة أمنة بوجلال في لقاء خاص بمقر مكتبة بلدية بريكة بتاريخ 24-11-2016 على الساعة العاشرة صباحاً .
- 2- شهادة لحسن رنان "من مواليد 1941 مجاهد سابق في فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا "للأستاذة أمنة بوجلال" في مقر المتحف الخاص بالأستاذ الباحث قرابي سليمان بيريكة بتاريخ 2017/01/17 على الساعة 11:00 صباحاً.
- 3- شهادة المجاهد أحمد قادة" أحد مفجري الثورة ليلة أول نوفمبر ومن الرعيل الأول مع مصطفى بن بوالعيد"للأستاذة أمنة بوجلال في لقاء خاص في منزله بطريق تازولت بباتنة بتاريخ 2017/01/08 على الساعة 14:00.
- 4- شهادة المجاهد عبد الرحمان قتال في لقاء خاص مع الأستاذة أمنة بوجلال في مقر المكتب الولائي للمجاهدين بباتنة بتاريخ 2017/01/08 على الساعة 10:30.
- 5- شهادة المجاهد مصطفى بن عبيد في لقاء خاص مع الأستاذة أمنة بوجلال في مقر المكتب الولائي للمجاهدين لولاية باتنة بتاريخ 2016/12/05 على الساعة 10:45 .
- 6- شهادة المجاهد عبد الصمد مع الأستاذة أمنة بوجلال في لقاء خاص وحصري بمقر المكتب الولائي للمجاهدين بباتنة بتاريخ 2017/01/08 على الساعة 10:15 صباحاً.
- 7- شهادة المجاهد والفدائي محمد بن صيب في لقاء مع الأستاذة أمنة بوجلال في مقر المكتب الولائي للمجاهدين بباتنة بتاريخ 2016/12/05 على الساعة 09:30 .
- 8- الطاهر الزبيري، مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين 1929-1962، منشورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2008، ص21.
- 9- شهادة المجاهد احمد قادة السابقة.
- 10- ج، ت، و، التقرير الجهوي للولاية التاريخية الأولى المقدم للملتقى الثالث لتسجيل أحداث الثورة التحريرية بين 20 أوت 1958 إلى 31 ديسمبر 1958، باتنة، الجزائر، ص، 167.
- 11- شهادة محمد بن صيب السابقة.

- 12- اللجنة الوطنية لإحياء الأعياد الوطنية، ملخص لبعض المعارك الكبرى للولاية الأولى التاريخية، المنظمة الولائية للمجاهدين، باتنة، ص 8 .
- 13- شهادة محمد بن صيب السابقة.
- 14-المكتب الولائي للمجاهدين باتنة، التقرير الولائي لأحداث الثورة التحريرية ما بين جانفي 1959 و1962 المقدم إلى الملتقى الجهوي للولاية الأولى التاريخية المنعقد يومي 20-21 أفريل 1984، باتنة، ص 109.
- 15- ج، ت، و، التقرير الجهوي العسكري للولاية التاريخية الأولى المقدم للملتقى الرابع لتسجيل أحداث الثورة التحريرية بين 01 جانفي 1959 إلى 05 جويلية 1962، ج 2، باتنة، الجزائر، ص، 160.
- 16- عمار ملاح، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه قادة جيش التحرير الوطني للولاية الأولى، ج 1، مطبعة دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2008، ص، 201.
- 17- يمكن الرجوع لتلك الصور الفوتوغرافية إلى:
Mansour Rahal , Les Maquisards ,Ech Chourouk ,Alger,2000,p367.
- 18- شهادة المجاهد لحسن يخلف للأستاذة أمنة بوجلال في لقاء خاص بمقر المنظمة الولائية للمجاهدين بباتنة بتاريخ 2017/02/02 على الساعة العاشرة والنصف صباحا، ومحمد الصالح سرار، صور ووقائع الثورة التحريرية في الناحية الأولى بأريس المنطقة الثانية للولاية الأولى التاريخية 1954 - 1962، مطبعة قرفي باتنة، الجزائر، 2004، ص 150.
- 19- شهادة لحسن دماغ في لقاء خاص مع الأستاذة أمنة بوجلال بمقر المكتب الولائي للمجاهدين بباتنة بتاريخ 2016/12/05.

دور سكان مدينة باتنة في الثورة التحريرية 1954/1962 من خلال الشهادات الحية -
العمليات الفدائية والمظاهرات- أنموذجا -

أ.د. جمعة بن زروال — جامعة باتنة -1-

ط.د. سماح بوقلولة — جامعة باتنة -1-

مقدمة

يذهب كثير من الباحثين أن الثورة الجزائرية ثورة ريفية، اندلعت من رحم الريف الجزائري و تحمل معظم أطوارها، إلا أن الباحث المنصف لا يفضل بأي حال من الأحوال عن دور المدينة، والتي رغم شح العمليات فيها، إلا أن عملية واحدة فيها قد تعادل عدة عمليات في الأرياف، كونها تصنع السبق الإعلامي، وتثير الهلع في صفوف المعمرين القابعين بالمدن عقب اندلاع الثورة، ومدينة باتنة تعد إحدى المدن العسكرية الكبرى في الشرق الجزائري، و كانت مقرا للجنرال قوستاف برلانج، ورغم هذا وذاك، فقد ساهم سكان مدينة باتنة بدور كبير في الثورة التحريرية بداية من منتصف ليلة الفاتح من نوفمبر 1954، حيث انطلقت عمليات عسكرية واسعة بها، وسنحاول في هذه الورقة الإجابة على التساؤلات الآتي:

**كيف تأسست خلايا جبهة التحرير الوطني المدنية في مدينة باتنة؟
ما هي أهم العمليات العسكرية والفدائية التي جرت فيها؟ وما دور سكان
مدينة باتنة في مظاهرات 11 ديسمبر 1960؟
أولا: التنظيمات العسكرية والسياسية لمدينة باتنة**

اندلعت الثورة التحريرية التي اجتهدت منذ الأيام الأولى لاندلاعها في أن تضع نظاما ثوريا سياسيا وعسكريا يتسم بالمرونة في الأسلوب وتطبعه السرعة في التنفيذ،⁽¹⁾ ففي بداية الثورة لم تكن هناك كتائب ولا نواحي، وإنما مجرد أفواج، والتي أصبحت بمثابة قطاعات تسمى بأسماء قادتها، حيث يقوم كل قطاع بالعمل الثوري في إطار منطقتة المحددة له،⁽²⁾ وبعد مرور عدة أسابيع من اندلاع الثورة سارعت قيادة المنطقة التاريخية الأولى الى تعيين قيادات في النواحي وعلى القطاعات لغرض نشر الثورة في كامل المنطقة الأولى، وأنشئت نواحي وكان كل قائد

لناحية له فوج مكون من 15 إلى 20 مجاهد، ثم جاءت قرارات اجتماع الصومام 20 أوت 1956 لتنظيم الثورة سياسيا، عسكريا وجغرافيا،⁽³⁾ فتشكلت الولايات التاريخية الستة، وما حملته من هندسة جديدة على المستوى التنظيم الثوري.

وهكذا عرفت بلدية باتنة التنظيم الهرمي الذي أقرته وثيقة الصومام، وعلى النحو التالي:

- مسؤول البلدة.
- سياسي البلدة.
- عسكري البلدة.
- المكلف بالاتصال والأخبار (الإخباري).
- المكلف بالتموين (الممون).
- قاضي البلدة.

حسب شهادة المجاهد محمد نصيب كانت بلدة باتنة، وكأنها حكومة داخل حكومة،⁽⁴⁾ فكان تعيين هؤلاء المسؤولين يتم من طرف القيادة الولائية التاريخية، ولكل مسؤول له مهام خاصة بمنصبه، وكانت هذه المهام تتمثل في:

- مهام مسؤول البلدة: ويتمثل في الإشراف على المجموعات العسكرية، وإعطاء أوامر بالتصفية الجسدية ضد الخونة، والمتعاونين مع السلطات الاستعمارية، ويكون هذا المسؤول خاضعا للأوامر الصادرة عن قيادة المنطقة، وعن قيادة الولاية.
- مهام المسؤول السياسي: في جمع التبرعات التي يتم إعطاؤها للممون، بالإضافة إلى التوعية، وشرح أهداف الثورة للشعب.⁽⁵⁾
- مهام المسؤول العسكري: أنيطت له مهمة التصفية الجسدية للخونة الذين ثبتت خيانتهم بعد شهادة ثلاثة أشخاص، أين يقوم المسؤول العسكري بتكوين مجموعة عسكرية لتنفيذ عملية التصفية.⁽⁶⁾
- مهام الإخباري: وتتمثل في جمع المعلومات عن الجيش الفرنسي من حيث تحركاته ومراكزه ومراقبة الخونة وتحركاتهم، ويقوم

- بتسليم هذه المعلومات لمسؤول البلدة الذي يسلمها بدوره للمسؤول العسكري لاتخاذ الإجراءات اللازمة.⁽⁷⁾
- مهام المكلف بالتموين: تتمثل في جمع المؤونة، الذخيرة، الألبسة، الأحذية والأدوية، ثم إرسالها لمركز القيادة في جبل وستيلي.⁽⁸⁾
 - مهام قاضي البلدة: من بين مهامه الوعظ والإرشاد في صفوف الشعب وعقد القران بالنسبة للمجاهدين.⁽⁹⁾
- كان هناك اجتماع دوري في نهاية كل شهر لقيادة البلدة، حيث يقدم كل مسؤول تقريرا عن نشاطه خلال ذلك الشهر ثم يقدم التقرير النهائي إلى قيادة الولاية وذلك حسب التسلسل الهرمي.
- أهم المسؤولين:⁽¹⁰⁾
 - مسؤول البلدة: وكان على رأسها تامرحولت الجمعي، وعبد الله رضوان،*وعبد الحميد المدعو بغيغ، وبلقاسم بوزيدي ثم صلاح معطار.
 - المسؤول السياسي: الطيب بوضياف.
 - المسؤول العسكري: موسى سلطاني، محمد نصيب ثم عبد الرحمن حملوي.
 - مسؤول الأخبار والاتصال: الهادي مسعوداني، عبد الغني عبد السلام، حسين خمري ثم لحسن دماغ.
 - المكلف بالتموين: عبد الحميد هلال ثم ابراهيم بن شادي.
 - قاضي البلدة: حسين جراح، وبقي في هذا المنصب إلى غاية الاستقلال.
- في أواخر سنة 1959، تشكلت لجنة عسكرية خاصة ببلدة باتنة بها مساعد وعرفاء، وأصبحت هي المسيرة لشؤون البلدة برئاسة صالح معطار، مع تعيين الطيب معاش مسؤولا عن الأحياء،⁽¹¹⁾ وفي جانفي 1961، تعززت البلدة بكونندو،⁽¹²⁾ يقوم بالعمليات العسكرية التي تصعب على الفدائيين داخل البلدة، وكان التنظيم الهرمي لهذا الكومندو كما يلي:⁽¹³⁾
- مسؤول البلدة: صالح معطار.
 - مسؤول عسكري: محمد نصيب.

- مسؤول سياسي: عبد السلام بوشارب.
- المكلف بالاتصال والأخبار: لحسن دماغ.
- المكلف بالتموين: كل من محمد هلال ورشيد خلافة.

ثانيا: العمليات الفدائية

بعد هجومات الفاتح من نوفمبر 1954، اجتمع عبد الحفيظ عبد الصمد في محله بباتنة مع المجاهدين محمد نصيب، إبراهيم وهابي، عياش جومادي، وحميدة نواصرية، وطلب منهم تشكيل خلايا فدائية في وحدات صغيرة لا يتجاوز عدد أعضائها أربعة أشخاص بحيث لا يعرف أفرادها بعضهم البعض والمسؤول عليهم هو الوحيد الذي يعرف أفراد الخلية، ولكل خلية محيطها الجغرافي الذي تنشط فيه.⁽¹⁴⁾

كان العمل الفدائي يعتمد على نظام الخلايا المحدودة العدد مع السرية التامة بحيث كل خلية لا يمكن أن تعرف أي شيء عن الخلايا الأخرى؛ أما مهمة الفداء فيقوم بها مناضلون من سكان المدينة لأنهم أدري بشعابها وسكانها، وكانت كل العمليات التي ينفذها الفدائيون تتم بالتنسيق مع الأفواج العاملة بالأحياء بعد تلقي الأوامر من القيادة.⁽¹⁵⁾ وكان يمنح للفدائيين ألقابا مستعارة مع واجب إخفاء اللقب الحقيقي لأسباب أمنية.⁽¹⁶⁾

أما العمليات الفدائية فكانت تتمثل في:⁽¹⁷⁾

- رمي القنابل على أماكن تواجد الكولون مثل: الحانات، المقاهي، المطاعم وأماكن تجمعات العدو، وحرق محلات المعمرين، والخونة، وكذا المتاجر والأسواق، وخاصة السوق الأسبوعي الذي يكثر فيه الذين يقصدون المدينة لقضاء الحاجات من المدن المجاورة والقرى، ولكثرة الوافدين من الشعب يسهل تنفيذ العمليات، وهو ما ادخل الرعب في المعمرين واربابك الاسلاك الأمنية.
- .ةالمطاعم وأماكن تجمعات العدو، وحرق محلات المعمرين، والخونة في أوقات خاصة بعد تخطيط محكم.
- تنفيذ عمليات خاطفة بمسدسات أو بالسلاح الأبيض، اختطاف الخونة وتصفيتهم جسديا.

ومن شروط التجنيد في صفوف الخلايا الفدائية ما يلي:⁽¹⁸⁾

- أن تتوفر في الضدائي مجموعة من الخصال أهمها: قوة الإرادة، الشجاعة، الصبر، الثبات، الحركة والخفة في تنفيذ الأوامر ومراقبته لمدة معينة.
- كليفه بجمع المعلومات بكل دقة عن تحركات العدو، واحصاء عدته وعدده، دراسة الثكنات العسكرية، تتبع خطوات الخونة والمتعاونين مع السلطات الاستعمارية.
- تنفيذ عملية فدائية تطبيقاً لأوامر المسؤولين، ويكون البيان على أن المجند نفذ العملية بتقديم مشبك " القنبلة " كدليل للمسؤول، أو شهود يراقبونه من بعيد.

إن تنفيذ عملية فدائية من طرف الضدائي، شرط إلزامي لقبوله في صفوف خلايا الضداء هذا من جهة، وقطع طريق الرجعة عليه من جهة أخرى، إذا اشتبه من طرف العدو فإنه يلتحق ويجند في صفوف جيش التحرير الوطني.⁽¹⁹⁾

توسعت الخلايا الفدائية في مدينة باتنة عن طريق تجنيد شخص، أو شخصين من جميع الأعراش، خاصة المجاورين للمدينة والمترددتين عليها بهدف تعميم الثورة، فتمت الاتصالات مع كل من: السعيد بوعلي المدعو السعيد أوحدة، صالح حواس، بوعلي السعيد بن علي من الشعبة، والحاج الطيب معاش من قرية حملة ومن اعيان المدينة وله إقامة في حي اسطا وبرقاق من أولاد سلام،⁽²⁰⁾ فنشطت الشبكات الفدائية، وهي عديدة، شكل لها الحاج لخضر العديد من الرجال يعملون في ورشات البناء ومركز التكوين المهني بشكل خاص، اين يتواجد الشباب والذين يعين في الورشات للأعمال التطبيقية في البناء والنجارة والكهرباء، وتمثل هذا النشاط في ربط الاتصالات، ودعم المجاهدين في الجبال بالمال والسلاح والأدوية واللباس وجمع المعلومات حول تحركات العدو.⁽²¹⁾ وللنساء في هذا المجال دور فعال في جمع الادوية والمعلومات وايصال البريد.

قام المسؤولون في البداية بتأسيس مراكز للضدائيين في مزارع ومنازل المعمرين، لأنها تعتبر عملية إستراتيجية من حيث كون العدو لا يتفطن إليها نتيجة وجودها في منازل العاملين في هذه المزارع، وبذلك تكون بعيدة عن الاشتباه، ومن أمثلة ذلك المركز الذي أقيم في مزرعة رافايل ومزرعة قج.⁽²²⁾

ومع تطور الأوضاع وتوسع العمليات الفدائية أصبحت المراكز الشعبية تستقبل الفدائيين في جميع الأوقات، وتزودهم بكل ما يحتاجونه من مؤونة، وغذاء ولباس،⁽²³⁾ ومن بين هذه المراكز: منزل مبارك حربوش، منزل عامر عميرة، منزل خليفة بوترة، منزل الجموعي بن سعيد والمعروف بمرايط الجموعي بحي اسطا، منزل مرايط الجموعي، منزل قودة في براك أفوراج بباتنة، والذي كان مركزا للتموين،⁽²⁴⁾ منزل مباركية حمة بن بلعيد ومنزل السعيد عموري،⁽²⁵⁾ ومنزل منوبة في حي شيخي، ومنزل حوفاني وسط المدينة، وكانت كلمة السري "دق دقتين" على الباب.⁽²⁶⁾

وقد تحملت المرأة الريفية الأوراسية أعباء الثورة التحريرية في الجبال والقرى والمداشر، في غسل الثياب والطبخ، وفي المدن قامت بواجبها الوطني، وكانت السند القوي للمجاهدين داخل المدن، حيث المراقبة المستمرة وحلت محل أخيها الفدائي في العديد من المهام منها جمع المؤونة والألبسة، الأدوية وكل ما ينفع الجيش، كما كانت تقوم بإيصال الرسائل والمشاركة الفعالة في الإضرابات والمظاهرات، ومن بينهن في مدينة باتنة: فاطمة معرف، وفاطمة دوحى،⁽²⁷⁾ شريفة هلال، ومعلم.⁽²⁸⁾ ساسية حليس فطيمة قيدوم وغيرهن كثيرات، وخاصة في مظاهرات 11 ديسمبر 1960.

بالإضافة إلى المرأة الجزائرية، نجد الموظفين في الإدارات الفرنسية كان لهم دور كبير في تسهيل العمل الفدائي خاصة الموظفين في مراكز الشرطة أمثال: نزار محمد، قرابصي، وحمدوش.⁽²⁹⁾ ومن الذين ساهموا أيضا في العمل الفدائي مساهمة كبيرة خاصة في مجال التموين، السيد عمار طمين الذي كان يعمل في الصيدلية الموجودة قرب مقهى معلم، حيث كان يوفر الأدوية بكميات معتبرة للمجاهدين خاصة القطن، المضادات الحيوية، ومواد التخدير وأدوات خياطة الجروح،⁽³⁰⁾ ان القى عليه القبض في مجموعة من الذين يعملون في الصحة، وكانت العمليات الفدائية داخل المدينة تتميز بالاحتماء بالجماهير، ذلك أن العملية تقع في وضح النهار وأمام أنظار المواطنين، فكان لا بد على الفدائي أن يندمج بالجماهير اندماجا كلياً.⁽³¹⁾

بدأت العمليات الفدائية* بمدينة باتنة باكرا، حيث كانت العملية الأولى بتاريخ 11 نوفمبر 1954، والتي تمثلت في حرق مصنع ملك لأحد الكولون، والمتواجد أمام مقر الجنرال بلانش، وكان من نتائج هذه العملية إلقاء القبض على الفدائي صالح أوعبيد، واستمرت العمليات الفدائية لتصل إلى خمس عمليات خلال شهر نوفمبر 1954، ثم توسع النشاط الفدائي فأصبح ينفذ من ثلاث إلى أربع عمليات فدائية في اليوم،⁽³²⁾ علما أن مدينة باتنة كانت محاطة بأسلاك شائكة، وتتوزع بها 65 برج مراقبة حسب شهادة بن نصيب،⁽³³⁾ كما أن الأحياء كانت مفصولة عن بعضها البعض بنفس الأسلاك، وكان يستوجب الانتقال من حي إلى آخر داخل المدينة طلب ترخيص من السلطات الاستعمارية حسب شهادة السعيد عبد الصمد.⁽³⁴⁾

أهم العمليات الفدائية التي نفذت في مدينة باتنة:

- عملية اختطاف رئيس فرقة اليد الحمراء " بيكسيو"، وجرت هذه العملية باسم دورية فرنسية شارك فيها كل من محمد نصيب، عبد المجيد دباش، سعدي عبد المجيد، مصطفى بكوش، صالح بكوش وعبد الله رضوان، وقد تمت هذه العملية بعد استدعاء شباب وشابات للانخراط في العمل الفدائي وكان شرطهم القبض على ضابط فرنسي حي.⁽³⁵⁾
- خطف الجزائريين الذين كانوا يعملون في إذاعة "صوت البلاد" إذاعة فرنسا.⁽³⁶⁾
- إلقاء قنبلة بمركز القوات الفرنسية المتخصصة في التعامل مع الشعب ومراقبته وتسليم رخص المرور، المسمى "SAS" المتواجد في حي بوعقال، وشارك في هذه العملية الطيب بوضياف، ورشيد خلافنة ومحمد نصيب.⁽³⁷⁾
- إلقاء قنبلة بملعب باتنة أثناء إجراء مباراة في كرة القدم، جمعت بين فرقتين عسكريين فرنسيين، وقد شارك في هذه العملية محمد نصيب وعمار قرفي، وكانت نتيجتها أن سارع العدو إلى استنفار قواته والقيام بعمليات انتقامية ضد المدنيين العزل.⁽³⁸⁾

بالإضافة إلى العمليات الضدائية التي تقوم تصفية الخونة وهكذا عرفت جميع أحياء مدينة باتنة عمليات فدائية،⁽³⁹⁾ وكان أول عمل تقوم به السلطات الاستعمارية عند اغتيال ضابط أو معمر أو خائن، هو الانتقام من المدنيين العزل بدون استثناء على وزن قاعدة "العقاب الجماعي".⁽⁴⁰⁾

بعض فدائي مدينة باتنة:

ومنهم محمد نصيب، لحسن دماغ، عمار قرفي، عياش جومادي، عبد الله عجرود، أحمد جلول عمار قيتشخ، حميدة مناصرية، علي مراح، إبراهيم وهابي، الطاهر بن حبيس، محمد رضا معراجي عبد الحفيظ رمضاني، مولود ميلود طبي، عامر عميرة، محمد بن عوف،⁽⁴¹⁾ العربي غناي، حسين بضياف المدعو كعوش والإخوة بوليلة، وغيرهم كثيرون،⁽⁴²⁾ الإخوة دماغ، الإخوة قليل، مليك قاضي، رشيد خلافة، جمال بوعكسة،⁽⁴³⁾ بوزيد فروج وزيور،⁽⁴⁴⁾ وكانت العمليات الضدائية المكثفة تبرز الانتصارات المعتبرة التي يسجلها جيش التحرير الوطني يوميا ضد السلطات الاستعمارية الفرنسية، كما كانت ترفع من معنويات الشعب وإثارة الحماس في نفوس الشباب.

ثالثا: مظاهرات 11 ديسمبر 1960 في مدينة باتنة

رغم أن التحضيرات كانت على قدم وساق، إلا أن قيامها جاء متأخرا، إذ انطلقت يوم 16 ديسمبر 1960، أين كانت المدينة ساحة للجزائريين فقط، وكان على رأسها المسؤولون السياسيون: صالح معطار، حسين بضياف المدعو كعوش، داودي بن علي، محمد نصيب والطيب بوضياف، وقسم أعضاء المنظمة المدنية للجبهة على الأحياء على النحو التالي⁽⁴⁵⁾

- حي كشيدة: أميرة إسماعيل، دراجي عامر وانعيجة عمار.
- حي بوعقال: العربي غناي، سليمان حميش، اسماعيل بن فليس، ربوح عيشة، أنيسة بكوشة وحواس صالح.
- حي شيخي: كعوش حسين بضياف المدعو كعوش، مخلوفي محفوظ، أنعيجة سعيد وبوليلة دليلة.
- وسط المدينة: محمد انعيجة، وبوعبد الله حورية، وبوعبد الله حميد، بوادي بريزة، ومقداد نزيهة، شعبي رشيد، سنوسي علي،

العوفي فاطمة ونويحي نظيرة، ونساء كثيرات والأطفال بشكل
كثيف..

كانت التعليمات الموجهة تنص على: (46)

- أن تكون المظاهرات سلمية.
- منع أعضاء جبهة التحرير الوطني من حمل السلاح.
- فتح كل أبواب منازل الجزائريين أثناء المظاهرات.
- أن تكون حركة الأحياء في وقت واحد.

اشتعل فتيل المظاهرات بعد خروج فتيات ثانوية قامبيطا، وعلى رأسهن حورية بو عبد الله، التي كانت تحمل العلم، وألقي القبض عليها من طرف الشرطة الفرنسية، فعمت المظاهرات كل أحياء باتنة يرددن شعارات " تحيا الجزائر"، " يحيا فرحات عباس"، " يحيا بن بلة". (47)

يقول المجاهد محمد نصيب،* (48) المدعو محمد الفدائي، عند التحضير لمظاهرات ديسمبر 1960 بمدينة باتنة، كان الفدائيون يرتدون البذلة العسكرية بين الشعب من أجل منحه الثقة، وإبعاد الخوف عنه لإنجاح هذه المظاهرات، ويضيف المجاهد أنه عند انطلاق المظاهرات بقيت مجموعة من الفدائيين مختبئين في بعض منازل الشعب في انتظار أمر من القيادة بالهجوم إن لزم الأمر.

انطلقت مجموعة من حي شيخي المتكونة من الشيوخ والنساء والأطفال، حيث لم يبق لا صغير ولا امرأة في المنازل، والتي تركت أبوابها مفتوحة، وكانوا حاملين العلم الوطني، واجتمع الكل بالقرب من مسجد بن باديس حاليا، وتعالق زغاريد النساء والتهاتف بـ " أخرجوا من بلادنا يا غزاة"، وكان السعيد عبد الصمد ومعه مجموعة من الفدائيين يراقبون سير هذه المظاهرات من منزل علي بخوش المدعو علي العياط. (49)

كان رد فعل السلطات الفرنسية على هذه المظاهرات أن سارعت قواتها فطوقت أماكن المظاهرات وعزلت الأحياء عن بعضها لقطع كل اتصال وسارعت في قمع المتظاهرين بالضرب والاعتقال ورمي القنابل، وتدخلت الدبابات والمصفحات لتجوب شوارع مدينة باتنة، (50) كما كان هناك قتلى في صفوف الشعب، منهم المدعو كومشي وآخرون، (51) أفزعت مظاهرات ديسمبر 1960، المعمرين في مدينة باتنة الذين كانوا يشجعون

الجيش الفرنسي عن طريق تقديم المكافآت، وإقامة الولائم على شرفه من أجل ضمان بقائهم في باتنة، وأن المعمرين كانوا هم العنصر المسيطر، فكان من نتائج هذه المظاهرات أن كثف الجيش الفرنسي من عمليات القمع والاعتقال، وحشد الشعب خاصة من طرف منظمة اليد الحمراء، وفي مقابل ذلك تم تكثيف العمل الفدائي وتنشيطه في المدينة.⁽⁵²⁾

الخاتمة:

- ظهرت الخلايا الفدائية في مدينة باتنة خلال الأيام الأولى من اندلاع الثورة، والتي كانت أعمالها موجهة إلى تصفية غلاة المعمرين والخنوة، وبث الرعب في نفوس الفرنسيين واليهود المتطرفين.
- كانت العمليات الفدائية في مدينة باتنة محكمة التنظيم ساهمت في تعزيز ثقة الشعب بالثورة، فأصبحت المراكز الشعبية تستقبل المجاهدين في جميع الأوقات وتزودهم بكل ما يحتاجونه.
- كانت مدينة باتنة عند الموعد في إضراب الثمانية أيام سنة 1957، الذي قادته جبهة التحرير الوطني، لاسقاط المقولة الزائفة " الجزائر فرنسية"، وأسمع صوت الثورة الجزائرية في المحافل الدولية.
- كانت مظاهرات ديسمبر 1960، متأخرة في مدينة باتنة، إذ بدأت يوم 16 ديسمبر 1960، هذه المظاهرات التي تعتبر منعرجا حاسما في الثورة أكد فيها الشعب الجزائري مساندته المطلقة لجيش وجبهة التحرير الوطني.
- عملت السلطات الفرنسية على مواجهة الشعب الجزائري بكل الوسائل والإمكانات المتاحة، وتبنى كل الخطط التي تسهل الوصول لغايتها كإصدار قانون الطوارئ وإنشاء مراكز التعذيب...، إلا أن سكان الأوراس في الأرياف والمدن استطاعوا أن يواجهوا المخططات الفرنسية، ويعملوا على مقاومتها وإجهاضها، وكان ختامها مسك مع استقلال الجزائر.

الهوامش:

- 1- محمد زروال، الممامشة في الثورة، دار هومة، الجزائر، 2003، ص 79 .
- 2- مصطفى مراردة، مذكرات الرائد مصطفى مراردة (بن النوى)، تحقيق: مسعود فلوسي، دار الهدى، الجزائر، 2003، ص ص 43، 46.
- 3- عمار ملاح، وقائع وحقائق على الثورة التحريرية بالأوراس الناحية 3 بوعریف، دار الهدى، الجزائر، 2003، ص 107.
- 4- مقابلة مع المجاهد محمد نصيب، المكتب الولائي للمجاهدين، باتنة، يوم 2014/12/29 من 09.00 إلى 11.00 .
- 5- مقابلة مع المجاهد عزيز اسماعيل، بمنزله بحي البستان، باتنة، يوم 2015/03/08، من 14:00 إلى 15:00.
- 6- مقابلة مع المجاهد محمد نصيب، مصدر سابق.
- 7- مقابلة مع المجاهد لحسن دماغ، المكتب الولائي للمجاهدين، باتنة، يوم 2015 /02 /25، من 10:00 إلى 11:00.
- 8- مقابلة مع المجاهد إسماعيل عزيز، مصدر سابق.
- 9- مقابلة مع المجاهد لحسن دماغ، مصدر سابق.
- 10- مقابلة مع المجاهد إسماعيل عزيز، مصدر سابق.
- * عبد الله رضوان، من مواليد 1927م بقرية سيدي حسن برج لغدير، التحق بمعهد ابن باديس بقسنطينة ثم انتقل إلى جامع الزيتونة أين تحصل على شهادة التطوع، انخرط في سلك التعليم، التحق بصفوف جيش التحرير الوطني سنة 1956 وتقلد عدة مسؤوليات نظرا لحنكته السياسية والعسكرية، استشهد سنة 1960 م بمروانة، ينظر: عمار ملاح، قادة جيش التحرير...، ج6، مرجع سابق، ص 93.
- 11- مقابلة مع المجاهد مسعود أعبيد، المكتب الولائي للمجاهدين، باتنة، يوم: 2015 /02 /29، من 10:00 إلى 10:30.
- 12- مقابلة مع المجاهد محمد نصيب، مصدر سابق.
- 13- مقابلة مع المجاهد لحسن دماغ، مصدر سابق.
- 14- مقابلة مع المجاهد محمد نصيب، مصدر سابق.
- 15- مقابلة مع المجاهد لحسن دماغ، مصدر سابق.
- 16- مقابلة مع المجاهد محمد نصيب، مصدر سابق.
- 17- مصدر نفسه.
- 18- مقابلة مع المجاهد لحسن دماغ، مصدر سابق.
- 19- مقابلة مع المجاهد محمد نصيب، مصدر سابق.
- 20- مقابلة مع المجاهد محمد نصيب، مصدر نفسه.
- 21- مقابلة مع المجاهد لحسن دماغ، مصدر سابق.
- 22- مقابلة مع المجاهد محمد نصيب، مصدر سابق.
- 23- مقابلة مع المجاهد السعيد عبد الصمد، المكتب الولائي للمجاهدين، باتنة، يوم 2014/12/29 من 09.00 إلى 11.00
- 24- مقابلة مع المجاهد محمد نصيب، مصدر سابق .

- 25- مقابلة مع المجاهد السعيد عبد الصمد ، مصدر سابق.
- 26- مقابلة مع المجاهد لحسن دماغ ، مصدر سابق
- 27- مقابلة مع المجاهد السعيد عبد الصمد ، مصدر سابق.
- 28- مقابلة مع المجاهد لحسن دماغ ، مصدر سابق.
- 29- مصدر نفسه.
- 30- نفسه.
- 31- مقابلة مع المجاهد السعيد عبد الصمد، مصدر سابق.
- 32- مقابلة مع المجاهد محمد نصيب، مصدر سابق.
- 33- مقابلة مع المجاهد محمد نصيب، مصدر سابق.
- 34- مقابلة مع المجاهد السعيد عبد الصمد، مصدر سابق.
- 35- مقابلة مع المجاهد محمد نصيب، مصدر سابق.
- 36- مقابلة مع المجاهد لحسن دماغ، مصدر سابق.
- 37- مقابلة مع المجاهد محمد نصيب، مصدر سابق.
- 38- مقابلة مع المجاهد عمار قرفي، مصدر سابق.
- 39- مقابلة مع المجاهد محمد نصيب، مصدر سابق.
- 40- مقابلة مع المجاهد السعيد عبد الصمد، مصدر سابق.
- 41- مقابلة مع المجاهد محمد نصيب، مصدر سابق.
- 42- مقابلة مع المجاهد السعيد عبد الصمد، مصدر سابق.
- 43- مقابلة مع المجاهد لحسن دماغ، مصدر سابق.
- 44- مقابلة مع المجاهد عمار قرفي، مصدر سابق.
- 45- ليلي تيتة، تطور الرأي العام الجزائري إزاء الثورة التحريرية 1954-1962، (أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر)، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012-2013، ص 251.
- 46- ليلي تيتة، مرجع نفسه، ص 251.
- 47- نفسه، ص 252.
- * من مواليد 23 ديسمبر بسفيان ولاية باتنة، مسؤول عسكري في خلية الفدائيين.
- 48- مقابلة مع المجاهد محمد نصيب، مصدر سابق.
- 49- مقابلة مع المجاهد السعيد عبد الصمد، مصدر سابق.
- 50- التقرير الولائي لأحداث الثورة التحريرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية، جانفي 1959-1962، المنظمة الوطنية للمجاهدين، باتنة، ص 42.
- 51- مقابلة مع المجاهد محمد نصيب، مصدر سابق.
- 52- مقابلة مع المجاهد السعيد عبد الصمد، مصدر سابق.

شهادة حية عن بعض صنوف التعذيب الاستدماري اثناء ثورة التحرير

أ.الشريف مقران¹

كان للإستدمار الفرنسي منذ أن وطأت اقدمه أرض الجزائر، غرض واحد، وهو افناء الشعب الجزائري، واخضاعه بكل الوسائل الجهنمية المتاحة له، وذلك بالقتل والتعذيب الوحشي والنفي وغير ذلك من الوسائل، وتطورت وسائله تلك بتطور الزمان، فمن أبشع الوسائل التي كان يستخدمها في بدايات الاحتلال كان الحرق الجماعي للمواطنين مع مواشيهم في الكهوف بعد اغلاقها بالأخشاب والقش واضرام النار فيها وقتلهم بالفؤوس والعصي وغيرها.

لينتقل بعدها الى استعمال وسائل اخرى في الثورات اللاحقة، كالتعذيب بالنار (الكي) وقطع الاطراف، حتى بالمنشار، ونفي الكثير منهم بعد العذاب الاليم الى مستعمرات ما وراء البحار كما كان الفرنسيون يسمونها، وهي إما مستعمره قويانه (Guyane) شمال امريكا الجنوبية، او جزيرة كاليدونيا الجديدة جنوب المحيط الهادي، او جزيرة مدغشقر في المحيط الهندي شرق القارة الأفريقية.

أما ثورة التحرير المجيدة، فقد وضع لها خصوصياتها المتقدمة والمتطورة حسب التطورات التقنية والتقدم العلمي، حيث انشأ من اجلها مدارس خاصة بتعليم تقنيات التعذيب يديرها ضباط علماء مختصون في علم النفس، جيء بهم في حكومة غي مولي (Guy Mollet)، (1956-1957)، وينقسم هؤلاء المختصون الى قسمين: قسم مختص في التعذيب الجسدي وقسم مختص في التعذيب النفسي وغسيل المخ كما يسميه البعض، وانتشر اولئك العلماء في البداية بمنطقة الاوراس التي كان يشرف عليها الجنرال (بارلانج) (G Parlange) حيث وضع تحت تصرفه عدد

¹ - من مواليد 1934 بحيدوسة ولاية باتنة، زاول دراسته بمعهد الامام عبد الحميد بين باديس بقسنطينة مدة ثلاث سنوات ما بين 1950-1953، وقد حالت الظروف المادية يومها دون التحاقه بجامعة الزيتونة للحصول على الشهادة العلمية بما يكافي مستواه واتيتم دراسته بتونس، عمل مدرسا للغة العربية من 1959 الى 1962 تحت اشراف الثورة، ألقى عليه القبض عام 1961 وقضى اربعة أشهر في السجن بمروانة، أين عاش صنوف التعذيب التي طالت كل الجزائريين بسجون الاستدمار يومها، التحق بمهمة التعليم والتربية منذ 11 نوفمبر 1960 الى غاية 1975، لُيعين مديرا بالمدرسة الابتدائية الى غاية 1994، تقاعد بعدها ليستكمل مسار حياته البسيطة دون الاستفادة من منحة مجاهد أو أية امتيازات أخرى الى يوم الناس هذا.

لابأس به من أولئك المختصين و وزعوا حسب رغبات زعماء المستدمر في المنطقة، فمنهم من كان يرافق الجيوش الفرنسية أثناء الحملات التفتيشية والمداهمة في القرى والأرياف والجبال وأثناء جمع ما وجدوه من السكان حتى ولو كانوا نساء وأطفالا وشيوخا، يلقون عليهم دروسا بشيء من التضييل والاستهزاء بالمقاومة الجزائرية، وفي كثير من الأحيان يساعدون الجلادين في مراكز التعذيب أو خارجها.

البعض الآخر من أولئك المختصين، يشرف على معهد التعذيب، أو مدرسة التحقيقات كما كان يسميها الجيش الفرنسي في مدينه سكيكدة، المسماة بجندارك (jeanne d'arc)، التي تخرّج منها خلال ظرف قصير عدد كبير من ضباط التعذيب وانتشروا في البداية في الشرق الجزائري، ثم توزعوا على كامل التراب الجزائري بعد أن أُشْتُتِ مدارس أخرى في وسط البلاد وغربها، كي تتماشى مع تعميم مراكز التعذيب والمحشذات.

صحيح أن مراكز التعذيب يشرف عليها ضباط من خريجي مدارس التحقيق، ورغم أنهم جميعا يطبقون الوحشية التي تعلموا أسسها وحفظوا قواعد تطبيقها في المدرسة، كان كل منهم يتصرف حسب الدرجات التي بلغها في الوحشية، وانعدام الاخلاق، وغياب الإنسانية، في حياته المدنية والعسكرية، فمنهم من يحلو له تعذيب الجزائري حتى الموت ومنهم من يعذبه حتى الإعاقة بدرجات متفاوتة، ومنهم من يعذبه حتى الموت ثم يتركه على حافة الجنون.

هناك أنواع كثيرة من العذاب، يتفنن فيه الجلادون حسب أهوائهم، مع العلم أن تعذيب الجزائريين في ثورة التحرير المجيدة لا يقتصر على مراكز التعذيب فقط، لأن الكثير منهم والذين يسكنون في القرى والأرياف عندما يُلقى عليهم القبض من طرف الجيش الفرنسي أثناء قيامه بحملات التفتيش والمداهمة في القرى والأرياف والجبال، يعذبون أمام عائلاتهم وأولادهم بوحشية لا مثيل لها، وكذلك في الحقول والغابات، لعلهم يكشفون للعدو بعض المخابئ التي يستعملها جيش التحرير، أو المراكز التي تمول كتائبه و مسؤولي الجبهة أو

يَدُلُّونهم على الأماكن التي يختبئ فيها مسئولون من جبهة التحرير الوطني والفضائيون، أو يرشدونهم على أي شيء له علاقة بثورة التحرير.

لا تختلف وسائل التعذيب في الأرياف والقرى كثيرا عن مثيلاتها في مراكز التعذيب إلا في المدة وفي بعض الوسائل، لأن التعذيب في الأرياف رغم قسوته، والرغبة في تسليطه بشدة من طرف الجلادين الفرنسيين وأعاونهم في أغلبه لا يتجاوز اليوم الواحد، فإذا لم يمت صاحبه يتم الإفراج عنه في أغلب الحالات وخاصة إذا تأكدوا بأن ذلك الشخص لا ينتمي فعليا لجيش أو جبهة التحرير الوطني، وإذا لم يفرج عنه يُنقل إلى مراكز التعذيب كي يعذب مرات عديدة، ويبقى في السجن ثلاثة أو أربعة أشهر على الأقل حسب القانون العسكري.

يوجه الجلادون أثناء التعذيب سيلا من الأسئلة لسجينهم من قبيل: مَنْ تعرف من "الفلقة"؟ مَنْ المسؤول في القرية التي تسكن فيها؟ مَنْ يمول جيش التحرير وماذا تعرف عن مراكز جيش وجبهة التحرير؟ مَنْ يجمع الاشتراكات في القرية؟ وهناك الكثير من الأسئلة الخاصة والعامّة، إلى جانب أسئلة تضليلية وأخرى نفسانية، كأن يقولوا له: إذا اعترفت نخفف عنك العذاب ونُطلق سراحك، وإذا لم تعترف سنستمر في تعذيبك حتى الموت،

وتارة يقتلون شخصا آخر أمامه ويقولون له إذا لم تعترف سيكون مصيرك مثله، وتارة أخرى يأتون بشخص اعترف ويقولون له هذا سجين مثلك واعترف وسنطلق سراحه، اعترف كي تصبح مثله. وكلما اعترف الإنسان بشيء يُطلب منه المزيد إلى ما لا نهاية، لذا كان على السجين التمسك بالإنكار مهما كلفه ذلك المزيد من العذاب، وعليه فضل الكثير من الجزائريين الاستشهاد بدل تلك المعاناة.

ومما لا شك فيه أن السجناء الذين يقعون تحت أيدي عملاء الاستعمار أو المرتدين كانوا مخيرين بين الاعتراف أو الموت، ولم ينج منهم إلا القليل جدا، وكذلك كان الشأن بالنسبة لجنود جيش التحرير الذين يقعون في الأسر، فيظلون تحت التعذيب عشرة أيام إلى خمسة عشر يوما ثم ينقلون إلى المعتقلات الكبرى.

عندما يقوم الجيش الفرنسي أو أجهزة الأمن المدني بحملة تفتيش ومداهمة في القرى والأرياف أو المدن، يقوم الجيش أو البوليس الفرنسي بجمع الكثير من الجزائريين ويختارون مجموعات منهم ثم يأخذونهم إلى مراكز التحقيق ويقسمونهم على غرف مساحة كل منها لا تتجاوز مترين طولاً ومتراً ونصف عرضاً، يُكدس في الواحدة منها من ثمانية إلى عشرة أشخاص حيث يُترَكون مدة 10 أو 15 يوماً، يكون طعام كل منهم ربع لتر من الحساء، وهو عبارة عن ماء دافئ وربع خبزه في أربعة وعشرين ساعة، والهدف من ذلك إنهاك أجساد السجناء حتى يفقد الواحد من وزنه أكثر من الثلث فتتدهار معنوياته لعله يعترف في أول وهلة ولا يتعبون كثيراً في تعذيبه.

تختلف مراكز التعذيب أو مراكز التحقيق - كما يسميها الاستدمار- من مركز إلى آخر حسب الضباط المشرفين عليها، وحسب ظنهم في الأشخاص المعنيين، وفي الكثير منها توجد أجنحة خاصة بجنود جيش التحرير ومسؤولي الجبهة والمشبوهين كما يسميهم الاستدمار وإن كان العدو يتهم كل الشعب الجزائري بالخروج عن القانون.

أما الجلادون الذين يتولون تعذيب المسجونين هم جزائريون في أغلبهم، البعض منهم أعوان الاستدمار كالحركى وغيرهم، والبعض الآخر، كانوا مجاهدين وارتدوا عن جهادهم، إما تحت التعذيب لأنهم لم يستطيعوا الصبر أو يفضلون الاستشهاد على الخيانة لأنها في الحقيقة خيانة لإخوانهم وللوطن ككل، والبعض الآخر ارتد من تلقاء نفسه وهم أشد قسوة في ممارسة التعذيب من غيرهم.

تنوعت وسائل التعذيب الجسدي وتعددت فنياتها، ومنها: الصدمات الكهربائية، التعذيب بالماء، فتارة يعذبون السجناء بإدخال الراس في الماء لمدة طويلة وتارة يدخلون كل الجسم في بركة من الماء وعند إخراجهم يرفسون بطنه بأرجلهم وتكرر العملية في جميع الوضعيات لمرات عدة، وتارة يربطون الشخص من جميع أطرافه ويثبتون رأسه بقضبان من الحديد ثم يوجهون إلى فمه أنبوباً يتدفق منه الماء بقوة حتى يمتلئ

بطنه بالماء ثم يصعدون فوقه حتى يستفرغ ما في جوفه، وتكرر العملية عدة مرات ما لم يمت ذلك الشخص.

يلجئون في بعض الحالات الى التعذيب بمسحوق الصابون وقلع الأظافر والضرب بالعصي والتعليق بالحبال في السقف والربط لمدة طويلة وتسليط قطرات من الماء البارد على جبهة الشخص لمدة طويلة وكذا التعذيب بالكلاب، وهنا يستحي الإنسان المحترم من إعطاء تفاصيل هذا النوع من التعذيب، بالإضافة إلى وضع الأثقال على جسم المعتقل والحرمان من النوم وغيرها من الأنواع الكثيرة التي لا يتسع المقام لسردها جميعا.

أما عن كيفية التعذيب في غرفة العذاب، أو غرفة الاستنطاق بتعبير آخر فهو نموذج من عدة أنواع: في البداية يُجرّد الشخص من ملابسه تماما ويجلس في كرسي مقلوب (طابوري كبير) من الحديد، ويربطون يديه إلى الخلف، ويضعون قضيبا من الحديد بين عرائض الكرسي وبطن الشخص، ثم يربطون سلكا من أسلاك الكهرباء بأعضائه التناسلية ويديرون سلكا آخر بأذنه أو رقبته، أو في عضو حساس في جسمه، ثم يصبون عليه دلوين أو ثلاثة من الماء البارد، وهنا يبدأ الجلاد بصعقه بالصدمات الكهربائية لمدة خمس دقائق على الأقل ثم يتوقف لطرح الأسئلة: مَنْ تعرف من الثوار؟ ما هي مهامك معهم؟ مَنْ يجمع الاشتراكات؟ أين تقع المراكز التي يعسكرون فيها؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي تدور حول جيش التحرير والجبهة.

يُستأنف الصعق بالكهرباء ولمدة أطول قد تصل إلى عشر دقائق، فإذا ينسوا منه ينتقلون به إلى وسيلة أخرى من وسائل التعذيب كالماء، أو التعليق أو الجلوس على الزجاج، هذا إذا لم يمت وبقي حيا لأبد وأن يمر على كل وسائل التعذيب لعدة أيام، وعندما ييأسون منه إذا كان شخصا عاديا يطلقونه بين الحياة والموت بين عموم المساجين في المركز حيث يقضي هناك من ثلاثة إلى أربعة أشهر ثم يطلق سراحه، أما إذا كان من جيش أو جبهة التحرير أو له علاقة بهما فإنه يُنقل إلى

المراكز الكبرى مثل "قصر الطير" بمنطقة قصر الأبطال بسطيف أو مزرعة ليكا" (ferme Lyca) قرب عين ياقوت.

هناك تعذيب من نوع آخر إما فردي أو جماعي، من اثنين إلى ثلاثة أشخاص، وهو أن يوضع السجين وحده أو مع اثنين في مظمور يحضرونه بأنفسهم، أو يحضرها غيرهم ويتركونه داخل المظمور في درجة لا تُطاق من الحرارة لمدة يومين أو ثلاثة، والبعض الآخر يُتركون هناك حتى الموت، والبعض الآخر بمجرد إدخالهم في المظمور يغلق عليهم ويدفنون أحياء.

الى جانب العذاب بالتعليق المقلوب الذي يصل في أغلب الأحيان إلى 24 ساعة، إذا لم يمت صاحبه، مع العلم بأن الجيش الفرنسي كان يمنح مكافأة قدرها 5 آلاف فرنك فرنسي قديم لكل جندي أو أحد رجال الأمن أو التابعين لهم عندما يقتل جزائريا مدنيا، و10 آلاف فرنك لمن يقتل جنديا من جيش التحرير أو أحد أعضاء جبهة التحرير مهما كانت طريقة القتل، بالرصاص أو بالتعذيب، ويُستثنى منها (المكافأة) أولئك المرتدين من جيش وجبهة التحرير الذين مات الكثير من الجزائريين على أيديهم.

نظرا لضيق المقام، أكتفي بما ذكرته من أنواع وأوصاف التعذيب الجسدي ولكنني أضيف فقط نوعا من أنواع العذاب كان يحدث في بعض القرى والأرياف وخاصة عندما تقع المعركة بين الجيش الفرنسي والمجاهدين في تلك المنطقة، وانتقاما من المدنيين في تلك المنطقة، يغتصب أفراد الجيش الفرنسي والحركى الفتيات والنساء أمام آبائهن أو أزواجهن، ويعذبن مثل الرجال باعتبارهن نساء "الفلاقة".

أما التعذيب النفساني فهو لا يقل بشاعة عن التعذيب الجسدي، ولعله يحدث في مراكز تعذيب دون أخرى ويختلف من مركز إلى آخر من حيث الكم والكيف، وهو إما فردي أو جماعي، وكنموذج من هذا النوع من العذاب: كان للضابط الفرنسي المشرف على مركز التحقيق بمدينة مروانة سلحفاتان يربيهما في مطعم المركز، وكل ما مر عليهما إذا وجد عندهما الخس ضرب الطباخين في المطعم أو على الأقل رئيسهم

على أساس أنهم أسرفوا في إعطاء كثيرا من الخس لتلك السلاحف، وإذا لم يجد عندهم شيئا من الخس، ضربهم لأنهم قتلوا السلاحف بالجوع.

كان ذلك الطاغوت يتحين الفرص ولأدنى سبب كأي يمنع السجناء من وجبة الطعام في الغداء أو العشاء أو الوجبتين معا، وفي يوم من الأيام خرج الجيش الفرنسي كعادته للقيام بحملة تفتيش ومداهمة في القرى والأرياف، وأخذ معه حوالي 80 سجيناً لمساعدة الجنود الفرنسيين وأتباعهم على حمل العتاد والمؤونة بالأماكن الوعرة في الجبال، أو يقدمونهم كدروع بشرية في حال وقوع المعارك مع جيش التحرير، وصدفة وجد أحد السجناء سلحفاة صغيرة، وبحسن نية وضعها في جيبه وعند عودته للمركز، وضعها مع السلحفاة الكائنتين بالمطعم، وفي الحين مر الضابط المشرف على المركز ووجدها وفرح بها كثيرا، وصرخ بأعلى صوته مناديا الـ "كانطني" الذي وصله في الحين، وسأله من جاء بهذا الفكرون الصغير وبمجرد أن أجابه لا أعلم، انهال عليه بالضرب، كيف لا تعلم وما هو دورك هنا.

تدخل رئيس الطهاة ليقول له: جاء بها أحد السجناء الذين شاركوا في حملة التفتيش مع العساكر في البوادي، وهذا ذلك الطاغوت من غضبه على "الكانطني" وقال له: أعط هذا السجين الذي جاء بها علبة سردين وخبزة مكافأة له، وطلب منه الاعتناء بتلك السلحفاة أكثر من غيرها، وكان يتفقدتها كل يوم تقريبا ويحملها ويتظاهر بأنه يفرح بها كثيرا، وبعد حوالي خمسة أو ستة أيام حدث ما لم يكن في الحسبان، حيث ماتت تلك السلحفاة بسبب تشقق في ظهرها، ولا أحد يعلم سبب موتها، وانتشر خبر موتها وسط السجناء بسرعة وعم الحزن جميع من في المركز لأنهم توقعوا الكثير من العقوبات من ذلك الطاغوت، واتفق الكانطني مع الطهاة بأن لا يخبروا ضابط المركز بموت تلك السلحفاة حتى يجدها هو بنفسه، وليحدث ما يحدث، وفي اليوم التالي جاء ذلك الطاغوت ليتفقد تلك السلحفاة، وعندما وجدها ميتة، صرخ بأعلى صوته ما هذه المهزلة؟ من قام بهذه الجريمة النكراء؟

بعد ذلك، تم اسدعاء كل حراس السجن وأمرهم برمي كل مأكولات وجبة العشاء وإفراغ كل قدر الحساء في القمامة وإخراج كل السجناء بدون استثناء إلى أروقة المركز كأي يقوموا بالهرولة والجري مدة ست ساعات ومنعهم من الأكل مدة يومين كاملين، وهناك من أغمي عليه والبعض أشرف على الموت لولا تدخل البعض من ضباط حراس المركز وهم جنود فرنسيون قاموا بسرقة بعض المأكولات وإعطائها خفية لأولئك السجناء تعاطفا معهم.⁽²⁾

اتضح فيما بعد أن السلحفاة ماتت بسبب رفسة من أحد حراس السجن حينما كان يلعب مع رفاقه بالقرب منها، وأنكروا فعلتهم تلك تجنباً لعقاب ذلك الطاغوت، ودفع السجناء ثمن تلك السلحفاة بذلك العقاب المهين.

ولعل ما حدث في معتقل مروانة قد حدث ما يشبهه أو أكثر منه في معتقلات أخرى، وإن كان الاختلاف بين الحوادث قد يكون قليلاً أو كثيراً، ولكن الكل يتفق على هدف واحد وهو إيجاد أسباب ولو كانت واهية، لتعذيب السجناء وإهانتهم، وهي الغاية المنشودة لدى القادة الفرنسيين وعملائهم، فإذا كان ضابط معتقل مروانة قد اتخذ سلحفاة كذريعة لتعذيب السجناء، ففي معتقل "قصر الطير" وجد ضباطه وسيلة أغرب من السلحفاة، وهي العلم الفرنسي الذي اتخذته اللقلق كقش لبناء عشه، ولعل القضاء والقدر يدافع عن هذا الوطن وسلط اللقلق على علم الاستدمار، ولكن الحقد الدفين أعمى بصيرة القادة الفرنسيين وعملائهم عن تفكير كهذا وجعلهم يرون كل ما هو أحمر ناراً، وهكذا جرى تفكيرهم الأعمى في الحين إلى اتهام السجناء بسرقة العلم الفرنسي وانتقموا منهم شر الانتقام.

وقائع الحادثة، كما رواها أحد جنود جيش التحرير الذي كان سجينا في ذلك المعتقل وعاش الحادثة، ورأى وقائعها رأي العين، في يوم من الأيام سقط العلم الفرنسي من السارية التي علق عليها بسبب الرياح

(2) حادثة تنطوي من الناحية الرمزية على انقلاب سلم القيم لدى أي ظالم مغتصب، عندما يتمادى في تعذيب الإنسان وامتهان كرامته، ثم يُظهر في الوقت نفسه مشاعر غير طبيعية من المحبة والعطف على الحيوان أو حتى على الجماد.

القوية أو بسبب آخر لم يعرفه أحد، والتقطه للقلق ووضع في عشه كفراش ناعم يبيض فوقه، وفي المساء عندما أراد الجنود الفرنسيون إنزال العلم كعادتهم لم يجدوه، وفي الحين اتهموا السجناء بسرقة وإخفائه، ودون تفكير أو تريث ولعلمهم على يقين بأن السجناء يستحيل عليهم إنزال العلم من ساريتته ولا يراهم أحد من الحراس، وإنما وجدوا في الحادثة ذريعة اتخذوها وسيلة لتعذيب السجناء، وإهانتهم وهذا هو الأرجح.

لقد أمر ضابط المعتقل بمنع الأكل عن السجناء حتى يعيدوا العلم، كما أمر الجيش بكسر الكثير من زجاجات الجعة ورمي أطرافها في أروقة المعتقل، وطلبوا من السجناء الجري فوقها وهم حفاة وبدون توقف حتى يظهر العلم، في الغد وبالصدفة شاهد أحد الحراس جزءاً من ذلك العلم يتدلى من عش القلق وأخبر في الحين مسئول المعتقل، وعندما تأكد من وجود ذلك العلم في العش، أمر بوقف الجري فوق الزجاج، كما سمح للطهاة بطهي الطعام للسجناء وهذا بعد ما حدث من جروح وقروح وإهانة ما بعدها إهانة لأولئك السجناء المساكين.

كلما وجد أولئك الطغاة سبباً ولو كان بسيطاً يقطعون الأكل عن السجناء، وجبة أو وجبتين، وعندما أفرج عن الكانطيني الأول، وكان لا بد أن يعين السجناء من يخلفه ولكن كل السجناء يخافون من ذلك المنصب لأن صاحبه معرض لأكثر من خطر في كل وقت وخاصة الضرب من طرف ضابط المركز، وعلى هذا يفر الجميع من تحمل تلك المسؤولية، ولكن لا بد منها، وعندما طلب ضابط المركز من السجناء تعيين من يتحمل ذلك الوزر ورفضوا كلهم، أمر بمنع السجناء من الأكل إلى أن يتولى أحدهم ذلك العمل.

بعد يوم وليلة من منع الأكل، طلب السجناء وبإلحاح من أحدهم أن يضحي بنفسه في سبيل إخوانه، وتطوع أحدهم، وواجه الكثير من المشاكل لا يسمح المجال لذكرها، نذكر واحدة منها فقط، لأنها تتعلق بحياة أو موت كل سجناء المركز ووقعت في ظروف خطيرة جداً.

عندما قام عدد من جنرالات الجيش الفرنسي وعلى رأسهم الجنرال "ماسو" (Général Massu) بانقلاب في النصف الثاني من شهر أبريل سنة 1961، وحدث انقسام في الجيش الفرنسي، بين مؤيد لذلك الانقلاب ومعارض، استغل أحد الجنود من حراس السجن، وهو يهودي من سكان مدينة العلمة، ومن الحاقدين الكبار على السجناء تلك الحادثة، وأراد تسميم السجناء.

في يوم 24 أبريل 1961، جاء ذلك الجندي بكيس من الغبرة وطلب من "الكانطيني" أن يضع شيئاً منه في الأكل والبعض الآخر في المشروبات التي يتناولها السجناء، مثل الشاي والقهوة، لأنه يعطي طعماً لذيذاً للأكل والمشروبات حسب زعمه، ولكن الكانطيني عرف من أول وهلة بأن ذلك المسحوق ما هو إلا سم فرفضه بشدة حتى لو كلفه ذلك الرفض حياته. وعندما يئس ذلك الجندي من محاولاته، بدأ يهدده بالموت إذا لم ينفذ أمره، ولكن "الكانطيني" أصر على رفضه، فأعطاه مهلة ساعة للتفكير، وكانت تلك المهلة لفائدة الكانطيني حيث أنه مباشرة بعد خروج اليهودي من المحل، ذهب الكانطيني مسرعاً إلى الضابط المسؤول عنه، وكان ذلك الضابط من مؤيدي حكومة ديغول لذا تدخل فوراً وبحزم، حيث هدد ذلك اليهودي وتوعده إذا لم يتخل عن فكرته تلك وأرغمه على الاعتذار للكانطيني، ولكن الخوف باق لم يغادر مخيلة "الكانطيني" المسكين، ومما لا شك فيه أنه في أول فرصة سيقتله شر قتلة، ولكن شاء القدر أن يأتي الإفراج على "الكانطيني" بعد يوم واحد من تلك الحادثة، ونجا ذلك الكانطيني من تلك المعضلة، وإن كانت تداعيات الثورة لا تزال تلاحق "الكانطيني" وغيره كثير من الجزائريين.

عاش ذلك المواطن ما تبقى من أيام الثورة بمحنها، وعاش أيام الاستقلال، وما بعد الاستقلال بالحلاوة أو المرارة، ولا يزال حياً يرزق، أطل الله عمره في العز والسؤدد، ولتحيا الجزائر مسلمة عربية.

الغائمة:

سعى الباحثون من خلال هذا الكتاب إلى الإجابة عن إشكالية مساهمة المنطقة الأولى من الولاية الأولى واجتهدوا في إظهار مظاهر مساهمتها، من خلال إبرازهم لعدة أوجه تنظيمية وكفاحية للمنطقة محل الدراسة فعرفوا لنا هذه المنطقة بنواحيها وقسماتها، مبرزين أهمية التنظيم السياسي، والعسكري في التحكم في المجال الجغرافي والبشري لهذه المنطقة الشاسعة التي تمتد من شرق السكة الحديدية لمدينة باتنة إلى السكة الحديدية لسطيف شمالا والحضنة غربا إلى حدود الولاية السادسة التاريخية جنوبا، كما حوت محتويات الكتاب بعض من المعارك التي شهدتها المنطقة، والتي لم نستطع تقديمها كلها لكثرتها من جهة ولشاسعة المنطقة الأولى من جهة أخرى.

تناول هذا الكتاب شخصيات قيادية تركت بصماتها في تاريخ الجزائر وتاريخ المنطقة ولم نستطع في عمل واحد جردهم، وإعطائهم حقهم خاصة أن المنطقة مرّ على قيادتها عدة شخصيات ثورية مهمة فاقصرنا على تناول سيرة بعض منهم كالحاج لخضر، ومحمد لعموري، وحيحي المكي، ومحمد الصالح يحيوي.

وأفرد هذا الكتاب نماذج من نضال المرأة بالمنطقة الأولى من الولاية الأولى التاريخية وأخذت مدينة باتنة بدورها، وحواضر المنطقة جانب من الدراسة من خلال إبراز نشاطها في الإضرابات والمظاهرات. كما نجد في محتويات هذا الكتاب حادثة عملية الزرق في المنطقة الأولى التي استند الدارس فيها بالأساس على مذكرة محمد الصالح بن طامة المعنونة: "مذكرات الشهيد الحي"، وأهم ما ورد فيها ينشر لأول مرة، على أمل أن تخرج هذه المذكرة في كتاب مستقبلا حتى يستفيد منه الباحثون.

لقد قدم لنا هذا الكتاب ثمانية عشر مقالا متنوعا اجتهد فيه أصحابه، وبحثوا في أغوار تاريخ المنطقة معتمدين على ما هو متداول ومتعارف من جهة، وعلى الأرشيف الفرنسي المتاح في فرنسا، وبالضبط دور الأرشيف الخاصة: "أرشيف ما وراء البحار" أكس"، وأرشيف "شاطو دو فانسان"، وعلى الأرشيف الشخصي لبعض العائلات من جهة أخرى، وهو مما لا شك فيه يقدم لنا إضافة مهمة لتاريخ الأوراس.

الغاية

حاول الباحثون تقديم مسار بعض أحداث هذه المنطقة و تدوينه، إيماناً منهم على أن التدوين هو الطريق الأمثل للحفاظ على الذاكرة التاريخية للأجيال القادمة، والتي ستحاسبهم إن قصروا في ذلك، وهم لا يدعون قدرتهم على تغطية كل أحداث هذه المنطقة بما فيها من شخصيات وأحداث مهمة، بل هم قدموا قطرة من بحر، ولكنهم نالوا شرف الاجتهاد معتقدين في الوقت ذاته أن عملهم ليس احتكار بل هو محفز للباحثين والمهتمين بتاريخ الجزائر لأجل التدوين ومحاولة جمع الشواهد خاصة ممن تبقى من المجاهدين الأحياء.

وتمنياتنا أن يستفيد ويستمتع القارئ والمهتم بالشأن التاريخي بمحتويات هذا الكتاب، وكل الشكر موصول لكل من ساهم في إخراج هذا العمل، ونخص بالذكر لا الحصر مخبر الأمن الإنساني، وعلى رأسه الأستاذ الدكتور حسين قادري.

